

١٦٦٨٩

www.christianlib.com

الفرص المسيحية



١٦٦٨٩
١٦٦٨٩
١٦٦٨٩

يوسف رياض

المزامير المطبوعة



المزامير المساوية

المؤلف : يوسف رياض

يطلب من : مكتبة الإخوة

٣ش أنجه هانم - شبرا - مصر ت: ٥٧٩٢٢٨٤

بريد الكتروني: brethren_pub@write.me.com

وفروعها: مصر الجديدة : ٦٥ش نخلة المطيعي - تريومف ت: ٢٩٠٤٠٠٣

الأسكندرية : ٦ش القسطاط - كليوباترا

المنيا : ٦ش الجيش ت: ٣٦٤٤٠٦

أسيوط : ٢١ش عبدالخالق ثروت ت: ٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطابع السلام

رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٢٣٥٤

الترقيم الدولي: ISBN 977-321-060-X

المزامير المصياوية

يوسف رياض

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

محتويات الكتاب

٧	كلمة عن سفر المزامير	
١٣	المسيح الملك	منمور ٢
٢٧	البنوة الأزلية	
٢٩	ابن الإنسان ذو السلطان	منمور ٨
٤٤	المسيح ابن الإنسان	
٤٧	السائم الإلهي	منمور ١٦
٦٥	ما هي الهاوية؟	
٦٧	المسيح المتالم	منمور ٢٢
٩٣	ملك المجد	منمور ٢٤
١٠٣	المسيح المحرقة	منمور ٤٠
١٢١	لماذا كانت الذبائح في العهد القديم أربع؟	
١٢٣	المسكين الأعظم	منمور ٤١
١٣٧	عُرس المَلِك	منمور ٤٥
١٦٣	المسيح هو الله	
١٦٧	المسيح المنتصر الصاعد	منمور ٦٨
١٨٤	أقسام الأرض السفلى	
١٨٧	المسيح ذبيحة الإثم	منمور ٦٩
٢٠٩	مزامير الانتقام	

- مزمور ٩١ : المسيح الممتحن الناجم ٢١١
- مزمور ١٠٢ : المسيح رجل الأحرار الحقيقي ٢٢٥
- مزمور ١١٠ : المسيح الملك الكاهن ٢٣٩
- ملكي صادق: من هو؟ وما هي رتبته؟ ٢٥٥
- مزمور ١١٨ : الانتصارات المتواصلة ٢٥٩

الملحق: فكرة عامة عن بعض المزامير

- مزمور ١٨ : الملك المحارب المنتصر ٢٨٥
- مزمور ٢١ : الملك المجيد المنتقم ٢٨٩
- مزمور ٣١ : المتكل على الرب في الحياة والممات ٢٩٢
- مزمور ٣٥ : المتألم الصابر ٢٩٥
- مزمور ٧٢ : الملك الكامل الأبدي ٢٩٨
- مزمور ٨٠ : رجل يمين الله ٣٠٢
- مزمور ٨٨ : رجل الأحزان يواجه هول الموت ٣٠٥
- مزمور ٨٩ : البكر الأعلى من ملوك الأرض ٣٠٨
- مزمور ٩٧ : الملك المهبوب ٣١٢
- مزمور ١٠١ : الملك الكامل ٣١٥
- مزمور ١٠٩ : المسيح المرفوض ونتيجة ذلك ٣١٧
- مزمور ١٣٢ : الملك على صهيون ٣٢٠
- تذييل : نظرة بانورامية عن شخص المسيح في سفر المزامير ٣٢٥



كلمة عن سفر المزامير

سفر المزامير هو سفر الصلوات والاختبارات، الصرخات والترنيمات، وهو يحتل في الكتاب المقدس مكان الوسط، كقمة عالية في الإعلان الإلهي. ويبدأ السفر بعبارة «طوبى للرجل»، ويُختم بعبارة «سبحوا الرب» أي أنه يبدأ بالله مباركاً الإنسان، وينتهي بالإنسان مباركاً الله.

هو سفرٌ يلد لقلوب كل المؤمنين الأتقياء. فيه نجد الإنسان يتكلم إلى الرب، بخلاف معظم الأسفار التي يتكلم فيها الرب إلى الإنسان. ونجد فيه تشجيعات ومواعيد عظيمة، واستجابات لصلوات قُدِّمت من القديسين في ظروفهم المختلفة عبر العصور. وكثيراً ما نجد في المزامير التعبيرات التي تناسب حالتنا ومشاعرنا في ظروف الحياة المتقلبة. فسفر المزامير إذاً هو قلب الكتاب المقدس حقاً. وكما قال أحدهم: إننا فيه نشعر بنبض الحياة الروحية، فمنه يجري الدم وإليه يعود.

على أن ما يُعطي لهذا السفر أهمية أكبر هو أننا نلتقي فيه بالمسيح: نشاهد أمجاده الأدبية السامية، ونستمع إلى مشاعره المرهفة الرقيقة وهو يجتاز هذا الطريق قبلنا. بالإضافة إلى أننا فيه نرى جانباً مباركاً من أمجاده الإلهية الأزلية، وأمجاده الملكية الآتية.

ولقد سُمي هذا السفر «سفر المزامير» بسلطة الوحي المقدس نفسه (أع ١٤: ٢٠، قارن أيضاً لو ٢٠: ٤٢؛ ٢٤: ٤٤). وهو الكتاب الأول من حيث عدد الاقتباسات التي وردت منه في العهد الجديد*. ولقد كان لهذا السفر في حياة المسيح مكان كبير: فلقد أبكم الفريسيين

* اقتبس العهد الجديد نحو ٢٨٣ اقتباساً من أسفار العهد القديم، حوالي نصفها من سفر المزامير وحده (١١٦ اقتباساً).

بسؤاله لهم عما ورد في مزمور ١١٠ (مت ٢٢: ٤٣-٤٥)، وأفحم اليهود باقتباسه ما ورد في مزمور ٨٢ (يو ١٠: ٣٤، ٣٥)، وردَّ على المعترضين بكلمات مزمور ٨ (مت ٢١: ١٦). وقبل أن يمضي إلى الصليب مباشرة سبَّح مع تلاميذه المزامير ١١٣-١١٨. وفي ظلمة الجلجثة صرخ صرخة الهجر والترك قائلاً: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟»، مقتبساً من مزمور ١: ٢٢ (مت ٢٧: ٤٦؛ مر ١٥: ٣٤). وبعد ذلك، ولكي يتم الكتاب قال: «أنا عطشان»، فتمت النبوة الواردة في مزمور ٦٩: ٢١ (انظر يو ١٩: ٢٨)، وقبل موته قال: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» مقتبساً من مزمور ٣١: ٥ (انظر لوقا ٢٣: ٤٦). ثم بعد القيامة تكلم مع تلميذي عمواس ثم مع باقي التلاميذ، يشرح لهم الأقوال التي وردت عنه في سفر المزامير (لو ٢٤: ٢٧، ٤٤، ٤٥).

تفرد سفر المزامير

نحن نعلم أن المسيح هو موضوع الكتاب المقدس كله من أوله إلى آخره. فأسفار موسى الخمسة مليئة بالرموز عن المسيح، والأسفار التاريخية تقود ركب البشرية وصولاً إلى المسيح، والأسفار النبوية تذخر بالنبوات عن شخصه الكريم، وعندما نصل إلى العهد الجديد نجد الأنجيل تحدثنا صراحة عن الأمور المختصة به: مولده وحياته وموته وقيامته، وسفر الرؤيا يحدثنا عن مجده ومجيئه الثاني. لكن بين كل هذه الأسفار لا نجد سفرًا آخر يحدثنا عن مشاعر المسيح الداخلية في كل اختباره المتنوعة نظير سفر المزامير.

وإذا كانت الأنجيل تحكي لنا أحلى قصة في الوجود والخلود، وهي قصة المسيح، وإذا كانت الرسائل تشرح لنا سمو شخصه وعظمة عمله، فإن سفر المزامير يصف لنا مشاعر المسيح عبر كل الطريق الذي اجتازه، الطريق الذي بدأ بالمعاناة والألم، وينتهي بالرفعة والمجد.

لقد أخبرتنا الأنجيل أنه صلي، لكن سفر المزامير ذكر لنا محتويات صلاته، وكشف لنا عن مشاعره أثناء الصلاة.

ويمكن القول إن أسفار موسى الخمسة في العهد القديم والرسائل في العهد الجديد تجعلنا نتغذى على رأسه، والأنجيل تجعلنا نطعم على أكارعه، لكننا هنا في سفر المزامير نأكل جوفه (خر ١٢: ٩)!

التطبيقات المختلفة للمزامير

نستطيع أن نتعامل مع سفر المزامير بثلاثة تطبيقات مختلفة:

١- **التطبيق التاريخي:** وهو يعبر عن حالة كاتب المزمور وظروفه، وغالباً ما نرى انطباق بعض أجزاء المزمور عليه، وعدم انطباق البعض الآخر، إذ يكون لها تطبيق نبوي.

٢- **التطبيق الأدبي:** وهو يرتبط بالتطبيق السابق، لأن «هذه الأمور جميعها أصابتهم مثلاً، وكتب لإذارنا» (١كو ١٠: ١١). و«كل ما سبق فكتب كُتب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء» (رو ١٥: ٤). فنحن نقرأ المزمور، ونستخرج منه الدروس العملية النافعة لنا، والتحذيرات التي نتحذر بها.

٣- **التطبيق النبوي:** فالكتاب المقدس يُسمى «الكلمة النبوية» (٢بط ١: ١٩). لأن الله لا يعمل أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء (عا ٣٤: ٧). وتتحدث هذه الكلمة النبوية - في المقام الأول - عن شخص المسيح. كما أنها تتحدث أيضاً عن شعبه العزيز على قلبه، لا سيما البقية النقية المتألمة في آخر الأيام. أما الكنيسة فلا مجال لها بحصر اللفظ في سفر المزامير، إذ كانت سرّاً مكتوماً في الله (أف ٣: ٩)، ولا نجد لها ذكراً في أسفار العهد القديم.

وما يهمنا في هذا الكتاب، في المقام الأول، هو التطبيق النبوي للمزمور عن شخص المسيح. سواء تلك النبوات التي تمت في مجيئه الأول، أو ما سيتم منها في مجيئه الثاني. لكننا، استكمالاً للفائدة، ذكرنا جانباً من الدروس الأدبية والتعليمية، وكذلك التطبيق النبوي على البقية المتألمة في آخر الأيام.

ما هي المزامير المسياوية؟

هي المزامير التي تتكلم عن المسيا*، ربنا يسوع المسيح: عن مجيئه في الجسد، وعن حياته الكاملة الفريدة، وعمل كفارته العظيم، وقيامته المجيدة، وكهنوته الحالي،

* النطق العبري للكلمة المعروفة عندنا وهي المسيح (قارن يو ١: ٤١)، بمعنى الشخص الممسوح من الله.

وملكه السعيد العتيد.

عندما قام المسيح من الأموات وسار مع تلميذي عمواس، مفسراً لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب (لو ٢٤: ٢٧)، فإنه بلا شك أعطى لسفر المزامير نصيباً وافراً من شرحه. فنحن لا نعتقد أن هناك سفرًا غنياً بالنبوات عن المسيح مثل سفر المزامير*. وبعد ذلك عندما ظهر للتلاميذ مجتمعين، قال لهم: «هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لا بُد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٤، ٤٥). ونحن بدورنا ما لم ندرك أن سفر المزامير يتحدث عن المسيح فإننا لا نكون قد فهمنا هذا السفر بعد.

والمزامير التي نتحدث عن المسيح كثيرة جداً، ومعظمها يتضمن تلميحات مباشرة له. إلا أننا في هذا الكتاب قد أخذنا ١٤ مزموراً فقط، تمثل لنا الكمال المزدوج، كمال أقنوم الابن، الإنسان الثاني (١كو ١٥: ٤٧)، الذي هو الله وإنسان في آن معاً.

ولتحديد المزمور إن كان مسايوياً أم لا، قال أحدهم: إن المزمور المصاوي هو ذاك المزمور الذي كيفما كان الغرض من كتابته، وكيفما كانت ظروف كتابته، فإنه ينتظر مجيء المسيح للإتمام النهائي لأقواله. فحتى لو كان واضحاً أنه ينطبق إلى حد ما على هذا الملك أو ذاك الشخص، إلا أن مرماه النهائي لا ينتهي عند هؤلاء الأشخاص، بل ينتظر مجيء المسيا.

سنجد في هذه المزامير المصاوية نبوات كثيرة تتحدث عن المسيح مالكاً بالمجد، وحاكماً بالقوة، بينما ثمة نبوات أخرى ترينا المسيح كرجل الأوجاع الحقيقي، ساكباً للموت نفسه. وطبعاً لا يمكن التوفيق بين هذه وتلك، إلا بما أصبح واضحاً في العهد الجديد، أن للمسيح مجيئين: الأول تم في الماضي، عندما أتى المسيح ليموت، والثاني سيتم عن قريب، عندما يأتي ليملك. وكما تمت كل النبوات الخاصة بآلامه وموته حرفياً، لا بُد أن تتم حرفياً كذلك كل النبوات الخاصة بمجده وملكه.

واستكمالاً للفائدة أضفنا في آخر الكتاب ملحقاً يتحدث في عجلة عن أحد عشر مزموراً لم يتفق كل المفسرين على اعتبارها مزامير مسايوية، لكنها مع ذلك تتضمن

* ذكر أحد الدارسين أنه من بين ٢٨٣ اقتباساً مباشراً من العهد القديم ورد في العهد الجديد، جاء ١١٦ اقتباساً من سفر المزامير.

نبوات صريحة أو إشارات جميلة لا يمكن أن تجد انطباقها الكامل إلا على شخص ربنا يسوع المسيح.

وفي التذييل الذي سيرد في آخر هذا الكتاب، سنجد كيف اشتملت هذه المزامير المسياوية مجتمعة على نظرة بانورامية متكاملة عن شخص المسيح، سواء أمجاده الإلهية الأزلية، أو أمجاده الملكية الرسمية، أو أمجاده الأدبية الإنسانية. وكيف أنها تحدثت عن ولادته وحياته، وتسليمه ومحاكمته، وموته وقيامته، وصعوده وجلوسه، وكهنوته وملكه العنيد.

المزمور الثاني

المسيح الملك

المزمور في كلمات

هذا المزمور هو أول المزامير المسياوية، ولهذا فإنه يتميز بالشمول في الأفكار. فهو يحدثنا عن بنوة المسيح الأزلية ومولده في الزمان، عن مسحته للملك وتحطيمه للأعداء، عن هياج العصاة عليه، وقبلات المؤمنين له.

الاقتباسات

اقتُبِسَت الآية الأولى من هذا المزمور في سفر الأعمال ٤: ٢٥، ضمن صلاة الرسل بعد القبض على بطرس ويوحنا، ثم إطلاق سراحهما، فقالوا: «أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقبة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس وببلاطس البنطي، مع أمم وشعوب إسرائيل، ليفعلوا كل ما سبقت فعينتك يدك ومشورتك أن يكون».

كما اقتُبِسَت الآية ٧ من هذا المزمور في العهد الجديد ثلاث مرات، وطُبِّقَت مباشرة على المسيح، كالاتي:

(١) أعمال ١٣: ٣٣ «نحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا إن الله قد أكمل هذا لنا

نحن أولادهم، إذ أقام يسوع، كما هو مكتوب أيضاً في **المزمور الثاني**: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك».

(٢) عبرانيين ٥:١ «لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك».

(٣) عبرانيين ٥:٥ «كذلك المسيح أيضاً لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك».

بالإضافة إلى العديد من التلميحات للآية ٩ (مثل رؤيا ٢:٢٧؛ ٥:١٢؛ ١٩:١٥).

الكاتب والمناسبة

مع أن سفر المزامير لم يذكر لنا كاتب هذا المزمور، لكن من العهد الجديد نفهم أنه داود الملك (أع:٤:٢٥).

ولا يمكن تحديد مناسبة كتابة المزمور، لكنها قد تكون في أيام داود الأخيرة، عندما قرر أن يملك سليمان ابنه مكانه، مما نتج عنه حركات تمرد وعصيان من الكثيرين (ارجع إلى ملوك ١).

عنوان المزمور

المزموران الأول والثاني* بدون عنوان. والبعض يعتبر هذين المزمورين كأنهما مقدمة لكل سفر المزامير.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

يكلّمنا المزمور الأول عن الرجل المطوّب المنفصل عن الأشرار، والذي يلهج في ناموس الرب باستمرار، بينما يكلّمنا المزمور الثاني عن عداء الأشرار لهذا الرجل البار الذي ليس هو إلا شخص ربنا يسوع القدوس.

* من الجميل أن نعرف أن ترتيب المزامير هو من صلب الوحي، فعندما نقول مثلاً «المزمور الثاني» فهذه هي تسمية الروح القدس للمزمور (ارجع إلى أعمال ١٣: ٣٣).

سفر التكوين* أيضا يبدأ بالرجل المبارك (تك ١)، لكن سرعان ما صار هو نفسه الرجل المتمرّد، المتفكر في الباطل. أما هنا فإننا نجد الإنسان الثاني، ربنا يسوع المسيح. إنه بحق الشخص الوحيد الذي رفض مشورة الشرير (مت ٤؛ لو ٤)، والذي كل ما يصنعه ينجح (مز ١: ٣ مع إش ٥٣: ١٠).

إذاً فنحن نجد في المزمور الأول مسرة الرجل البار بالكلمة المكتوبة، وفي الثاني عداً أولئك الأشرار للكلمة المتجسد. في الأول نجد اللهج الجميل، وفي الثاني التفكير الباطل. المزمور الأول يحدثنا عما كان يشغل الرجل المطوب، الذي هو المسيح، والمزمور الثاني يحدثنا عما كان يشغل الناس الأشرار، أعني أعداء المسيح. تبدأ الآية الأولى من المزمور الأول بكلمة «طوبى»، وتبدأ الآية الأخيرة من المزمور الثاني بكلمة «طوبى».

أقسام المزمور

ينقسم هذا المزمور بوضوح إلى أربعة أقسام، كل قسم منها ثلاثة أعداد، وفي كل قسم نستمتع إلى شخص يتكلم، كالآتي:

١- المتكلم الأول: الإنسان المتمرّد.

٢- المتكلم الثاني: الآب المبارك.

٣- المتكلم الثالث: ابن الله ومسيح الله.

٤- المتكلم الرابع: الروح القدس.

إذاً فهذا المزمور يقدم لنا رد الآب والابن والروح القدس[†] على الإنسان المتمرّد.

أو يمكن تقسيم المزمور بطريقة مختلفة - باعتبار أن موضوعه الرئيسي هو المسيح،

الملِك - كالآتي:

* يقسم البعض سفر المزامير تقسيماً خماسياً يتمشى مع أسفار موسى الخمسة. حيث الكتاب الأول في المزامير هو من مزمور ١ إلى ٤١، والكتاب الثاني من مزمور ٤٢ إلى ٧٢، والكتاب الثالث من مزمور ٧٣ إلى ٨٩، والكتاب الرابع من مزمور ٩٠ إلى ١٠٦، والكتاب الخامس من مزمور ١٠٧ إلى ١٥٠. لمزيد من التوضيحات انظر كتاب وحي الكتاب المقدس للمؤلف طبعة ثالثة الفصل السابع.

[†] هذا التقسيم يعطينا إحدى الإشارات الجميلة للثالوث في العهد القديم. انظر كتاب "ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي" للمؤلف.

- ١- التمرد على الملك: (٣-١٤).
- ٢- مسح الملك: (٦-٤٤).
- ٣- حكم الملك: (٩-٧٤).
- ٤- أعداء الملك: (١٢-١٠٤).

والجدير بالملاحظة أن هذا المزمور يتكون من اثنتي عشرة آية، وهذا الرقم في الكتاب المقدس هو رقم حكومة الله*.

أو يمكن تقسيم المزمور بطريقة ثالثة كالآتي:

- ١- هياج الأرض: (٣-١٤).
- ٢- ضحك السماء: (٦-٤٤).
- ٣- القرار الأزلي: (٩-٧٤).
- ٤- الدمار الأبدي: (١٢-١٠٤).

وأخيراً نقول إننا يمكننا تلخيص هذا المزمور في كلمة التمرد، والتأمل فيه في هذه السباعية:

- ١- كثرة المتمردين (١٤)
- ٢- هياج المتمردين (٢٠، ١٤)
- ٣- هدف المتمردين (٣٤)
- ٤- حماقة المتمردين (٤٤)
- ٥- فشل المتمردين (٦، ٥٤)
- ٦- تحطيم المتمردين (٩-٧٤)
- ٧- العفو المقدم للمتمردين (١٢-١٠٤)

الدروس الأدبية والعملية

هياج الأرض

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما» (٣-١٤).

* انظر كتاب "وحي الكتاب المقدس"، للمؤلف، الفصل الرابع عشر.

ارتجت: كلمة تصوّر الرفض المبدئي، وعدم خضوع الإرادة للملك.

تفكر: فهم يدبرون المؤامرات في مُخَلَّتْهم، ويحيكونها في خلوتهم.

قام: تصوّر شروع الأشرار في العمل ضد مسيح الله.

وتأمر: تصوّر وسيلة قيامهم بعملهم الآثم، الذي تم عن طريق المؤامرات والخديعة.

إن جريمة الدهور، عندما صلب الأشرار ربنا يسوع المسيح، لم تكن فجائية أو عفوية، بل كانت مع سبق الإصرار والترصد. ولهذا فإننا نقرأ: «اجتمع الكتبة والشيوخ ... (وكانوا) يطلبون شهود زور على يسوع لكي يقتلوه» (مت ٢٦: ٥٧، ٥٩).

لقد ثبت في الصليب زيف المقولة: إن إرادة الشعب من إرادة الله. فلقد أسلم بيلاطس المسيح للصليب بناء على مشيئة الشعب. وهنا يقول المرنم: «تفكر الشعوب في الباطل».

ولا غرابة أن يقول هنا: «تفكر الشعوب في الباطل»: فإن ما يميّز الأشرار هو بطل الذهن (أف ٤: ١٧). فهل من الممكن أن ينتج عن الذهن الباطل سوى الأفكار الباطلة؟

«الأمم ... الشعوب ... ملوك الأرض ... والرؤساء معاً» (ع ٢، ١٤):

نحن هنا أمام امتحان للأمم المتحدة، فماذا كانت نتيجة الامتحان؟ لقد اتفقوا، وهذا يذكرنا باتفاق سابق لهم في تكوين ١١. هناك كان الاتفاق على التمرد على فكر الله بالانتشار في كل الأرض (تك ١: ٢٨؛ ٩: ١ مع تك ١١: ٤)، لكن هذه المرة كان الاتفاق على التخلص النهائي من الرب ومن مسيحه!!

من هذا نفهم أن كونك مع الأغلبية، لا يجب أن يعطيك اطمئناناً أنك في الوضع الصحيح، فلا يوجد أمان في الكثرة. ولقد قال الناموس قديماً: «لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر» (خر ٢٣: ٢).

«لنقطع قيودهما ولنطرح عنا رُبَطهما» (ع ٣).

هذا هو توجه العالم في ذلك اليوم وإلى اليوم. فالبشر يريدون إزالة كل ما يذكرهم بالله وبالمسيح: ولهذا فإن وسائل الترفيه والإعلام، ومناهج التعليم، وكل ما يتحكم في ثقافة العالم، ولا سيما في البلدان المتقدمة، هي ملحدة تماماً، ومعادية للمسيح.

ما الذي نراه اليوم حادثاً في البيوت والمدارس؟ ماذا عن عيشة الشبان والشابات معاً

- في العديد من الدول - دون رباط الزوجية المقدس؟! ثم ماذا عن إباحة الشذوذ، وإباحة الإجهاض، في كثير من الدول التي تمتعت يوماً بإشراق نور الإنجيل عليها؟! وماذا أيضاً عن إزالة الفوارق بين الرجال والنساء، حتى في كنائس العالم؟! هذه كلها بينات على أن البشر قد ضاقوا ذرعاً بقوانين الله، واعتبروها قيوداً ورُبُطاً، ولم يدركوا أنها رُبطُ المحبة (هو ١١: ٤). فلما تحللوا منها انهارت القيم انهياراً مأساوياً، تهيئاً لعالم بشع في السنين القادمة. وإن كان هذا ما حدث بينما الروح القدس ما زال على الأرض، فماذا سيحدث بعد رفع الحاجز واستعلان الأثيم (٢ تس ٢: ٧، ٨)؟!

ودعنا - أيها القارئ العزيز - نسأل أنفسنا: هل سلوكنا نحن يظهر روح التمرد على الملك، والرغبة في عدم الخضوع لسيطرته؟ هل في حياتنا منطقة أعلنت الحرب ضد الرب؟ ثم هل نحن نعتبر الخضوع للرب نوعاً من العبودية أم هي الحرية بعينها؟ هل نير المسيح في تقديرنا صعب أو سهل؟ هل وصاياه في نظرنا ثقيلة أم هينة؟

ضحك السماء

«الساكِن في السماوات يضحك الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيبظه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي» (ع ٤-٦).

إن الإنسان المسكين ينظر إلى الله في السماء ويقول له: "أتحداك أن تزلزلي". والله في عليائه ينظر إلى هذه الدودة الصغيرة ويضحك. وفي الواقع ما أخطر أن يضحك الرب ويستهزئ بالإنسان (ارجع إلى أمثال ١: ٢٤-٣١).

ويوضح الكتاب المقدس أن الله صاحب السلطان العظيم (أي ٢٥: ٥؛ دا ٤: ٣٥)، وهو لا يحتاج أن يحارب البشر بصورة فعلية، بل إنه سيبيد كل أعدائه - متى آن الأوان - بنفخة فمه (٢ تس ٢: ٨؛ رؤ ١٧: ١٤). فهل يمكن مقارنة قوة البشر بقوة الله؟ إن ملاكاً واحداً نزل من السماء، ودحرج الحجر عن باب القبر الذي دُفن فيه الرب يسوع، وجلس عليه، فماذا يقول الوحي: «من خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات» (مت ٢٨: ٢-٤). ولمحة من مجد يسوع الناصري جعلت ذلك الطرسوسي العنيد ينطرح أرضاً، ثم ينقاد ذليلاً كسير القلب، بسبب عماه (أع ٩: ١-٩)!! لهذا يقول هنا: «الساكِن في السماوات يضحك الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيبظه» (ع ٤، ٥).

القرار الأزلي

«إني أخبر من جهة قضاء الرب: قال لي: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك
الأهم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خراف
تُكسّرهم» (ع ٧-٩).

وإن كان الأب يقول للمسيح هنا: «اسألني فأعطيك الأهم... وأقاصي الأرض» لكن الابن المبارك يردُّ على الأب قائلاً: «لست أسأل (أيها الأب) من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني» (يو ١٧: ٩)! فهو - تبارك اسمه - ضحّي بكل شيء من أجل اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن، التي هي «كنيسته»! لكنه لا بُدَّ أن يملك بعد انتهاء فترة النعمة الحاضرة كما يخبرنا سفر الرؤيا (رؤ ٥: ٩، ١٠، ١١، ١٥، ١٧، ١٧: ١٤؛ ١٩: ١١-١٦؛ ٢٠: ٤-٦).

ونلاحظ أن الأب يقول: «اسألني فأعطيك الأهم... وأقاصي الأرض» فالرب لن يعطي مسيحه نصف المملكة، كما قال أحشويرش لأستير (أس ٥: ٣؛ ٧: ٢)، أو كما قال هيرودس لابنة هيروديا (مر ٦: ٢٣)، بل سيعطيه المملكة كلها. تماماً كما أعطى الأب «كل الدينونة للابن، لكي يُكرم الجميع الابن كما يُكرمون الأب» (يو ٥: ٢٢، ٢٣).

وماذا سيفعل ذلك الملك العظيم عندما يستلم الملك؟ يقول:

«تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خراف تُكسّرهم» (ع ٩).

الدمار الأبدي

ينتهي هذا المزمور بنصيحة الروح القدس: «فالآن يا أيها الملوك تعقلوا» (ع ١٠).

وكل من يرفض المسيح، يحتاج إلى هذه النصيحة: «تعقلوا». إن المسيح هو «المعيّن من الله دياناً للأحياء والأموات» (ع ١٠: ٤٢)، فهل من الحكمة أن يعادي الإنسان قاضيه؟! ألم يكن الأجدد بفرعون أن يتعقل ويتأدب بدل عجرفته الفارغة عندما قال: «من هو الرب؟» (خر ٥: ٢)؟ وألم يتعلم الدرس منسى الملك (٢ أخ ٣٣: ١٣)؟ ألم يتعلمه الإمبراطور العظيم نبوخذناصر (دا ٤: ٣٤-٣٧)؟

يستطرد الروح القدس قائلاً: «اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة» (ع ١١).

وما أحلى هذا المزيج من الخوف المقدس والهتاف المفرح! فمن يخاف الله ويتقيّه،

لا يخاف منه، بل يهتف له بسرور ويسبحه بحبور!

«**قَبِّلُوا الابْنَ**»: أي تصالحوا معه، واخضعوا لسلطانه، وأعطوه حُكم وتقديركم، فإنه يشبع ويفرح بقبلات التقدير والعرفان (لو ٧: ٣٨)، ولكن احذروا من قبلة يهوذا (لو ٢٢: ٤٧).

والمترادف للقول: «**قَبِّلُوا الابْنَ**» في العهد الجديد هي العبارة «أَمِنَ بِالرَّبِّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، فَتَخَلَّصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ» (أع ١٦: ٣١)، «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣: ٣٦). فلا يوجد مهرب منه، إلا إليه.

«**لَنَّا يَغْضَبُ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ**» (ع ١٢)

أي تبيدوا وأنتم في طريق التمرد والعصيان. وهذا معناه أن الإبادة ستتم فوراً دون مهلة. لذلك اصطُح مع الرب ما دمت في الطريق (مت ٥: ٢٥)، فبغثة سيَتَقَدَّ غضبه، وإلينا نار آكلة (عب ١٢: ٢٩).

أقول لك أنا أيضاً أيها الصديق: قَبِّلِ الابْنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُتَأَخِّراً جِداً.

«**لأنه عن قليل (أو بعد قليل) يَتَقَدَّ غَضَبُهُ**» (ع ١٢).

فنحن اليوم في زمان النعمة العجيب، ولكن سيأتي قريباً «يوم انتقامٍ لِإِلَهِنَا» (إش ٦١: ٢) «لأن يوم النعمة في قلبي» (إش ٦٣: ٤)، وهذه النعمة على كل رافضي المسيح المخلص الذي صنع «خلاصاً هذا مقداره» (عب ٢: ٣). والذي يحجز الغضب الآن هو وجود الكنيسة على الأرض، وسكنى الروح القدس فيها (٢ تس ٦: ٧). فبمجرد اختطاف الكنيسة سينصبُّ الغضبُ على العصاة.

ثم يُخْتَمَ المزمور بالقول: «**طوبى لجميع المتكلمين عليه**». وهذه الآية من أقوى الأدلة على لاهوت ربنا المعبود يسوع المسيح.

يا له من مزمور جميل! فمع أنه يبدأ بآلام المسيح، لكنه ينتهي بمُلكِه، وإن كان يبدأ بحماقة التمرد عليه، فإنه يُخْتَمَ بتطويب الاتكال عليه.

* انظر الملاحظات الإضافية على مزمور ٤٥ بعنوان: المسيح هو الله ص ٤٤.

التطبيق النبوي

يبدأ المزمور بالحديث عن تمرد جماهيري وشعوبي على الله من الملوك والرعا على السواء: لقد حدث ذلك مرة في الماضي، وسيحدث مرتين أخريين في المستقبل. فرفض العالم للمسيح ليس مجرد حادث تاريخي فحسب، بل هو طابع العالم وتوجهه:

١- فقد حدث هذا أولاً عند الصليب، عندما استطاع الشيطان أن يجمع الكل ضد المسيح، ولهذا سُمِّي الشيطان ثلاث مرات «رئيس هذا العالم» (يو ١٢: ٣١؛ ١٤: ٣٠؛ ١٦: ١١). فقد انتضح مقدار سيطرة الشيطان على العالم بأنظمته وأفراده.

٢- والمرة الثانية ستحدث قبيل الظهور، حيث سيجتمع الوحش والملوك العشرة المتحالفون معاً، ليصنعوا حرباً مع الخروف (رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٩).

٣- والمرة الثالثة، وهي أعجب الكل: إذ بعد الملك الألفي، إذ يُحَلَّ الشيطان من سجنه زماناً يسيراً، فإنه سيخرج من الهاوية ليضلُّ أمماً عددهم كرمل البحر، يحيطون بمعسكر القديسين، وبالمدينة المحبوبة (رؤ ٢٠: ٧-١٠).

وفي القسم الثاني من المزمور (٤-٦): ينتقل بنا الروح القدس من الأرض وتمرد لها، إلى السماء وسلطانها (دا ١٧: ٣؛ ٤). فبينما أهل مدينة الملك أرسلوا وراءه سفارة قاتلين: «لا نريد أن هذا يملك علينا» (لو ١٩: ١٤)، فما الأب هنا يقول «أما أنا فقد مسحتُ ملكي على صهيون جبل قدسي» (٦ع). هذا هو قصد الله، وقصد الله لا بد أن يتم (إش ١٤: ٢٤).

والشيء العجيب حقاً إن المسيح في نعمته سيجعلنا نملك معه ونشاركه في ملكه السعيد! فنحن إن كنا نشاركه الآن آلام رفضه، فلا بد أن يشركنا معه عن قريب في أمجاد ملكه (٢تي ٢: ١٢ مع رؤ ٩: ٥؛ ٥: ٥). وسيكون لنا نفس سلطانه على الأمم (رؤ ٢٦: ٢٧).

ثم يتحدث المسيح في القسم الثالث عن كلام الآب له:

«اسألني فأعطيكَ الأهم مبرأثاً لك، وأقاضي الأرض ملكاً لك» (٨ع).

ونحن نعلم أن الشيطان عرض الملك على المسيح فوق الجبل، لكنه رفض أن يستلمه منه، لكن في فترة الضيقة العظيمة سيعطي الشيطان للوحش قدرته وعرشه وسلطاناً

عظيماً (رؤ ١٣: ٢). أما المسيح فسيستلم ملكه من الله. ويتم قول النبي: «لأنه الآن يتعظم إلى أقاصي الأرض» (مي ٥: ٤).

ثم يقول: «تخطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خراف تكسروهم» (٩ع).

والمسيح في مجيئه الثاني سوف يحطم أشرار الأرض بقضيب من حديد، ذاك الذي في مجيئه الأول كان «كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامئة أمام جازيها، لم يفتح فاه» (إش ٥٣: ٧).

وفي سفر الرؤيا نقرأ: «ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب... ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعصاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء» (رؤ ١٩: ١١، ١٥).

إن العالم اليوم لديه توقعات سعيدة بأن يحقق كل أحلامه في الألفية الثالثة (ارجع إلى إش ٥٦: ١٢). لكن بينما هو يحلم بالتقدم، سيفاجأ بالتحطم! «تخطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خراف تكسروهم». ولماذا هذا التحطيم القاسي؟ لأنه عندما يستلم المسيح الملك، فإن هذا لن يعجب قادة العالم، فيثوروا. وبلغت سفر الرؤيا «غضبت الأمم» (رؤ ١١: ١٨)، لكن لأن عصر النعمة سيكون قد ولى، وأناة المسيح على العالم تكون قد انتهت، لذا يقول الرائي: «فأتى غضبك». هذا الغضب المتمثل في قضيب الحديد الذي به سيكسر المسيح أشرار الأرض تكسيراً.

المسيح في المزمور

كم هو جميل وذو دلالة أن أولى المزامير المصاوية موضوعها ليس آلام المسيح وأحزانه، بل مجده وملكه. ومع ذلك فهذا المزمور الذي يحدثنا عن الملك الذي مسحه الله، تريننا الآيات الثلاث الأولى منه كيف اتحد الكل - رغم عدم توافقهم معاً - على قتل الرب يسوع: بيبلاطس مع هيرودس، واليهود مع الرومان. وما أعجب ما تفوه به قادة الأمة لبيلاطس في سبيل الوصول إلى غايتهم الدنيئة في قتل الرب: «إن أطلقت هذا فلست محبباً لقيصر... ليس لنا ملك إلا قيصر». لقد كان الرب حقاً «مكروه الأمة» (إش ٤٩: ٧).

المسيح

يحدثنا هذا المزمور عن المسيح. بل إن سبب تسميته المسيح (وتعني الممسوح) واضحة هنا في قول الآب: «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي» (٦ع).

ويخبرنا الكتاب المقدس أن الرب يسوع مُسَحٌ ثلاث مرات*:

١- **المسحة للخلق** (أم ٢٣: ٨): وهذه تمت في الأزل. فالرب مُسَحٌ لكي يُبدع الكون والخلقة، لكن الخلقة فسدت بسبب سقوط الإنسان، فمُسَحِ الرب أيضاً مسحة للقداء.

٢- **المسحة للقداء**، وَرَدَتْ في إشعياء ٦١: ١. ولقد اقتبس الرب يسوع هذا الجزء مطبقاً إياه على شخصه الكريم (لو ٤: ١٨).

٣- **المسحة للملك** (مز ٢: ٦): وما أحلى هذا المرسوم من الآب، عن مسحة الملك قائلًا: «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي» فالرب مُسَحٌ ليملك على كل شيء.

ونلاحظ أن المسحة الأولى (المسحة للخلق) ارتبطت ببداية الزمان (تك ١: ١)، والمسحة الثانية، المسحة للقداء ارتبطت بملء الزمان (غل ٤: ٤)، والمسحة للملك مرتبطة بنهاية الزمان، أو ما يسميه الوحي «تدبير ملء الأزمنة» (أف ١: ١٠).

ونجد هذه المسحات كلها في آية واحدة في عبرانيين ١ «جعله وارثاً لكل شيء. الذي به أيضاً عمل العالمين... بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا» (عب ١: ٢، ٣).

ومسحة ملء الزمان تمت عند معمودية المسيح من يوحنا، عندما «مسحه الله بالروح القدس والقوة» (أع ١٠: ٣٨). وهذه المسحة وردت في الأناجيل متى ومرقس ولوقا. وهي الأناجيل التي نتحدث عن المسيح باعتباره الملك والنبي والكاهن على التوالي. وفي العهد القديم كان كل من الأنبياء والكهنة والملوك يمسحون. فالأنبياء سمووا مسحاء في مزمو ١٠٥: ١٠ (قارن مع ١ مل ١٩: ١٦)، وكذلك كان الكهنة يمسحون (لا ٨: ١٢)، وكذلك أيضاً الملوك (١ صم ١٠: ١٦؛ ١٣: ١٦). والمسيح شغل هذه الوظائف مجتمعة: النبي والكاهن والملوك. وهو مُسَحٌ باعتباره النبي ليُبَشِّرَ، وباعتباره الكاهن ليفدي، وباعتباره الملك ليحكم.

* داود أيضاً باعتباره رمزاً لربنا يسوع المسيح مُسَحٌ ثلاث مرات: مُسَحٌ أولاً في بيت لحم من صموئيل (١ صم ١٦: ١-١٣)، ثم مُسَحٌ بعد ذلك في حبرون، ومسحه رجال يهوذا (٢ صم ٢: ٤٣)، وأخيراً مسحه كل رجال إسرائيل في حبرون أيضاً (٢ صم ٥: ١-٣).

الابن

تعبير «الابن» ورد مرتين في هذا المزمور: «أنت ابني» (ع ٧) وبالعبري «بن». بينما في (ع ١٢) «قَبِلُوا الابن» وردت في الأصل «بار». وكلاهما يعني «الابن». اللفظ الأول مثل يَنسِامين (ابن اليد اليمين)، واللفظ الثاني مثل بَارَنابا (أي ابن الوعظ). لكن الأول «أنت ابني» ورد بالعبري، لأن المسيح في مجيئه الأول وَلِدَ تحت الناموس، وجاء أساساً ليفتدي الذين تحت الناموس. لكن في المرة الثانية «قَبِلُوا الابن»، يرد اللفظ الأرامي أو الأممي، لأن المطلوب الآن من كل البشر، يهوداً وأمماً، أن يَقْبِلُوا الابن أو بالخبري أن يتصالحوا مع الله برَبَّنَا يسوع المسيح (٢ كو ٥: ٢٠). ويمكن القول أيضاً إن المزمع استخدم اللغة العبرية، لغة الوحي، عند الحديث عن البنوة في اللاهوت، بينما استخدم المزمع اللغة الأرامية، لغة الأمم، للتعبير عن البنوة كما سيرها العالم عندما يظهر المسيح في مجد ملكوته.

من ثم يقول المسيح:

«إِنِّي أَخْبَرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (ع ٧).

وهذه الآية هي لغة الابن المبارك متكلاً عن قضاء الرب: أي القصد المرسوم في المشورات الإلهية، وكذلك عن علاقته الأزلية بالآب، وأيضاً عن ظهوره في الجسد، وملكه على كل الأرض، فيقول المسيح هنا: "الرب قال لي *": «أنت ابني، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ».

يرى بعض الشراح أن الجزء الأول من هذه الآية يشير إلى بنوة المسيح الأزلية، بنوته في اللاهوت أزلياً قبل الزمان، بينما الجزء الثاني يشير إلى ولادته من العذراء مريم في ملء الزمان (غلا ٤: ٤)، وإلا لجاء الترتيب عكسياً، وقال: "أنا اليوم ولدتك، فأنت ابني".

وسوف نعود لهذه الآية المسبوبة بعد قليل.

«إِسْأَلْنِي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مَكاً لَكَ» (ع ٨)

ع ٨، ٧: المسيح هو الابن وهو الوارث، والارتباط بين البنوة والميراث مذكور في مواضع عديدة في الوحي (ارجع إلى مت ٢١: ٣٨؛ عب ١: ٢). ولقد تبرهن بنوة المسيح في الماضي بالقيامة من الأموات (رو ٤: ١)، وأمّا الميراث فسيحصل عليه في المستقبل عندما يأتي ثانية.

لقد عرض الشيطان على المسيح في بداية خدمته كل ممالك العالم، فرفضها

* ترد هذه الآية في ترجمة داريي هكذا: "إني أعلن المرسوم، الرب قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك"

(مت ٩: ٤؛ لو ٦: ٧). لكنه سيأخذ الملك من يد الأب، كما أشار في الإنجيل «إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع» (لو ١٩: ١٢)، وسيستلظ ملكاً ورباً على الجميع (مز ١١٠: ١-٣). فالمسيح لن يأتي إلى العالم ليستجدي منهم القبول، لينصبوه ملكاً، أو ليعلقوه على صليبٍ حسبما يريدون، حاشاً. بل إنه عندما سيظهر من السماء سيكون مكتوب على ثوبه (أي مظهره الخارجي)، وعلى فخذه (حقيقته وقوته) ملك الملوك ورب الأرباب (رؤ ١٩: ١٦). فملكة المسيح على هذا العالم، لكنها ليست من هذا العالم (يو ١٨: ٣٦). نعم سيملك المسيح على الأرض، بل وعلى كل الأرض (ارجع إلى ع ٨؛ رؤ ١١: ١٧).

الآية المساوية

«أنت ابني، أنا اليوم ولدتك» (ع ٧).

نلاحظ أن هذه الآية لا تعلم بأن الله جعل المسيا ابنه، ولا تقول إنه صار ابناً عندما تجسد، حاشاً، فهو الابن الأزلي*.

ولقد اقتنبت هذه الآية الهامة في العهد الجديد ثلاث مرات عن شخص الرب يسوع (أع ١٣: ٣٣؛ عب ١: ٥؛ ٥: ٥)، وهذه المرات الثلاث ارتبطت بالتجسد أو بناسوت المسيح، ولكن كل اقتباس منها له اتجاه محدد.

في أعمال ١٣ يقول الرسول بولس: «إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع، كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك». وهو يقصد بذلك أن الله أقام المسيح لإسرائيل؛ فالقول هنا لا يتضمن الإشارة إلى القيامة من الأموات كما يذكر بعض المفسرين، ولو أن القيامة وردت في ع ٣٤ حيث يشار في هذه الآية أن الله «أقامه من الأموات»، أما تعبير «أقام يسوع» فهو مثل التعبير الوارد في نفس الأصحاح (٢٢ع) «أقام لهم داود ملكاً» (انظر أيضاً تث ١٨: ١٥؛ أع ٧: ٣٧).

وفي عبرانيين ٥: ٥ يقول الرسول: «كذلك المسيح أيضاً لم يمجّد نفسه ليصير رئيس

* انظر الملاحظات الإضافية على مزمور ٢ عن: "البنوة الأزلية" ص ٢٧.

كهنة، بل الذي قال له أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، وذلك بالارتباط برفعته كرئيس كهنة (بالقيامة من الأموات*).

وفي عبرانيين ١: ٥، ٦ يقول الرسول «لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابني أنا اليوم ولدتك؟ وأيضاً: أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً؟ وأيضاً: متى أدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله؟»، وذلك بالارتباط بمجيئه ثانية لكي يملك.

أي أن هذه الآية الهامة شملت الأزمنة جميعها: الماضي (أع ١٣)؛ والحاضر (عب ٥)؛ والمستقبل (عب ١). ثم إنها عند اقتباسها في أعمال ١٣ ارتبطت بالفكرة المبدئية، أعني التجسد وظهور المسيح في الجسد، وعند اقتباسها في عبرانيين ٥ ارتبطت بالفكرة التالية أعني قيامة المسيح من الأموات، وعند اقتباسها في عبرانيين ١ ارتبطت بالفكرة النهائية وهي الفكرة المتضمنة في المزمور ذاته، أعني مجيء المسيح ثانية للملك. إنها آية عظيمة مرتبطة بهذه الأفكار الجيدة: التجسد، والقيامة، والمجيء الثاني.

وهناك دلالة أخرى في عبرانيين ١ لهذا الاقتباس، أعني بها سمو المسيح وتفوقه عن الملائكة، «لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك؟». ثم يقول: «ولمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك». نعم أي ملاك قيل له بالمفرد: أنت ابني؟ وأي ملاك يجرو أن يجلس في محضر الله؟ محال (قارن لو ١: ١٩). أما المسيح فإنه جالس في ذات عرش الله، وذلك لأنه ابن الله. وهذا وذاك من أقوى الأدلة القاطعة على معادلة الابن للآب.

* لا شك أن قيامة المسيح من الأموات كانت تأكيداً على أنه ابن الله. فلقد قال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله (يو ١٩: ٧)، وقال الله يجب أن يقوم من الأموات لأنه فعلاً ابن الله (رو ١: ٤).

ملاحظات إضافية على المزمور الثاني

البنوة الأزلية

بنوة المسيح الأزلية هي أحد أمجاد المسيح التي نعتز ونتمسك بها. صحيح لقد دُعي المسيح ابن الله عندما وُلد من العذراء مريم (لو ١: ٣٥)، لكنه كان أيضاً كذلك من الأزل. وبنوته الحادثة في ملء الزمان، نظراً لولادته من المطوبة مريم*، لا تتعارض مع بنوته الأزلية، باعتباره أحد أقانيم اللاهوت.

نحن نؤمن أن المسيح هو الله وإنسان في آن معاً: فهو ابن الله، كما أنه أيضاً ابن الإنسان. ونذلك فإن بنوته لها وجهتان: الأولى أزلية بين أقانيم اللاهوت، ولم يكن في هذه البنوة ولادة، فاللاهوت منزّه عن التماسل الجسدي الذي نعرفه نحن، والثانية هي البنوة الحادثة في ملء الزمان، فهو عندما وُلد من عذراء لم يكن له أب بشري، بل كان الله أباه.

هناك أدلة عديدة على أن المسيح هو ابن الله قبل التجسد. وفي الرسالة إلى عبرانيين نجد على الأقل إشارتين إلى هذه الحقيقة، فيقول في الأصحاح الأول إن الله عمل العالمين بواسطة الابن. فالخالق إذاً هو الابن، وذلك قبل التجسد بألاف بل وربما ملايين السنين. والإشارة الثانية في عبرانيين ٧ عن ملكي صادق الذي هو بلا أب وبلا أم وبلا نسب، لا بداية أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مشبّه بابن الله. فلو أن المسيح صار ابن الله فقط عندما وُلد من العذراء، فكيف يقول عن ملكي صادق إنه مشبّه بابن الله من حيث أنه بلا أم؟ فالمسيح كإنسان كان له أم ونسب وبداية أيام ونهاية حياة، لكنه كالابن الأزلي منزّه عن هذه كلها.

ونلاحظ أن بنوتي المسيح، السابق الإشارة إليهما، وردتا في أصحاح واحد هو عبرانيين ١ فهو يشير في ع ١ إلى البنوة الأزلية إذ يقول «ابنه... الذي به عمل العالمين»، ثم في ع ٥ يشير إلى بنوته الحادثة في ملء الزمان «أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً».

في إنجيل يوحنا ٣: ١٦ ترد آية من أشهر الآيات في الكتاب المقدس: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد». هذه العبارة العجيبة تصبغ قوتها لو أننا أنكرنا البنوة

* نلاحظ أن الملاك في بشارته للمطوبة العذراء مريم، لم يقل لها المولود منك يصير ابن الله، بل يدعى ابن الله (لو ١: ٣٥).

الأزلية، لأنه في هذه الحالة لا يكون الله قد أعطانا من كان محبوباً على قلبه ومائلاً لحضنه، بل فقط أعطانا من صار ابنه. وهذه الآية التي تحوي أول إشارة إلى المحبة في إنجيل يوحنا تأخذ فكرنا إلى أول مرة ترد فيها كلمة المحبة في الكتاب المقدس، في تكوين ١:٢٢ عندما استعلنت محبة إبراهيم لله، وتبرهن تلك المحبة عندما قدم إبراهيم ابنه الوحيد (عب ١١:١٧)، فكان إسحاق ابناً محبوباً من إبراهيم قبل أن يأمر الله إبراهيم أن يقدمه محرقة. وهذه صورة مصغرة لمحبة الله الأب عندما قرر أن يبذل ابنه الوحيد. وعليه فإن الذين ينكرون البنية الأزلية، لا ينكرون فقط حقاً ناصعاً من حقائق الكتاب، بل يخسرون موضوعاً مشبعاً فائضاً بالتعزية.

في المزمور الثاني يقول الرب: «أما أنا فقد مسحت ملكي»، بمعنى أقمت أو عيّنت. لكنه لا يقول إنه قد عيّن ابنه أو أقام الابن، ذلك لأنه هو الابن الأزلي. إن لفظة "الملك" توضح لنا ما هو المسيح، بينما لفظة "الابن" توضح لنا من هو في ذاته. الأولى تحدثنا عن مجده الوظيفي، أما الثانية فمجده الشخصي. ونلاحظ أن المسيح دُعي ليكون رئيس كهنة (عب ٥:٤)، والله جعله «رأساً فوق كل شيء للكنيسة» (أف ١:٢٢، ٢٣)، وجعله الله «رباً ومسيحاً» (أع ٢:٣٦)، هذه كلها وغيرها أمجاد وظيفية للمسيح، لكننا لا نجد ولا مرة أن الله دعاه ليكون ابنه، أو أنه جعله ابناً له. فالبنوة ليست وظيفة.

يوضح الوحي أن الابن هو أحد أسماء ربنا المعبود يسوع المسيح (يو ٣:١٨). إنه ليس مجرد لقب بل اسم. وهناك فارق بين اللقب والاسم. فالرئيس مثلاً لم يكن كذلك من البداية، لكنه تدرج في وظائف مختلفة أعطته ألقاباً مختلفة، أما اسمه فهو ثابت من البداية. نعم المسيح من الأزل هو ابن محبة الأب (كو ١:١٢، ١٣)، الذي أحبه الأب قبل إنشاء العالم (يو ١٧:٢٤).

من كل ما سبق نخلص إلى أنه كما أن الأب هو أزلي، وحضن الأب هو حضن أزلي، فهكذا أيضاً الابن الوحيد الذي هو (وليس الذي كان، ولا الذي صار) في حضن الأب (يو ١:١٨) هو الابن من الأزل. هو موضوع السرور الأزلي، واللذة السرمدية، والفرح الذي لا يمكننا أن نُعبّر عنه (أم ٨:٣٠، ٣١).

المزمور الثامن

ابن الإنسان ذو السلطان

المزمور في كلمات

مزمور مسياوي ترد فيه أقدم إشارة في الكتاب المقدس إلى المسيح باعتباره «ابن الإنسان». ويؤكد المزمور أيضاً نصرة المسيح النهائية على الشيطان: العدو المنتقم، وسيادته المطلقة كابن الإنسان على كل الكون.

الاقتباسات

اقتبس من هذا المزمور في العهد الجديد أربعة اقتباسات.

الاقتباس الأول من ع ٢، وهو ما ورد في رد المسيح على رؤساء الكهنة والكتبة في متى ٢١: ١٦، عندما هتف الأولاد للمسيح قائلين: «أوصنا لابن داود»، مما أثار غضب قادة الأمة الأشرار، فقالوا للرب: «أسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم. أما قرأتم قط: من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسييحاً؟».

كما أن العدد ٦ اقتبس ثلاث مرات في العهد الجديد كالاتي:

كورنثوس ١٥: ٢٧ «لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه»؛

أفسس ١: ٢٢ «وأخضع كل شيء تحت قدميه»؛

وأما عبرانيين ٢: ٦-٨ فقد اقتبست الآيات ٤-٦ من المزمور حيث يقول الرسول «لكن شهد واحد في موضع قائلاً: ما هو الإنسان حتى تذكره، أو ابن الإنسان حتى تفتقده، وضعته قليلاً عن الملائكة، بمجد وكرامة كللته، وأقامته على أعمال يديك. أخضعت كل شيء تحت قدميه».

الكاتب والمناسبة

الكاتب هو داود، الذي ترنم بكلمات هذا المزمور على الأرجح في مساء إحدى الليالي، وهو ساهر، يرعى غنيماته القليلة على روابي بيت لحم. فكلماته، لا سيما في ع ٣ توحى بذلك.

ونحن نعلم أنه في ذات المكان، بعد حوالي ألف سنة كان، هناك أيضاً رعاة ساهرين على غنهم، وربما كانوا يتأملون في عظمة الكون، ويرددون ذات كلمات داود: «من هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟»، وإذا بمجد الرب أضاء حولهم، ويسمعون أجمل بشارة سمعتها أذن إنسان حتى ذلك الوقت «ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه ولد لكم اليوم، في مدينة داود، مخلص هو المسيح الرب» (لو ٢: ١٠، ١١).

لكن ميلاد الرب لم يكن هو كل القصة، بل بدايتها الرائعة والمجيدة فقط. فإن القصة تمتد حتى جثسيماني، وتمضي بنا إلى الجلجثة، ثم قبر يوسف الرامي!

ويرى البعض أن داود كتب هذا المزمور بمناسبة انتصاره على جليات الجتي (١ صم ١٧)، ذلك لأنهم يقرأون عنوان المزمور التاسع: «على موت الابن» باعتباره تذييلاً للمزمور الثامن. ويرى البعض أن المقصود بهذا العنوان هو موت البطل، الذي هو جليات الجتي الشرير، إذ تصاعدت نغمات الترنيمة والتسبيح من أفواه النساء اللاعبات بعد انتصار داود عليه وموته (١ صم ١٨: ٦، ٧).

ونلاحظ أن كل نصره حدثت على أحد رموز الشيطان كانت دائماً تسبب ابتهاجاً وفرحاً خاصاً للنساء، كما سنذكر عند الحديث عن المسيح في المزمور. فما أعظم الفرحه التي أدخلها المسيح إلى قلوب المساكين والبائسين، عندما سحق رأس الحية في الصليب!

عنوان المزمور

«**لِلْإِمَامِ الْمَغْنِينِ**» وهو تعبير ورد في سفر المزامير* ٥٥ مرة. وهو كناية عن ربنا يسوع المسيح قائد التسبيح الحقيقي (مز ٢٢: ٢٢؛ عب ٢: ١٢). والرقم ٥٥ عبارة عن ١١×٥، أي أفراس النعمة. فالرقم ١١ هو رقم الترنيمة والأفراح، بينما الرقم ٥ هو رقم النعمة.

«**على الجنيّة**»: وهو عنوان لثلاثة مزامير، هي المزمور الثامن، والحادي والثمانون، والرابع والثمانون. وكلمة «الجنيّة» اسم آلة موسيقية غير معروفة في يومنا هذا، الأرجح أن موطنها الأصلي مدينة «جت»، وهي اسم بلدة فلسطينية، كانت موطناً لجليات الجتيّ، جبار الفلسطينيين الذي انتصر داود عليه. وسوف نعود للتعلّيق على هذا المعنى بعد قليل. ويُقال إن داود رأى في جت هذه الآلة الموسيقية، وأدخلها إلى إسرائيل كآلة عزف وغناء في بيت الرب.

وكلمة «جت[†]» معناها: «معصرة». ونحن نعرف أن داود هرب يوماً، في ظروف قاسية وضاغطة، إلى أخيش ملك جت، ويبدو أنه تعرف هناك على هذه الآلة الموسيقية. ثم بعد ذلك، بعد عودته لمكانه الحقيقي، أدخل هذه الآلة ضمن الآلات التي يُعزف بها في الهيكل لتمجيد الله. وكل ذلك يشير إلى الظروف المؤلمة المتنوعة التي يجتاز فيها المؤمن، والتي تؤول أخيراً إلى تمجيد الله.

«**مزمور لداود**». وهناك ٧٣ مزموراً معنونة لداود، بالإضافة إلى مزمورين نعلم من العهد الجديد أنهما من إنشاء داود هما المزمور الثاني (أع ٤: ٢٥)، والمزمور الخامس والتسعون (عب ٤: ٧). مما يعني أن نصف المزامير بالضبط ذكر الوحي أنها من إنشاء داود.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

هذا المزمور يختلف عن المزمور الثاني الذي سبق التأمّل فيه، ففي المزمور الثاني نرى الملك المرفوض، بينما في المزمور الثامن نرى الملك المتوّج. المزمور الثاني

* بالإضافة إلى تعبير «رئيس المغنين» الذي ورد مرة في حبقوق ٣: ١٩

† وفي العهد الجديد كلمة «جشيماني» معناها: معصرة الزيت.

يكلما عن «الآلام التي للمسيح»، بينما المزمور الثامن يحدثنا عن «الأمجاد التي بعدها» (ابطا: ١: ١١)، وهذه هي خلاصة أقوال الأنبياء.

يرى بعض المفسرين أن المزامير الثمانية الأولى هي وحدة مرتبطة معاً. فالمزمور الأول والثاني يرتبطان معاً: في الأول نرى محبوب الآب، وفي الثاني نرى مكروه الأمة. والمزامير من الثالث إلى السابع نجد لغة البقية المتألّمة السائرة خلف المسيح المرفوض في ذات طريق الرفض، والمزمور الثامن يتوّج هذه الباقية من المزامير لأنه مزمور الملك. فنحن الآن في ملكوت الصبر (رؤ ١: ٩)، لكن لا بُد أن يأتي قريباً ملكوت القوة (مر ١: ٩). وجميل أن يأتي هذا المزمور بين المزامير ثامناً، لأن الرقم «ثمانية» هو رقم الخليقة الجديدة*، ورقم التجديد (انظر مت ١٩: ٢٨).

وهناك ثمة ارتباط جميل نجده في إنجيل يوحنا بين المزمورين المسبوين الأولين: مزمور ٢، مزمور ٨. فنثنائيل لما قال للمسيح في أول لقاء له معه «يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» (يو ١: ٤٩)، كان في فكره يقيناً كلمات المزمور الثاني (٧٤)، لكن لما رد الرب عليه قائلاً: «سوف ترى أعظم من هذا... الحق الحق أقول لكم: من الآن تسوون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يو ١: ٥٠، ٥١)، كان في فكره المزمور الثامن، والمجد الأسمى الذي له، إذ سيتسلط لا على صهيون فقط، بل إن كل الخليقة لا بُد أن تخضع له باعتباراه ابن الإنسان.

أقسام المزمور

يمكن تقسيم هذا المزمور إلى أربعة أقسام كما يلي:

- ١- مدح مجده (١٤، ٢)
- ٢- عظمة خليقته (٣٤)
- ٣- الإنسان وكرامته (٤٤-٨)
- ٤- مدح مجده (٩٤)

* للمزيد عن دلالات الرقم «ثمانية» انظر كتاب "وحي الكتاب المقدس" للمؤلف. الطبعة الثالثة الفصل الرابع عشر.

الدروس الأدبية والعملية

«على الجتية»

كلمة «جت» - كما فهمنا من عنوان المزمور - تُذكرنا بالضغوط التي يجتاز فيها المؤمن، وكأنه يُعصر عصراً تحت ثقل هموم ومتاعب البرية. ولكنَّ الرب يُخرج من هذه الظروف الصعبة أروع الألحان، فهو «مؤتي الأغاني في الليل» (أي: ٣٥: ١٠). فكم من المرات سمح الرب لشعبه بالذل، و«بحسبما أذلّوهم هكذا نموا وامتدوا» (خو: ١٢: ١). فإن التأديب يُعطي أخيراً للذين يتدربون به ثمر برٍّ للسلام (عب: ١٢: ١١). وعندما سنقف أمام كرسي المسيح، سندرك الحكمة السرمدية التي لازمتنا طول الطريق، التي منعتُ والتي منحتُ، التي ضغطت والتي لاطفت. عندئذ سنفهم بصورة أفضل كيف أن كل أعماله معنا اتسمت بالحكمة (مز: ١٠٤: ٢٤).

«أيها الرب سيدنا، ما أمدد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السماوات. من أفواه

الأطفال والرضع أمددك بسبب أضدادك لتسكيت عدو ومنقّم» (ع: ٢، ١٠).

إذا كان موضوع هذا المزمور هو أمجاد الملكوت، فكم هو مناسب أن يشير في بدايته إلى الأطفال والرضع، كقول المسيح: «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد لن تدخلوا ملكوت السماوات» (مت: ١٨: ٣).

ومن الناحية الأدبية، ففي الوقت الحاضر الذين يسبحون الرب ويمجّدونه هم الأطفال والصغار أدبياً. فالفلاسفة يحاورون ويجادلون، والفهاء يشككون ويعارضون، لذلك هم آلات مناسبة في يد العدو، أما الأولاد فإنهم يقبلون ببساطة (مت: ١١: ٢٥)، ومعهم لا يستطيع الشيطان بمكره أن يعمل شيئاً.

والأطفال: كناية عن الجهلاء (قارن متى: ١١: ٢٥)، والرضع كناية عن أضعف مخلوقات الله: فالرضيع لا يقوى على عمل أي شيء. ولقد «اختار الله جهال العالم (الأطفال أدبياً) ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم (الرضع) ليخزي الأقوياء» (١ كو: ١: ٢٧).

* تسقط جوزة البلوط من الشجرة الأم، وبدون عناية من أحد تضرب جذورها في التربة، وتصبح شجيرة قوية. والعجل يقف ويتحرك بل ويسير من اليوم الأول لولادته. أما الإنسان فيظل لسنين بعد مولده، إن لم يحظ برعاية فإنه يموت!

والعدو المذكور هنا هو الشيطان، الذي يريد إفساد لذة الله في الإنسان (ع ٤)، وإضاعة المجد والكرامة والسلطان من الإنسان (ع ٦، ٥٤). وقد يبدو للمتأمل في أحوال الدنيا أن الشيطان نجح في ذلك. لكن الله لم ولن يغير مقاصده، ولا بد أن يتم ما قصده في ابن آدم، ابن الإنسان، ربنا يسوع المسيح، الذي هو رجل مشوراته.

وعندما يقول داود هنا «لتسكيت عدو ومننقم»: فمن الأهمية بمكان أن ندرك أن هذا لم يكن بالأمر الهين. ليس أن الله لم يكن يقوى على الشيطان (العدو المنتقم)، بل لأن شكاواه ضد الإنسان لم تكن أبداً شكاوى كيدية لا أساس لها، بل شكاوى حقيقية. ولذلك استلزم الأمر تجسد ابن الله وموته فوق الصليب. وبذلك تم بالعدل إسكات حجة الشيطان وإبطال شكاواه، عندما جرّد الله الرياسات والسلطين (من أغلى ما يمتلكونه، وهي شكاواهم الصحيحة ضد الإنسان)، وأمكنه ساعتئذ أن يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس (كو ٢: ١٤، ١٥؛ عب ٢: ١٤).

هذا الموضوع في الواقع يملأ كل الكتاب، وهو ما يسمى بلغة سفر الرؤيا «سر الله» (رؤ ١٠: ٧): لماذا ترك الله الشيطان يعربد بهذه الصورة المرعبة؟ هذا حقاً هو لغز الألغاز. كان الرب يستطيع من البدء أن يسكت الشيطان بالعنف، ولكن ليس هذا أسلوب الله. لكنه أخيراً، كما ذكرنا، عن طريق التجسد والصليب، أمكن تسكيت العدو المنتقم.

وواضح أن الذي يسكت العدو والمنتقم ليس هو صوت ترنيمات الأطفال، بل مضمون هذه الترنيمات: «أوصانا لابن داود» (مت ٢١: ٩)، أي «خلصنا». فعن طريق خلاص الرب سيتم، وإلى الأبد، إسكات* هذا العدو. وسيكون سكوته النهائي في الأبدية، عندما يُطرح في بحيرة النار والكبريت. مع ملاحظة أن هذا المزمور مشغول في المقام الأول بفترة الملك الأكفي، والتي سيكون الشيطان خلالها مُقيداً في الهاوية.

«إذا أرى سماواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كوّنتها، فمن هو الإنسان حتى

تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟» (ع ٤، ٣٤).

* وفي زكريا ٣ نرى تصويراً لإسكات العدو المنتقم عن طريق خلاص الرب. فهناك نرى يهوشع الكاهن العظيم يقف أمام الله بثياب قذرة (صورة للأعمال والتصرفات) والشيطان واقف عن يمينه ليقاومه ويشتم عليه. لكن الرب تدخل، فاندحر العدو، وأبطلت شكايته «فقال الرب: لينتهرك الرب يا شيطان!... أليس هذا شعلة منتشلة من النار؟».

عندما كان داود يرعى غنم أبيه على روابي بيت لحم، كم من المرات تأمل السماء فرأى فيها عظمة الخالق في إبداع خليقته، تلك الخليقة التي تعلن قدرة الله السرمدية وألوهيته (روا: ٢٠: ١) ! لقد قال الله قديماً: «ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا، مَنْ خلق هذه؟ مَنْ الذي يُخرجُ بعددٍ جُندَهَا، يدعو كلها بأسماء؟ لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقد أحد» (إش: ٤٠: ٢٦). حقاً إن «السموات تحدثُ بمجد الله، والفلَكُ يُخبر بعمل يديه» (مز: ١٩: ١).

ومن الجميل أن الوحي عندما يتحدث عن الخلاص، يقول إنه عمل ذراع الرب (إش: ٥٣: ١)، أما السموات وكل ما فيها، والأرض وكل ما عليها، فهي عمل أصابعه فقط!

وفي العدد الرابع يتساءل المرنم متعجباً:
«مَنْ هو الإنسان؟!». لقد أدرك داود ضآلة الإنسان، فتساءل: «مَنْ هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده (تزوره)؟».

وحقاً إننا أيضاً نتساءل: مَنْ هو الإنسان أمام الجبل الضخم؟! كم يحسن المرء بالضآلة أمام المحيط المترامي الأطراف؟! ما أنفقه عندما تهب العواصف أو تتور البراكين! ثم ارفع بصرك إلى فوق وانظر نجوم السماء وتأمل هذا الكون الفسيح. حقاً كم يساوي الإنسان أمام عظمة الكون واتساعه اللانهائي؟

وقول المرنم هنا: «مَنْ هو الإنسان حتى تذكره؟ وابن آدم حتى تفتقده؟» يتضمّن بركة مزدوجة من الله للإنسان: فانه ليس فقط زار آدم في الجنة، بل افتقد ابن آدم في الأرض الملعونة. حقاً كما قال أحد رجال الله: إن الإنسان ضعيف بالخلق، بائس بالسقوط. ونحن لو تذكرنا الأصحاحات الأولى من سفر التكوين

من هو الإنسان؟

هذا السؤال الهام الذي يرد في زمورنا هذا في ع ٤ كما يرد أيضاً في فصلين آخرين في العهد القديم (أي ١٧: ٧، مز ١٤٤: ٣). ما هي الإجابة عليه؟ هل الإنسان كبير أم صغير؟

تختلف الإجابات بحسب وجهة النظر، فبينما يعتبره عالم الفلك صغيراً جداً، قد يعتبره عالم البيولوجي أو الفيزياء كبيراً جداً.

غير أنه هناك عالم مؤمن اعتبر ذرة الهيدروجين قنل المتوسط بين الكتل المتناهية في الصغر، كما اعتبر الشمس هي المتوسط بين الأجرام السماوية هائلة الضخامة. وحيث أن كتلة ذرة الهيدروجين تساوي 1.7×10^{-27} كجم، وكتلة الشمس تساوي 2×10^{30} كجم، فإن المتوسط بينهما هو ٥٨ كجم، وهو عينه متوسط وزن الإنسان!

سنعرف حقيقة ذلك. فعندما خلقنا الرب، خلقنا أقل من الملائكة، غير أنه ميّزنا عنهم. فهو لم يخلق الملائكة لكي تتسلط، إنما خلق الإنسان لذلك «فيتسلطون». إذاً ففي تكوين ١ أخذ الإنسان السلطان، وفي تكوين ٢ مارس هذا السلطان، عندما دعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية (ع ٢٠). لكن سرعان ما نجده في تكوين ٣ وقد فقد السلطان. ولم يفقد السلطان فقط، بل أدخل الأثنين أيضاً إلى الخليقة (رو ٨: ٢٢)، وأكثر من يئن فيها هو الإنسان.

لقد تمرد الإنسان على الله، فتمردت عليه الخليقة. فالأرقد يغيث الإنسان. والبعوضة التافهة قد تقتله، وكلبه نفسه قد يعقره. نعم لقد فقد الإنسان عرشه وسلطانه. غير أن القصة لم تنتهِ عند هذا، إذ أن نعمة الله وفداء المسيح يستكملان القصة. لقد ظهر الابن المبارك في الجسد «كإنسان» (في ٢: ٨)، وبإتمامه عمل الفداء والكفارة، ثم صعوده إلى السماء لكي يجلس - باعتباره الإنسان - في ذات عرش الله، تغيّر الوضع تماماً بالنسبة للإنسان، كما يقول هنا «بمجد وبهاء تكلله»، وأيضاً تسلطه على أعمال يديك. نعم لقد تغيّر المشهد، «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟... ألسنتم تعلمون أننا سندين ملائكة؟» (١ كو ٦: ٢، ٣).

إذاً حتى لو قلنا: ما أنفه الإنسان. لكننا نستدرك في الحال قائلين: ليس أمام عيني محبة الله. وصحيح إن الإنسان يبدو تافهاً جداً، إذا ما تأملت ما فعلت فيه الخطية من أمراض وموت، لكنك تكتشف كم هو عظيم ومجيد إذا أدركت أبعاد الفداء.

وعندما يقول في ع ٥: «ونُقصه قليلاً عن الملائكة» فذلك لسببين على الأقل: أولاً لأنه جسد محدود وليس روحاً مثل الملائكة، وثانياً: لأنه قابل للموت.

«تذكره... تفتقده... تكلله تسلمه» (ع ٤-٦). فإله ذكر الإنسان، وكان موضوع مقاصده الأزلية، وإعلاناته الإلهية! وإله افتقد الإنسان في ملء الزمان، عندما تجسد ابن الله، وأتى مُخْلِياً نفسه سائراً إلى الصليب ليتم عمل الكفارة والفداء. وإله أقام الإنسان على أعمال يديه، وهو ما سيتم في «العالم العتيد» عن قريب، أي في الملْك الألفي، عندما نشارك المسيح مُلْكَه (عب ٢: ٥-٨). وهكذا نحن نرى في هذه الآيات: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

الماضي: اختارنا فيه قبل تأسيس العالم (أف: ١: ٤).

ملء الزمان: ليس فقط كنا موضوع مشوراته، بل جاء الابن الكريم من السماء ليفتقدنا. وهو لم يكن مثل يوسف الذي كان يجهل ما ينتظره عندما أتى ليفتقد سلامة إخوته، بل كان يعلم كل ما سيحدث معه (أع: ٤: ٢٨؛ ٢: ٢٣).

المستقبل: «إن كنا أولاداً فنحن ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو: ٨: ١٧). الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً، معيَّنين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء، حسب رأي مشيئته» (أف: ١: ١١).

التطبيق النبوي

هذا المزمور عنوانه على الجثية التي - كما فهمنا - تعني معصرة، وتُرَنَم في أعياد الخريف التي تُحدثنا عن بركات مجيء الرب ثانية، ولا سيما ملكه السعيد. وهذا المزمور يتكلم عن تنويع المسيح ملكاً على الكل، إذ يُخضع لنفسه كل شيء، وهذا سيتم في يومٍ قادمٍ قريب، فما أضاعه آدم الأول في جنة عدن، سيسترده آدم الأخير في الملك الألفي.

ولقد تم المزمور جزئياً يوم دخل المسيح إلى أورشليم راكباً على جحش ابن أتان (قارن ع ٢ مع مت ٢١: ١-١٠)، ولكن إتمامه النهائي ينتظر الدخول العتيد للمسيح إلى أورشليم. وهنا نأتي من المزمور بثلاثة أدلة قاطعة على ذلك:

١- «أيها الرب سيدنا، ما أجد اسمك في كل الأرض!» (ع ١).

واضح أن هذه الآية، ولا سيما عبارة "كل الأرض"، لم تتم بعد. فمع أن الكثيرين يمجدون ويعظمون اسم الرب فعلاً، إلا أنه لا يمكن القول إن اسمه ممجد في كل الأرض. فكم من الأشرار مبغضين اسمه الكريم يتناولون عليه ويجدقون. ولكن قريباً، يوم يملك المسيح بالقوة، سيتعظم فوق الجميع، وفي ذلك اليوم سيكون «من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مُسَبَّح» (مز ١١٣: ٣)، ويكون «الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده، واسمه وحده» (زك ١٤: ٩)، وأيضاً «يسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له» (مز ٧٢: ٩، ١٠). إذ أجد اسم الرب في كل الأرض هو أمر مخزون

إلى «ذلك اليوم» أعني الملك الألفي (ارجع إلى عد ١: ٢١؛ إش ٩: ١١؛ حب ٢: ١٤).

٢- «لتسكيت عدو ومنقّم» (٢٤).

لقد اقتبس المسيح في متى ١٦: ٢١ هذه الآية الجميلة فقال: «أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً»، ولكنه لم يقتبس عبارة: «لتسكيت عدو ومنقّم»، لأن هذا الجزء لم يتم بعد*، وينتظر يوماً قادمًا. ففي الصليب استطاع الله أن يُطِل حجة المشتكي، ذلك العدو المنتقم (الشيطان)، لأن المسيح البار مات عن الأثمة. لكن ما زال الشيطان، رغم ذلك، له مثول أمام الله، وما زال يقدم شكواه عليهم، وسيستمر ذلك حتى يتم طرحه. وقبل طرحه النهائي، فإنه في منتصف أسبوع الضيق الأخير (رؤ ١٢: ١٠) سيُطرح هذا المشتكي على إخواننا، وسيُبكم الله هذا العدو المنتقم إلى الأبد.

وعندما يملك المسيح ملك البر والسلام، الذي كان ملك سليمان صورة ورمزاً له، لن يكون هناك مقاوم (مل ٤: ٥)، فإن المسيح سيبيد المنافق بنفخة شفّته، وسيلقي الشيطان في الهاوية، والأعداء يلحسون التراب أمامه، والباقون يتملقونه (مز ٧٢: ٩؛ ٣: ٦٦)!

٣- «جعلت كل شيء تحت قدميه» (٦٤).

عندما اقتبس الرسول هذه العبارة في الرسالة إلى العبرانيين قال: «لأنه إذ أخضع الكل، لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخَضَّعاً له» (عب ٢: ٨). إذاً ليس بعد، لكن حتماً سيخضع الله كل شيء - عن قريب - تحت قدمي المسيح، وذلك في «العالم العتيد الذي نتكلم عنه» (عب ٢: ٥)، أي في الملك الألفي.

ويشرح المرنم في (٧٤) ما يقصده من هذه الآية، وكيف أن كل شيء خاضع للمسيح، فيقول: «الغنم والبقر جميعاً، وبهائم البر أيضاً، وطيور السماء، وسمك البحر السالك في سبل المياه»[†].

* يجب أن نلاحظ دقة الوحي عند اقتباس آيات العهد القديم. فالمسيح مرة وقف ليقراً في سفر النبي إشعياء، وقرأ من إشعياء ٦١، لكنه توقف عند منتصف الآية، وكان لهذا قصد وحكمة، فهو قرأ الآية «روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين» وظل يقرأ حتى الآية «وأكرز بسنة الرب المقبولة»، ثم طوى السفر ولم يكمل بقية الآية التي تقول «وبيوم انتقام لإلهنا»، وذلك لأن هذا الجزء من الآية لم يتم في ذلك اليوم، وينتظر يوم ظهور المسيح بالقوة والمجد.
[†] نلاحظ أن ترتيب الخلق الخاضعة للإنسان هنا هو عكس الترتيب الوارد في تكوين ١: ٢٨. ولعل سبب ذلك أن الوحي لا يذكر الوضع الأصلي الذي ضاع بسبب خطية آدم، بل ما سيكون عليه الوضع في أزمنة رد كل شيء تحت ملك المسيح، ولأن المسيح يستعيد ما ضاع، يأتي الترتيب معكوساً.

قديماً سَلَطَ الله نبوخذناصر على أشياء كثيرة «وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك، وسَلَطَكَ عليها جميعاً» (د٣٨:٢١)، لكننا لا نقرأ عن سمك البحر. فالقائمة إذناً ناقصة. لكن ربنا يسوع المسيح هو المتسلط على كل الكون المترامي الأطراف كما سنأمل الآن.

ويمكننا أن نفهم هذه الأشياء أيضاً بمعنى روحي أو رمزي:

الغنم والبقر: تلك الحيوانات الطاهرة، تشير إلى مؤمني الملك الألفي.

حيوان البر: أعداء الرب «يتملق لك أعداؤك» (مز٦٦:٣).

طير السماء: كل الرتب السماوية.

سمك البحر: الأعماق، تحت الأرض. حيث ستجنو باسم يسوع في الملك

الألفي حتى الكائنات الجهنمية (في٢:١١).

الشمس والقمر والنجوم

إننا - كما ذكرنا - أمام مزمور مسائي، من أجل ذلك لا يُشار إلى الشمس، بل إلى القمر والنجوم، غير أننا نقرأ عن الشمس في مزمور ١٩ وهي تشير إلى المسيح في فترة الملك الألفي (ملا٤:٢)، وكذلك الأبرار (مت١٣:٤٣). إذاً فمزمور ٨ يكملنا عن الفترة التي تسبق مباشرة الملك الألفي، فنحن لسنا نرى الآن الكل مخضعاً له (عب٢). من أجل ذلك يُشار إلى القمر، الذي يرمز إلى الكنيسة التي تضيء الآن على الأرض في أثناء غياب الشمس، كما ترمز النجوم إلى المؤمنين كأفراد «تضيئون بينهم كأنوار في هذا العالم» (في١٥:٢).

المسيح في المزمور

نستطيع أن نرى في عنوان المزمور "على الجتية" صورة لآلام سيدنا المعبود كي يُخرج لنا أفراح الخلاص الآن، بل ولكي يملأ كل الأرض في الملك الألفي بالخير الجيدة (ارجع إلى يو٢:١٠). فقد عرفنا، عند تأملنا في عنوان المزمور، أن كلمة "جت" تعني معصرة، وهي تذكرنا بما اجتازت فيه نفس مخلصنا المعبود من أهوال مرعبة في مشهد الصليب، تلك الأهوال التي من خلالها صار لنا أجمل الترنيمات.

ترنيمات النساء

لقد رنمت النساء في الكتاب المقدس ثلاث مرات. والمرأة في الكتاب المقدس - كما نفهم من تكوين ٣ - تمخل البشرية في معاناتها وأشواقها وبركتها (تك ٣: ١٦).

معاناة البشرية نراها في العبارة «تكثر أكثر أعقاب حبلك»، بالرجوع لتلدين أولاداً.

وأشواق البشرية نراها في العبارة: «إلى رجلك (المسيح) يكون اشتياقك».

وبركة البشرية: نراها في العبارة «وهو يسود عليك».

المعاناة ظهرت واضحة على مدى أربعة آلاف سنة، هي المدة من آدم إلى المسيح، ولم يصل نسل المرأة بعد. الأشواق تظهر واضحة على مدى ألفي عام، فيها القديسون ينادون من الأعماق «آمين تعال أيها الرب يسوع».

وبركة البشرية: سوف تظهر في الألف سنة الأخيرة من تاريخ البشرية عندما يملك المسيح عليها.

ومن الجميل أن نلاحظ أن المرات الثلاث التي رنمت فيها النساء في الكتاب المقدس كان ذلك مرتبطاً بالقضاء على رمز من رموز الشيطان:

١- مريم ترنمت بعد غرق فرعون وجنوده في البحر (خر ١٥).

٢- دبوراة ترنمت بعد القضاء على يابين ورئيس جيشه سيسرا، اللذين كانا من كنعان (قض ٥، ٤).

٣- النساء ترنمن بعد قطع رأس جليات (١ صم ١٨).

في بداية الزمان هُزِمَ آدم من الشيطان فأدخل الأئين إلى الأرض (رو ٨: ٢٢)، لكن في ملء الزمان انتصر المسيح على الشيطان في البرية، ثم في البستان، وأخيراً في الجلجثة، فملاً أفواهنا بالترنيمة الجديدة، وملاً قلوبنا بأعظم الألحان التي نتغنّى بها الآن، وستستمر طوال الأبدية.

«أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض، حيث جعلت جلالك فوق السماوات. إذا أرى سماواتك عمل أصابعك» (ع ٢، ١٤).

تتكلم هاتان الآيتان عن ثلاثة دوائر: الأرض: «ما أمجد اسمك في كل الأرض» السماء: «إذا أرى سماواتك عمل أصابعك» فوق السماوات: «جعلت جلالك فوق السماوات»

فكما أن السماء فوق الأرض، هكذا أيضاً جلال الرب فوق السماوات. وإن كان العالم اليوم لا يرى مجد الرب، غير أن الكنيسة في الوقت الحاضر يمكنها أن تخرق كل مشاهد الأرض والسماء، وتصل إلى ما فوق جميع السماوات، حيث المسيح جالس. هذا ما رآه بولس في اختباره «نور أفضل من لمعان الشمس» (أع ٢٦). ومن حقنا جميعاً أن نراه الآن مكللاً بالمجد والكرامة.

«إذا أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كونتها، فمن هو الإنسان حتى تذكره» (٣ع، ٤). علّق رجل الله داريبي على الآية ٣ قائلاً: "ما أضعف الإنسان في نفسه! كم نحس في نفوسنا بالصغر عندما ننظر إلى هذا الكون المترامي الأطراف، المتألّئ بضياؤه! لكن انظر إلى المسيح، وسرعان ما يخبو كل بريق هذا الكون أمام مجد أروع. مجد ذاك الذي كل شيء قد وُضِع تحت قدميه!"

وقال آخر: "ما أضعف الإنسان! فأنت ترى رجلاً قوياً وفي منتهى الصحة، ثم بطريقة لا تتوقعها يزوره ميكروب صغير لا يُرى بالعين المجردة، فيمسي طريق الفراش بلا حراك. هل هذا إذاً هو الذي كلله الله بالمجد والكرامة؟! كلا، إن الذي تكلم بالمجد والكرامة هو الإنسان الثاني، هو الرب يسوع المسيح الموجود الآن فوق السموات (١ع مع ١بطرس ٣: ٢١) والذي نتيجة عمله على الصليب سيحرر كل الخليقة عن قريب، ويعتقها من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله!"

«تنقصه قليلاً عن الملائكة». ولقد ذكر الرسول هذه الأقوال في الرسالة إلى العبرانيين أصحاح ٢ مرتين: الأولى في ٧ع، والثانية في ٩ع. في المرة الأولى يشير إلى أن الإنسان في خلقه أضعف من الملائكة، وبالتالي فهي تشير أيضاً إلى المسيح في تجسده، وتعني أنه جُعِل في درجة أقل من الملائكة. والثانية (٩ع) تشير إلى أن اتضاع المسيح دون الملائكة كان لفترة محدودة، ويمكن أن نترجمها هكذا: وضعته دون الملائكة لفترة قليلة (هي فترة وجوده بالجسد على الأرض)، لكنه بعد الموت والقيامة مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له.

وبذلك يكون المسيح قد تجاوز الملائكة مرتين: مرة بالتجسد، والثانية بالقيامة والصعود. في المرة الأولى في مولده وحياته على الأرض، ثم بموته صار أقل منهم (عب ٢: ٩)، وأما في الثانية، فإنه بقيامته وصعوده وجلوسه في أعلى قمة في السماء صار (كإنسان) أعظم منهم (عب ١: ٤).

ويرى البعض أن تكلم المسيح بالمجد والكرامة المذكور في عبرانيين ٧: ٢ لم يكن تالياً لموته، بل سابقاً له. نعم لقد كان المسيح هنا على الأرض مكللاً بالمجد والكرامة التي منحها الله للإنسان، لكن الإنسان فقدتها بالخطية والسقوط. وأما المسيح الذي لم تكن له أدنى علاقة بالخطية، فقد تمتع بهذه الكرامة التي خسرها آدم. ولهذا فلا عجب أن نجد الحيوانات تخضع له، كما يذكر هذا المزمور، رغم أنه في مجيئه الأول لم يأت لكي يملك

بل لِيَخْضَعَ. صحيح هذا سيتم على أكمل وجه في مجيئه الثاني للملك، إلا أن هذا لم يمنع أن تظهر الحيوانات خضوعها له. ونرى لمحة من ذلك فيما يلي:

«كان مع الوحوش. وصارت الملائكة تخدمه» (مر ١: ١٣).

أمر السمكة التي تحمل الإسطار فأطاعته (مت ١٧: ٢٧).

ركب على الجحش الذي لم يروض بعد (لو ١٩: ٣٠-٣٥).

حتى الديك كان تحت إمرته (يو ١٣: ٣٨؛ ١٨: ٢٧).

الآية المسبوبة

«جعلت كل شيء تحت قدميه» (٦ع)

تأتي هذه العبارة ثلاث مرات في العهد الجديد، فما المقصود بالقول «كل شيء»؟

بحسب مزمور ٨، فإن «كل شيء» تعني الغنم، والبقر، وبهائم البر، وطيور السماء، وسمك البحر. كل ما يُرى على الأرض وفي الجو وأيضاً في البحر، أي كل ما كلن آدم متسلطاً عليه. أما في العهد الجديد، فنجد أن «كل شيء» لها معنى أكبر وأوسع وأشمل، إذ أنها تشمل الدائرة السماوية أيضاً، بل ودائرة غير المنظور أيضاً، فيقول في ١كورنثوس ٢٥: ٢٧ «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يبطل هو الموت. لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه». وبعد ذلك سيخضع الإنسان يسوع المسيح نفسه لله، ليكون الله الكل في الكل.

وترد الإشارة إلى هذه الآية في العهد الجديد - كما ذكرنا - ثلاث مرات، هي ١كورنثوس ١٥: ٢٧؛ أفسس ١: ٢٢؛ عبرانيين ٢: ٨. ومع ذلك فإن كل واحد من الاقتباسات الثلاثة يعطينا المزيد من الضوء كما يلي:

عبرانيين ٢: ٨ يوضح أنه ليس الآن وقت تنفيذ هذا، بل إنه سيتم في العالم العتيد الذي نتكلم عنه، أي الملك الألفي. ثم في ١كورنثوس ١٥: ٢٧، وفي أفسس ١: ٢٢ نقرأ عن استثنائين لذلك الخضوع الشامل للمسيح:

الاستثناء الأول، في اكورنثوس ١٥: ٢٧، هو: الآب، فالآب ليس من ضمن كل الأشياء التي ستخضع للمسيح، لأنه هو الذي أخضع كل شيء للمسيح باعتباره الإنسان «لأنه... حينما يقول كل شيء قد أخضع، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل (أي الآب)».

والاستثناء الثاني، في أفسس ١: ٢٢، هو: الكنيسة باعتبارها جسده. هذه أيضاً ليست من ضمن كل الأشياء التي ستخضع تحت قدميه، إذ أنها واحد مع المسيح.

هذان الاستثناءان مرتبطان بالسرين العظمين في العهد الجديد:

فاستثناء اكورنثوس ١٥ نظراً لاتحاد الابن مع الآب. وهذا مرتبط **بالسر العظيم، سر التقوى** «الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦). واستثناء أفسس ١ نظراً **لارتباط المسيح بالكنيسة**، وهذا **موضوع السر الآخر العظيم** (أف ٥: ٣٢). فالمسيح هو رأس الجسد، الكنيسة، والكنيسة هي ملء الذي يملأ الكل في الكل (أف ١: ٢٣). وبهذا الاعتبار سوف تملك الكنيسة مع المسيح، تماماً كما شاركت حواء آدم في ملكه على الخليفة التي سقطت.

ملاحظات إضافية على المزمور الثامن

المسيح ابن الإنسان

هو أحد الألقاب المسياوية التي ترد في كل من العهد القديم والجديد. وأول مرة نتقابل مع هذا اللقب المجيد للمسيح في العهد القديم هي هنا في المزمور ٨، والمرة الثانية في دانيال ١٣:٧ مشيراً إلى ملكوته الأبدي وخضوع كل الأمم له. وفي العهد الجديد ترد الإشارة إلى المسيح باعتباره ابن الإنسان ٨٤ مرة* (١٢×٧) لتأكيد حقيقة ناسوته. وهذا اللقب - كما يفهمه اليهود - هو أحد الألقاب المجيدة للمسيح.

ولقد أعلن المسيح في حياته مرتين سمو مدلول هذا اللقب: المرة الأولى في بداية خدمته والثانية في نهايتها. ففي حديثه مع نثنائيل كما ورد في يوحنا ١:٤٧-٥١، عندما اعترف نثنائيل بالمسيح باعتباره ابن الله وملك إسرائيل، أعلن المسيح له عن شخصه إعلاناً أعظم من كونه ملك إسرائيل، أو ابن الله بحسب مفهوم اليهود كما هو معلن في المزمور الثاني، فقال له المسيح: «سوف ترى أعظم من هذا». ثم استطرد قائلاً: «من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان».

والمرة الثانية في أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة، عندما سأله رئيس الكهنة: «هل أنت ابن الله؟ فقال له المسيح: أنت قلت، وأقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً على سحاب السماء» (مت ٢٦: ٦٤).

وإن كان استعلان هذا المجد سيتم مستقبلاً، إلا أن المسيح في ذاته مجيد. وخدمة الملائكة له بدأت لما كان هو - تبارك اسمه - على الأرض.

ويمكننا أن نتتبع بعض الأفكار الرئيسية لهذا اللقب السامي والمجيد:

١- هذا اللقب يشير إلى أيام تجسد المسيح: خدمته، وآلامه، وموته (مت ٨: ٢٠؛ ١٢: ١٧؛ ٢٦: ٢٠...).

٢- هذا اللقب يشير أيضاً إلى شخصه كالمقام من الأموات والمرفَّع في الأعالي

* هذه المرات هي كالتالي: ٨٠ مرة في الأناجيل الأربعة، ومرة في أعمال ٥٦: ٧؛ ومرة في عبرانيين ٦: ٢؛ ومرتين في سفر الرؤيا ١٣: ١؛ ١٤: ١٤. ومدلول تكرارات هذا اللقب في العهد الجديد جميل، فالرقم ٧ هو رقم الكمال، والرقم ١٢ هو رقم الحكم (انظر الفصل الرابع عشر من كتاب وحي الكتاب المقدس الطبعة الثالثة - للمؤلف).

(مت ٢٠: ١٨، ١٩؛ أع ٧: ٥٦؛ رؤ ١٣: ١).

٣- هذا اللقب يشير إلى عودة المسيح بالقوة والمجد الكثير ليؤسس ملكوته على الأرض (مت ١٦: ٢٨؛ ٢٤: ٣٠؛ رؤ ١٤: ١٤)، وبهذا المفهوم فإنه «رب السبت أيضاً» (مت ١٢: ٨)، أي الذي سيأتي بالراحة الحقيقية للخليفة.

وعليه فهذا اللقب المجيد يحدثنا عن كرامة المسيح في الماضي، ومجده في الحاضر، وسلطانه في المستقبل.

وترد في البشائر الأربع أربعة ألقاب هامة هي: «ابن داود»، و«ابن إبراهيم» (مت ١: ١)؛ و«ابن الإنسان»، و«ابن الله».

في إنجيل متى نراه كابن داود، وفي إنجيل مرقس نراه كابن إبراهيم، وفي إنجيل لوقا نراه كابن الإنسان، وفي إنجيل يوحنا نراه كابن الله.

وهو باعتباره ابن داود له علاقة بإسرائيل، وباعتباره ابن إبراهيم له علاقة بالمفدين، يهود وأمم، وباعتباره ابن الإنسان له علاقة بالبشرية جمعاء، وأخيراً هو ابن الله في علاقته باللاهوت.

ثم إنه باعتباره ابن داود لا بد أن يرتقي العرش (لوقا ١: ٣٢)، فيتمم العهد الداودي. وباعتباره ابن إبراهيم لا بد أن يرث الأرض* (تك ١٥: ١٨)، فيتمم العهد الإبراهيمي. وباعتباره ابن الإنسان سوف يتسلط على كل العالم، كما يخبرنا هذا المزمور. وأخيراً، باعتباره ابن الله سوف يرث كل شيء، كما تذكر الرسالة إلى العبرانيين (عب ١: ٢).

والجدول الآتي يساعدنا على فهم الارتباطات المتعددة التي للمسيح بحسب كل واحد من ألقابه الأربعة.

إنجيل متى	ابن داود	علاقته بإسرائيل	وارث العرش
إنجيل مرقس	ابن إبراهيم	علاقته بالمفدين	وارث الأرض
إنجيل لوقا	ابن الإنسان	علاقته بالبشرية	وارث العالم
إنجيل يوحنا	ابن الله	علاقته باللاهوت	وارث كل شيء

* الأرض هنا هي Land وليس Earth وهي تلك المسماة في الوحي «الأرض البهية».

المزمور السادس عشر

السائح الإلهي

المزمور في كلمات

إن كان يوحنا بنيان كتب أشهر كتاب في الأدب المسيحي، أعني كتاب "السائح المسيحي"، فإن هذا المزمور ممكن أن نعطيه عنواناً: "السائح الإلهي"، أو "المسيح السائح". إنه يحدثنا عن السائح الأعظم في أروع رحلة فوق الأرض من المهد إلى اللحد، ثم إلى ذرى المجد!

الاقتباسات

اقتُبست الآيات من ع ٨-١١ مرتان في العهد الجديد، المرة الأولى في أعمال ٢٥:٢-٢٨ حيث يقول الرسول بطرس: «لأن داود يقول فيه: كنت أرى الرب أمامي في كل حين، أنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سرُّ قلبي وتهلل لساني، حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، ولا تدع قدوسك يرى فساداً، عرّفتني سبل الحياة، وستملأني سروراً مع وجهك».

وفي أعمال ١٣:٣٥ يقول الرسول بولس: «ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر: لن تدع قدوسك يرى فساداً».

ونلاحظ أن تعليق كل من الرسول بطرس والرسول بولس على هذين الاقتباسين

يوضح أن هذا المزمور لا يمكن أن ينطبق على شخص آخر سوى المسيح.

الكاتب والمناسبة

كاتب هذا المزمور هو داود، لكنه لم يكتبه عن نفسه، بل «إذ كان نبياً» (أع ٢: ٣٠، ٣١). كثيرون لا يرون في داود سوى مرثى له اختباراته، ولا يدركون أنه أيضاً نبي، يتكلم بروح المسيح الذي فيه. والأرجح أن داود كتب هذا المزمور أثناء مطاردة شاول له. ويرى البعض ثمة علاقة بين الأعداد ٤-٦ من مزمورنا، وبين الكلمات التي تكلم بها مع شاول في اصموئيل ٢٦: ١٩، ٢٠.

عنوان المزمور

«مذهبة لداود»: كتب داود ست مذهببات هي: مزمور ١٦؛ ٥٦-٦٠ (ولم يكتب مذهببات أحد آخر غير داود)، وكلمة «مذهبة» اختلف المفسرون في شرحها، وقد تعني «في قيمة الذهب». ونلاحظ أن المذهببات كلها كتبها داود أثناء رفضه، وفي كل واحدة منها نرى فكرة الإنقاذ من الضيق، ولمحة عن القيامة. وهذا المزمور هو بكل يقين ليس فقط له قيمة الذهب بل أثمن من الذهب، أولاً لأنه جزء من كلمة الله (مز ١٩: ١٠؛ ٧٢: ١١٩)، ثم لأن موضوعه المسيح: في حياته، وموته، وقيامته.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

هذا المزمور ليس مشغولاً بالملك المرفوض مثل المزمور الثاني، أو الملك الذي سيملك على كل الخليقة مثل المزمور الثامن، وليس موضوعه المخلص كما في المزمور المسياوي التالي، المزمور الثاني والعشرين، بل موضوعه المسيح القدوة، رجل الإيمان، بل «رئيس الإيمان ومكملته».

وبينما يُختم المزمور الثاني بتطويب المتكل عليه، فإنه هو نفسه في هذا المزمور متكل على الله. لقد عاش في هذه الأرض متكلاً كل الاتكال على إلهه، وكانت هذه صفته بداية من بطن أمه (مز ٢٢: ٩، ١٠)، وحتى موته (ع ٩، ١٠).

وبينما نقرأ في المزمور الثاني عن مولد المسيح: «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك» (ع ٧)، فإننا نقرأ في هذا المزمور عن موته وقيامته. وبينما نقرأ في مزمور ٢٢ عن موت المسيح الرهيب متروكاً من الله، فإننا نقرأ هنا في مزمور ١٦ عن حياته البهيجة في الشركة مع الله.

في مزمور ١ نجد مسرة المسيح بالكلمة (ع ٢)؛ وفي مزمور ٤٠ مسرة المسيح بتنميم مشيئة الله (ع ٨)؛ وأما هنا فنجد مسرة المسيح بالقدسين. فما أسمى هذه الحياة. وكما هو مناسب أن يكون مزمور قيامة المسيح هو المزمور المسياوي الثالث، فرقم "٣" كما نعلم هو رقم القيامة.

أقسام المزمور

يمكن تقسيم المزمور بعدة أساليب كالتالي:

التقسيم الثنائي

١- مسار الإيمان: ع ١-٧.

٢- سبيل الحياة: ع ٨-١١.

التقسيم الرباعي

١- نظرة إلى أعلا: ع ١-٢.

ع ١: اتكال.

ع ٢: خضوع.

٢- نظرة إلى ما حوله: ع ٣-٤.

ع ٣: إلى القديسين والأفاضل.

ع ٤: إلى الأشرار وسكائبهم.

٣- نظرة إلى الداخل: ع ٨-٥.

ع ٦-٥: إيجابياً (سعيد).

ع ٨-٧: سلبياً (لا يتزعزع).

٤- نظرة إلى الأمام: ع ١١-٩.

ع ٩: الموت.

ع ١١-١٠: القيامة.

التقسيم الخماسي

يمكن تقسيم هذا المزمور إلى خمسة أقسام، تتمشى مع أسفار موسى الخمسة كالاتي:

١- المسيح الغريب المتكل (ع ١): تمشياً مع سفر التكوين.

٢- العبد الكامل الذي يحب سيده وامرأته وأولاده (ع ٢-٣): تمشياً مع سفر الخروج.

٣- الله نصيبه (ع ٤-٦): تمشياً مع سفر اللاويين.

٤- المسيح في البرية (ع ٧، ٨): تمشياً مع سفر العدد.

٥- خاتمة الطريق المجيدة (ع ٩، ١١): تمشياً مع سفر التثنية.

الدروس الأدبية والعملية

موضوع المزمور الأساسي هو المسيح باعتباره الإنسان الكامل والفريد الذي ليس له نظير. لكن المسيح الذي هو فريد في كل من اختبار الحياة والموت - كما سنرى بعد قليل - هو من جانب آخر الشخص القدوة: النموذج والمثال في حياة التقوى على الأرض، وفي الأمجاد التابعة في السماء. ونحن إذ صارت لنا حياته نتيجة موته وقيامته، فلنا أن نستمتع بكل بركات غلبته في حياته، ونصرة قيامته، عندما ندخل إلى محضر الله حيث شبع السرور والنعم التي إلى الأبد.

وسنمر الآن على سباعية تصور لنا الكمالات الإنسانية في هذا المزمور

١- الاعتماد والانتكال

«احفظني يا الله لأنني عليك توكلت» (ع ١).

عاش ربنا المعبود، هنا على الأرض، حياة الاستناد الكلي واللحظي على الله، باعتباره الإنسان الكامل. إنه لم يتطلع إلى الآخرين سواء كانوا بشراً أو ملائكة، ليحفظوه من الأخطار، ولم يعتمد على نفسه في تسديد مطالبه، بل كان دائماً مستنداً على الله (مت ٤: ٣). والإنجيل الذي يرسم المسيح باعتباره الإنسان، إنجيل لوقا، يذكر عنه سبع مرات أنه صلي (لو ٣: ٢١؛ ٥: ١٦؛ ٩: ١٨، ٢٨؛ ١١: ١؛ ٢٢: ٤٤). وما أجمل أن تكون لغتنا نحن أيضاً، كما كانت لغة المسيح: «احفظني يا الله لأنني عليك توكلت». وما أجمل أن يتوكل المؤمن على الرب بكل قلبه، وأن يعرفه في كل طريقه (أم ٣: ٦). وما أجمل أن نُعبر عن ذلك بالصلاة لله، فالصلاة هي التعبير عن استناد الإنسان الضعيف على الله القدير.

٢- البساطة والاكتفاء

«قلتُ للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك» (٢٤).

لم يأخذ المسيح فقط مكان الاتكال على الله (ع ١)، بل أخذ أيضاً مكان العبد (ع ٢٤). فهو اعتبر أن الله سيده، وهو عبد له!! وهو في ذلك يختلف عن الأرياء وعن الأنقياء على السواء. فبالنسبة للأرياء نسمة يقولون «مَنْ هو سيد علينا؟» (مز ١٢: ٤)، وحتى الأنقياء يشكون حالهم قائلين: «أيها الرب إلها، قد استولى علينا سادة سواك» (إش ٢٦: ١٣).

أما المسيح فإنه - تبارك اسمه - لم يخطئ شيئاً لنفسه، بل كان يأخذ برنامجه اليومي من الله. ترى هل نحن في هذا نفتدي بالمسيح، أم بالذين تكلم عنهم يعقوب قللاً: «هلم الآن أيها القائلون: نذهب اليوم أو غداً إلى هذه المدينة أو تلك، وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح... عوض أن تقولوا: إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك» (يع ٤: ١٣، ١٤)؟ وكما كان المسيح يتلقى برنامجه اليومي من الله، كان أيضاً يتكل في تنفيذ على الله.

لقد عاش المسيح كإنسان بالعين البسيطة والقلب الموحد، الذي ليس له سوى غرض واحد، وليس له خير سوى في الرب. ويا له من نموذج رائع لنحتذيه!

٣- الأفراح والسرور (ع ٣، ٥، ٦)

لقد عبر داود عن حمده وامتنانه للرب من أجل الصديقين، حتى لو كانوا من المتضايقين والمديونين ومُرِّي النفس (اصم ٢٢: ١، ٢)، فقال وهو في مغارة عدلام، محاطاً بأكثر الناس

تواضعاً ومسكنة «الصديقون يكتنفونني، لأنك تحسن إليَّ» (مز ١٤٢: ٧). وبقينا كان داود في هذا رمزاً لابن داود الذي اعتبر مُتقي الرب جواهره وكنزته (قارن ملا ١٧: ٣).

لقد كان الرب بالنسبة للمرنم نصيبه* وقسمته وكأسه، وقابض قرعته (ع ٥٤). كان هو له كل شيء، إنه هو الباقي له ولو خسر كل الأشياء (قارن مت ٢٥: ١١). أترانا نحن كذلك؟ أيمكننا حتى لو أفقر الكل من حولنا أن نفرح بالرب ونبتهج بإله خلاصنا؟ (قارن حب ١٧: ٣-١٩).

ثم إنه ينظر إلى نصيبه المعين له من الله فيقول «**حبال وقعت لي في النعماء فالميراث حسن عندي**». فإن كان المسيح ينظر إلينا هذه النظرة، فماذا يجب أن تكون نظرتنا نحن إلى نصيبنا العظيم في شخصه المبارك؟!

ويعلق "جرانت" على عبارة «**قسمتي وكأسي**» فيقول: «**قسمتي أي حصتي، ملكي، سواء تمتعت به أم لا. وكأسي هي ما أستمتع به فعلاً، وما أحققه وأختبره فعلاً. كم من الناس لهم أنصبة لا يقدرّون على التمتع بها، أما الرب فكان قسمته وكأسه شيئاً واحداً**». ترى هل نحن أيضاً كذلك؟

٤- الانفصال والقداسة (٤٤)

مع أن ربنا يسوع كانت له جاذبية للنفوس، وكُتِبَ عنه «كان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه» (لو ١٥: ١) إلا أنه كان أديباً القدوس المنفصل عن الخطاة (عب ٧: ٢٦). ليعطنا الرب حياة الانفصال لا الانعزال.

وعبارة «**لا أسكب سكائبهم من دم**» قد تشير إلى الذبائح البشرية التي كان الأمم يقدمونها للأوثان (إش ٥٧: ٥)، أو إلى السكيب الذي من الدم الذي يميز العبادات الشيطانية، حتى إلى يومنا هذا (ليعطي القوة لمن يشربه كما يقولون). والرب ليس فقط لا يشترك في أفراح الأشرار واحتفالاتهم، بل إنه أيضاً لا يذكر أسماءهم بشفتيه[†]، نظراً

* سبط لاوي لم تعط له أرض (يش ١٣: ١٤؛ ١٤: ١٤) لأن الرب نفسه كان نصيبه (عد ٢٠: ١٨؛ تث ١٠: ٩). والمسيح هو اللاوي الحقيقي كما ذكرنا في تقسيمات المزمور. ونحن ينبغي أن نكون لنا ذات الروح اللاوية؛ روح الاكتفاء والشبع بالرب.

† يترجم العدد الرابع أحياناً هكذا: «لا أذكر أسماءها بشفتي». أي الآلهة الوثنية المسماة هنا في المزمور «آخر» (٣٤). ونلاحظ أن المسيح لم يذكر بشفتيه أيّاً من الآلهة الوثنية، باستثناء حادثة واحدة كان الرب فيها يرد على اتّهام الأشرار له أنه يُخرج الشياطين ببعزبول رئيس الشياطين.

لعلاقتهم بالأوثان والأصنام. ونحن أيضاً ليتنا لا نُبقي على شفاهنا ما نود أن نبعده عن قلوبنا، فالحلق قصير وزَلِق، وأي شيء نضعه على طرف اللسان سيصل سريعاً إلى مخادع البطن في الداخل!

وفي مزمور آخر، هو أيضاً لغة المسيح، نسمعه يقول فيه: «الشرير لا أعرفه، قلب معوج يبعد عني.. مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله» (مز ١٠١: ٤، ٥).

٥- الطاعة والنقاوة

«أبارك الرب الذي نصنفي، وأيضاً بالليل تنذرني كليتي» (٧ع).

لقد قال المسيح عن نفسه بروح النبوة «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعبي بكلمة. يوقظ كل صباح، يوقظ لي أذنًا، لأسمع كالمتعلمين» (إش ٥٠: ٤). ونحن لا ننسى أن قائل هذه الكلمات هو المعلم الذي لا نظير له، الذي «ليس مثله معلماً» (أي ٣٦: ٢٢)، لكن هذا المعلم العظيم يقول هنا، باعتباره الإنسان الذي أخذ صورة عبد «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين (وليس المعلمين)». لماذا؟ يقول: «لأعرف أن أغيث المعبي بكلمة». وهنا يقول «أبارك الرب الذي نصنفي». هكذا كان الرب - تبارك اسمه - يبدأ يومه. فماذا عن ليلائه؟ يكشف لنا البشير لوقا عما كان يفعله الرب في الليل، إذ يقول لنا عن واحدة من تلك الليالي «قضى الليل كله في الصلاة» (لو ٦: ١٢). إنه لم يقضِ جزءاً من الليل، بل الليل كله في الصلاة! لقد كان برنامجه اليومي مزدحماً جداً، لكنه قبل أن يبدأ برنامجه كان يجلس أولاً أمام الآب، وعندما يأتي الليل يجد أيضاً وقتاً آخر يقضيه مع الآب!!

لكن هناك جانباً آخر نقرأ عنه هنا بالنسبة لليليالي الرب، حيث يقول له المجد:

«وأيضاً بالليل تنذرني كليتي»

إن وظيفة الكلي أن تتقي الدم، وتزيل الشوائب عنه. لكن أكانت هناك شوائب من أي نوع في حياة الرب الروحية؟ حاشا! فهو القائل بروح النبوة في مزمور ١٧: ٣ «جربت قلبي. تعهدته ليلاً. محصنتي. لا تجد فيّ ذمواً. لا يتعدى فيّ».

ويرد تعبير «بالليل تنذرني كليتي» في ترجمة أخرى هكذا: «بالليل تربطني أفكاري». كم ليالٍ مرّت علي سيدنا القدوس دون نوم، فهو إذ كان يعلم أن الذبائح كلها

تشير إليه، وأن الآلام في النبوات والمزامير تحدث عنه هو، أكان يحلو له النوم؟ أما نحن فأين تسرح أفكارنا وتمرح طوال الليل؟! أترانا نستطيع أن نقول كما قال داود «إذا ذكرتك على فراشي، في السهد ألهج بك» (مز ٦٣: ٦)، وأيضاً «استيقظت وأنا بعد معك» (مز ١٣٩: ١٨)؟ أو كما قال إشعيا «بنفسي اشتهيتك في الليل، أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦: ٩)؟

٦- التقوى والشبات

«جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أنزعزع» (ع ٨).

من سوى المسيح تتطبق عليه هذه الآية تماماً؟! ومن يستطيع أن يقول عبارة «كل حين» في الآية السابقة غير المسيح القدوس المكتوب عنه «ولذته تكون في مخافة الرب»، وقد قال هو له المجد بفمه الكريم «لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يو ٨: ٢٩). إن كانت هذه الآية لم تقتبس في العهد الجديد عن المسيح بحصر اللفظ، غير أنها تشترك مع (ع ١٠) في أن كليهما لا ينطبقان سوى على المسيح.

صحيح أن كل مؤمن تقي يرغب أن يضع الرب أمامه كل حين، ولكن هل الواقع يبين ويظهر ذلك؟ هل داود - كاتب هذا المزمور - كان الرب أمامه في كل حين؟ ألم يحدث في أوقات معينة في حياته أن الرب لم يكن أمامه؟ عندما قال مرة «إني سأهلك يوماً بيد شاول» (١ صم ٢٧: ١)، هل في ذلك الوقت كان الرب أمامه أم شاول؟ وعندما خاف إيليا وهرب طالباً الموت لنفسه، هل كان الرب أمامه أم إيزابل؟ فكثيراً ما نضع أمامنا أفكاراً أو أشخاصاً، مشاكل أو صعوبات، لكن المسيح كان لسان حاله دائماً «جعلت الرب أمامي في كل حين».

٧- الهجوع والطمأنينة

«لذلك فرم قلبي، وابتهمت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدم تقبيك بيري فساداً. تعرفني سبيل الحياة. أمامك شعب سرور. في يمينك نعم إلى الأبد» (ع ٩-١١).

لأن المسيح هو التقي الفريد، كان من المنطقي أن يكون هو الوثائق الفريد «في مخافة الرب ثقة شديدة» (أم ١٤: ٢٦)، «الرب نوري وخلصي ممن أخاف» (مز ٢٧: ١). فلأنه

جعل الرب أمامه في كل حين، لذلك فرح قلبه وابتهجت روحه. والذي هذه حياته، بوسعه أن يعيش مطمئناً في مواجهة الحياة، أو في مواجهة الموت.

عجباً إننا في هذه الآيات نرى بهجة المسيح وطمأنينته وهو يواجه ملك الأهوال، أعني به الموت. ونحن أيضاً بوسعنا على حساب من انتصر على الموت، وقام ناقضاً أوجاع الموت (أع: ٢٤) أن نعتبر الموت ربحاً (في: ١: ٢١).

وليس من يرقد من المؤمنين هو فقط الذي يواجه الموت بثقة، بل أيضاً أحبائه المؤمنون إذ لا يحزنون كالباقين. فنحن اليوم عندما ندفن أحبائنا نوقن أنه سيتبع ذلك قيامة*. فالمؤمنون الذين يؤمنون بقيامة الأموات، يعلمون عن يقين أن من ندفنهم في ظلمة القبر لن يظلوا هناك بلا نهاية، بل لا بُد أن تُسترد الوديعة، لا بُد أن تقوم الأجساد. وموقفنا اليوم بعد موت المسيح وقيامته، هو أفضل جداً من موقف مؤمني العهد القديم، فلقد أبطل الله الموت وأثار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢ تي: ١: ١٠).

وفي ٩٤ نرى أن الإنسان كائن ثلاثي يتكون من: النفس، والروح، والجسد (ارجع إلى ١ تس: ٥: ٢٣). فيقول: «**فروم قلبي**» والقلب تعبير عن النفس، «**وابتهجت روحي**» وهنا نرى الروح، ثم «**جسدي أيضاً يسكن مطمئناً**» وهنا نرى الجسد.

عندما اقتبس الرسول بطرس هذه الآية قال «**تهلل لساني**» وليس فقط «**ابتهجت روحي**». فأحياناً نكون فرحين مبتهجين، لكننا نظل صامتين، ولا نعبّر عن أفراحنا هذه، لكن الرسول بطرس يقول: «**تهلل لساني**» أي أنه كان عند المسيح تعبير كامل عما في الداخل من فرح وبهجة.

وفي ع ١٠ يتحدث داود بالروح القدس عن النفس والجسد. والإنسان عند موته تنفصل نفسه، وروحه معها عن جسده. الجسد بدون النفس يدخل القبر، والنفس بدون الجسد تذهب إلى الهاوية[†]. لكن المرء هنا يقول لله: لن تترك روحي بدون جسدي، ولن تترك جسدي بدون روحي، إنما ستجعل الروح تدخل في الجسد، وهو ما نسميه القيامة. وهذا معنى الآية «**لن تترك نفسي في الهاوية، لن تدم تفكيك بيري فساداً. تعرفني سبيل الحياة**».

* إن أول عملية دفن ذكرت في الكتاب كانت في مغارة المكفلة والتي معناها «بوابتان» أو «فتحتان» وكان هناك باباً للدخول وآخر للخروج.

[†] انظر الملاحظات الإضافية على مزمور ١٦ ص ٦٥.

ثم يشير إلى سبيل الحياة في ع ١١. ونحن قد لننا الحياة من لحظة الإيمان «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية» (يو ٣: ٣٦)، لكن الحياة في غمرها وفي ملء أفراسها وفي حقيقتها هي الوجود مع المسيح. وهو ما يسمى هنا "سبيل الحياة".

ما أجمل هذا المزمور الذي في أعداده الثمانية الأولى يحدثنا عن الإيمان الحاضر، وفي أعداده الثلاثة الأخيرة يحدثنا عن الرجاء المستقبل!

بعض الأفكار المتفرقة

* ع ٣ يقول: «القديسون الذين في الأرض». ومن هذا التعبير نتعلم أن لقب القديس، ليس - كما يظن البعض - لقباً تمنحه الكنيسة لإنسان بعد موته، إذ يتبرهن لها أنه عاش حياة مختلفة عن الآخرين، أو عمل أعمالاً فائقة وخارقة، لأن المرنم هنا لا يتحدث عن القديسين الذين في السماء، بل القديسين الموجودين في الأرض (انظر أيضاً مز ٩: ٣٤)، فمن الذي منحهم هذا اللقب؟ من نور العهد الجديد نعرف أن كل المؤمنين الحقيقيين هم قديسون، وهؤلاء كانوا بالطبيعة أناساً خطاة كغيرهم (ارجع إلى ١كورنثوس ١: ٢؛ ٩: ٦-١١)، غير أنهم إذ اعترفوا بخطاياهم، وآمنوا بالمسيح وما عمله من أجلهم، تم فيهم القول «لأن المقدّس (الرب يسوع) والمقدّسين (المؤمنين) جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة، قائلاً: أخبر باسمك إخواني، وفي وسط الكنيسة أسبحك» (عب ١١: ٢، ١٢).

* «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر» (٤ع). كلمة «أوجاع» هنا هي عينها الواردة في تكوين ٣: ١٦، هنا نرى معاناة البشرية في سعيها الحثيث وراء غير المسيح. وهؤلاء الذين أسرعوا وراء آخر تكثر أوجاعهم. نعم تكثر أوجاعهم، لا بالقضاء من الله فحسب، وهذا سيأتي حتماً في وقته، بل بخيبة الأمل من هذا الآخر الذي أسرعوا وراءه، الآبار التي نقرها لأنفسهم، وهي مشقّة لا تضبط ماء (إر ١٣: ٢)، قارن جا ١١: ١؛ إش ٣٣: ١١).

وعندما يقول المرنم هنا «الذين أسرعوا وراء آخر»، أفلا يوبخنا الأشرار بجريهم وراء الآخر، ونحن نزحف ببطء، أو نسير سير السلحفاة وراء الرب!!

* انظر التعليق على "ترنيمات النساء"، في المزمور الثامن ص ٤٠.

القيامة وما بعدها:

إننا نتمتع، ونحن هنا على الأرض، بوجود الرب معنا، ولكن هناك في السماء سنكون نحن كل حين مع الرب. وإن كان وجوده معنا أزال من وادي ظل الموت المرارة، وأعطى لوادي البكاء حلاوة، لكنه ما زال هو وادي ظل الموت (مز ٢٣: ٤)، ووادي البكاء (مز ٨٤: ٦). قد نفرح أحياناً، ولكن سرعان ما يأتي ما يسبب الأحزان. فليس العالم الذي نعيش فيه هو مناخ الحياة الأبدية. صحيح إن الحياة فينا، ولكننا لسنا بعد فيها. وعندما نصل إلى جو الحياة الأبدية بالقيامة، حينئذ نستطيع أن نقول «تعرفني سبيل الحياة».

لقد تمتع المسيح بهذا. ونحن أيضاً سنتمتع به. لا بُد أن يأتي اليوم الذي فيه يتحقق قول الرسول «في لحظة في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيُبوق، فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لا بُد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت. ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، وليس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتلع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟» (١كو ١٥: ٥٢-٥٥). وعندها سندرك تماماً قوة كلمات الرب هنا: «تعرفني سبيل الحياة».

«أمامك شعب سرور. في يمينك نعم إلى الأبد» (ع ١١).

وهنا نجد وصفاً لما سنكون عليه في السماء: ونجد فيها بركات خماسية كالآتي:

١- النوعية: السرور والنعم.

٢- المكان: أمامك.

٣- الكمية: شعب.

٤- الكرامة: في يمينك.

٥- المدة: إلى الأبد.

ما أروع السماء! إن جمال السماء هو أننا سنكون أمامه*، وسنكون كل حين مع الرب (١ تس ٤: ١٧)، وكما قال آساف: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً» (مز ٧٣: ٢٥). وإن كان الغني في لوقا ١٦: ١٩ كان يتمتع كل يوم، حتى استوفى خيراته في حياته، فإن المؤمن تنتظره أبدية لا تنتهي، في محضر الله، فيها نعم إلى الأبد.

تأمل مرة أخرى قارئ العزيز في ماذا سنكون عليه السماء.

* «أمامك» في ع ١١ ترجم (في ترجمة داربي) "حضورك".

الكمية: شبع. وفي هذا قال المرنم:

هناك يا سياحُ فيها تمتعوا وتلذذوا بالرب حتى تشبعوا
طوبى لكم أفراحكم لا تُنزع وقلوبكم للدهر لا تتزعزع

النوعية: سرور غير مخلوط بأي نوع من الحزن. نحن هنا على الأرض قد يشوب أفراننا بعض الأسى، أما في السماء فهي أفران صيرف بلا أية مكدرات.

الكرامة: في يمينك. قارن مزمو ١١٠: ١. وهل توجد كرامة، أو يوجد عزٌّ أعظم من جلوس عروس عن يمين عريسها، الملك الذي يحبها وتحبه؟!

المدة: إلى الأبد. قد نفرح هنا على الأرض في مناسبات يجمعنا فيها الرب معاً، ولكن يأتي وقت ونفترق. أما في السماء فسيتم اللقاء الذي لا يعقبه فراق.

إننا هنا ندخلنا قطرات من الفرح، أما هناك فسوف ندخل نحن في ملء الفرح، ونُغمّر فيه بالتمام.

وإن كان هذا وصفاً لما سنتمتع به عن قريب عندما نكون في السماء، أمام الرب وعن يمينه، غير أنه يمكننا أن نختبره جزئياً ونحن هنا على الأرض، عندما يكون لسان حالنا: «**جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني**».

قال أحد القديسين: «إن المؤمن الذي يحظى بجلسة في محضر الرب، يخرج من تلك الحضرة ورائحة السماء تفيح منه، يفتح فمه فتخرج منه كنوز روحية. نظراته ونغمات صوته تدل على أنه كان يشرب من نهر الحياة، ويتغذى على خبز الله».

التطبيق النبوي

يمكننا أن نطبق هذا المزمور على البقية التقيّة في المستقبل. فإن كان المسيح قد سبق وعبر الطريق قبلهم، فإنهم سيتبعون الخروف حيثما ذهب (انظر رؤ ١٤: ٤، ٥). إنهم هم أيضاً سيتكلمون على الرب، إذ فيهم ستتم كلمات المزمور «ويكون الرب ملجأً للمنسحق. ملجأً في أزمنة الضيق. ويتكل عليك العارفون اسمك، لأنك لم تترك طالبك يا رب» (مز ٩: ٩، ١٠). ثم إنهم سيرفضون تماماً الاعتراف بالنبى الكذاب، وسيكون لسان حالهم «**قللت للرب أنت سيدي خيرى لا شيء غيرك**». وسيحزنهم أن الكثيرين منهم سيتبعون الأثيم، فيعترفون «أيها الرب إلها، قد استولى علينا سادة سواك (الوحش والنبى

الكذاب). بك وحدك نذكر اسمك» (إش ١٣: ٢٦). أما هم فسيحتفظون بولائهم وعذراويتهم للمسيح «لم يتجسوا مع النساء لأنهم أطهار... وفي أفواههم لم يوجد غش، لأنهم بلا عيب قدام عرش الله» (ارجع إلى مزمور ١٦: ٤، ٥).

وسوف تتمتع البقية النقية بنصح الرب لهم وبارشاده لهم طوال فترة الضيقة العظيمة (ارجع إلى ع ٧ مع مزمور ٣٢: ٨).

هذه البقية النقية لن تتبع الرب في حياته فقط، بل سيتبعونه أيضاً في موته وقيامته. فهم أيضاً لن يتركوا في الهاوية، فيتم فيهم قول النبي «من يد الهاوية أديهم، من الموت أخلصهم» (هو ١٣: ١٤)، وسيقومون هم أيضاً في اليوم الثالث كما قام المسيح من الأموات في اليوم الثالث، كقول النبي هوشع «يحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه» (هو ٦: ٢).

المسيح في المزمور

هذا المزمور هو لغة الرب يسوع، ومع أنه من أكثر المزامير التي يلذ لنا أن نقرأها ونقتبسها ونطبقها على أنفسنا (كما رأينا ونحن نتناول الدروس الأدبية والعملية)، لكن يظل التطبيق الكامل له على شخص المسيح تبارك اسمه. وسنمر الآن على بعض الأفكار الهامة في هذا المزمور قبل التوقف عند الآية المسياوية، أعني بها ع ١٠، ١١.

عبارة «**خبوي لا شيء غيبوك**» ترد في بعض الترجمات الإنجليزية هكذا: «my goodness (extendeth) not to thee, but to the saints that are in the earth» لا يمتد إليك، بل إلى القديسين الذين في الأرض والأفاضل. وكأن المسيح يقول لله لا تحسب صلاحي لأجل نفسي، بل لأجل القديسين والأفاضل. فلو قصد المسيح أن يقف أمام الله على مبدأ صلاحه المطلق لكان من المستحيل أن يموت. لكن المسيح قد وضع حياته الكاملة لأجل الآخرين.

نذكر أنه عندما قال الرسول بولس للقديسين في فيلبي «لا تنتظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً» فإنه أردف بعد ذلك قائلاً: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع» (في ٢: ٤، ٥). إنه بحق صاحب المحبة التي لا تطلب ما لنفسها.

«صلاحي لا يمتد إليك بل إلى القديسين الذين في الأرض والأفاضل» (٣،٢٤).

والآية بترجمتها السابقة تلقي ضوءاً على معمودية الرب يسوع من يوحنا المعمدان. فكل الذين اعتمدوا من يوحنا كانوا أناساً خطاة اعترفوا بخطاياهم ثم اعتمدوا. وعندما أتى المسيح إلى خاصته، فقد انضم إلى هذا الفريق، فريق التائبين عن خطاياهم، ونزل إلى المعمودية كما نزلوا هم.

والآن، ما هو مدلول نزول المسيح إلى نهر الأردن؟ إن كل الذين سبقوه، نزلوا بخطاياهم التي اعترفوا بها، وكأنهم غسلوا خطاياهم في مياه الأردن (ارجع إلى أع ١٦: ٢٢)، ثم خرجوا منه بدون خطاياهم، فنزل المسيح، وهو الذي بلا خطية، لكي يحمل كل هذه الخطايا!! ولم يكن هذا بالطبع إلا صورة ورمزاً، أما الحقيقة فليست معمودية الرب في نهر الأردن هي التي خلصتنا، إنما معمودية أخرى، أشار إليها الرب في قوله لابني زبدي «أستطيع أن تشرب الكأس* التي سوف أشربها أنا، وأن تصطبغ بالصبغة (وتعبير الصبغة يعني المعمودية) التي أصطبغ بها أنا؟» (مت ٢٠: ٢٢، ٢٣). لقد كانت معمودية ما أربها!! ويمكننا أن ندرك القليل عنها من الإشارات النبوية الواردة عنها في كل من مزموري ٤٢؛ ٦٩.

* * *

هذا المزمور مشغول أساساً بموت المسيح وقيامته، ونحن نعرف أن المسيح - من هاتين الزاويتين - فريد. فمن جهة الموت، قد مات ميتة لم يمتها أحد من القديسين، وفي القيامة قام باكورة الراقيدين.

«لذلك فرم قلبي، وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً» (٩٤).

ومع أن كلام المزمور هنا هو عن الموت، لكن المسيح واجه الموت بكل ثبات وثقة. إنه هنا لا يشير إلى أنه سيقوم نفسه من الموت بلاهوته (هذا ما نراه في إنجيل يوحنا ١٩: ٢؛ ١٠: ١٧)، بل إذ إنه هنا الإنسان المتكل والشخص التقى، فلقد كان واثقاً أن الله سيسمع صلواته من أجل تقواه، ويقيمه من الموت (عب ٥: ٧).

ولقد أكرم الله جسد المسيح القدوس بعد موته، ولم يدع أيدي شريرة تلمسه. ثم أُقيم

* إن شرب المسيح للكأس يشير إلى الآلام الداخلية التي كانت ستدخل إلى نفسه، أما الاصطباغ بالصبغة فيشير إلى الآلام الخارجية التي ستحيط به من الخارج.

الطمأنينة المثلثة في حياة المسيح

هناك ثلاثة مزامير تتحدث عن الطمأنينة في حياة المسيح كإنسان، وهي المزامير الرابع، والسادس عشر، والثاني والعشرون. وهذه الآيات في المزامير تلخص لنا حياة ربنا يسوع في مولده، وحياته، وموته.

١ - طمأنينة المسيح وقت طفولته (مز ٢٢ : ٩) : «لأنك أنت جذبتني من البطن. جعلتني مطمئناً على تدنّي أُمّي». فهيرودس، الملك الشرير والطاغية، عندما أراد أن يهلك المسيح، ربما أمكنه أن يصيب المطربة مريم ويوسف النجار بالفزع، لكن من المؤكد أن المسيح كان ينعم بسلام عجيب وطمأنينة هادئة.

٢ - طمأنينة المسيح في كل حياته (مز ٤ : ٨) : «بسلامة اضطجع، بل أيضاً أنا، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني». وربما أوضح صور طمأنينة الرب في حياته نراها في عبور المسيح بحيرة طبرية مع تلاميذه، عندما كان تبارك اسمه في مؤخر السفينة على وسادة نالماً. لقد انزعج التلاميذ رغم أن منهم صيادين خبيرين بالبحر، لكن أمام تلك العاصفة الشديدة اضطرب الجميع، إلا هو، الذي وُثِّقَ تلاميذه بكل هدوء قائلاً: «ما بالكم مضطربين هكذا يا قليلي الإيمان!» (مر ٤ : ٣٧-٤١).

٣ - طمأنينة المسيح عند موته ودفنه (مز ١٦ : ٩) : «لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً». فالمسيح كان له الثقة التامة أن الله سيقمه سريعاً، ولن يدع جسده القدوس يرى فساداً.

المسيح بمجد الآب. وما أروع هذه الحقيقة الجوهرية في إيماننا الأقدس، حقيقة قيامة المسيح، كما سنوضح ونحن نتكلم عن الآيات المسيواوية.

«لذلك فرح قلبي، وابتهجت روحي.» (٩ع).

لا شك في أن المسيح رنم كثيراً في حياته، لكن لا يُذكر عن المسيح في كل حياته على الأرض أنه سبّح سوى مرة واحدة فقط، والعجيب أن هذه المرة كانت بمناسبة ذهابه إلى الصليب، حيث يذكر الوحي: «حينئذ سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦ : ٣٠)!! لقد كان يعلم بهول الكأس الرهيبة المزمع أن يشربها، ومع ذلك "تهلّل لسانه". لماذا؟ لأنه جعل الرب أمامه في كل حين.. أكان هناك طريق أصعب من طريق الصليب؟! لو كان الوحي عكس الوضع ما كنا نندهش على الإطلاق، أي لو ذكر عن المسيح أنه كان دائماً يسبح، وأغفل ذكر ذلك عند توجهه إلى الصليب ما كنا نندهش.

وسبب تسبيحه في تلك المناسبة هو تيقنه من أمر القيامة، وهو ما نراه في العدد التالي.

لقد قام المسيح من الأموات في اليوم الثالث*. فتمت كلماته «تعرفني سبيل الحياة».

بعد ذلك نقرأ عن ارتفاع المسيح ومجده حيث يقول: «أمامكم سرور. في يمينكم نعم إلى الأبد» (ع ١١)، فالمزمور لا ينتهي بالقيامة فحسب، بل بالصعود أيضاً، أو حسب تعبير الرسول بطرس: «ارتفع بيمين الله» (أع ٢: ٣٣). فالحياة في ملئها وغمرها هي هناك في قمة المجد المجيد. ويمكن القول إن أسمى قمة في سرور المسيح ليس المجد في ذاته، بل محضر الله!

الآيات المسبوبة

«جملت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أترعرع. لذلك فرح قلبي، وابتهجت روحى. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً. لأنك لن تترك نفسي في العاوية. لن تدم تقهقيري فساداً. تعرفني سبيل الحياة. أمامكم سرور. في يمينكم نعم إلى الأبد» (ع ٨-١١).

يقتبس الرسول بطرس في أعمال ٢: ٢٥-٢٨ الأقوال الواردة في الأعداد ٨-١١ من مزمورنا، ويوضح كيف أنها لا تنطبق إلا على الرب يسوع، الذي أقامه الله من الأموات. ويكرر الرسول بولس الأمر ذاته في أعمال ١٣: ٣٥ مقتبساً الآية ١٠ من مزمورنا، موضحاً أنها لا تنطبق على داود، الذي رقد ودُفن ورأى جسده فساداً، بل على ابن داود.

قيامته المسيح هي الفكر البارز في هذا الاقتباس. وتبرز أهمية هذه الحقيقة الجوهرية مما يلي:

لولا: بينما لم يُشر إلى ميلاد المسيح سوى إنجيلين فقط هما متى ولوقا، فإن موت المسيح وقيامته أخذاً مكاناً بارزاً في كل الأنجيل الأربعة.

* لقد دُفن المسيح في الساعات الأخيرة من يوم الجمعة، ومكث يوم السبت كله في القبر، وقضى ساعات قليلة من يوم الأحد. وهذه المدة بحسب الحساب اليهودي، الذي يعتبر الجزء من اليوم أنه يوم كامل، أو يوم وليلة، تُعتبر ثلاثة أيام وثلاث ليال. ولهذا فإن اليهود قالوا لبيلاطس «مُرْ بضبط القبر إلى اليوم الثالث» (مت ٢٧: ٦٤)، وليس إلى اليوم الرابع. وهو عين ما ذكره الرب عندما قال لتلاميذه «إنه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ١٦: ٢١)، رغم أنه قال في مكان آخر إنه سيمكث في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال (مت ١٢: ٤٠).

ثانياً: حقيقة القيامة كانت الموضوع الرئيسي للشهادة في سفر الأعمال. ولقد أُشير إليها في هذا السفر ٢٢ مرة.

ثالثاً: في ١٥ كورنثوس ذكر الرسول بولس سبعة ويلات رهيبة كانت تحدث لو لم يكن المسيح قد قام.

رابعاً: ذكرت هذه الحقيقة في العهد الجديد ما لا يقل عن ١٠٤ مرة، وربما لا توجد حقيقة تؤكد أسفار العهد الجديد مثل هذه، فالقيامة* هي حجر الأساس في الإيمان المسيحي.

وعندما يقول المزمور: «لن ندع تفكيك يري فساداً» (ع ١٠)، فإنه من الأهمية أن نسجل هنا أن المسيح مع أنه دُفِنَ لكن جسده لم يرَ فساداً. هذا واضح تماماً من رموز العهد القديم، كما من تسجيل أحداث صلب المسيح في البشائر. ففي الرمز قديماً كان رماد ذبيحة

الخطية يخرج خارج المحلة إلى مكان طاهر. وفي البشائر يؤكد الوحي على الكتان النقي الذي اشتراه يوسف ولفَّ به جسد يسوع (مت ٢٧: ٥٩؛ مر ٢٧: ٥٩)، وعلى القبر الجديد المنحوت في الصخر الذي لم يُدفن فيه أحد قط، الذي دُفِنَ فيه جسده القدوس (مت ٢٧: ٦٠؛ مر ١٥: ٤٦؛ لو ٢٣: ٥٣؛ يو ١٩: ٤١). كما يؤكد أنه لم يلمس جسده بعد الموت أيدي دنسة؛ فالذي أنزل الجسد هو يوسف (مر ١٥: ٤٦؛ لو ٢٣: ٥٣)،

المسيح القدوس

يطيب لنا أن نتوقف أمام الناسوت القدوس للمسيح، الذي أشار إليه الرسول بالقول لن تدع قدوسك يري فساداً (أع ١٣: ٣٥). ونتبع هذا الفكر في خمس مراحل كالآتي:

في بطن أمه: «القدوس المولود منك» (لو ١: ٣٥).

في حياته: «أنا أعرفك من أنت قدوس الله» (مر ١: ٢٤).

في موته: «أنتم أنكرتم القدوس البار،... قتلتموه» (أع ٣: ١٤).

في قيامته: «لن.. تدع قدوسك يري فساداً» (أع ٢: ٢٧).

في السماء: «هذا يقوله القدوس الحق» (رؤ ٣: ٧).

والذي أخذ الجسد هو يوسف (مت ٢٧: ٥٩)، والذي قام بالعمل هو يوسف ومعه نيقوديموس (مت ٢٧: ٥٩، ٦٠؛ مر ١٥: ٤٦؛ لو ٢٣: ٥٣؛ يو ١٩: ٤٠، ٤٢).

* ومع ذلك فإن جماعة شهود يهوه ينكرون - ضمن ما ينكرونه - قيامة المسيح بجسده حرقاً. انظر كتاب "شهود يهوه"، للمؤلف.

إذا فجسد المسيح لم يرَ فساداً، والروح والنفس لم تتركاً في الهاوية، بل تمت قيامة باكراً جداً في صباح أول الأسبوع.

والرسول بولس يلخص الإنجيل في رسالة كورنثوس الأولى ١٥ بالقول: «المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر...» (١كو ١٥: ٣-٥). إذا خلاصة الإنجيل هي أربعة أمور مهمة: «أن المسيح مات... وأنه دُفن... وأنه قام... وأنه ظهر». هذه الأمور ليست إعلانات جديدة، بل هي «حسب الكتب»، إذ توجد نبوات عديدة في الكتاب المقدس عن موته ودفنه وقيامته. هنا نجد واحدة منها.

ومع أن مسألة القيامة أمر غريب، لكننا نقول إنها النهاية الطبيعية لحياة كانت عجيبة في كل شيء. فعندما نؤمن بمولد المسيح العذراوي، وحياته الخالية من الخطية، وموته الكفاري الاختياري، تصبح القيامة أمراً حتمياً مكملاً لتلك السلسلة العجيبة. فكيف يمكن لحياة قدوسة كهذه أن تنتهي بمثل هذا الموت المخزي؟ لهذا قال الرسول بطرس، بعد الإشارة إلى جمال وكمال حياته: «صلبتموه وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن يمك منكم».

كل ما عملوه هم بأياديهم الآثمة، أبطله الله بيده القادرة. وإن كان الختم الذي وضعوه على الحجر الذي فوق القبر أزاله ملاك السماء، إلا أن قتلهم لابن الله أبطله إله السماء.

ملاحظات إضافية على المزمور السادس عشر

ما هي الهاوية؟

في الآية العاشرة من هذا المزمور يرد قول المسيح: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، ولن تدع قدوسك يرى فساداً». ترى ما هي الهاوية بالضبط؟

كلمة "الهاوية"، وبالعبيرية "شأوول"، تعني بالعربي المجهول، أو السؤال. وهي تشير إلى العالم غير المنظور، عالم الأموات. ويظن البعض أن الهاوية هي مكان ما في أقسام الأرض السفلى، لكن بقراءة الكتاب المقدس قراءة متأنية واعية ندرك أن الهاوية ليست مكاناً، بل حالة، هي حالة انفصال الروح عن الجسد. فهناك في كلمة الله حالتان: حالة الجسد منفصلاً عن الروح، وتسمى الموت، وحالة الروح منفصلة عن الجسد وتسمى الهاوية*. والهاوية ترتبط دائماً في الكتاب المقدس بالموت. فمثلاً يقول: «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟» (كو ١٥: ٥٥)، وأيضاً «لي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١٨: ١؛ انظر أيضاً رؤ ٦: ٨؛ ١٤: ٢٠)، وفي العهد القديم «لأن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية» (نش ٨: ٦؛ انظر أيضاً هو ١٣: ١٤). ولأن الموت حالة وليس مكاناً، فكذلك الهاوية أيضاً.

والهاوية أيضاً ليست هي القبر. يتحدث الوحي عن مكان مقبرة ما، فالقبر له مكان جغرافي (تك ٥٠: ١٣؛ صم ٢: ٢١؛ حز ٣٩: ١١)، وأما الهاوية فليس لها مكان جغرافي. ويحدثنا الكتاب عن «ملك قبر» (تك ٢٣: ٤، ٩، ٢٠)، لكن الوحي لا يحدثنا عن شخص امتلك الهاوية. وما هذا وذاك إلا لأن الهاوية حالة وليست مكاناً.

ثم إننا نقرأ في كلمة الله عن قبور بالجمع (خر ١٤: ١١). ويمكن أن يكون للشخص مقبرة خاصة به (مت ٢٧: ٥٧-٦٠)، أما الهاوية فلا تذكر بالجمع إطلاقاً، بل دائماً ترد بالمفرد.

ونلاحظ أنه قيل عن الغني في لوقا ١٦: ٢٣ إنه رفع عينيه في الهاوية (الحالة)، وهو في العذاب (المكان)، بينما كان لعازر في مكان مختلف، في حضن إبراهيم، وبينهما هوة عظيمة

* يعترض البعض على اعتبار الهاوية حالة، ويقولون ألا نقرأ كثيراً في الوحي عن الذهاب إلى الهاوية، مثل ما قاله يعقوب لأولاده (تك ٣٧: ٣٥؛ ٤٢: ٣٨) مما يبين أنها مكان. لكننا نلاحظ أيضاً نفس التعبير يستخدم بواسطة عيسو الموت «ها أنا ماضٍ إلى الموت. فلماذا لي بكورية؟» (تك ٢٥: ٣٢)، وواضح أن الموت حالة.

قد أثبتت. وعليه فالهاوية هي الحالة التي توجد فيها أرواح جميع البشر من لحظة موتهم وحتى قيامتهم. بالنسبة للأشرار فإنهم يذهبون في الهاوية إلى موضع العذاب (لو ١٦: ٢٨)، وبالنسبة للأبرار فإنهم يذهبون إلى موضع العزاء*. والفارق الأدبي بين المكانين شاسع جداً، حتى ولو أمكن للذين في مكان أن يشاهدوا الذين في المكان الآخر، أو أن يتحدثوا إليهم (لو ١٦: ٢٦). لكن لأن هذا الفارق لم يكن واضحاً في العهد القديم، فلا عجب أن نجد رجال الإيمان لا يتكلمون إلا عن ذهابهم إلى الهاوية عند موتهم. لكن المسيح، الذي بموته أبطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل، كان أول من أوضح هذا الفارق الكبير بين حال الأبرار وحال الأشرار في المرحلة المتوسطة بين الموت والقيامة، وذلك في قصة الغني ولعازر (لوقا ١٦). ثم توضح بعد ذلك أكثر في باقي أجزاء العهد الجديد.

وبالنسبة للمسيح فلقد دُفن جسده، بعد موته، في قبر يوسف الرامي، وأما نفسه فكانت في الهاوية (الحالة)، وفي الفردوس (المكان)، كما قال تبارك اسمه للص التائب: «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣).

نخلص من هذا أنه كما أن الموت هو حالة الجسد منفصلاً عن الروح والنفس، هكذا الهاوية أيضاً هي حالة النفس والروح منفصلتين عن الجسد. وفي هذا المزمور، كما أشار المرنم إلى أن الله لن يترك نفسه في الهاوية، أشار أيضاً إلى "جسده" بالقول «لن تدع ثقيلك (قدوسك) يرى فساداً». نعم لم يسمح الله بأن يظل جسد المسيح بدون روحه في حالة الموت، ولا أن تظل نفسه بدون جسده في حالة الهاوية، فأقام المسيح من الأموات في اليوم الثالث. وهو ما سيحدث عن قريب مع كل القديسين عندما يقومون في القيامة الأولى، كما ستنتم القيامة القومية لشعبه الأرضي في اليوم الثالث أيضاً (هو ٦: ٢؛ دا ١٢: ٢).

* إن من يرددون من مؤمني العهد الجديد لا يذهبون إلى حضن إبراهيم. فإن «حضن إبراهيم» في مفهوم العهد القديم هو أجمل مكان. لكن بالنسبة لنا نحن مؤمني العهد الجديد، ليس هو المكان الأجمل، ولا هو رجاؤنا، بل يقول الرسول بولس: «لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح» (في ١: ٢٣). ومع أن ذلك هو أفضل جداً، غير أن الجسد في هذه الحالة يُدفن في التراب، وتظل الروح بدون الجسد، وهذا ليس هو الوضع الأمثل. وعليه فإن الراقيين ينتظرون القيامة «تعرفني سبيل الحياة».

المزمور الثاني والعشرون

المسيح المتألم

المزمور في كلمات

هو قمة المزامير المسياوية. ويعطينا صورة نبوية حية للصليب، قبل حدوثه بنحو ألف عام. وفيه يرسم لنا الروح القدس، بأسلوب مؤثر، مشهد الجلجثة الرهيب، حيث تألم المسيح من أجلنا. وإننا لن نجد في كل الكتاب تصويراً لآلام الكفارة، وجعل نفس المسيح ذبيحة خطية نيابة عنا، أبلغ مما نراه هنا في هذا المزمور الذي يحوي سر الأسرار: الابن الحبيب متروكاً من الله! ينبوع المياه الحية، بحنك يابس! الذي تُبدي الخليقة قوته، يقول: «يَبَسْتُ مِثْلَ شَقَقَةِ قُوتِي»، والمؤتزر بالجلال نراه عارياً من كل كرامة بشرية!!

الاقتباسات

من الصعب حصر الاقتباسات المباشرة وغير المباشرة التي وردت في العهد الجديد من هذا المزمور. فلقد ذكر أحد الشراح، وهو يهودي متنصر، أن هذا المزمور يحتوي على ثلاث وثلاثين نبوة تمت في المسيح. ولعل أوضح النبوات والإشارات إلى المسيح في هذا المزمور ما يلي:

١- الآية الأولى «إِلَهِي، إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» قالها المسيح وهو على الصليب كما نقرأ في متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٥: ٣٤.

٢- الأعداد من ٦- ٨ التي تحتوي على تهكم البشر، تسجل كلمات الأشرار التي

- قالوها للمسيح وهو فوق الصليب بالحرف تقريباً (انظر متى ٢٧: ٣٩-٤٤).
- ٣- ع ١٢، ١١ ويشيران إلى انتفاء المعونة البشرية عن القدوس المتألم، وهو ما تم عندما تركه التلاميذ كلهم وهربوا (مت ٢٦: ٥٦).
- ٤- ع ١٦ عن صلبه «**ثَقِبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ**»، وأن هذه العملية ستتم بأيدي الأمم (الجند الروماني) الذين يشير إليهم المزمور بأنهم «**كَلَابٌ**» (انظر متى ٢٧: ٣٥).
- ٥- ع ١٧ عن نظر الناس وتفرسهم فيه (انظر لوقا ٢٣: ٣٥).
- ٦- ع ١٨ عن اقتسام ثياب المسيح، وقد أشار إلى هذه العملية كتبة البشائر الأربعة (انظر متى ٢٧: ٣٥؛ مرقس ١٥: ٢٤؛ لوقا ٢٣: ٣٤؛ يوحنا ١٩: ٢٣، ٢٤).
- ٧- ع ٢٢ عن حضور المسيح وسط تلاميذه ليخبرهم باسم الآب، ويسبّحه في وسط الكنيسة (ارجع إلى يوحنا ٢٠: ١٩ مع عبرانيين ٢: ١٢).

الكاتب والمناسبة

كاتب هذا المزمور - كما نفهم من العنوان - هو داود. وقد تكون مناسبة كتابة المزمور هي اضطهاد شاول لداود، إلا أن روح النبوة أضفت على لغة المزمور، ما يتجاوز اختبار داود بكثير. فاختبار داود في هذا المزمور لا يتجاوز ضوء الكواكب الذي سرعان ما يختفي أمام نور الشمس. ومع «سبرجون» نقول: **إن الذي يرى في هذا المزمور يسوع وآلامه لا يعنيه بعد ذلك أن يرى فيه داود أو سواه**. نعم، نحن لا نقرأ هنا عن اختبار داود، فبالإضافة إلى أن داود لم يمُت مصلوباً، كما يصف هذا المزمور، ولا كانت ميتة الصلب تُمارَس على عهده، فإن داود أيضاً لم يُترك من الله كما يذكر في مطلع المزمور، بل إنه هو نفسه القاتل ففي مزمور ٢٥: ٣٧ «كنت فتى وقد شخت، ولم أَرِ صديقاً تُخْلِي عنه». وعليه فإن داود هنا، شأنه شأن كل أنبياء العهد القديم، تكلموا - بروح النبوة الذي فيهم - عن أشياء أبعد من متناول إدراكهم وفهمهم.

عنوان المزمور

«**لِلْأَمَامِ الْمَغْنِينِ عَلَى أَيْلَةِ الصُّبْحِ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ**»

لِلْأَمَامِ الْمَغْنِينِ: وهو تعبير ورد في المزامير ٥٥ مرة. لكن هذا المزمور يعطينا

* انظر التعليق على المزمور الثامن.

مفتاحاً لفهم هذا التعبير، ففي ع ٢٢ نقرأ الآية الجميلة «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أَسْبَحْ». فالواقف في الوسط يقود إخوته في التسبيح (إمام المغنين الحقيقي) هو المسيح المقام من الأموات (عب ٢: ١٢).

وأما التعبير «على أَيْلَة الصُّبْح» فهو تعبير لم يرد في كل الكتاب المقدس إلا هنا. والأرجح أن داود هو الذي أنشأ هذا التعبير الشعري الجميل. ويُقال في تفسير ذلك إن

أَيْلَة الصُّبْح

ثمة مشابهات عديدة بين المسيح وبين الأيالة الواردة في عنوان المزمور:

١- فالأيل من الحيوانات الطاهرة (لا ١١)، وهكذا عاش المسيح في الأرض، فهو «قدوس بلا شر ولا دنس» (عب ٧: ٢٦).

٢- الأيل يهوى حياة البراري (نش ٢: ٥)، وهكذا كان المسيح «في الصباح باكراً جداً قام وخرج إلى موضع خلاء، وكان يصلي هناك» (مر ١: ٣٥).

٣- كلمة «أَيْل» مشتقة من لفظ الجلالة «إيل» الذي يعني "قوي"، هذه القوة التي ظهرت في حياة المسيح في أعماله الفائقة والخرافة التي نسبها معجزات، والتي ذكرت لنا الأناجيل الأربعة خمساً وثلاثين منها بالتفصيل، بالإضافة إلى آيات كثيرة لم تكتب (يو ٢٠: ٣٠).

٤- يمتاز الأيل بأنه رقيق ووديع. وهكذا كان المسيح الذي قال: «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩). وعلى الرغم من قوته التي ظهرت عندما طرح كل الآتين للقبض عليه بكلمة واحدة خرجت من فمه، فإنه في وداعته تركهم يوثقونه (يو ١٨: ٤-١٢).

٥- يتميز الأيل بأشواقه وتلهفه إلى المياه (مز ٤٢: ١)، وهكذا كان المسيح «في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز ١: ٢).

٦- بالإضافة إلى ما سبق فإن أَيْلَة مزمورنا هي «أَيْلَة الصُّبْح»، وهو تعبير يُشار به - كما أشرنا عند الحديث عن عنوان المزمور - إلى شروق الشمس من جديد بعد مغيب. والمسيح بعد أن مات، وفي ظلام القبر بات، فإنه قام ناقضاً أوجاع الموت.

٧- وأخيراً كان المسيح بحق، وبكل معنى الكلمة «أَيْلَة مُسَيِّية»، يعطي أقوالاً حسنة» (تك ٤٩: ٢١)، وتذكرنا تلك الأيالة المسبية بالمسيح وقد انسل من أكفان القبر وقام من الأموات، وبعد قيامته أعطى الأقوال الحسنة، كما يشار إلى ذلك في هذا المزمور: «أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أَسْبَحْ».

منطقة يهوذا، التي تقع فيها قرية بيت لحم، حيث تربى داود، هي منطقة مُحاطة بالجبال، وكثيراً ما سهر داود يحرس أغنامه على تلك الجبال، وبالتالي كان يستمتع بمنظر الشمس وهي تشرق. وكان داود يتخيل أشعة الشمس أول ما تظهر له من خلف جبال يهوذا الشرقية كأنها قرون الأيل. فدعا الشمس* المشرقة «أيلة الصبح».

ويمكننا أيضاً أن نفهم معنى «أيلة الصبح» بطريقة أخرى. فكأن الشمس ماتت في الليل، فانتشحت الطبيعة بالسواد وأتى الظلام، ولكنها في الفجر قامت من جديد فملأت الأرجاء. وهذان هما الأمران المشغول بهما هذا المزمور: أعني بهما موت الرب وقيامته. ويعقد فريق ثالث مشابهة بين المسيح وبين الأيلة الوديدة الجميلة المسالمة. فمع أن المزمور مليء بذكر حيوانات كثيرة شرسة: ثيران، وكلاب، وبقر الوحش، والأسد... الخ، لكن هذه الضواري كلها اجتمعت ضد الأيلة الوديدة، ربنا يسوع المسيح.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

* هذا المزمور، بخلاف المزمور المصاوي السابق (مز ١٦)، لا يحدثنا عن حياة المسيح العطرة، بل عن موته الكفاري الرهيب. وإن كنا نرى المسيح في المزمور السابق باعتباره قربان الدقيق الحقيقي، فإننا نراه هنا باعتباره ذبيحة الخطية!

* كما أننا في هذا المزمور لا نرى المسيح يوم قوته، عندما سيحطم الأمم تحطيماً، ومثل إنشاء خزاف يكسره (مز ٩: ٢)، بل في يوم ضعفه، عندما يبست مثل شقفة قوته (١٥٤)

* مجموعة مزامير الراعي

مجموعة المزامير (٢٢؛ ٢٣؛ ٢٤) تُعرف بمزامير الراعي. وهذه المزامير الثلاثة كتبها داود الراعي الذي بدأ حياته راعياً للغنم، ثم اختاره الرب ليرعى شعبه إسرائيل (مز ٧٨-٧٠-٧٢).

والعهد الجديد يحدثنا عن المسيح الراعي، مستخدماً ثلاثة ألقاب هي: «الراعي الصالح»، و«الراعي العظيم»، و«رئيس الرعاة». الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن

* وصف الشمس بالغزالة استعارة كثيرة ورود في اللغة العربية أيضاً. وفي المعجم العربي من معاني الغزالة: الشمس عند طلوعها. (انظر مثلاً: المعجم الوسيط أو الوجيز).

الخراف» (يو ١٠: ١١). وراعى الخراف العظيم المقام من الأموات بدم العهد الأبدي» (عب ١٣: ٢٠). ثم رئيس الرعاة الذي سيظهر عن قريب في مجيئه الثاني (ابط ٥: ٤). هذه الأفكار الثلاثة نجدها مذكورة في ترتيب بديع في مزامير الراعي: مزمور ٢٢؛ ٢٣؛ ٢٤.

والجدول الآتي يوضح لنا هذا الترتيب العجيب:

مزمور ٢٢	مزمور ٢٣	مزمور ٢٤
الراعي الصالح	راعي الخراف العظيم	رئيس الرعاة
النعمة	الإرشاد	المجد
تواضع المسيح	ترفق المسيح	قوة المسيح
الخلاص بالدم	الخلاص بحياته	الخلاص بظهوره
صليب الفداء	عصا الرعاية	صولجان الملك
جبل المريا	الوادي	جبل صهيون
الماضي	الحاضر	المستقبل

* وعلاقة أخرى هامة بين هذا المزمور والمزامير ٤٠، ٦٩، ١١٨ حيث نجد فيها معاً المسيح كما أشارت إليه الذبائح المختلفة: المحرقة وذبيحة الإثم وذبيحة السلامة وذبيحة الخطية. فهناك أربعة من المزامير المسياوية تتجاوب مع الأربع ذبائح المذكورة في سفر اللاويين، وأيضاً مع حادثة الصليب كما هي مدونة في الأنجيل الأربعة*:

أقسام المزمور

لقد تتبأ أنبياء العهد القديم عن الآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها (ابط ١: ١١). وهذا المزمور يحتوي فعلاً على هاتين الفكرتين، إذ أنه ينقسم إلى قسمين رئيسيين واضحين:

القسم الأول: ع ١-٢١ يتحدث عن الآلام التي للمسيح.

القسم الثاني: ع ٢٢-٣١ يتحدث عن الأمجاد التي بعدها.

* انظر الملاحظات الإضافية على مزمور ٤٠ ص ١٢١.

الأعداد من ع ١-٢١ موضوعها: صرخة المسيح المتألم، وتبدأ بقوله الكريم «إلهي، إلهي لماذا تركتني؟» (مت ٢٧: ٤٦؛ مر ١٥: ٣٤).

والأعداد من ع ٢٢-٣١ موضوعها: تسبيح المسيح المنتصر، وتبدأ أيضاً بقوله «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أسبحك» (ارجع إلى عب ٢: ١٢).

القسم الأول خلاصته التتهجد (ع ٢)، أما القسم الثاني فترنم (ع ٢٢، ٢٥).

في القسم الأول نرى ظلمة الجلجثة، وفي القسم الثاني فجر القيامة.

في القسم الأول نرى أحزان المسيح، حيث يرى وهو ذاهب ذاهباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع، وفي القسم الثاني نرى أفراح المسيح حيث نراه مجيئاً يجيء بالترنم حاملاً حزمه (مز ١٢٦: ٦).

في القسم الأول نرى العمل الذي أتمه المسيح على الصليب، ثم بدايةً من القسم الثاني نرى نتائج عمله الكريم.

والقسم الأول من المزمور يمكن تقسيمه بدوره إلى أقسام فرعية ثلاثة، وكذلك أيضاً نقسم القسم الثاني إلى أقسام ثلاثة: فالآلام في هذا المزمور ثلاثية المصدر: من الله، ومن البشر، ومن الشيطان. فهناك آلام نيابية من الله، وجسدية من البشر، وجهنمية من الشيطان. وذلك نظراً لقداسة الله، وكرهية الإنسان، وعداء الشيطان. وكما أن آلام المسيح ثلاثية، فإن نتائج عمله ثلاثية أيضاً؛ فهي أولاً لمجد الله، ولإسعاد الإنسان، ولدحر الشيطان.

تقسيم فرعية ثلاثية للقسم الأول من المزمور:

في الأعداد من ع ١-٦ نجد المسيح متروكاً من الله،
ومن ع ٧-١٨ نجد المسيح محتقراً ومتألماً من الشعب،
ومن ع ١٩-٢١ نجده مضطهداً ومسحوقاً من الشيطان.

تقسيم فرعية ثلاثية للقسم الثاني من المزمور:

في الأعداد من ع ٢٢-٢٥ نجد مجد الله،
ومن ع ٢٦-٢٧ نجد سعادة الإنسان،
ومن ع ٢٨-٣١ نجد ملك المسيح الذي يتضمن سحق الشيطان ودحره

الدروس العملية والأدبية:

إذا كان هذا المزمور يُفتتح بالعبارة التي نطق بها المسيح من عمق الألم والظلمة في الجلجثة، فإنه بلا شك قد أكمل بقيته (لا سيما الأعداد من ١ إلى ٢١) بروحه. وبالتالي فكم يكون هذا المزمور كريماً وثميناً عند كل مؤمن. كيف لا وهو يسجل لنا مشاعر المسيح الجريحة وأحزانه الدفينة، وهو يجتاز آلام الجلجثة. ولن نجد في كل الكتاب تصويراً لآلام الكفارة، وجعل المسيح ذبيحة خطية لأجلنا، أبلغ مما نراه هنا. فلتتحن الهامات ونحن نقرأ كلمات هذا المزمور النفيس، وليفيض من القلب أعرق مشاعر التوقير والإجلال والتعبد، فإننا نقف في قدس أقداً الكتاب المقدس كله!

«إلهي إلهي لماذا تركتني؟» (١٤).

والمسيح كان يعرف سبب ترك الله له. ولكنه ترك الجواب للإيمان، يستخرجه من قلوب أولئك الذين كانوا أمواتاً في خطاياهم، ولكنه حمل في جسده خطاياهم وخلصهم منها. نعم، إننا الآن نعرف عن يقين أنه ترك، وقاسى آلام الحرمان من طلعة إلهه، لكي ما نتمتع نحن بالشركة معه إلى أبد الأبد. ولهذا فلقد وعدنا الرب قائلاً: «لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣: ٥).

وسوف نترك التأمل في آيات القسم الأول من هذا المزمور، والتي تصور لنا آلام المسيح، لنتكلم عنها دفعة واحدة تحت عنوان "المسيح في المزمور"

بعض الدروس من القسم الثاني من المزمور

«يا خائف الرب سبحوه! مجدوه يا معشر ذرية يعقوب، واخشوه يا زرع إسرائيل جميعاً!» (٢٣ع).

تذكر هذه الآية ثلاث نتائج مباركة لعمل المسيح على الصليب وقيامته من بين الأموات: التسبيح، والتمجيد، والتقوى. فما أبرك هذه النتائج. وما أجمل التسبيح وأروع في سمع الرب، لأن «ذابح الحمد يمجدني» (مز ٥٠: ٢٣). لكن تذكر أن التسبيح الذي يمجد الله لا يليق إلا بالذين يخشونه ويتقونه، لأنه «بالمستقيمين يليق التسبيح» (مز ٣٣: ١).

«لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع» (٢٤ع).

سبب تسبيح المسيح، وتسبيحنا نحن معه، أن الله حجب وجهه مؤقتاً فقط عن المسيح. فبدون قيامة المسيح الرائعة من الأموات ما كان لنا أي فرح أو تسبيح.

والذي أقام المسيح بقدرته الفائقة العجيبة لا يمكن أن تستعصي أمامه أية مشكلة مهما تعقدت. فهو حقاً «لم يحتقر ولم يردل مسكنة المسكين ... بل عند صراخه إليه استمع». أيها المساكين أبشروا وتشجعوا، فعند صراخكم لله سيسمعكم، ومن كل شدة وضيقة سينقذكم!

«من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدام خانفيه. يأكل الودعاء ويشبعون. يسبم الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد» (٢٦،٢٥ع).

وعندما يتحدث الرب عن نوره، فإن هذا يأخذ فكرنا إلى ذبيحة السلامة التي كانت تقدم وفاءً لنذر. وفي ذبيحة السلامة كان مقدمها يدعو أصحابه ليشاركوه الشبع بتلك الذبيحة (١٩،١٦:٧٧). هكذا المسيح هنا يدعو ودعاء الأرض للأكل والشبع معه أمام الرب. وهم لن يشبعوا فقط، بل سيسبحون أيضاً. والأكل هنا لن يسبب نشاطاً وقوة للأبدان فحسب، بل حياة وبهجة للقلوب أيضاً.

«تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدامك كل قبائل الأمم. لأن للرب الملك، وهو المتسلط على الأمم. أكل وسجد كل سميني الأرض. قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب ومن لم يحيي نفسه» (٢٩،٢٨،٢٧ع).

هذه هي النتائج المسكونية العظمى لعمل المسيح وموته على الصليب. إنها ستشمل كل الأرض، وكل قبائل الأمم. ثم إنه يقول هنا: «تذكر، وترجع... وتسجد». وما أجمل هذا: فهو ليس سجود الرعب والقسر، بل هو سجود مبني على التوبة والرجوع.

«الذرية تتعبد له. يخبر عن الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل» (٣١،٣٠ع)

وبهذه الأقوال العظيمة يُختم المزمور، فهو إن كان قد بدأ بصرخة فردية (٢،١ع) لكنه يُختم بسجود جماعي، وإن كان قد بدأ بالحديث عما فعله الرب مع الأجيال الماضية (٥،٤ع)، فإنه يختم بما سوف يُعمل في الجيل الآتي.

«أنه قد فعل»

عندما تُرجمت هذه العبارة في الترجمة السبعينية، تُرجمت بذات الكلمة التي وردت في يوحنا ٣٠: ١٩ «تتلسّتي» (Tetelestai) وتعني «قد أكمل» وهي تلك العبارة التي

نطق بها المسيح* قبل أن يسلم روحه. فقد أكمل العمل تماماً.

يقول العارفون إن هذه العبارة على عهد المسيح كان يقولها العامل والتاجر والقائد والفنان. فعندما يُنهي العبد عمله كان يخبر سيده بأنه أنجز المأمورية التي كلفه بها، مستخدماً هذه الكلمة عينها "تتلتساي". وكذلك كان يقولها التاجر عندما يسدد الحساب الذي يلزمه سداده. كما كان يقولها القائد العسكري عندما يسير في موكب الانتصار. وأخيراً كان يقولها الفنان عندما ينتهي من عمله الفني ويضع لمساته الأخيرة. **والمسيح كان هو العبد الكامل الذي مسرة الرب بيده نجحت (إش ٥٣: ١٠)، وهو التاجر الذي سدّ كل ديون مفدييه، كما كان هو القائد الذي هزم الشيطان وسحق رأس الحية، وكان هو الفنان الذي أبدع عمل الخلاص العظيم. ولذلك فليس عجباً أن يقول وهو فوق الصليب: «قد أكمل».**

ونلاحظ أن المسيح عندما كان على الصليب، قال: «قد أكمل» مبني للمجهول وفي آخر هذا المزمور، هم سوف يخبرون بأنه «قد فعل» صيغة الغائب لكننا عندما نصل إلى الأبدية سنقول نحن له «مستحق أنت.. لأنك ذُبحت» صيغة المخاطب

التطبيق النبوي

عيد الفصح، والخمسين، والمظال في المزمور

كانت هذه هي الأعياد الرئيسية الثلاثة التي كان يصعد فيها جميع الذكور إلى أورشليم ليعيدوا للرب (تث ١٦: ١٦). وهذه الأعياد هي العيد الأول والرابع والسابع في مواسم الرب السبعة التي كان يحفظها الشعب القديم.

يبدأ هذا المزمور بما يتوافق مع عيد الفصح (١٤-٣) حيث نسمع تأوهات الحمل المشوي بنيران العدالة الإلهية. وفي منتصفه نقرأ ما يتجاوب مع عيد الخمسين (٢٢ع-٢٤) حيث التقدمة الجديدة، والتي لها نفس نوع حياة ربنا يسوع المسيح «لأن المُقدَّس والمُقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة، قائلاً: أخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبِّحك» (عب ٢: ١١، ١٢). وفي آخر المزمور نقرأ ما يتمشى مع عيد المظال (٢٧ع-٢٩) حيث ستمتلى الأرض من معرفة مجد الرب كما

* الكلمة السادسة من فوق الصليب. انظر كتاب "الصليب وكلمات المصلوب"، للمؤلف.

تغطي المياه البحر، عندما يملك الرب، ويسعد الإنسان، وتعم الفرحة كل الخليقة.

والقسم الثاني من هذا المزمور يقدم لنا نبوءات مستقبلية عن أمجاد المسيح. ويؤسفنا أن يلجأ البعض إلى روحنة معاني النبوة الناصعة. ونحن نتساءل: كيف يمكن تفسير نصف المزمور تفسيراً حرفياً ونصفه الآخر يفسّر روحياً؟! ولماذا تمت كلمات نصف المزمور الأول في دقة عجيبة، ثم عندما نصل إلى نصف المزمور الآخر الذي يتحدث عن إكرام المسيح ومجده، فإننا نرفض التفسير الحرفي؟!.

كلا يا أخي. إنه كما تمت الآلام التي للمسيح حرفياً، لا بُد أن تتم الأمجاد التي بعدها (ابطا: ١١).

في القسم الثاني من المزمور (٢٢-٣١)، بعد الإشارة إلى قيامة المسيح من الأموات، فإن الصورة تنتقل في الأعداد التالية إلى إكرام المسيح في مجيئه الثاني على الأرض. وأما فترة الكنيسة فلا نجد ذكراً لها إذ أن الكنيسة كانت سراً مكتوماً في الله منذ الدهور (أف: ٣: ٣-١٠). ولا ترد أية إشارة إلى فترة الكنيسة في نبوءات العهد القديم.

ونحن نجد في هذه الأعداد ثلاث دوائر لبركات القيامة تزداد في الاتساع الواحدة عن الأخرى. فاولاً: بعد القيامة مباشرة حضر المسيح إلى تلاميذه في العلية (يو: ٢٠: ١٩)، إتماماً للآية ٢٢ «أخبر باسمك اخوتي، في وسط الجماعة أسبحك»، وكانت هذه الجماعة الصغيرة نواة الكنيسة كما نفهم من عبرانيين ٢: ١٢. وبعدها في الآيات من ٢٣-٢٦ يذكر إسرائيل وبركاتهم، تلك البركات التي لا بُد أن تتم في وقته المحدد، بعد اختطاف الكنيسة. ثم أخيراً في ٢٧-٢٩ سوف تصل البركة حتماً إلى كل الأرض، حيث ترد في هذه الآيات كلمة "كل" ٤ مرات، وساعاتها ستتم الكلمات التي قالها المسيح في يوحنا ١٢: ٣٢ «وأننا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع».

ونلاحظ أن الرب عندما يقول: «من قبلك تسبيحي في الجماعة العظيمة» فإنه لا يتحدث عن الكنيسة مثل ٢٢ع، فالكنيسة يُقال عنها "قطيع صغير"، أما الجماعة العظيمة فهي شعوب المُخلصين في الملك الألفي.

عن هذا الملك تحدث الآيات الرائعة ٢٧-٢٩ التي فيها يرد القول «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم. لأن للرب الملك وهو المتسلط على الأمم. أكل وسجد كل سميني الأرض، قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب ومن لم يحيي نفسه» (٢٧-٢٩ع).

في هذه الآيات تتكرر كلمة "كل" أربع مرات، ورقم أربعة هو رقم الأرض بأطرافها الأربعة. نعم سيتمجد المسيح من كل أطراف الأرض. والمسيح سيملك حتماً، وسيستلظ على كل الأمم.

يا لها من تسبحة يا أخي ستسمع في كل الأرض من الجماعة العظيمة. عندما كل نسمة ستسبح الله. كانت صورة مصغرة لها عندما رنم بنو إسرائيل ترنيمتهم للرب بقيادة موسى وهم على شاطئ البحر الأحمر. وكان عددهم من ابن عشرين سنة فصاعداً نحو ٦٠٠ ألف رجل. لكن كم سيكون الوضع أعظم بما لا يقاس من هذا وذاك، عندما ترنم جماعة المفيين العظيمة في السماء، من هابيل وحتى آخر القديسين السماويين. عندما نسبح على القيثارات، ونحن جالسون على العروش حوله بانتصار، عندما نرنم لاسمه بفرح عظيم، ترنمة جديدة لشخصه الكريم.

ثم يختم المزمور بهذه العبارات الجميلة

«الذرية تتعبد له. يخبر عن الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل» (٣١، ٣٠ع).

على أساس برّ الله وأمانته من جهة وعوده للأبءاء، سيرحم الله البقية في المستقبل التي هي موضوع هذه الآيات. هؤلاء هم الجيل الآتي الوارد في ٣٠ع؛ إنه الجيل الذي سيقطع الرب معه العهد الجديد. أما الذرية فهم النسل الموعود بالبركة من هذا الشعب الأرضي، الذي هو «نسل باركه الرب» (إش ٦١: ٩). هؤلاء سيكون عملهم الأساسي وشغلهم الشاغل أن يدعوا باسم الرب.

سيخبرون «بأنه قد فعل». ساعتها ستتم النبوة «في الوقت يقال عن يعقوب وعن إسرائيل ما فعل الله» (عد ٢٣: ٢٣)، عندما يذللون نفوسهم، ويعلمون أن الكفارة عملها المسيح لأجلهم عندما كان معلقاً على الصليب، صارخاً «إلهي إلهي لماذا تركتني؟».

المسيح في المزمور:

آلام المسيح الجسدية والكفارية

لقد تألم ربنا يسوع على الصليب من مصدرين. الأول هو الله، والمصدر الثاني البشر والشيطان. ولقد ظل المسيح على الصليب ست ساعات: من الساعة التاسعة

صباحاً، حتى الثالثة بعد الظهر بحسب توقيتنا الحاضر. ولقد كان في الساعات الثلاث الأولى نور، بينما غطى الكون الظلام في الساعات الثلاث التالية. والفارق كبير بين آلام المسيح في هاتين الفترتين. فالمسيح تألم في الفترة الأولى من يد البشر، الذين كان يعرّكهم الشيطان، كشهيد. لكن ليست هذه الآلام هي التي خلّصتنا، بل إن الآلام التي خلّصتنا هي تلك التي احتملها المسيح من يد الله. ولقد كان ما احتمله المسيح من البشر ظلماً فاضحاً لأن المسيح لم يفعل شيئاً ليس في محله، بل لقد عمل كل شيء حسناً. لكن على الجانب الآخر، فإن ما احتمله المسيح من الآلام من الله الديان كان بالعدل. لقد تألم المسيح من الله من أجل الخطايا (ابط ٣: ١٨)، لا الخطايا التي فعلها هو، فهو القدوس الخالي من الخطية، بل الخطايا التي فعلناها نحن. أما الآلام التي احتملها من يد البشر فكانت بسبب البر.

وإذا أردنا أن نعقد مقارنة بين نوعي الآلام التي احتملها المسيح على الصليب، فإننا نقول إن المصدر مختلف (الناس، والله)، والنوع مختلف (آلام بالظلم، وآلام بالعدل)، والطابع مختلف (بسبب البر، وبسبب الخطية)، والتوقيت مختلف (ساعات النور، وساعات الظلمة)، والنتيجة مختلفة (القضاء، والبركة).

ودعنا نبرز هذه الاختلافات في الجدول التالي:

ساعات الظلمة	ساعات النور
المسيح يتألم من يد الله	المسيح يتألم من يد البشر
المسيح يتألم بالعدل	المسيح يتألم بالظلم
المسيح يتألم ككائن عا	المسيح يتألم كشهيد
المسيح مخلص وفادٍ	المسيح قدوة ومثال
المسيح يسحق رأس الحية	الحية تسحق عقب المسيح
النتيجة بركة عظيمة لكل المؤمنين	النتيجة قضاء رهيب على غير التائبين

من المهم أن ندرك هذه الحقيقة: أن الآلام التي خلّصتنا ليست هي حمل المسيح للصليب وخروجه به خارج المحلة، ولا شربه الخل والمرار، ولا دق المسامير في يديه ورجليه، ولا إكليل الشوك على رأسه. كلا! ليست آلامه من يد البشر هي التي خلّصتنا،

إنما الذي خَلَّصنا هو ما احتمله المسيح من آلام رهيبة في ساعات الظلمة الثلاث وهو متروك من الله. بدون كفارة لا خلاص، والله - وليس الإنسان - هو الذي قدَّم المسيح كفارة* (رو ٣: ٢٤، ٢٥)، وهو الذي «جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو ٥: ٢١)، وأيضاً «الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد» (رو ٨: ٣). إن الآلام القاسية التي من يد الإنسان كانت هي المدخل الذي دخل منه الرب إلى تتور الآلام الأقسى، أعني بها الآلام من يد الله.

شرح المزمور

أولاً: القسم الأول (الآلام التي للمسيح)

«إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (ع ١).

يلفت النظر أن العبارة الرابعة التي نطق بها سيدنا من فوق الصليب - بخلاف باقي عباراته السبع - سُجِّلَت بذات النطق الذي خرج من فم المسيح، أي باللغة الأرامية، ثم بعد ذلك ذكر لنا البشيران، متي ومرقس، معناها باليوناني ومنها تُرجمت إلى لغات العالم. وكان الروح القدس أراد أن تُعَدَّ الأجيال والأبدية تلك الصرخة بذات الألفاظ التي خرجت من فم البار المتألم، والتي نطق بها من عمق أعماق الألم.

اختبار فريد:

نحن نعلم أن الله لا يتخلَّى عن البار، ولا يحوِّل عنه عينيه (أي ٣٦: ٧)، والمسيح وهو البار الفريد القدوس الذي هو من الأزل وإلى الأبد في حضن الآب، صاحب الشركة غير المنقطعة مع أبيه مطلقاً. نسمعه هنا يصرخ إلى الله، لأنه تركه، قائلاً: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟». وليس عسيراً أن ندرك السبب لذلك، فلقد كان في تلك اللحظات الرهيبة باعتباره الإنسان، يمثل الإنسان الخاطئ أمام الله[†] القدوس العادل الديان.

ما الذي حدث في تلك الساعات الرهيبة؟ لا أحد يستطيع أن يعرف، ولا حتى في الأبدية

* لمزيد من الضوء على موضوع الكفارة انظر كتاب "الكفارة في المفهوم المسيحي"، وكتاب "المسيح المتألم"، للمؤلف.

[†] لهذا فإن المسيح لم يقل في صرخته هذه "يا أبنا" كما قال في عبارته الأولى من فوق الصليب، وكذلك عبارته الأخيرة، بل قال «إلهي، إلهي». انظر كتاب "الصليب وكلمات المصلوب"، للمؤلف.

سنعرف. لا يوجد سوى الله والرب يسوع المسيح هما اللذان يعرفان حدود الكلفة الرهيبة العظيمة التي تكلفها المسيح على الصليب، والتي يعبر عنها بهذه الكلمات. فحن في ساعات الظلمة التي ترك فيها المسيح من الله لا نسمع سوى الصمت، ولا نرى سوى الظلام، فماذا بوسعنا أن ندرك؟ نعم من فينا يقدر أن يسبر غور ما تم بين الله وبين نفس المسيح المثقلة العانية، في غرفة العدل الرهيب، تلك الغرفة المبطنة بالأسرار، والمحجوبة عن الأنظار، والتي لم يسمع خارجها سوى تلك الصرخة المحملة بالمعاني «إلهي، إلهي لماذا تركتني؟».

ويتكرر تعبير البُعد ثلاث مرات:

وفي ع ١ «بعيداً عن خلاصي»،

وفي ع ١١ «لا تتباعد عني»،

وفي ع ١٩ «أما أنت يا رب فلا تبعد».

ثلاث مرات يشكو من البعد.. إنه غير قادر على بُعد إلهه عنه ثلاث ساعات. فقد كانت بالنسبة له كأنها دهر ممتد. تُرى ماذا سيفعل الخطاة في أبدية لا تنتهي.. إلى أبد الأبدين سيكونون بعيدين عن مركز البركة والنور والسلام والمحبة؟!

الأسد الجريم:

يقول المسيح «بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري» (ع ١). وكلمة «زفيري» كما وردت في العديد من الترجمات تعني «زئيري Roaring». ها أسد سبط يهوذا جريح، يزار متألماً من شيء فوق طاقة احتماله. ومن المهم أن ندرك أن لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته وهو على الصليب. واللاهوت جعل المسيح يحتمل الألم، وناسوته جعله يحس بتلك الآلام التي نعجز عن وصفها.

«إلهي، في النمار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدؤ لي» (ع ٢).

لقد صلي الرب في النور، كما صلي في الظلام ولم تكن له استجابة! ومع ذلك استمر المسيح صارخاً ومصلباً إلى أن أكمل العمل، وحينئذ استجاب له الله من أجل تقواه.

«وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل» (ع ٣).

يعطي المسيح الإجابة عن سؤاله لماذا تركه الله، وهي أن الرب هو القدوس. ومن المهم أن نلاحظ أن المسيح كما برّر الله في كل حياته، فقد برّره أيضاً عند الصليب، كما

نفهم من هذه الآية. لكن العجيب والمذيب في نفس الوقت أن الله لم يبرر الرب يسوع عند الصليب، عندما تطاول الأشرار عليه. والسبب لذلك أن الله في ذلك الوقت الرهيب ما كان ليبرره بل لجعله خطية، وذلك كي ما يمكنه بالبر أن يبرر الأئمة والفجار نظيرنا. وما كان الله ليعينه بل ليدينه وذلك لكيما يمكنه عدلاً أن يعفو عنا.

النزول المزدوج:

هل ندرك إلى أي درجة اتضع حبيبنا؟! اسمعه في هذا المزمور يقول تلك الكلمات العجيبة: «أما أنا فدودة لا إنسان» (٦ع). وهي مسافة لا تقاس، تلك المسافة التي بين قول الرب قديماً لموسى في خروج ٣: ١٤ «أهية»، وهي بعينها العبارة التي قالها للذين أتوا ليقبضوا عليه في البستان "أنا هو" (يو ٨: ٥)، وقوله بعد ساعات معدودة في الجلجثة «أنا دودة»!

وليمكننا فهم تلك المسافة بصورة أفضل، دعنا نقسمها إلى نزولين لا نزول واحد. وما أعظمهما من نزولين نزلهما المسيح من أجلي ومن أجلك! النزول الأول من السماء إلى الأرض، من حضن الآب إلى مذود بيت لحم. حيث وُضع قليلاً عن الملائكة.

ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة وُضع أيضاً قليلاً عن البشر، فقال: «أما أنا فدودة لا إنسان»، وذلك عندما مضى إلى الجلجثة، وعُلّق فوق الصليب.

وعن هذا النزول المزدوج والتواضع المُثنى يقول الرسول بولس: «نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» (أف ٤: ٩) وهذا معناه الموت*. فالسيح لم يتجسد فقط بل أيضاً مات، ليس فقط ضمه مذود بل ضمه أيضاً قبر. ليس فقط لفوه بالأقمطة، بل أيضاً لفوه بالأكفان. ومحبي الرميم الذي له وحده عدم الموت، سيق للصليب والحد!!

«أنا دودة لا إنسان» (٦ع).

مَنْ الذي يقول هذا؟ إنه القدير مبدع الأكوان. تأملي يا نفسي في هذا اللغز العجيب واخشعي، وقولي مع إشعياء: «من صدّق خبرنا؟ ولمن استعلن ذراع الرب» (إش ٥٣: ١)!

* نرى هذا النزول المزدوج في آيات أخرى عديدة مثل في ٢: ٨، ٧؛ عب ٢: ١٤... فهو بالتجسد لبس بشرتنا، ثم عند الصليب لبس خطايانا!!

وكلمة دودة هي بالعبري «تولع» وهو اسم أحد قضاة إسرائيل (قض ١٠:١) ويعتبر رمزاً لقاضي إسرائيل الحقيقي، لكنه المرفوض (مي ٥:١). ويُستخدم هذا الاسم للتعبير عن ديدان صغيرة حمراء اللون، تجمع بهز الشجر الذي توجد فيه، وعندما تسحق تلك الديدان تتخضب تماماً بالدم القاني، مما يذكرنا برجل الأحرار الذي لأجلنا كان دامي الرأس والظهر واليدين والرجلين والجنب، وذلك من آثار الشوك والسياط والمسامير والحربة. أما سحق تلك الديدان فكان يعطي أفخر الصبغات الحمراء الزاهية، والتي يشار إليها في نبوة إشعياء باسم «الدودي» أو «القرمز» (إش ١:١٨). ومن هذه الصبغة المكلفة والغالية كانت تصنع ثياب الملوك والنبلاء. وهكذا سُحق المسيح لأجلنا لكي يكسونا قرمزاً بالتتبع!

«عار عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يرونني يستهزئون بي» (٧ع).

مَن يصدّق هذا؟ الأغنياء والفقراء، عليّة القوم والأدنياء، اليهود والأمم، الواقفون والعاثرون، كل من يرى المسيح الله يستهزئ به!

«يفخرون الشفاء وينغضون الرأس» (٧ع).

أي يُظهرون حركات استنكار وتهكم، «قائلين: اتكل على الرب فلينجّه، لينقذه لأنه سرّ به» (٨ع). يا لقساوتكم أيها الرومان! يا لبغيتكم أيها اليهود! أما كفاكم قتله مصلوباً، حتّى تضيفوا إلى جريمتكم الكبرى جريمة أخرى هي الاستهزاء به؟! بل، ويا للعجب، فحتّى اللسان اللذان صُلّيًا معه كانا يعيرانه!

القصة من البداية:

ولنتحول الآن إلى القصة العجيبة بدءاً من بيت لحم والناصرّة كما يرويها المسيح هنا بروح النبوة:

«لأنك أنت جذبتني من البطن. جعلتني مطمئناً على شديدي أمي. عليك ألقيت من الرحم. من بطن أمي أنت إلهي» (١٠،٩ع).

ربما لم يكن للمطوبة العذراء مريم، نظراً لفقرها الشديد وتغربها في بيت لحم بعيداً عن مدينتها الناصرة، نقول ربما لم يكن لها قابلة تساعد في الولادة، لكن ها المسيح يقول لله «لأنك أنت جذبتني من البطن.. عليك ألقيت من الرحم».

والمسيح وهو يذكر هذا هنا، يتذكره وهو في ساعات الألم، كأنه يقول لإلهه: في البداية لم يكن لي سواك، وإلى النهاية ليس لي إلّاك. فلماذا تركتني؟

وما أعجب ما قاله المسيح بعد ذلك! فبعد أن قال «لأنك أنت جذبتني من البطن» يضيف قائلاً: «جعلتني مطمئناً على ثديي أمي». ولعل الصبي الصغير يسوع أحس بشعور الفزع الذي انتاب كل من يوسف النجار والمطوبة مريم عند هروبهما به إلى مصر. أما هو فكان له في أثناء ذلك شعور مختلف، فيقول هنا «جعلتني مطمئناً على ثديي أمي!» وكما أشرنا في تأملنا في المزمور السادس، عثر أن طابع الطمأنينة المثلثة قد ميز كل حياة المسيح على الأرض كالمكتل الأعظم من بداية الرحلة إلى نهايتها، كما ورد في المزمور الرابع، والسادس عشر، والثاني والعشرين.

في البداية (كما نقرأ هنا)، كان مطمئناً على ثديي أمه، ثم على طول الرحلة، أمام تقلبات الحياة وظروفها الصعبة، كما نقرأ في مزمور ٨:٤، نجد نوم الطمأنينة في وسط الخوف العظيم، وأخيراً في المزمور السادس عشر نجده أمام مشهد الموت يمضي بثقة بل وبفرح، وحتى جسده كان سيسكن مطمئناً.

وعندما يقول المسيح: «من بطن أمي أنت إلهي» فواضح أنه يشير إلى ناسوته. فإنه في نفس الوقت، من بطن أمه هو الرب، كما أشارت إلى ذلك أليصابات (قارن لوقا ١:٤٣).

تفصيلات الألم:

ثم يلجأ المسيح في الأقوال التالية إلى التفصيل:

ففي الأعداد من ع ١٢-١٥ يشير إلى شعبه اليهود، ومن ع ١٦-٢٠ يشير إلى الأمم. ثم في ع ٢١ يشير إلى زعيمهم، الذي يعمل فيهم ومن خلفهم جميعاً، أعني به الشيطان. يقول المسيح وصفاً لآلامه التي تحملها:

«أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفوني. فغروا عليّ أفواههم كأسد

مفترس مزمر» (١٢ع، ١٣).

تشتهر منطقة باشان بخصوبة مراعيها، والبقرات بها سمينة وتنطح. وثيران باشان صورة لقادة الأمة اليهودية كما نفهم من أقوال عاموس النبي (ع ٤: ١). وهم في هذا صورة للقوة الجامحة، والكبرياء المتمردة! لقد أحاطوا* هؤلاء الأردباء بالمسيح، لا سيما

* يقال إن الثيران عندما تشاهد أي جسم غريب فإنها تحيط به في دائرة، ثم تهجم عليه مع أول إثارة، وتعمل فيه نطحاً وتتكيداً.

عند المحاكمة طالبين صلبه، مفضلين عليه رجلاً قاتلاً. لقد «فغروا (عليه) أنفواهم كأسد مفترس مزجر».

سيحدث المسيح بعد ذلك عن الجند الرومان قائلاً: «أما طرب بي كلاب»، وهناك فارق بين الكلاب* والأسد، فالكلاب تمزق بأنيابها، أما الأسد فإنه يفترس. فقد يلذ للجنود الرومان قساة القلب أن يجلدوا الرب يسوع، أما قادة الأمة اليهود فلم يكن يكفيهم أقل من قتله. وهؤلاء الذين كانوا كالنعامة الجبانة أمام بطش الرومان، استأسدوا على حمل الله الوديع! ثم يقول المسيح «كالماء انسكبت. انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي» (١٤٤).

وعندما يقول المسيح «كالماء انسكبت» فهذه صورة لمنتهى الضعف؛ لأنه هل توجد صعوبة في سكب الماء؟ إن أضعف شخص بوسعه أن يفعل ذلك. والماء المهرق ليس فقط صورة للضعف بل أيضاً لاستحالة جمعه من جديد (٢صم ١٤: ١٤). هكذا يصف سيدنا حاله وهو يموت على صليب العار.

ثم يستطرد المسيح فيقول «انفصلت كل عظامي». ما أشد الآلام التي نحس بها عندما تتخلع عظمة واحدة من مكانها. لكن المسيح لم تكن هناك عظمة واحدة في مكانها، وذلك من عملية الصلب القاسية.

«صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي» (١٤٤).

أسد سبط يهوذا ذاب قلبه عندما واجه دينونة الله في ذلك اليوم العصيب. فماذا سيفعل الخاطئ عندما يواجه الله في يوم حمو غضبه (نا ٧: ١٧)؟ «لأنه قد جاء يوم غضبة العظيم، ومن يستطيع الوقوف؟» (رؤ ١٥: ١٧).

يتحدث المرنم عن يوم ظهور الرب فيقول: «ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب، قدام سيد الأرض كلها» (مز ٩٧: ٥). وليس فقط الجبال ستذوب في ذلك اليوم، بل تفكر في مصير الخطاة الآثمين الذين رفضوا محبته، والإيمان بصليبه. يقول الكتاب: «لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم، وعيونهم تذوب في أوقابها، ولسانهم يذوب في فمهم» (زك ١٤: ١٢). أما في يوم الصلب العصيب فقد ذاب قلب المسيح في داخله.

* تعبير الكلاب هو تعبير يهودي شائع عن الأمم (ارجع إلى مت ٢٦: ١٥).

يوصل المسيح وصف آلامه فيقول: «يبست مثل شققة قوتي، ولصق لساني بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني» (ع ١٥).

مرة أخرى تعجّبي يا نفسي واخشي. فذاك الذي ثعلن السماوات والأرض قدرته السرمدية ولاهوته، كان في بستان جسيماني مسكيناً معي، يصلي إلى إلهه، وظهر له ملاك من السماء ليقيوه! وأما في الجلجثة فإن المنجّر عيوناً في الأودية قد صار حنكه يابساً من هول ما احتمل من سعي رهيب! ثم أخيراً محيي المريم يوضع إلى تراب الموت!

«لأنّ قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديّ ورجليّ» (ع ١٦).

سبق في ع ١٢ أن قال «أحاطت بي ثيران» هذه تمثل قادة الأمة الإسرائيلية، أما في ع ١٦ فيقول «أحاطت بي كلاب»، وهؤلاء يمثلون الأمم (ارجع إلى متى ١٥: ٢٦). من أجل ذلك يقول بعدها مباشرة: «ثقبوا يديّ ورجليّ». والذين فعلوا ذلك هم الجنود الرومان.

ولقد كان الصيادون يستخدمون الكلاب المدربة لتحيط بالفريسة التي يريدون الإيقاع بها. هذا ما فعله صياد البشر الأكبر (الشيطان) عند الصليب مع الأليّة الطاهرة الوديعه، إذ استخدم الأشرار والقتلة نظيره. وإذا كانت الكلاب المدربة تمزق فرائسها بأنيابها، فإن هؤلاء مزقوا المسيح بسياطهم وشوكهم ومساميرهم.

«ثقبوا يديّ ورجليّ».

ما أقسى عملية الصلب! فإن تتقبّ اليدان والرجلان، هذه المناطق الممتلئة بالأعصاب الحساسة، التي عندما تهيج ينتج عنها آلام تفوق الوصف، يُعبّر عنها - لا إرادياً - بتحريك كل عضلات الوجه، ناطقة بقسوة الألم، وقد جاوز الحد.

هاتان اليدان اللتان لم تكلا مطلقاً من فعل الخير العميم، وشفاء جراح المتعبين، والرجلان اللتان حملته عبر طرق العالم المترية المتعبة وصولاً لكل بائس محتاج. ماذا فعل بها البشر؟ سموها فوق صليب من خشب!

آه ما أقسى أيادي صنعت هذا العجب!

«أحصي كل عظامي، وهم ينظرون ويتفرسون فيّ» (ع ١٧).

والعبارة الأولى تدل على مقدار نحافته، فهو بالعبارة الدارجة كان "جلداً على عظم"

ذاك الذي غير بيت الله أكلته والتهمته التهاماً. أما العبارة الثانية فيعبرُ المسيح فيها عن آلام نفسه الحساسة عندما أطل الأشرار نظراتهم الوقحة لجسده العاري فوق الصليب.

والنظرات إلى الصليب والمصلوب أنواع كثيرة في الكتاب، فهناك النظرة المحيية (عد ٢١: ٨؛ يو ٣: ١٤، ١٥)؛ المخلّصة (إش ٤٥: ٢٢)؛ المباركة (مز ٤١: ١). لكن هذه النظرة المذكورة هنا نظرة مُهلكة، ستجلب على أصحابها أشد الويلات. وإن كان الرب أهلك الآلاف من أهل بيت شمس لأنهم تجاسروا ونظروا إلى التابوت، فماذا سيفعل بالذين علّقوا المسيح على الصليب، وأخذوا ينظرون ويتفكرون فيه؟!

ثم يقول المسيح: «**يقسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يقتربون**» (١٨ع).

ولقد أشير إلى هذا العمل في كل البشائر (مت ٢٧: ٣٥؛ مر ١٥: ٢٤؛ لو ٢٣: ٣٤؛ يو ١٩: ٢٤). لقد قدر هؤلاء العسكر اللباس، ولم يقدروا صاحبه. عرفوا قيمة الثوب غير المخطط، المنسوج من فوق إلى أسفل، ولم يعرفوا ما كان يصنعه المصلوب، إذ كان ينسج للإنسان العاري ثوب بر إلهي بغير خياطة بشرية.

«أما أنت يا رب، فلا تبعد. يا قوتي أسرِعْ إلى نصرتي. أنقذ من السيف نفسي، من يد الكلب

وحيدتي. خلّصني من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش استجب لي» (١٩ع-٢١).

ولقد سبق أن أشرنا إلى أن القسم الأول من المزمور (١ع-٢١) يصوّر لنا آلام المسيح الثلاثية المصدر: من الله والإنسان والشيطان. وها المسيح في ختام زفرات الألم يلخص تلك الآلام طالباً من الرب إلهه أن ينقذه من ثلاثة أمور:

«**أنقذ من السيف نفسي**» إنه سيف العدل الإلهي، سيف لهيب النار الذي نقرأ عنه في

تكوين ٣: ٢٤؛ وزكريا ١٣: ٧.

«**من يد الكلب وحيدتي**» هنا نرى شراسة الإنسان، لا سيما الأمم وعلى رأسهم

ببلاطس البنطي.

«**خلّصني من فم الأسد**» بضّش الشيطان، الذي هو كأسد زائر (١بط ٥: ٨).

من هذه الثلاثية القاسية طلب المسيح من إلهه الإنقاذ: أن يُنقذ من عدالة الله، وقساوة الإنسان، وبطش الشيطان. وسنرى في الأعداد القادمة كيف سُمع له من أجل تقواه (عب ٥: ٧).

القسم الثاني: الأجداد التي بعد الآلام

القيامة وبنائهما

لم يكن ممكناً أن تنتهي قصة الحب العجيب عند الصليب، وإلا لكان الشر انتصر النصر النهائية، وكنا نحن أتعس مخلوقات الله. لكن واحداً من أروع فصول الرواية جاء عقب الصلب والدفن، أعني به القيامة. لقد قام المسيح في الصبح المنير!

والقيامة ليست مجرد حادثة تاريخية، ولا حتى حتمية لاهوتية، بل هي حقيقة تعليمية لها أبعادها الروحية. إنها تعني أن الذبيحة قبلت، والكفارة تمت، ومشكلة الخطية سُوِّيت، وأنا تبررنا.

يقول المسيح باعتباره المقام من الأموات:

«أخبر باسمك أخوتي. في وسط الجماعة أسبحك» (٢٢ع).

المسيح بتجسده أعلن لنا الآب (يو ١: ١٨)، لقد عرفنا باسمه (يو ١٧: ٢٦، ٢٧) وأعلنه لكل من أراد هو أن يعلنه له (مت ١١: ٢٧). لقد أعلنه في حياته الفريدة (يو ٩: ١١-١٤)، لكن عندما علّق فوق الصليب، أمكننا أن نعرف جوانب في الآب ما كان يمكن لنا أن نعرفها بدون الصليب والموت.

وهو الآن باعتباره المقام من الأموات، وإمام المغنين الحقيقي، يقود تسبيحات مديديه، الله، لا سيما عندما نجتمع في الكنيسة، ويحضر هو بشخصه الكريم في الوسط (مت ١٨: ٢٠).

إن ذاك الذي في يوم اتضاعه، كل الذين رأوه استهزؤوا به، لا بُد أن تسجد له كل قبائل الأمم، وهو ما يحدثنا العهد الجديد عنه صراحةً عندما يقول: «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في ٩: ١١-١٢).

عمل المسيح الكفاري:

هذا العمل العظيم الذي أتمه الرب فوق الصليب، والذي أتت عنه آخر كلمات هذا المزمور «أنه قد فعل»، أو «قد أكمل»، هو:

أولاً: عمل كامل

فطالما هو عمل الله، فحتماً يكون عملاً كاملاً. يقول موسى عن الله: «هو الصخر

الكامل صنيعة» (تث ٣٢: ٤).

ثانياً: عمل أبدي

قال الحكيم «قد عرفت أن كل ما يعملهُ الله أنه يكون إلى الأبد. لا شيء يُزاد عليه، ولا شيء يُنقص منه» (جا ٣: ١٤). فعمل المسيح إذاً يثبت إلى الأبد، وأثاره أيضاً تبقى إلى الأبد (عب ١٠: ١٢-١٤).

ثالثاً: عمل حكيم

يقول المرنم في المزمور «ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت» (مز ١٠٤: ٢٤). ونحن إن كنا نري جانباً رائعاً من حكمة الله في الخليقة، فإن الصليب يُظهر تلك الحكمة بصورة أعظم. حيث أمكن التوفيق بين عدل الله ورحمته! بين قداسته وخلصه للخطاة!!

رابعاً: عمل بار

ففي الصليب أمكن لله أن يكون باراً، ويبرر من هو من الإيمان (رو ٣: ٢٦). ذلك لأن الله «جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو ٥: ٢١). وهنا يقول داود: «يخبرون ببره... بأنه قد فعل».

خامساً: عمل مؤثر

وهذا واضح من الآية التي وردت في سفر الجامعة ٣: ١٤، والتي سبق ذكرها؛ إذ يقول سليمان الحكيم «قد عرفت أن كل ما يعملهُ الله أنه يكون إلى الأبد. لا شيء يُزاد عليه، ولا شيء يُنقص منه، وأن الله عمله حتى يخافوا أمامه (أي لكي يتقوه)» فنتيجة هذا العمل هي التقوى. ولقد ظهرت آثار هذا العمل في اللص التائب الذي انتهر زميله موبخاً قائلاً له: «أولاً أنت تخاف الله؟!» (لو ٢٣: ٤٠).

سادساً: عمل ممدوح

يقول المرنم: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت» (مز ٩٢: ٩). إنه عمل لن يُنسى مطلقاً. وإلى أبد الأبد سنظل نمدح هذا العمل «مستحق أنت... لأنك ذُبحت» (رو ٥: ٩).

سابعاً: عمل مُداع

يشهد له كل من استفاد به. فيقول: «يأتون ويُخبرون ببره شعباً سيولد بأنه قد فعل». فكل من تمتع بفداء المسيح وعمل الكفارة العظيم، عليه أن يخبر بطريقة عملية «كلماً

أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس، تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء»
(١كو ١١: ٢٦). كما عليه أيضاً أن يذهب حاملاً البشارة السارة للنفوس المتعبة تحت ثقل خطاياها. وما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخيرات! (رو ١٠: ١٥).

آيتان مسياويتان

صرخة وتسبيحة

سنكتفي بالإشارة إلى الآية الأولى في القسم الأول «إلهي إلهي لماذا تركتني؟»
(١٤)؛ والآية المسياوية الأولى في القسم الثاني «أخبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أسبحك» (٢٢ع).

«إلهي إلهي لماذا تركتني؟».

اقتُبست هذه الآية في العهد الجديد في كل من إنجيل متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٥: ٣٤ حيث نطق بها المسيح من فوق الصليب بعد ساعات الظلمة الثلاث.

والمسيح من فوق الصليب نطق بسبع عبارات: الثلاث الأولى منها قبل ساعات الظلمة، والأربعة الأخيرة بعد انتهاء ساعات الظلام. وهذه العبارات هي:

- ١- كلمات الغفران: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤، ٣٤).
- ٢- كلمات الترفق: «يا امرأة هوذا ابنك... هوذا أمك» (يو ١٩: ٢٧).
- ٣- كلمات التعزية: «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣).
- ٤- كلمات الهجر: «إيلي إيلي لما تركتني؟ (أي) إلهي إلهي لماذا تركتني؟»
(مت ٢٧: ٤٦؛ مر ١٥: ٣٤).
- ٥- كلمات الألم: «أنا عطشان» (يو ١٩: ٢٩).
- ٦- كلمات الانتصار: «قد أكمل» (يو ١٩: ٣٠).
- ٧- كلمات التسليم: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» (لو ٢٣: ٤٦).

وصرخة المسيح الرابعة، لها بين العبارات السبع وضعها الفريد لما يلي:

أولاً: هي بين العبارات السبع تشغل مكان الوسط: يسبقها ثلاث عبارات، ويليهها ثلاث عبارات.

ثانياً: هي العبارة الوحيدة من بين عبارات المسيح التي وردت في أكثر من إنجيل واحد.

ثالثاً: إنها اقتُبست بنصّها من أهم المزامير المسياوية.

رابعاً: إن كلا البشيرين متى ومرقس نقل إلينا العبارة باللغة الأرامية، وبذات الألفاظ التي خرجت من فم المتألم القدوس، قبل أن يكتبها معناها باليونانية.

ونلاحظ أن المسيح في هذا الصرخة، لم يوجّه صلاته إلى الآب، كما كان معتاداً أن يفعل في كل حياته، بل إن هذه الصرخة في ختام ساعات الظلام صدرها بالقول: «إلهي إلهي»، وذلك لأن المسيح في هذا الموقف كان ممثلاً للإنسان أمام الله ديان كل الأرض. نحن هنا، وفي هذا السؤال، نفهم شيئاً من معاني الكفارة.

كما نلاحظ أن المسيح أيضاً لم يوجه كلامه إلى الرب يهوه، بل إلى الله إيلوهيم. وذلك لسببين:

١- اسم يهوه هو اسم العلاقة الخاص بشعبه إسرائيل. والمسيح فوق الصليب لم يكن يتألم لأجل شعبه إسرائيل فحسب، بل لأجل كل العالم.

٢- لأن هذه الصرخة تصوّر لنا البُعد الذي وضعت فيه الخطية بني البشر، وليس علاقة القرب الخاص الذي يستفاد من اسم الرب يهوه.

* * *

«أفبر باسمك إخوتي، في وسط الجماعة أسبحك» (٢٢ع)

المسيح في الوسط

يذكر الوحي المقدس ١٢ مرة عن المسيح أنه في الوسط. وسواء فوق الصليب أو فوق العرش فهو دائماً في الوسط. ومن هذه المرات الاثني عشر نختار ثلاثة مشاهد يحلو لنا أن نتأمل فيها:

١- في الماضي: كان على الصليب بين المذنبين

«حيث صلبوه، وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا، ويسوع في الوسط» (يو ١٩: ١٨).

فوق الصليب وفي الوسط ما بين لصين رُبطُ
جسدُ الحبيبِ إلى الصليبِ وبالحديدِ قد انضبطُ
هزأ الجميعُ به وما أحدٌ له قد رقَّ قطُ

٢- في الحاضر: هو في وسط قديسيه

«لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).

بين الجماعة في الوسط شخصُ المسيح يسبَّحُ
والكلُ يهدي باسمه الحمْدَ العظيمَ ويمدحُ
إن كان بالدمعِ زرعُ فالآن ها هو يفرحُ

٣- في المستقبل القريب: هو في وسط عرش السماء ووسط المفديين

«ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ ٥: ٦).

في العرش أيضاً في الوسط سنرى الحبيب مكرماً
والجمعُ كلُّ الجمعِ يهتفُ حوله مترنماً
يا ربُّ بالحق لك نهدي السجودَ الأعظماً

المزمور الرابع والعشرون

ملك المجد

المزمور في كلمات

مزمور مسياوي يتحدث عن المسيح باعتباره ملك المجد، حيث لا يرد هذا التعبير في كل الكتاب إلا في هذا المزمور، ويرد فيه خمس مرات. وهو يتحدث نبوياً عن ظهور الرب بالمجد والقوة، ودخوله إلى مدينته في موكب مجيد.

الاقتباسات

اقتبست الآية الأولى من المزمور مرتين في الرسالة الأولى إلى كورنثوس «لأن للرب الأرض وملأها» (١كو ١٠: ٢٦، ٢٨).

الكاتب والمناسبة

كُتِبَ هذا المزمور داود النبي بمناسبة نقل التابوت - على عهده - من قرية يعاريم إلى مدينة أورشليم (٢صم ٦).

عنوان المزمور

«لداود مزمور»^{*}

^{*} انظر التعليق على عنوان المزمور الثامن ص ٣١.

وضع المزمور، وعلاقته ببقية المزامير:

هذا المزمور يتكلم عن أمجاد المسيح، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمزمورين السابقين له: المزمور الثاني والعشرين، والمزمور الثالث والعشرين. فهذا المزمور يكلمنا عن جبل الرب، الذي يمكن أن نسميه جبل المجد، بينما المزمور الثاني والعشرون يكلمنا عن جبل الجلجثة، وبينهما يأتي المزمور الثالث والعشرون ويحدثنا عن الوادي* بين هذين الجبلين (٤ع). وإن كنا نرى في المزمور الثاني والعشرين عمل الصليب، فإننا في ختلم المزمور عينه نرى نتائج هذا العمل بالنسبة لله، ثم في المزمور الثالث والعشرين نتائج هذا العمل بالنسبة للمؤمن، ثم في المزمور الرابع والعشرين نتأجه بالنسبة للخلقة.

أقسام المزمور

يمكن تقسيم هذا المزمور تقسيماً ثلاثياً، يتمشى مع أمجاد المسيح المتنوعة الواردة في هذا المزمور على النحو الآتي:

- ١- مجد المسيح الإلهي باعتباره الخالق (٢-١ع).
- ٢- مجد المسيح الأدبي باعتباره الإنسان الكامل (٥-٣ع).
- ٣- مجد المسيح الملكي باعتباره ملك المجد (١٠-٧ع).

وهي أمجاد ثلاثية: الأول هو المجد الأزلي، والثاني مجده في ملء الزمان عندما «وجد في الهيئة كإنسان»، والثالث مجده في المستقبل القريب عندما يملك على كل الأرض.

الدروس الأدبية والعملية

«لرب الأرض وملؤها، المسكونة، وكل الساكنين فيها» (١ع).

الرب يسوع هو مبدع الكون القدير (يو ١: ٣؛ كو ١: ١٦؛ عب ١: ٢)، ومن هذه الوجهة له الحق في أن يسود ويملك على خليقته باعتباره هو علة وجودها، إذ «الكل به وله قد خلق».

* انظر تعليقتنا على مزمور ٢٢ ص ٧١، ٧٠.

«لأنه على البحار أسَّسها» (٢ع).

والبحار في (٢ع) هي في مباينة مع الأرض في (١ع). فالرب أسَّس الأرض على البحار. وكلمة "الأرض" هنا ليس المقصود بها الكرة الأرضية كما في قول إشعياء النبي في إشعياء ٤٠: ٢٢، بل المقصود بها هنا «اليابسة»، كما ورد في تكوين ١: ٩ «ودعا الله اليابسة أرضاً». وفي هذا إشارة أو تلميح إلى أن البحر يحاول أن يغطي الأرض غير أن الرب لا يسمح له بذلك!

وهناك إشارات كثيرة في الكتاب تشير إلى محاولة البحر لأن يغرق الأرض، كما نقرأ في أيوب ٣٨: ٨-١١ «من حجز البحر بمصاريع حين اندفق فخرج من الرحم. إذ جعلت السحاب لباسه، والضباب قماطه، وجزمت عليه حدي، وأقمت له مغاليق ومصاريع، وقلت: إلى هنا تأتي ولا تتعدى، وهنا تتخَّم كبرياء لججك». وأيضاً «المؤسس الأرض على قواعدهما فلا تنزع إلى الدهر والأبد. كسوتها الغمر كثوب... وضعت لها تخماً لا تتعداه. لا ترجع لتغطي الأرض» (مز ١٠٤: ٥-٩). فالأرض قديماً، قبل أن يحددها الرب في تكوين ١، كانت مغمورة تحت المياه (تك ١: ٢) وهذا ما يوضحه الرسول بطرس «أن السماوات كانت منذ القديم، والأرض بكلمة الله قائمة من الماء، وبالماء (أي محاطة بالماء)» (٢بط ٣: ٥).

ومن الناحية الأدبية، فإن البحار والأنهار في (٢ع) هي صورة للاضطرابات الكثيرة والمقاومات المتنوعة، من قوى الشر (انظر مز ٣٢: ٦؛ إش ٥٩: ١٩؛ دا ٩١: ٢٦)، لكن رغم كل ذلك، فمن حق المؤمن ألا يخشى شراً، لأن الرب في الغلا أقدر (مز ٩٣: ٣).

«مَن يصعد إلى جبل الرب؟ ومَن يقوم في موضع قدسه؟» (٣ع).

يبدأ القسم الثاني من المزمور بسؤال عمّن يمكنه أن يقترب إلى الله؟ فهل وُجد الجواب عن هذا السؤال تحت الناموس؟ كلا! فالناموس لا يسمح لأحد بالاقتراب (خر ١٩: ٢٤)، وموسى نفسه قال: «أنا مرتعب ومرتعد» (عب ١٢: ٢١)، بل إنه حُرِّم من دخول أرض الموعد لغلطته. لكن تحت نعمة العهد الجديد، يُوجد الجواب على هذا السؤال الأكثر أهمية (عب ٧: ١٨، ١٩).

«مَن يصعد إلى جبل الرب؟ (والجبل إشارة إلى الملكوت) ومَن يقوم في موضع قدسه؟ (والقدس إشارة إلى الكهنوت)». والوحيد الذي جمع بين الملكوت والكهنوت في العصور الغابرة هو

ملكي صادق (تك ١٤: ١٨؛ عب ٧: ١-٣). أما بين بني إسرائيل فكان هذا مستحيلاً تماماً، لأن الملك كان من سبط يهوذا، والكهنوت من سبط لاوي. ومع ذلك فقد جمع الرب يسوع الملوك والكهنوت، وذلك لأن الرب قد أقسم له ولن يندم أنه «كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز ١١٠: ٤). وليس ذلك فقط بل لقد جعلنا نحن ملوكاً وكهنة لله أبيه (رؤ ١: ٦). مع هذا الفارق: أنه بالنسبة له، كان ذلك باستحقاقه الشخصي ونظراً لكماله، وأما بالنسبة لنا فمن مطلق النعمة وحدها، بناء على عمل المسيح على الصليب.

والسؤال الوارد في ع ٣، يذكرنا بسؤال رؤيا ٥: ٢ «مَنْ هو مستحق أن يفتح السِّفْرَ ويفكِّ ختمه؟». لقد أضاع آدم حقه، فمن يعيد الحق الضائع؟ من يصعد إلى الجبل لكي يملك؟ ونلاحظ أن الله عنده ملك هو ملكه، كما عنده مدينة، هي مدينة الله التي قيل بها أمجاد (مز ٨٧: ٣). وفي الوقت المعين سيملك المسيح على جبل صهيون، كما أشار الوحي في المزمور الثاني (مز ٢: ٦).

ولقد لخص الوحي الإجابة على سؤال ع ٣، بإجابة رباعية كالآتي:

١- الطاهر اليدين: كناية عن طهارة العمل.

٢- النقي القلب: صورة للنقاوة الداخلية.

وفي هذين الأمرين نجد الظاهر والباطن، أو بالحري الأعمال المرئية (يع ٢: ١٤-١٨)، وحالة الشخص الخفية (مز ١٧: ٣).

٣- لم يحمل نفسه إلى الباطل: وهو تعبير عن الخلاء والعُجب. وهو ما عبر عنه داود جيداً في مزمور ١٣١: ١. ولقد تميز داود فعلاً بالتواضع وإنكار الذات من بداية حياته (انظر ١ صم ١٧)، فبعد قتله لجبار الفلسطينيين جليات، الذي لم يستطع أحد من الشعب ولا رئيس الجيش أو الملك أن ينازله، فإنه على سؤال أنبierer: «ابن من أنت يا غلام؟» أجاب إجابة ممثلة بروح التواضع: «ابن عبدك يسى البيتلحمي»!

٤- ولا حلفَ كذباً: صورة لاستقامة الكلام.

وأين اجتمعت هذه الصفات معاً إلا في شخص المسيح له المجد. لكن كم نعظم نعمة الله التي جعلت لنا نحن ذات حياة المسيح الرائعة، بل صار هو حياتنا!

«يحمل بركة من عند الرب، وبراً من إله خلاصه» (ع ٥).

فبعد أن أشار في (٤ع) إلى القداسة التي يجب أن تميز محضر الله، فإنه هنا يتحدث عن البركة الناتجة (قارن مع مزمور ١٣٢؛ ١٣٣). والمسيح وحده هو الذي حمل بركة من عند الرب، بل وأدخل عنصر البركة إلى المشهد من جديد، لقد ورث محبيه رزقاً وملاً خزائهم (أم ٨: ٢١)، ولهذا فإنه وحده المستحق أن يأخذ البركة (رؤ ٥: ١٢ مع ١٧: ١٢).

«هذا هو الجيل الطالب، الملتصقون وجمعياء يعقوب» (٦ع).

نلاحظ أن الأعداد من ٣-٥ تتحدث عن شخص واحد، أما العدد السادس فنجد الحديث عن جماعة، عن جيل. وفي الواقع إن واحداً فقط - كما ذكرنا - هو الذي اكتملت فيه هذه الصفات الرائعة في ع ٣ و ٤. المسيح وحده هو الذي حوى جميع أوصاف الكمال، ولكن هذا الواحد سرعان ما صار قائداً لجماعة عظيمة «وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين» (إش ٥٣: ١١). ولهذا فإنه بعد أن تحدث عن شخص فريد، فإنه أشار إلى جيل، له ذات حياته، تبعه في زمان رفضه، وسوف يشاركه في زمان ملكه. ترى هل يميزنا نحن أننا من ضمن طالبي الرب؟ وهل يرى الناس في وجوهنا صورة المسيح؟

مجد المسيح الملكي (٧٤-١٠):

في المستقبل سترتفع الأرتاج الذهبية، والبوابات الضخمة، ليدخل الملك المجيد إلى مدينته، كما سنرى في التطبيق النبوي. لكن هل فتحنا الآن قلوبنا على اتساعها لدخول ذلك المخلص المحبوب والسيد المهوب؟

«رب الجنود» (ع ١٠):

هذه هي المرة الأولى في سفر المزامير الذي يأتي فيه تعبير «رب الجنود»، ولكن أول مرة يُذكر هذا التعبير في الكتاب، كان على لسان حنة أم صموئيل. ولقد أعطتنا حنة لقبين للرب كانت هي أول من نطق بهما، وهما: «رب الجنود»؛ «المسيح» (اصم ١: ١١؛ ٢: ١٠).

التطبيق النبوي

«لرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها» (ع ١).

سوف تؤول ملكية الأرض كلها للمسيح في الملك الألفي بناءً على هذين الحقيين: لأنه خلقها (ع ٢، ١)، لكن أيضاً، وبحسب ما نتعلم من العهد الجديد، لأنه دفع ثمنها، دمه

الكريم، فصارت الأرض له مرتين. ولعل هذا يذكرنا بأن سفر الرؤيا قبل أن يحدثنا عن ملك المسيح على كل الكون، وامتلاك المسيح الفعلي للأرض وملئها، للمسكونة وللساكين فيها، فإنه يشير في رؤيا ٤ إلى حقيقة أن الرب هو الخالق، ثم في رؤيا ٥ إلى أنه الفادي. حيث ترد في هذين الفصلين تسيحتان للشيوخ: «أنت مستحق... لأنك أنت خلقت» (رؤ ٤: ١١)؛ «مستحق أنت... لأنك ذُبحت واشتريت» (رؤ ٥: ٩).

إذا فالمسيح بالصليب اشترى الحقل كله (مت ١٣: ٤٤)، فصارت ممالك العالم شرعاً لربنا ومسيحه (قارن رؤ ١١: ١٥)، وليس الأرض فقط بل الناس أيضاً (٢بط ٢: ١)، وبلغه المزمور: للرب، لا الأرض فقط، بل «ملؤها» أيضاً، «المسكونة وكل الساكنين فيها».

من منظور واحد، فإنه يمكن اليوم أن نقول: إن «للرب الأرض وملؤها» (ارجع إلى كو ١: ٢٦، ٢٨). لكن من الجانب الآخر ما أكثر البقع التي في الأرض، والتي ليست فعلاً للرب بعد (عب ٢: ٨). بل ما أكثر ما يعاني القديسون لمجرد رغبتهم في ترتيب مكان يجتمعون فيه لتقديم العبادة والسجود للرب. فالأرض اليوم مسلمة ليد الشرير (أي ٩: ٢٤)، الذي هو رئيس هذا العالم (يو ١٤: ٣٠). لكن قريباً عند ما تبدأ سنة اليوبيل، بناءً على كفارة المسيح (انظر لا ٢٥: ٨-٥٥) سيعود كل شيء إلى أصحابه، وستكون الأرض وملؤها للمسيح، وسوف يزيل المسيح اللعنة والتشويش من الأرض، وتغطي معرفة الرب الأرض كما تغطي المياه البحر (إش ١١: ٩). نعم لا بد أن يأتي اليوم الذي فيه يتم القول «كل نسمة فلتسبح الرب» (مز ١٥٠: ٥).

«لأنه على البحار أسسها، وعلى الأنهار ثبتها» (٢ع).

عرفنا في حديثنا عن التطبيق الأدبي، كيف يحاول البحر جاهداً أن يعود فيغطي الأرض، لكن الرب لا يسمح له بذلك. لكن هل لهذا معنى أعمق وأبعد؟ من الناحية النبوية، يمكن القول إن الأرض في كلمة الله تكلمنا عن الشعب الأرضي، والبحر يكلمنا عن الأمم (رؤ ١٧: ١٥) وما أكثر ما حاول الأمم أن يبتلعوا شعب الرب، غير أن الرب قد حفظه. إنهم تماماً مثل يونان في جوف الحوت. فمع أنه طُرح في البحر، لكنه لم يتلاش، وسيظهر في اليوم الثالث (يون ١: ١٧؛ هو ٦: ٢).

* فالعداء - كما نتعلم من كلمة الله - له جانبان: الشراء بالدم (خر ١٢)، والتحرير بالقوة (خر ١٤). وهذا الشراء بالدم قد تم قديماً في الجلجلة، أما التحرير بالقوة فإنه ينتظر الإتمام في المستقبل (رؤ ١٩: ١٥).

سوف يأتي يوم، وهو ما يتحدث عنه هذا المزمور، يوم المجد، عند ما يدخل الرب باعتباره "ملك المجد" مدينة أورشليم، وترتفع الأبواب الدهريات لتستقبل ذلك الملك العظيم. سوف تأتي حينئذ «أزمة رد كل شيء»، عند ما يصلح الله الكل لنفسه (كو ١: ٢٠). ورغم كل مقاومات الشيطان والأشرار، فإن الرب سيؤسس ملكه السعيد (مز ٩٣: ١-٤). بل إنه سيؤسسه على البحار والأنهار، بمعنى أنه سيستخدم الأمور المعاكسة نفسها، لتحقيق غرضه (ارجع إلى رؤ ١٧: ١٧).

الشعب الأرضي له بركته، كما أن الأرض لها بركتها. ونلاحظ دائماً ارتباط الشعب الأرضي بالأرض. فالآن الأرض تعاني، والخير والسلام بعيدان تماماً عنها، وذلك لأن الشعب الأرضي ليس في سلام مع الله. لكن سيأتي يوم عند ما يقبل هذا الشعب الرب، وفي ذلك اليوم ستبارك أيضاً كل الأرض، عندئذ سيكون بحق «**للرب الأرض وملؤها**».

وإنه لأمر جميل أنه في ذلك الزمان سوف تسعد الأرض، وسوف يسعد الإنسان، لكن ما يسرنا أكثر هو أن الرب سيتمجد، وكل هذا مرتبط معاً. فعندما أحقر المسيح ورُفض، لم تعد بركة ولا سلام على الأرض «لا سلام قال إلهي للأشرار»، ولكن عندما يتمجد المسيح سيعم السلام.

وبعد أن يقرّر في ع ٢١و٢ تلك الحقيقة المجيدة، أن الأرض حتماً ستعود إلى مالكةها الأصلي، وسيملك عليها ربنا يسوع المسيح، فإنه في الأعداد ٣و٤ يذكر لنا جانباً مبهماً عن صفات ذلك الملك، ليؤكد أنه عند ما يملك عليها، سيكون هو الحاكم البار الذي يتسلط بخوف الله (٢صم ٢٣: ٣)، ونتيجة لذلك يقول في ع ٥ إنه سيُدخل السرور لقلب الله، والفرح لقلوب خليقته*.

وبعد ذلك في (ع ٦) يتحدث عن «**الجيل الطالبه، الملتسمون وجهك يا يعقوب**».

ونحن نلاحظ أن المسيح في مجيئه الأول لم يجد من يطلبه (إلا بقية قليلة)، بل هو الذي طلبهم، وهم رفضوه، تماماً كما حدث مع يوسف قديماً (تك ٣٧: ١٦، ١٩-٢٠). لكنهم سيطلبونه في مجيئه الثاني، كما تؤكد النبوات (هو ٣: ٥؛ ٥: ٥؛ ١٥: ١)، وكما أكد الرب في الأناجيل (مت ٢٣: ٣٩؛ لو ١٣: ٣٥). من هم هؤلاء الذين يطلبون الرب؟ هم أنفسهم الذين نقرأ عنهم في مزمور ٢٢ «يأكل الودعاء ويشبعون، يسبح الرب **طالبوه**» (مز ٢٢: ٢٦). إذاً «**الجيل الطالبه**» هم البقية النقية. وأما «**الملتسمون وجهك يا يعقوب**» فهم

* انظر تعليقنا على مزمور ٧٢ في الملحق آخر الكتاب

الراجعون إلى الرب من الأمم، الذين - بلغة زكريا النبي - «يتمسكون بذيل رجل يهودي، قائلين: نذهب معكم، لأننا سمعنا أن الله معكم» (زك ٨: ٢٣).

«ارفعن آيتها الارتاج رؤوسكن وارفعن آيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك

المجد؟ الرب القدير الجبار الرب الجبار في القتال. ارفعن آيتها الارتاج رؤوسكن وارفعنها آيتها

الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد» (ع ٧٤-١٠)

لقد كان يوماً عظيماً في تاريخ الأمة، يوم أن انتصر داود على صهيون ودخلها دخول الفاتحين، عند ما فُتِحَت أبواب صهيون للملك داود. لكن كل هذا إنما هو ظل باهت ليوم أعظم بما لا يُقاس، عند ما ترتفع الأبواب الدهريات لمدينة أورشليم ليدخل «ابن داود» إلى مدينته في موكبهِ الجليل.

لقد دخل المسيح إلى أورشليم في مجيئه الأول مُتَّضِعاً* (يو ١٢: ١٣) - هذا الدخول المعروف خطأً بالدخول الانتصاري، ولكنه في حقيقة الأمر الدخول الباكي (لو ١٩: ٤١) - أما في مجيئه الثاني فسُيُرحَّبُ به أيما ترحيب، وشعبه الأرضي سيكون منتدباً في يوم قوته (مز ١١٠: ٣).

لقد عرفنا أن هذا المشهد له تطبيق تاريخي وهو دخول التابوت إلى أورشليم في أيام داود الملك. وكما كانت فرحة داود عند ما دخل التابوت، حيث كتب بهذه المناسبة عدة مزامير. ولكن أين التابوت الآن؟ لقد فُقد، وعبثاً يحاول اليهود أن يجدوه، ونحن نعتقد أنهم لن ينجحوا في العثور عليه، لأننا لا نقرأ في الهيكل الألفي المذكور في نبوة حزقيال عن التابوت، بل على العكس يؤكد الوحي إنه لن يُذكر ولن يُصنع بعد ولن يخطر على بال (إر ٣: ١٦)، لأن الرب نفسه سيكون في وسطهم.

لقد جاء إليهم الذي كان التابوت رمزاً له. من قال عنه الرسول: «عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦)، فما الحاجة بعد إلى تابوت؟ لكن المأساة الحقيقية ليس أن التابوت قد فُقد، بل إن قمة المأساة هي أن الرب نفسه، رب المجد قد رُفُض. لكن النبوات تؤكد أنه سوف يأتي هذا اليوم الذي فيه يقولون له بصدق: «مبارك الآتي باسم الرب» (ارجع إلى مت ٢١: ٩ مع مت ٢٣: ٣٩). وليس ذلك فقط، بل سيهتفون

* ومع أنه دخل أورشليم متضعاً، إلا أنه قيل أن يدخلها مارس سلطانه كـرب الأرض، كما نفهم من قصة الجحش (مر ١١: ٣)، وبعد أن دخلها مارس سلطانه كـرب البيت عند ما طرد من الهيكل الذين كانوا يبيعون ويشتررون (مر ١١: ١٥).

فرحاً قائلين: «ارفعن أيتها الأرتام رؤوسكن، وارنفعن أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل * ملك المجد».

ودخول المسيح إلى مدينة أورشليم، تحدثت عنه بعض المزامير المسياوية مثل المزمور الرابع والعشرين، والمزمور المئة والثامن عشر. أما النتائج العجيبة لهذا الدخول فمذكورة في النبوات، وعلى قمتها أنه سيأتي بالسلام العجيب، لا لهذه المدينة المسكونة التي لم تعرف السلام في كل تاريخها الطويل، بل أيضاً لكل العالم الذي يئن ويتمخض معاً إلى الآن (زك ٩: ١٠).

المسيح في المزمور

(٢٠١٤) يفتتح المزمور بالإشارة إلى مجد المسيح باعتباره الخالق[†]، وأيضاً باعتباره "الحافظ" فيقول: «لرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها. لأنه على البحار أسسها (الخالق)، وعلى الأنهار ثبثها (الحافظ)». ورسالة العبرانيين تكلمت عن هذين المجدين: «الذي به أيضاً عمل العالمين (الخالق)... وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (الحافظ)» (عب ١: ٣، ٢). (٣٤) الجبل إشارة إلى الملك: (ارجع إلى مزمور ٦: ٢).

من ذا الذي يستطيع أن يذهب ويجلس على الجبل كالملك، ثم يذهب إلى موضع قدسه لكي يجلس على كرسيه في الهيكل؟ ليس عزيا الملك الذي اختلس هذا الحق، وصار أبرص إلى يوم موته، بل إنه ذاك الذي رآه إشعيا في سنة وفاة الملك عزيا، وسجله إشعيا في الأصحاح السادس من نبوته إذ قال: «رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع (الملك) وأذنيه تملأ الهيكل (الكاهن)».

ثم يسجل في عددي ٣ و٤ جانباً من الصفات الأدبية المباركة للمسيح: «الطاهر اليدين والنقي القلب»، صورة للكمال الخارجي والداخلي، نقاء السيرة والسريرة، أو عمل الأعمال الصالحة بدوافع مقدسة. وهذا ينطبق عليه وحده، فمن غيره أمكنه أن يتحدى خصومه قائلاً: «من منكم يبكثني على خطية؟» (يو ٨: ٤٦).

* هناك في أورشليم بوابة ذهبية لا تفتح على الإطلاق، وهم يقولون إنها لن تفتح إلا يوم دخول الملك!
† المسيح هو الخالق فإننا نقرأ «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله... كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣-١). وأيضاً «بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله، حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر» (عب ١١: ٣).

ثم «الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل»: ومن نظير المسيح كان وديعاً ومتواضع القلب (مت ٢٩: ١١).

وأخيراً «ولا حلف كذباً»: من سواه لم يكن في فمه مكر أو غش (ابط ٢: ٢٢)، وإن كان يُقال عن النقي في مزمور ٤: ١٥ «يحلف للضرر ولا يغيّر» فكم بالحري المسيح الكامل. حقاً هو وحده «الذي لم يفعل خطيئة» (ابط ٢: ٢٢)، كما أنه «بلا خطيئة» (عب ٤: ١٥)، وأيضاً «ليس فيه خطيئة» (ايو ٣: ٥)، و«لم يعرف خطيئة» (٢كو ٥: ٢١).

(١٠-٧٤): يتكرر تعبير «ملك المجد» في هذا المزمور خمس مرات، ويأتي في العهد الجديد عن المسيح تعبير مشابه، هو «رب المجد»، ويرد مرتين (١كو ٢: ٨؛ يعب ١: ٢). ونحن نعرف عن يقين أن المسيح الذي رُفِع في المجد الآن (١تي ٣: ١٦)، ليس شخصاً آخر خلاف «إله المجد» الذي ظهر لأبينا إبراهيم (أع ٧: ٢، مع يو ٨: ٥٦).

وعند ما يُسأل في المزمور: «من هو هذا ملك المجد؟» تأتي الإجابة في المزمور ذاته: «الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال». هذا الوصف عن الرب يعود بذاكرتنا إلى الترنيمة الأولى الواردة في الكتاب المقدس، في خروج ٣: ١٥، والتي تشير إلى الرب وانتصاراته، سواء في معركة الجلجثة حيث «جرّد الرياسات والسلطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (أي في الصليب)» (كو ٢: ١٥)، أو في مجيئه الثاني عند ما يرى والأجناد الذين في السماء يتبعونه، وسيقتل كل جيوش الوحش والنبي الكذاب بكلمة واحدة تخرج من فمه. إنه حقاً «الجبار في القتال»، كما يصفه العديد من المزامير المصاوية الأخرى، فهو في المستقبل سيوطاً كل أعدائه تحت قدميه، و«شعوب (تحت) يسقطون» (مز ٥: ٤٥). كما أنه سيحطم الأعداء تحطيماً، ومثل إناء خزّاف يكسّرهم (مز ٩: ٢). سيملاً بجثث أعدائه أرضاً واسعة (مز ٦: ١١٠).

ويتكرر السؤال: «من هو هذا ملك المجد؟» مرتين، وفي إجابة السؤال الأول نجد الرب منفرداً (٨٤)، بينما في إجابة السؤال الثاني (١٠٤)، نقرأ أنه رب الجنود، الإشارة الأولى صورة لمجيئه الأول حيث كان وحيداً ودخل المعركة بمفرده، أما في الإشارة الثانية فإنها صورة لمجيئه الثاني، حيث تتم أقدم نبوة معروفة، هي نبوة أخنوخ الذي قال: «قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع» (يه ١٤).

* وكما نقرأ في العهد الجديد عن المسيح باعتباره «رب المجد» فإننا نقرأ عن الله أبينا باعتباره «أبو المجد» (أف ١: ١٧)، وعن الروح القدس باعتباره «روح المجد» (ابط ٤: ١٤).

المزمور الأربعون

المسيح المحرقة

المزمور في كلمات:

مزمور مسياوي يتكلم عن المسيح كمن أتى ليتم مشيئة الله، فتممها على أفضل وجه، وتممها بسرور، باعتباره المحرقة. ذلك الشخص الفريد الذي هو الطائع الأعظم والمنتظر الأعظم، طوبى لمن يطيعه وينتظره، والويل لمن يعصاه ويحتقره.

الاقتباسات:

الآيات ٦-٨ من هذا المزمور اقتبسها كاتب الرسالة إلى العبرانيين مطبقاً إياها على شخص المسيح، إذ يقول «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت: هذا أجىء. في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله. إذ يقول أنفاً: إنك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم ترد ولا سررت بها. التي تقدم حسب الناموس. ثم قال: هذا أجىء لأفعل مشيئتك يا الله» (عب ١٠: ٥-٩).

الكاتب والمناسبة

لم يكتب كتيبة الوحي كتاباتهم الموحى بها من فراغ، بل كانت هناك اختبارات في حياتهم،

ولكن الروح القدس أعطى لاختباراتهم أبعاداً خاصة، لا يمكن أن تنطبق سوى على المسيح. وفي حياة داود - كاتب المزمور - ما يتوافق إلى حد ما مع لغة هذا المزمور. فهو كان له اختبار ماضٍ واختبار حاضر: الأول ارتقاؤه العرش، والثاني هروبه من ابنه أبشالوم الثائر على أبيه. وهذا المزمور مُقسَّم إلى قسمين يتجاوبان مع هذين الاختبارين. فالأعداد الأولى، وسماؤها الصافية، يمكننا أن نرى فيها ارتقاء داود العرش. ثم في الأعداد الأخيرة، وسحبها الداكنة، يمكننا أن نرى تمرد أبشالوم وثورته ضد أبيه.

ولكن المزمور ينطبق تماماً على المسيح. وهناك مقاطع لا يمكن أن تنطبق إلا على «يسوع وحده». فمثلاً من هو الذي جاء لكي يحل محل الذبائح كلها؟ هل هو داود؟ هل يستطيع داود أن يقول «بذبيحة وتقدمة لم تُسر... حينئذ قلت: هاأنذا جئت. بدم الكتاب مكتوب عني أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت»؟ مُحال، فداود جاء عليه يوم لم يجد الذبيحة المناسبة التي يقدمها لأجل نفسه (مز ٥١: ١٦).

عنوان المزمور

«لإمام المغنين، مزمور لداود».

وتعبير «لإمام المغنين»^{*} هو كناية عن ربنا يسوع المسيح قائد التسبيح الحقيقي (مز ٢٢: ٢٢؛ عب ٢: ١٢).

«مزمور لداود»^{*} الذي هو «مرنم إسرائيل الحلو» (٢ صم ٢٣: ١).

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

هذا المزمور يتكلم عن الصليب مثل المزمور الثاني والعشرين[†]، مع هذا الفارق: أن المزمور الأربعين هو نظرة السماء للصليب، أما المزمور الثاني والعشرين فهو نظرة من جانب الأرض إلى الجلجلة. وإن كان المزمور الثاني والعشرون يبدأ بالصراخ (١٤) وينتهي بالتسبيح (٢١-٣١) فإن هذا المزمور، على العكس، يبدأ بالترنيمة الجديدة

^{*} انظر عنوان المزمور الثامن ص ٣١.

[†] انظر تعليقنا على مزمور ٢٢.

ويختم بالصراخ والأحزان.

المزموران ٤٠ و ٤١ هما ختام الكتاب (الأول)، والمزموران مسياويان، لكننا إن كنا نرى في هذا المزمور النفيس قلب المسيح، فإننا في المزمور التالي، مزمور ٤١، نرى قلب الإنسان: سواء قلب المؤمن، أو قلب الخاطئ، كما سنرى في حينه.

أقسام المزمور

التقسيم الثنائي للمزمور

- ١- السماء الصافية: (١٠-١٤).
- ٢- السماء الملبدة: (١١٤-١٧).

التقسيم الثلاثي للمزمور

- ١- انتظار الرب والنتائج: (٥-١٤).
- ٢- الطاعة والنتائج: (١٠-٦٤).
- ٣- عمل المسيح ونتائجه بالنسبة للأعداء والأحباء: (١٧-١١٤).

الدروس الأدبية والعملية

نظرة عامة على المزمور

نجد في الأعداد من ١-١٠ اختباراً قديماً اجتاز فيه المرنم، غير أن الرب كان كريماً طيباً جداً معه، فقد مال إليه وسمع صراخه، وهكذا تبدلت الصرخات إلى ترنيم «جعل فيّ قمي ترنيمة جديدة». هذا هو مجمل الاختبار القديم. غير أننا نجد في ع ١١ ضيقاً آخر يجتاز فيه المرنم، حتى أنه يطلب متضرعاً من الرب أن لا يمنع رأفته عنه، وأن ينصره برحمته وحقه.

وهذا كثيراً ما يحدث معنا، إذ يُلبّد جو حياتنا بالسحب وتنزل الأمطار. ثم تشرق الشمس، ونتوقع أن نستنشق أنفاسنا بعد إشراق الشمس، وإذ بالسحب ترجع مرة ثانية بعد المطر (جا ١٢: ٢). قد تواجهنا مشكلة، ونتوقع أنه بزوالها ستفجر الحياة، ونهناً بأيام مريحة سعيدة، وإذا بمشكلات أخرى تواجهنا. لكن شكراً لله، فإن اختباراتنا مع الإله

القديم، هي التي تعطينا الثقة ونحن نواجه المستقبل. فالذي أعاننا في الماضي، هو الذي سيعيننا في المستقبل، وإلى النهاية.

ولقد اختبر داود نفسه أزميتين كبيرتين في حياته، مطاردة شاول له، ثم تمرد ابنه عليه. ويبدو - كما يقول البعض - أن داود كتب هذا المزمور بمناسبة تمرد أبشالوم عليه، بعد أن عبرت أزمة شاول، التي رأى فيها داود الشقاء والعناء، ووصل إلى ضيق نفسي شديد، حتى قال مرة «إني سأهلك يوماً بيد شاول». وفي الواقع لم يمت هو بيد شاول، بل شاول هو الذي مات بيد الفلسطينيين. لكن بعدها دخل داود في أزمة أشد بسبب ثورة ابنه أبشالوم.

سألتني مرة أخت مجرّبة: كيف تفسر الآية «كثيرة هي بلايا الصديق» (مز ٣٤: ١٩)؟ كانت إجابتي أن بقية الآية تعطينا التفسير «ومن جميعها ينجيه الرب». هذا هو اختبار بولس أيضاً، فلقد قال: «الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (١كو ١٠: ١). ثم في آخر أيامه نسمعه يقول: «أنقذت من فم الأسد. وسينقذني الرب من كل عمل رديء، ويخلصني لملكوته السماوي» (٢تي ٤: ١٧، ١٨).

* * *

انتظاراً انتظرت الرب، فمال إليّ وسمع صراخي، وأصعدني من جب الهلاك من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليّ. ثبتت خطواتي، وجعل في فمي ترنيمة جديدة، تنسبحة لإلهنا. كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب» (ع ١-٣)

هذه الأعداد يطبقها كثيرون من المبشرين على الخاطئ، معتبرين إياها تتحدث عن اختباره. لكنها في الحقيقة تتحدث أساساً لا عن الخاطئ، بل عن القدوس، الذي في نعمة مطلقة قبل أن يأخذ مكان الخطاة، كما سنرى ونحن نتحدث عن المسيح في المزمور. إنه - تبارك اسمه - ليس له علاقة بطين الحمأة، بل هذا مكاننا وهذه حالتنا نحن. لكن ما كان ممكناً له أن يرفعنا من هناك إلا إذا نزل هو حيث أوصلتنا الخطيئة. نعم، فحيث أوصلت الخطيئة الإنسان، أوصلت النعمة المسيح!

حبذا لو قرأنا بروح التعبد والسجود والخشوع الفصول الآتية التي تصوّر لنا أحزان المسيح وهو يتحمل غمار الدينونة الرهيبة من أجلنا (مز ٤٢: ٧؛ ٦٨: ٦؛ يون ٣: ٢-٦).

«فمال إليّ وسمع صراخي»

يمكننا أن نتعلم من الصابر الحقيقي والواثق الحقيقي. ومهما كانت مشكلتنا، ليتنا

نصبر له، وهو يقيناً سيميل أذنه ويخلصنا.

«ترنيمة جديدة» هذه أتت بعد إتمام المسيح لعمل الفداء، وقيامته المجيدة من بين الأموات، إذ وضع الآب في فم المسيح هذه الترنيمة الجديدة، وهو يقول للآب: «أخبر باسمك إخواني، وفي وسط الكنيسة أسبحك» (عب ٢: ١٢). فالترنيمة الجديدة هي ترنيمة الفداء. ونحن نقرأ في سفر أيوب عن الترنيمة القديمة «عندما ترنمت كواكب الصبح معاً، وهتف جميع بني الله» (أي ٣٨: ٧). ولكن بعد دخول الخطية انقطع الترنيم، إلا أنه عاد مرة أخرى بالارتباط بالفداء الرمزي (خر ١٥). أما الترنيمة الجديدة فهي تلك التي تُرنم بعد الفداء الحقيقي.

ونلاحظ أن كل المزامير التي تتحدث عن الصليب تشير أيضاً إلى الترنيم. فالمزمور الثاني والعشرون يمثل جزءه الأخير بالحديث عن التسبيح (٢٢٤، ٢٣، ٢٦)، وكذلك مزمور ٦٩: ٣٠، ٣٤. كما أن المزمور المئة والثامن عشر يبدأ بالحمد، ونقرأ فيه عن صوت الترنم والخلص في خيام الصديقين (١١٨: ١٥). وهنا أيضاً في المزمور الأربعين يبدأ بالإشارة إلى الترنيمة الجديدة.

وكيف لا يرثي المسيح تلك الترنيمة، وقد تعظم العدل، وانتصرت النعمة في الصليب. إنه نتيجة موت المسيح وقيامته، قهرت الهاوية وتمجدت السماء، أبطل الموت وأبهر الخلود، دانت الخطية وظهر البر! هذا كله يعطينا فكرة عن تلك الترنيمة الجديدة، وعن نغمتها الفاتنة.

«تسبيحة لإلهنا» لا يقول الرب يسوع هنا «تسبيحة لإلهي» بل «إلهنا»، فمع أنه عندما كان على الصليب قال «إلهي، إلهي» إذ كان يواجه عدالة الله منفرداً، لكنه بعد القيامة قال لمريم المجدلية «إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧). لهذا يقول هنا «تسبيحة لإلهنا».

في العهد القديم كان موسى المخلص والمرنم. أما الآن، فبمجيء المسيح، يختفي موسى. المسيح هو المخلص الوحيد وإمام المغنين الفريد.

«كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب». فبعد التسبيح لله (ع ١٣) تأتي الشهادة للناس (ع ٣٦). فالمؤمن يتجه أولاً رأسياً بالتسبيح والسجود لله، ثم أفقياً بالشهادة للآخرين. أولاً «كهنوت مقدس، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح»، وبعد ذلك «كهنوت ملوكي... لكي تخبروا بفنائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (بط ٢: ٩، ١٠).

للأسف فهم ليسوا الجميع، ومع ذلك فهم كثيرون. ولاحظ أن الذي يقول كثيرون هو

الله. وهذا معناه أنهم كثيرون جداً، كثيرون بحسب مقاييس الله لا مقاييسنا نحن.

و"الكثيرون" هنا إشارة إلى المؤمنين المفدين، وقد أبصروا بالإيمان ما عمله المسيح فسبوا في محبته، وسلكوا في مخافته، وعاشوا حياة الاستناد عليه. ولقد كان أول الذين رأوا وخافوا وتوكلوا على الرب هو اللص التائب. لقد رأى ذلك المصلوب إلى جواره فخاف، بدليل قوله لزميله «أولاً أنت تخاف الله؟». ثم توكل على الرب عندما قال له «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لو ٢٣: ٤٠-٤٢). ومن بعده أتى الملايين الذين رأوا وخافوا وتوكلوا على الرب.

ثم يقول المرنم «طوبى للرجل الذي جعل الرب مُتَكَلِّه» (ع ٤): إن هذا الرجل المطوَّب، ليس الذهب مُتَكَلِّه (أي ٢٤: ٣١)، ولا الأوثان (إر ٤٨: ١٣)، ولا المركبات والفرسان (مل ٢٤: ١٨) بل الرب (ارجع إلى مز ٢٠: ٧؛ ٥: ٧١).

«طوبى للرجل الذي جعل الرب مُتَكَلِّه، ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب» نجد هنا فريقين: الغطاريس وهم من يحوِّلون أنظار الناس إليهم، والمنحرفون إلى الكذب وهم الذين يبعدون الناس عن صليب المسيح إلى أي شيء آخر.

هذان الفريقان: الغطاريس (أي المتكبرون)، والمنحرفون إلى الكذب، هم أولاد إبليس، المتكبر الأول والكذاب الأول، بل وأبو الكذاب. ولنتذكر أن الكبرياء والكذب هما أول وآخر القائمة التي يبغضها الرب في أمثال ٦: ١٦-١٩.

والمقصود من هذا التطويب: طوبى للشخص الذي وضع ثقته في المسيح، وفي العمل الكامل الذي عمله على الصليب. أما الذي يتحول عن هذا العمل العظيم الذي أشبع قلب الله، ويتكل على أي شيء آخر، فإنه إنما ينحرف إلى الكذب. ألم يكن بولس مُحَقِّقاً في أنه بعد حديثه عن آلام المسيح وقيامته من الأموات، ذكر أنه بهذا ينطق بكلمات الصدق والصحو (أع ٢٦: ٢٣، ٢٥)؟ وكما ذكرنا فلقد التفت اللص التائب إلى المصلوب، وجعل الرب متكله، فنال البركة العظمى رغم سواد صحيفة حياته، وتلطُّحها بالشرور والآثام، إذ قال له المسيح: «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢، ٤٣).

«كثيراً ما جعلت أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا... زادت عن أن تُعَدَّ» (ع ٥٤).

طالما أصعدت المحرقة، فمقاصد الله الأزلية لا بُدَّ أن تُستعلن. وما أعجب مقاصده من

المحرقات والبركات

أول ذكر للمحرق في الكتاب المقدس ارتبط بالبركة (تك ٨: ٢٠ - ٩: ١). ونحن نرى الله من البداية يبارك الإنسان (تك ١، ٢)، لكن في تكوين ٣ حيث دخلت الخطية نقرأ عن اللعنة: لعن الحية (١٥ع)، ولعن الأرض (١٧ع)، ثم لعن الإنسان (تك ٤: ١١). ثم جاء الطوفان صورة لديونة الله وغضبه على الخطاة. لكن بعد الطوفان، بعد أن قدم نوح الذبائح المتنوعة لله، وكانت كلها محرقات، فقد تنسم الله رائحة الرضا، وكانت النتيجة أننا نقرأ بعدها مباشرة عن عودة البركة مرة أخرى (تك ٩: ١). ومرة أخرى نقرأ عن بركة مثلثة من الله لإبراهيم بعد الحرق العجيبة التي قدمها في تكوين ٢٢.

نحن! «ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو ٢: ٩). هذه المقاصد ما كان ممكناً أن تستعلن في العهد القديم. فمحرقات العهد القديم لا تأتي إلا ببركات وقتية، لأنها مجرد رمز (ارجع إلى صموئيل ٧: ٩، ١٠)، لكن عندما جاء المحرقة الحقيقية، جاءت كل البركات السامية والعظيمة. هذه البركات يقول المرنم عنها هنا إنها عجائب. ومن ضمن هذه العجائب: أننا - وبناء على المحرقة - نسمع الابن يخاطب الآب في يوحنا ١٧ قائلاً:

«أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني. ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد». أليست هذه عجيبة؟ فما أروع مقاصد الله وأفكاره العجيبة من جهتنا، التي استعُلت لنا، إذ قد شَبِعَ بالمحرقة، وسُرَّ قلبه بها جداً، فأغرق علينا كل البركات، وجاد علينا حسب كرم قلبه الكبير، إذ قد «باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف ١: ٣).

فَجُودُكَ حَسَبَ غَنَى
وَقَلْبُكَ رَاضٍ بِمَنْ
إِنْعَامُكَ فِي ذَا الْحَبِيبِ
مَجْدُكَ عَلَى الصَّالِبِ

«بذبيحةٍ وتقديمٍ لم تُسرَّ. أذنيَّ فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت: هأنذا جئت. بدم الكتاب مكتوب عني: أن أفعل مشيئتك يا الهي سررت، وشريعتك في وسط أحشائي» (٦٤-٨).

يطعن قوم في الكتاب المقدس، ظانين أن إله العهد القديم غير إله العهد الجديد، وأن طريق الخلاص في العهد القديم يختلف عما هو في العهد الجديد. فبينما يطلب الذبيحة في العهد القديم، وتشغل فيه مكاناً بارزاً، فإنه لم يعد لها لزوم، ولا مكان لها في العهد الجديد. لكن هذا

الخلاص

في الكتاب المقدس

الخلاص هو دائماً بالنعمة، وهذا أمر قديم يعود بنا إلى نوح السدي ارتبطت به أول إشارة في الكتاب إلى كلمة نعمة (تك ٨: ٦)، وأقدم إشارة إلى كلمة خلاص (عب ١١: ٧).

والتبرير هو دائماً بالإيمان، وهذا الأمر يعود بنا إلى هايل، السدي ارتبطت به أقدم إشارة إلى كلمة إيمان (عب ١١: ٤)، وأقدم إشارة إلى كلمة تبرير (مت ٢٣: ٣٥؛ عب ١١: ٤).

وغفران الخطايا هو دائماً بالدم، وهذا أمر قديم يعود بنا إلى خروج ١٢، وبدون سفك دم لا نحصل مغفرة (عب ٩: ٢٢).

وأن كل الذين قبلوا عند الله في العهد القديم والجديد كان ذلك عن طريق الولادة من الروح القدس، وهذا مذكور في العهد القديم في حزقيال ٣٦، وفي العهد الجديد في يوحنا ٣.

تذكر هذه الرباعية: الخلاص هو دائماً بالنعمة من جانب الله، وبالإيمان من جانب الإنسان، وعلى أساس دم المسيح، والوسيلة له هو الولادة من الله.

خطأ شكلاً وموضوعاً، والدليل على ذلك ما نقرأه في هذه الآيات. إن ما يشرحه الرسول عن طريق الخلاص في عبرانيين ١٠ هو مكتوب أساساً في مزمور ٤٠. وداود الذي كتب هذه الأقوال في مزمور ٤٠، ذكر كلاماً مشابهاً في مزمور ١٦: ٥١: «لأنك لا تُسرّ بذبيحة وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى»، وأيضاً في مزمور ٨٧: ٤٩ «الأخ لن يفدي الإنسان فداء، ولا يعطي الله كفارة عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر».

فما هو الفارق إذاً بين العهدين القديم والجديد؟ الفارق أنه في العهد القديم أعطى الرب صوراً ورموزاً تشير إلى المسيح. كأن الله أصدر عملة ورقية للتداول، وكان لهذه العملة رصيد في السماء، تستمد منه قيمتها، ولم يكن هذا الرصيد من ذهب، بل هو الدم الكريم «كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١بط ١٩: ٢٠).

فالذبيحة في العهد القديم كان لها قيمة لا في ذاتها، بل في ما تشير إليه من ذبيحة المسيح، كما هو واضح هنا في أقوال هذا المزمور. وغني عن البيان أنه لما أتى المسيح وقدم ذبيحة نفسه فوق الصليب. ما عاد هناك احتياج بعد إلى رمز تلك الذبيحة.

ويشرح الرسول بولس في رسالة رومية أن صفح الله عن خطايا السالفين، إنما كان على أساس كفارة المسيح في الجلجلة (رو ٣: ٢٤، ٢٥).

لكن هذه الآية، بالإضافة إلى كل ما سبق، تؤكد أن مجرد الممارسات الطقسية لا يمكن أن تشبع قلب الله، ولا أن تكون بديلاً عن قلب يحب الله، ويسر بطاعته.

ذبائح العهد القديم وذبيحة المسيح

هناك فوارق بين ذبائح العهد القديم وذبيحة المسيح كالآتي:

○ أن ذبائح العهد القديم لم تقدّم نفسها بإرادتها، بل لم تكن عاقلة على الإطلاق، وأما المسيح فإنه «روح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب» (عب ٩: ١٤).

○ إن ذبائح العهد القديم كانت متكررة، وأما ذبيحة المسيح فهي مرة واحدة لا تتكرر (عب ٩: ٢٥، ٢٦، ٢٨؛ ١٠: ١٠، ١٢، ١٤).

○ وذبائح العهد القديم كانت مجرد ذبائح رمزية، أما ذبيحة المسيح فهي مؤثرة وفاعلة. ذلك لأن الدم الذي سُفك في الجلجثة، لم يكن دم حيوانات، بل دم ربنا يسوع المسيح ابن الله (عب ١٠: ١٠-١٤).

«أن أفعل مشيئتك يا إلهي سرور» (ع ٨).

تُرى ما هي هذه المشيئة؟ يقول المسيح: «لأنني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُلْغ منه شيئاً بل أقيم في اليوم الأخير. لأن هذه مشيئة الذي أرسلني، أن كل من يرى الابن ويؤمن تكون له حياة أبدية، وأنا أقيم في اليوم الأخير» (يو ٦: ٣٨-٤٠). إذاً لقد أتى المسيح ومات فوق الصليب لتكون لنا، نحن الأموات، الحياة الأبدية.

«جئت... لأفعل».

بشروا الجموع أنه أتى ليفعل، بل بشروا الجموع أيضاً بأنه «قد فعل» (مز ٢٢: ٣١). هذه أعظم بشرى ممكن لأذن إنسان أن تسمعها، وهي البشرى التي ما زال الملايين محتاجين إليها.

أما العدداً ١١ و ١٢ فيذكرنا بالدينونة المرعبة التي احتملها المسيح لأجلنا من جراء خطايانا، حيث يقول: «لأن ضروراً لا تُحصى قد اكتسفتني»، وهي طبعاً خطايانا نحن (إش ٥٣: ٦؛ بط ٢: ٢٤).

«ارتضيا رب بأن تنجيني» (ع ١٣). هنا نرى طلبية المسيح لله لكي ينجيه بالقيامة من الأموات (عب ٥: ٧). فهو لم يحاول أن يفعل شيئاً لينفذ نفسه من أعدائه، ولا قال شيئاً ليبرر نفسه أمامهم، بل كان يسلم لمن يقضي بعدل، واثقاً من أنه قريب هو الذي يبرره (إش ٥٠: ٨).

«ليخز وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي» (ع ١٤).

وأول خزي أصاب أولئك الأشرار، نجده في القول «**ليرتد إلى الوراء**». وهذا يذكرنا بما حدث عندما أجاب المسيح الذين أتوا إلى البستان ليقبضوا عليه بالقول: «أنا هو». يقول الوحي إنهم «**رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض**» (يو ١٨: ٦).

والخزي الثاني: كان في الظلمة المعجزية التي جاءت على وجه كل الأرض من الساعة السادسة إلى التاسعة، ثم بمجرد أن قال الرب «**قد أكمل**» عاد النور مرة أخرى (مت ٢٧: ٤٥).

والخزي الثالث: زلزلة عظيمة حدثت، حتى أن الصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، بل إن الحجاب في داخل الهيكل انشق إلى اثنتين من فوق إلى أسفل (مت ٢٧: ٥١).

غير أن الخزي الأكبر حدث عندما قام المسيح من الأموات. وبينما الحرس يؤدون دورهم في حراسة القبر «وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه... فأجاب الملاك وقال... ليس هو ههنا، لأنه قام كما قال!» (مت ٢٨: ٢-٦).

«ليستوحش من أجل خزيهم القائلون لي: هه! هه!» (ع ١٥).

هذا القضاء سيقع ليس فقط على الذين تناولوا على المسيح في يومه قائلين له: «هه! هه!»، بل أيضاً على الذين يفعلون ذلك الآن مع أتباع المسيح. لأن ما يفعلونه مع أتباع المسيح كأنهم يفعلونه مع المسيح نفسه (مت ٢٥: ٤٢-٤٦؛ أع ٩: ٤، ٥).

أيها المستبيح: إن هه هه التي تقولها عن المسيح أو أتباعه، ستكلفك الكثير مما لا طاقة لك على احتماله. وصعب عليك أن ترفض مناهس.

إذا فإنه يمكن القول: إن أعاجيب الجلجثة جعلت جميع الأعداء يخزون. ثم عندما أقامه الآب من الأموات، خزي الأشرار جميعاً وخجلوا، ومن ورائهم الشيطان قائدهم ومحركهم. لقد أدرك الشيطان - لكن بعد فوات الأوان - أن محاولته لإهلاك المسيح أهلكته هو، ومجمع الشيطان الذي خطط لنهاية المسيح، كان يخطط لنهايته هو.

لكن من الجانب الآخر، ماذا عندما قام المسيح من الأموات؟ ألم يبتهج ويفرح جميع طالبيه (١٦ع)؟

وما أجمل ما يأتي في آخر المزمور: «ليقل أبداً محبوب خلاصك: يتعظم الرب» (١٦ع). فنحن نعلم أن المحرقة هي لمجد الله. فهل نشارك نحن أيضاً في تمجيد الله، كل بحسب طاقته؟ هذا ما فعله الرسول المغبوط بولس الذي قال: «يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة أم بموت» (في ١: ٢٠).

التطبيق النبوي

العددان ٩ و ١٠ من هذا المزمور يكلماننا عن شهادة المسيح في أثناء حياته على الأرض إذ يقول: «بشّرْتُ بَيرَ في جماعةٍ عظيمةٍ». فالذي عمل البر هو الذي أذاع هذه الأخبار السارة. والذي ضُربَ باعتباره صخرة الدهور، لتتجبر منها ينابيع الري للبائسين، هو الذي «وقف.. ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب» (يو ٣٧: ٣٨). وهذه الكلمات تشبه ما ورد في إشعياء ٥٣: ١١ «عبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين»، أو كما ترد في ترجمة داربي «عبدى البار يُعلم كثيرين بالبر». فالذي صنع الخلاص من فوق الصليب، هو الذي نادى وأذاع بشرى هذا العمل العظيم.

ويقول أيضاً: «هوذا شفّناي لم أمنعهما». فهو لم يمنع شفّتيه عن النطق بهذه البشارة العظيمة - لا من منطلق حب للراحة، ولا من منطلق خوف من البشر - فأعلنها صريحة وعلى الملأ (يو ١٨: ٢٠). فاستمع إليه العشّارون باغتباط، وارتعب الفريسيون من كلماته، ولكنه لهؤلاء وأولئك أعلن الحق الصريح.

في الأعداد ١٤ إلى ١٦ نرى مياينة بين الأحباء والأعداء: الذين رفضوا المسيح لهم الخزي والخجل والدينونة المروعة، وهؤلاء وراءهم ذاك الشرير (رئيس هذا العالم) الذي يبغض المسيح، ويقود الناس في عدائهم ضده، أما في ١٦ع فنجد فريق الذين قبلوا المسيح وفرحوا بشخصه وخلاصه المجيد. فيقول المرنم:

«ليخز وليخجل معاً الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء، وليخز المسرورون بأذيتي. ليستوحش من أجل خزيهم القائلون لي: هه! ليبتهم ويفرم بك جميع طالبيك» (١٦-١٤ع).

«ليخز... ليخجل... ليستومش» هذه الأقوال تسبب حيرة للبعض^{*}، كيف يطلب الرب هذه الطلبات؟ ونحن يمكننا فهم مغزى هذه الكلمات بأسلوبين:

أولاً: إن الرب هنا لا ينظر إلى الإنسان في ذاته، بل إلى من هو وراءه. لقد تجمع كل أنواع البشر عند الصليب ضد المسيح، ولكن كان وراءهم الشيطان. وكان غرض الشيطان أن يقضي على المسيح، بموجب العداوة القديمة بينهما «أضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها» (تك ٣: ١٥). ولقد استعد الشيطان جيداً لهذه المعركة الفاصلة، وجمع العالم كله في صفه[†]. ولذلك قال الرب للذين أتوا ليمسكوه «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢: ٥٣). على أن الشيطان لم يكن يعلم أنه كان مثل هامان يجهز الخشبة التي سيُصلب هو عليها، وأنه كان بيده يصنع نعشه ويحفر قبره. فالمسيح بالصليب كان مزماً أن يجرد الشيطان من كل ما يمتلك (كو ٢: ١٥؛ عب ٢: ١٤).

ثانياً: ثم إنه إن كان هذا الكلام ينطبق أساساً على الشيطان، لكن - بكل أسف - هناك كثيرون الآن يسببون على نهج الشيطان، ونهايتهم ستكون مثل نهايته. إن الرب لا يريد هلاك البشر، لكن هناك أناساً فضّلوا الشيطان على المسيح، وستكون نهايتهم مثل نهايته. ولقد جاء الروح القدس ليبيكت «العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة... وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين». فالدينونة حتماً ستقع على الشيطان، وكذلك على كل أتباع الشيطان، وسيسمعون القول الرهيب: «أذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (مت ٢٥: ٤١).

المسيح في المزمور:

هذا المزمور - كما فهمنا - يحدثنا عن المسيح باعتباره المحرقة.

وفي بدايته نستمع إلى كلمات المسيح العجيبة:

* انظر أيضاً الملاحظات الإضافية على مزمور ٦٩ بعنوان مزامير الانتقام ص ٢٠٩.

† حتى الأعداء صاروا أصدقاء (انظر لوقا ٢٣: ١٢)، واليهود الذين كانوا يبغضون الرومان نسّمهم بصرخون: «ليس لنا ملك إلا قيصر» (يو ١٩: ١٥). ويقول الكتاب أيضاً «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل؟ قلم ملوك الأرض، وتأمّر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه» (مز ٢: ٢٠). إنها ثورة عالمية للتخلص من شخص واحد!! وكان الشيطان وراء ذلك. فلا عجب أن أطلق المسيح على الشيطان اسماً لم يُذكر سوى بالارتباط بالصليب، وذكر ٣ مرات في إنجيل يوحنا وهو «رئيس هذا العالم» (يو ١٢: ٣١؛ ١٤: ٣٠؛ ١٦: ١١).

«انتظاراً انتظرت الرب، فمال إليَّ وسمع صراخي، وأصعدني من جب الهلاك من طين الحمأة، وأقام على صخرةٍ رجليَّ، ثبَّتَ خطواتي، وجعل في فمي ترنيمةً جديدةً، تسبيحةً لإلهنا» (ع ١٤-٣).

هذه الأقوال تعبّر عن اختبار المسيح عندما رُفِعَ فوق الصليب، إذ في نعمته المطلقة قَبِلَ أن ينزل إلى حيث أوصلتنا خطايانا المرعبة، إلى طين الحمأة وجب الهلاك. ونرى في هذه الأعداد ثلاثيتين، تتجاوب إحداها مع الأخرى بتناغم عجيب. **الثلاثية الأولى** نرى فيها الآلام التي للمسيح، و**الثلاثية الثانية** نرى فيها الأمجاد التي بعد الآلام. أو بالحري في الأولى نجد «كيف قَتَمَ - بصراخ شديد ودموع - طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت»، وفي **الثلاثية الثانية** كيف «سَمِعَ له من أجل تقواه» (عب ٥: ٧).

الثلاثية الأولى: الآلام التي للمسيح	الثلاثية الثانية: الأمجاد التي بعدها
- طين الحمأة (ويمثل عار الصليب).	- أقام على صخرةٍ رجليَّ (صورة للقيامة).
- جب الهلاك (ويمثل قبر يوسف الرامي).	- ثبَّتَ خطواتي (يمثل الصعود إلى يمين العظمة في الأعلى).
- سمع صراخي (في كل حياته، وبالأكثر عند الصليب).	- جعل في فمي ترنيمةً جديدةً (بعد القيامة وإلى جميع أجيال دهر الدهور).

إذاً فنحن في الآيات الثلاثة الأولى، نقرأ بلغة رمزية، أهازج المسيح وموته ودفنه، كما نقرأ أيضاً عن قيامته وصعوده ومجده. وهذه الأمور هي خلاصة الإنجيل بحسب ١كورنثوس ١٥: ٣، ٤ «أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفِنَ، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب».

«جب الهلاك. طين الحمأة»: قديماً طُرِحَ يوسف في البئر (تك ٣٧: ٢٢-٢٤)، وألقي إرميا في الجب (إر ٣٨: ٦). وكانت بئر يوسف فارغة ليس بها ماء، وكان جب إرميا أيضاً خالياً من الماء، ولكن مليئاً بالوحل، فغاص إرميا في الوحل! ولم يكن كل من يوسف وإرميا إلا صورة مصغرة للمسيح وهو فوق الصليب.

فمن الناحية الواحدة لم يجد المسيح - يوسف الحقيقي - قطرة واحدة من العزاء والإنعاش، بل نسمعه يقول بروح النبوة: «انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد» (مز ٦٩: ٢٠). لقد

يبس حلق الرب له كل المجد، ليس فقط حرفياً، بل أدبياً ومعنوياً كذلك. وأما إرميا فكان اختباره أقسى من اختبار يوسف. فهو غاص في الوحل بكل ما فيه من قذارة، لكن ما هذا إزاء ما غاص فيه رب المجد القدوس عندما غرق في حمأة عميقة وليس مقر (مز ٦٩: ٢).

إن ثامار في يومها لم تحتل عار خطية واحدة، وقالت: «أما أنا فأين أذهب بعاري؟»

(٢صم ١٣: ١٣). فماذا نقول

عن ذلك القدوس «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (١بط ٢: ٢٤)؟ لقد وضع الرب عليه «إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦)!

تعتبر الأعداد ٦ و ٧ و ٨ بحق قلب هذا المزمور، الذي يكلمنا عن المحرقة الحقيقية، وفيه نستمتع إلى محادثة بين الابن والآب. ويا للكرامة والشرف أن يسمح لنا الروح القدس بأن نستمتع إلى حديث كهذا!

«شريعتك في وسط

أحشائي» (ع ٨) عندما تقدّم المحرقة، كان الكاهن يسلخها، فكانه بذلك يكشف عن كمال وجمال الذبيحة. فكما هي من الخارج، هكذا هي من الداخل أيضاً. وبعد أن يسلخها كان يقطعها إلى قطعها. إن المحرقة لا تكلمنا عن ما عمله المسيح، بل ما هو في ذاته، ما

شريعتك في وسط أحشائي

هناك ثلاثة مواقف عظيمة في حياة المسيح تُرينا كيف كانت شريعة إله في وسط أحشائه في حياته، وفوق الصليب، وبعد القيامة: في حياته: عندما جُرب الرب من إبليس (مت ٤؛ لو ٤) كان بمقدوره أن يجيب على هذا الجرب بأكثر من أسلوب. إن أية كلمات تخرج من فمه هي كلمات الله، لأنه هو الله (ارجع إلى يو ١٧: ١٢؛ ١٨: ٩). ولكن كان جواب الرب على إبليس... «مكتوب... مكتوب... ومكتوب أيضاً».

فوق الصليب: اقتبس - تبارك اسمه - في صرخته المدوية الكلمات الأولى من المزمور الثاني والعشرين، ونقرأ في إنجيل يوحنا هذه العبارة المؤثرة التي تسي قلوبنا: «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب قال: أنا عطشان». فالوحي يؤكد أنه قال «أنا عطشان» لا لكي يروي ظمأه، بل لكي يتم المكتوب (مز ٦٩: ٢١)!

بعد القيامة: التقى مع تلميذي عمواس، وابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب (لو ٢٤: ٢٧). إنه خلال تلك الرحلة العجيبة التي استغرقت معظم نهار ذلك اليوم، لم يكن له من حديث سوى «ما في الكتب».

* أراد الرب أن يبين أنه ليس محتاجاً في جوابه على تجارب إبليس لشيء جديد خارج المكتوب. فكل شيء نواجهه نجد جواباً له في المكتوب. لقد كان لسان حاله: «بكلام شفيتك أنا تحققت من طرق المتق» (مز ١٧: ٤).

في داخله، ما في كيان المسيح حيث لا نجد سوى شريعة الله ورغبته الكاملة في إتمامها
«أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت، وشريعتك في وسط أحشائي».

ثم يقول: **«بدرج الكتاب مكتوب عني»**، ما أعظم الشخص المتكلم هنا، وما أعظم
 الكتاب الذي يشير إليه! المتكلم هو الشخص الفريد، والكتاب هو الكتاب الفريد.
 فالمتكلم هو المسيح ابن الله، والكتاب هو الكتاب المقدس كلمة الله. الشخص هو الكلمة
 المتجسد، والكتاب هو الكلمة المكتوبة. أو بعبارة أخرى الكلمة الحي والكلمة الحية!

وإنجيل يوحنا الذي يكلمنا عن المسيح كالمحرقة، يكلمنا أيضاً عن المسيح كالتابوت المكوّن
 من الذهب النقي وخشب السنت (الخشب الذي لا يفسد بحسب الترجمة السبعينية). فالذهب
 النقي (لاهوت المسيح)، مع خشب السنت (ناسوته الكامل القدوس) يظهران في قول البشير
 يوحنا: **«والكلمة (الذهب النقي) صار جسداً (الخشب الذي لا يفسد) وحلّ بيننا»** (يو ١: ١٤).
 ويخبرنا الوحي أن التابوت كان فيه من داخل لوحا العهد، الشهادة، ولذا سمي تابوت الشهادة.
 ونحن نعجب حقاً من التوافق العجيب بين رموز الكتاب المتنوعة. فالمسيح كمن كان
 التابوت رمزاً له، وُضِعَت الشريعة في أحشائه، فتمت فيه الكلمات «شريعة إلهه في قلبه،
 لا تتقلقل خطواته» (مز ٣٧: ٣١). وهنا كالمحرقة كانت شريعة الله أيضاً في وسط أحشائه.

ويختتم المسيح المزمور بهذا القول العجيب والمذيب، عن ربنا يسوع المسيح: **«أما أنا
 فمُسْكِين وبائِس. الرب يهتم بي»**. وهذا يُعتبر تمهيداً وتوطئة للمزمور التالي، الذي
 يحدثنا عن المسكين الأعظم (مز ٤١)، وهو أيضاً أحد المزامير المسياوية.

الآيات المسياوية

**«بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ. أذنيّ فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت: هاأنذا جئت.
 بدرج الكتاب مكتوب عني: أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت، وشريعتك في وسط أحشائي»**
 (٦٤، ٧- انظر عبرانيين ١٠: ٥-٩).

في هذه الآيات يذكر المرنم كل أنواع الذبائح والقرابين التي كانت تُقدّم في الناموس
 تحت أربع مسميات: الذبيحة: يقصد بها ذبيحة السلامة (لا ٣)، والتقدمة: يقصد بها قربان
 الدقيق (لا ٢٤)، ثم المحرقة (لا ١)، وهذه الثلاثة كانت قرابين رائحة سرور للرب. وأخيراً

ذبيحة خطية وهي تشمل كل من ذبيحة الخطية (٤٤)، وذبيحة الإثم (٥٤)، وهذه لم تكن لرائحة سرور. لكن سواء هذه أم تلك، فإن الله في الحقيقة لم يجد قَطَّ سروره في هذه الذبائح لذاتها، بل إن قيمتها الحقيقية كانت في أنها تشير إلى عمل ربنا يسوع المسيح من فوق الصليب. لقد كان الله يريد شيئاً آخر، شيئاً أفضل. لقد كان الله يريد حياة لا تحتاج إلى ذبيحة، تكون هي بتمامها ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله. وأين كان يجد هذه الحياة وهذا الجسد؟ هذا ما يوضحه الوحي في هذه الآية المسياوية.

أذن العبد الكامل

«أُذني فتحت» (٧ع)

الأذن هي العضو المسؤول عن السمع وتلقي التعليمات، وهو أهم عضو في العبد، حتى يطيع وينفذ إرادة سيده. ونحن نجد ثلاثة فصول في العهد القديم تكلمنا عن فتح الأذن أو ثقبها، كلها مرتبطة بشخص ربنا المعبود يسوع المسيح، وعمله الكامل على الصليب. وهذه الفصول الثلاثة نجدها في الأقسام الرئيسية الثلاثة لأسفار العهد القديم: أعني بها كتب موسى، والمزامير، والأنبياء (لو ٢٤: ٤٤).

ففي كتب موسى نجد رمز العبد العبراني (خر ٢١) الذي يحب سيده وامراته وأولاده، ويرفض الخروج حراً، فيقرّبه سيده إلى الباب ويثقب أذنه بالمتقاب.

وفي كتب الأنبياء نقرأ في سفر النبي الإنجيلي (نبوة إشعياء) عن ذلك العبد الكامل ربنا يسوع المسيح، الذي يقول: «السيد الرب فتح لي أذناً وأنا لم أعاند. إلى الورا لم أرتد. بذلت ظهري للضاربين، وخدي للناثقين. وجهي لم أستر عن العار والبصق» (إش ٥٠: ٦). وأخيراً في سفر المزامير نقرأ هذه الترنيمة الجميلة بلسان حال الرب نفسه وهو يقول لله: «أُذني فتحت... وأذا جئت... لأفعل مشيئتك يا إلهي سررت».

ثقبت.. حفرت.. فتحت

وإن كنا نقرأ في هذه الفصول الثلاثة عن الأذن، لكن الكلمة المستخدمة مع الأذن في كل حالة من هذه الحالات الثلاث مختلفة. ففي سفر الخروج نقرأ عن ثقب الأذن، وفي المزامير عن حفر الأذن، وفي نبوة إشعياء عن فتح الأذن. وسنرى مدلول ذلك الاختلاف الآن.

عندما اقتبس الرسول بولس عبارة «أُذني فتحت»، كتبها في عبرانيين ٥: ١٠ «هَيَّأتَ

لي جسداً» حسبما جاءت في الترجمة السبعينية اليونانية*. فكلمة «فتحت» باللغة العبرية تترجم - كما ذكرت الآن - «حُفرت»، ونتيجة للحفر يظهر شيء لم يكن له وجود من قبل. ولأن الحديث هنا متجه إلى المسيح ابن الله الوحيد الأزلي المعادل للأب، والذي يأمر ويُطاع، فإن الشيء الجديد الذي ظهر هو طاعته (عب ٥: ٨)، وكان يتحتم (كي ما يطيع) أن يهيئ له الله جسداً، وبه ينفذ الوصية التي قبلها الابن من أبيه، بأن يضع نفسه حتى الموت (يو ١٠: ١٧، ١٨)، فيتم قول الوحي: «وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (في ٢: ٨).

وعليه فيمكن القول إن حفر الأذن بحسب سفر المزامير يشير إلى التجسد، وفتح الأذن بحسب سفر إشعيا يشير إلى حياة الطاعة، وثقب الأذن بحسب سفر الخروج يشير إلى الألم، كلفة المحبة. أو يمكن القول إن تسبيحة سفر المزامير تأخذنا إلى الأزل، عندما كان التجسد مشورة أزلية بين الأب وابنه، وقصيدة العبد المتألم في إشعيا تأخذ فكرنا إلى ملء الزمان وحياة المسيح الكاملة والفريدة في الطاعة لله، وسفر الخروج يأخذ فكرنا إلى الأبدية التي فيها تعاين الكنيسة (امرأة الخروف) ويعاين المؤمنون أفراداً (باعتبارهم نسله المبارك) آثار المحبة التي جعلت المسيح يضحي بالكل لأجلنا، ويصبح باختياره عبداً مؤبداً!

«هَذَا جِئْتُ» (ع ٧) فالذي قبل الإرسالية في الأزل قائلاً: «هأنذا أرسلني» (إش ٦: ٨)، هو الذي أتى مولوداً من امرأة في ملء الزمان، معلناً «هأنذا جئت»[†].

* إن عدم مطابقة الاقتباسات من العهد القديم في العهد الجديد تسبب حيرة عند البعض. وعبرة «أذني فتحت» هنا يقتبسها الرسول في العبرانيين «هيأت لي جسداً». لكننا نرى في هذا أحد أدلة الوحي، لأن التجسد كان أمراً مجهولاً في العهد القديم، كما هو مكتوب «بالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١٦: ٣). ففي العهد القديم لم يكن التجسد قد تم بعد، بل كانت هناك فقط وصية من الأب لابن في الأزل، وهو فتح أذنيه وقبلها (يو ١٠: ١٨). أما في عبرانيين ١٠ فلقد كان التجسد قد تم فعلاً ولذلك يقول المسيح هناك «هيأت لي جسداً».

[†] نلاحظ أن الرسول بولس يتكلم في الاقتباس بصيغة المضارع، فيقول «هأنذا أجيء»، أما المزمور في المزمور فيتنكلم بصيغة الماضي «هأنذا جئت»، مع أننا نتوقع أن يحدث العكس، أن يأتي الكلام في مزمور ٤٠ بصيغة المستقبل، وفي العبرانيين بصيغة الماضي. والسبب في صيغة المضارع في رسالة العبرانيين أنه يشير إلى لسان حال المسيح عند دخوله إلى العالم. فهو هنا لا يشير إلى حدث تم في الماضي، بل لفته عندما قيل أن يتخذ جسداً ويحل بيننا. وأما السبب في صيغة الماضي في كلام المزمور فهو أن نبوات العهد القديم تأتي دائماً في صيغة الماضي وذلك للتأكيد. ففي اللغة، ما حدث في الماضي لا يُحتمل عدم حدوثه، إذ إنه قد وقع بالفعل. وأقدم نبوة في الكتاب، وهي نبوة أخنوخ، وموضوعها مجيء الرب، وردت في صيغة الماضي «هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه، ليصنع دينونة على الجميع...» (يه ١٤، ١٥). فرغم أن مجيء الرب كان سيتم بعد آلاف السنين وقت أن تنبأ أخنوخ، ولكن لأن هذا المجيء حتمي ولا توجد قوة يمكنها أن تعطله، من أجل ذلك جاء النبوة بصيغة الماضي (ارجع أيضاً إلى إشعيا ٥٣ الذي يتحدث عن آلام المسيح على الصليب).

لقد كان مستحيلاً على الإنسان أن يصل إلى الله، لكن لم يكن مستحيلاً على الله أن يتنازل هو ويأتي إلى البشر. وها هو يعلن هنا «هأنذا جئت».

وهذه العبارة الرائعة: «هأنذا جئت» تتضمن إعلاناً عجباً علينا أن نتنبّه له جيداً، إذ إنه جدير منا بكل انتباه. دعنا نخفض الرأس في خشوع لنشهد كيف أن صورة الله غير المنظور، أتى إلى العالم في شبه جسد الخطية، وكيف أن السرمدى دخل التاريخ مولوداً من امرأة، وغير المحدود أضحى طفلاً ممتحاً مضجعاً في مذود، والتقدير الذي لا تُدرّكه، لم يرسل إلينا أحداً من ملائكة قوته، بل أتى بنفسه إلى الأرض باعتباره «عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (متى: ٢٢). لقد أتى من قصور العاج إلى عالم البؤس والشقاء، والساكين في نور لا يُدنى منه أتى إلى مساكن الفقراء، وشمس البرّ أشرق على الجالسين في كورة الموت وظلاله!

هذه العبارة العظيمة تحمل في طياتها أربع دلالات هامة:

أولاً: أن المسيح - بخلاف البشر - كان له وجود سابق، فهو لم يبدأ وجوده بمولده من العذراء (يو: ٨: ٥٨).

ثانياً: أن المسيح - بخلاف البشر - كانت له إرادة. فنحن لم يؤخذ رأينا قبل أن نأتي إلى العالم، وبالتالي لا يقال عنا إننا جننا بل ولدنا، أما المسيح فقد وُلِدَ وجاء أيضاً (يو: ١٨: ٣٧).

ثالثاً: أنه أتى من مكان محدد. لقد جاء «من عند الآب» (يو: ١٦: ٢٨)، بل ومن «حضن الآب» (يو: ١٨: ١). وفي ذلك كان يوسف المرسل من يعقوب أبيه، من وطاء حبرون، رمزاً له (تك: ٣٧: ١٣، ١٤).

رابعاً: أنه جاء لغرض معيّن: كما يقول هنا «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سروراً!» (ع ٨). ونلاحظ أن الرسول في الرسالة إلى العبرانيين عندما اقتبس هذه العبارة الأخيرة قال: «أن أفعل مشيئتك يا الله»، ولكنه لم يقتبس كلمة «سرور»، وهذا دليل آخر على كمال الوحي وعصمته، يُضاف إلى عبارة: «هيأت لي جسداً» التي أشرنا إليها سابقاً. لأنه في المزمور يتكلم عن المحرقة الاختيارية التي تُسبب سروراً وفرحاً لله، أما في عبرانيين ١٠ فهو يتحدث عن المسيح كذبيحة الخطية. فلم يكن من المناسب أن يذكر في هذه الذبيحة كلمة «سرور»!

ملاحظات إضافية على المزمور الأربعين

لماذا كانت الذبائح في العهد القديم أربع؟

في الأصحاحات الأولى من سفر اللاويين (لا ١-٧) يذكر الوحي لنا أربع ذبائح دموية كان النظام الناموسي قائم عليها. ولنا أن نتساءل لماذا أربع ذبائح؟ أما كان نوع واحد من الذبائح يكفي؟

والإجابة إن الناموس الذي له ظل الخيرات العتيدة (عب ١٠: ١) كان يلزم أن يحتوي على أربع ذبائح تكلمنا عن شخص المسيح وعمله على الصليب من زوايا مختلفة، فذبيحة واحدة لم تكن كافية لتكلمنا عن كل جوانب عمل كفارة المسيح.

* ذبيحة الخطية تنظر إلى الخطية باعتبارها شيئاً بغيضاً في نظر الله القدوس، بغض النظر عن النتائج المترتبة عليها، ولهذا فكانت تُحرق بالنار خارج المحلة (عب ١٣: ١١).

* وذبيحة الإثم تركز، لا على الخطية ذاتها فحسب، بل على نتائج الخطية أيضاً، وكيف أنها سببت الضرر والإساءة، وكانت تطالب ليس بالتعويض فقط، بل بإضافة الخمس أيضاً (مز ٦٩: ٤؛ ٦٧: ٥).

* وذبيحة السلامة هي الذبيحة المشغولة بوضع القنطرة بين المسيء والمساء إليه، بين الإنسان والله، واستعادة العلاقة بينهما، وسد الثغرة، وصنع السلام، وإيجاد الشراكة. ونحن نرى تصويراً بديعاً لهذا في قصة الابن الضال (لو ١٥).

* أما المحرقة فهي الذبيحة التي كانت تُصعد بتمامها إلى الله. لا يقول الوحي عنها إنها كانت تُحرق مثل ذبيحة الخطية، بل تُوقد، كي ما تتصاعد منها رائحة سرور لله. فلم يكن مقدّم الذبيحة مضطراً أو مجبراً على تقديم المحرقة، بل كان يقدمها باختياره ورضاه. كما نرى فيها أيضاً رائحة السرور المتصاعدة منها لرضا الله. وهكذا المسيح في الجلجلة قدم نفسه بسرور لكي يفعل مشيئة الذي أرسله (يو ١٧: ١٠)، فتتسم رائحة الرضا، وهو قد فعل ذلك لا عن اضطرار، بل باختيار بكل فرح وغبطة.

* مما سبق يمكن القول إننا في ذبيحة الخطية نرى طبيعة الله، وفي ذبيحة الإثم نرى حكومة الله، وفي ذبيحة السلامة نرى قلب الله، وفي المحرقة نرى قصد الله.

* وكما يكلمنا سفر اللاويين عن هذه الذبائح الأربع، فإن لنا في سفر المزامير أيضاً أربعة مزامير تحدثنا عن هذه الجوانب عيناها: ويمكن القول إننا في مزمور ٢٢ نرى المسيح

باعتباره ذبيحة الخطية متروكاً من الله، لأنه جُعل خطية لأجلنا (٢كو٥: ٢١). وفي مزمور ٦٩ نجد المسيح باعتباره ذبيحة الإثم الذي عوّض الضرر وردّ الذي لم يخطفه (مز٦٩: ٤). وفي مزمور ١١٨ نرى المسيح كذبيحة السلامة وهو يستعيد شركة الإنسان المطرود من محضر الله وذلك بتحملة الأكم والموت. وأخيراً فإن مزمور ٤٠ يحدثنا عن المسيح المحرقة الذي كان سروره أن يفعل مشيئة الله.

* والعجيب أن هذه الذبائح الأربع تتمشى أيضاً مع البشائر الأربع في العهد الجديد. في كل بشارة من هذه البشائر، نجد جانباً معيناً لعمل المسيح. والجدول الآتي يوضح لنا العلاقة بين الذبائح الأربع والأنجيل الأربعة والمزامير المسياوية الأربعة التي تحدثنا عن الصليب كما يلي:

الذبيحة	المزمور	الإنجيل	الفكرة البارزة	الجانب الإلهي
الخطية	الثاني والعشرون	مرقس	الترك من الله، وتحمل الأكم	طبيعة الله
الإثم	التاسع والستون	متى	رد المسلوب والتعويض	حكومة الله
السلامة	المئة والثامن عشر	لوقا	الشركة والرضا	قلب الله
المحرقة	الأربعون	يوحنا	الطاعة وإتمام مشيئة الله	مقاصد الله

المزمور الحادي والأربعون

المسكين الأعظم

المزمور في كلمات

يُرى المسيح في هذا المزمور باعتباره المسكين، لا سيما عندما مضى إلى الصليب. ويتحدث عن موقف البشر المتباين منه. وهذا هو الامتحان الذي وضعه الله أمام النفوس: ما هي نظرتهم إلى المسيح المصلوب؟ بناء على تلك النظرة تتحدد بركة النفس أو دينونتها.

الاقتباسات

قد اقتبس الرب له المجد العدد التاسع من هذا المزمور في يوحنا ١٣: ١٨ «لكن ليتم الكتاب: الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه».

الكاتب والمناسبة

كاتب هذا المزمور هو داود، وكتبه في أثناء الثورة التي قام بها ابنه الشرير أبشالوم ضده راجباً في اغتصاب الملك، وسانده في هذه الثورة مشير داود، أخيتوفل الجيلوني، الذي يسميه داود في هذا المزمور «رَجُلٌ سَلامَتِي الَّذِي وثَقْتُ بِهِ، أَكَل خُبْزِي». وغني عن البيان أنه لا يوجد بؤس في العالم أكثر من بؤس أب له ابن عاق، يقوم على أبيه ناوياً قتله. غير أن مأساة داود لها بُعد آخر، فهو كان يعلم أنه يحصد ما سبق أن زرعه. وكان

السيف قد بدأ يعمل في بيته. وبالإضافة إلى ذلك، يبدو أنه أصيب بمرض خطير، فيقول في (٤٤): «اشف نفسي لأنني قد أخطأت إليك». ويرجّح المفسرون أن الحجة التي كان يسوقها أبشالوم وهو يهيج الشعب ضد داود أبيه، هي أن الملك مريض وغير قادر على إدارة شؤون المملكة. لقد كان يتوقع موته السريع، ولكن عندما وجد أنه لم يمت، قام بتمرده المسلح!! هذه كانت حالة داود: مريض ومطارّد من ابنه. وفي ذلك الوقت كان هناك من وقف معه ليساندّه، كما كان هناك أيضاً من وقف ضده.

عنوان المزمور:

هو أيضاً مثل المزمور السابق «لإمام المغنين، مزمور لداود».

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير:

يُفتَح الكتاب الأول لسفر المزامير (مزمور ١-٤١) بتطويب الرجل البار، وهو تطويب لا ينطبق تمام الانطباق إلا على شخص المسيح وحده. ثم يأتي مزمور ٣٢ فيكلمنا عن تطويب الرجل الذي غُفر إثمُه وسُتِرت خطيئته، وهو تطويب يصلح لنا تماماً، ولكن المسألة هي كيف نحصل عليه؟ الإجابة نجدها في هذا المزمور الثالث الذي يبدأ بتطويب الذي ينظر إلى المسكين، ربنا يسوع المسيح، وهو مُعلّق على الصليب. فهل أنت واحد من هؤلاء؟

آلام المسيح هنا تختلف عن آلامه في مزمور ٢٢، فهي ليست من يد الله، ولا هي من الشيطان المفترس، أو الناس الأشرار، بل هي آلام الخيانة التي جاءت من يهوذا الإسخريوطي.

إن كنا في مزمور ٤٠ قد رأينا النتيجة المزدوجة لعمل الصليب، بالنسبة للأعداء والأحباء، فإننا هنا نرى النظرة المزدوجة للصليب؛ نظرة تجلب البركة لأصحابها، ونظرة تجلب القضاء والدينونة.

أقسام المزمور

١- نظرة الإيمان (١٤-٣).

* انظر التعليق على مزمور ٤٠.

- ٢- نظرة عدم الإيمان (ع ٩-٤). وهذا الجزء ينقسم بدوره إلى أقسام ثلاثة:
 أ- ذكريات أليمة (ع ٤): خطبة داود.
 ب- مؤامرات أليمة (ع ٩، ٥): من أبشالوم وأخيتوفل.
 ج- تظاهرات لأليمة (ع ٨، ٧، ٦): خبث أبشالوم.
 ٣- نهايتنا الإيمان وعدم الإيمان (ع ١٠-١٢).
 ٤- خاتمة المزمور: بل وخاتمة الكتاب الأول من سفر المزامير (ع ١٣).

الدروس الأدبية والعملية

نلاحظ أن هذا المزمور لا يكلمنا عن العطف على المساكين بصفة عامة، ولا حتى مساكين المؤمنين، بل إن التطويب هو لمن ينظر إلى «المسكين». إنه شخص واحد مُعرّف، ومع أن غناه لا يُحد، إلا أنه أيضاً وصل في مسكنه إلى ما لم يبلغه سواه. فهل تعرفت على هذا الشخص العجيب؟

ولكن لماذا صار مسكيناً؟ يخبرنا الرسول قائلاً: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر، وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو ٨: ٩).

فإنه وهو الغني لأجلنا قد افتقر
وملء حب أزلّي على الصليب قد ظهر

لكننا في زمورنا هذا، لا نقرأ وصفاً للمسكين، بل للبركات التي تحل على من ينظر إليه بالإيمان. إن كل من ينظر بالإيمان إلى هذا المسكين، هو شخص مُطوَّب (ع ١) لأنه يتمتع بالبركات السباعية الآتية (ع ٢، ٣):

- ١- في يوم الشر ينجيهِ الرب.
- ٢- الرب يحفظه،
- ٣- ويحييه،
- ٤- يغتبط في الأرض،
- ٥- ولا يسلمه الرب إلى مرام أعدائه،
- ٦- الرب يعضده،
- ٧- ويمهد مضجعه كله في مرضه.

وفي إنجيل لوقا، عند مشهد الصليب، نرى نظرة الإيمان، ونظرة عدم الإيمان. «وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك (هذه هي نظرة الإيمان بالمخلص)». ونقرأ أيضاً «وكان الشعب واقفين ينظرون (وهذه هي نظرة عدم الإيمان) والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به» (لو ٢٣: ٣٥، ٤٩).

كما يحدثنا الإنجيل عنه* عن المذنبين اللذين صلبا مع المسيح، وعن نظرتيهما المتباينتين لذلك المصلوب. لقد نظر اللص التائب بالإيمان إلى المخلص فنال باسمه غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين، وما أعجب نظرة ذلك اللص للرب يسوع الذي كان معلقاً إلى جواره في ضعف. لكنه رأى فيه رباً، وفي أتماله مجداً، وفي إكليل الشوك تاجاً، وفي خشبة الصليب عرشاً!! أما زميله الآخر فقد نظر إلى المسيح نظرة عدم إيمان فمضى إلى أبدية العذاب لأنه احتقر المخلص. ويا لتعاسة كل شخص لا ينظر بالإيمان إلى هذا المخلص المعبود!

قديمًا قال الرب: «التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأنّي أنا الله وليس آخر» (إش ٤٥: ٢٢)، وعلق أحدهم على هذه الآية قائلاً: إنها آية تقدّم أعظم بركة (الخلاص)، بأبسط وسيلة (الالتفات القلبي بالإيمان)، لأكبر تجمّع (جميع أقاصي الأرض)، من أعلى سلطة (لأنّي أنا الله وليس آخر).

قارئ العزيز: هل لك هذه النظرة؟ أتريد السعادة في الدنيا والآخرة؟ انظر إذاً إلى المخلص بالإيمان فتحيا، فمكتوب قديمًا عن الحية النحاسية: «فكان متى لدغت حية إنساناً، ونظر إلى حية النحاس يحيا» (عد ٢١: ٩). فالحية النحاسية رمزاً لربنا يسوع المسيح القدوس الخالي من سم الخطية (يو ٣: ١٤) وكل من ينظر إليه بالإيمان يحيا.

لكن على الجانب الآخر من هذه النظرة المحيية نجد نظرات الشماتة، وهي بالنسبة لقصة داود ممثلة في أخيتوفل، وبالنسبة لقصة المسيح ممثلة في يهوذا.

وقبل أن يتحدث المزمور عن خيانة أخيتوفل، فإنه يحدثنا عن مؤامرة أبشالوم الشرير فيقول:

**«أعدائي يتقاولون عليّ بشر: متى يموت ويبعد اسمه؟ وإن دخل لبراني يتكلم
بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثماً. يخرج. في الفارج يتكلم. كل مبغضٍ يتناجون
معاً عليّ. عليّ تفكروا بأذيتي» (ع ٥-٧).**

* إنجيل لوقا يركز دائماً على المتناقضات ليظهر التباين: سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة (لو ٧)، الابن الأصغر والابن الأكبر (لو ١٥)، الغني ولعازر (لو ١٦)، الفريسي والعشار (لو ١٨)، وهنا اللص التائب واللص الهالك.

لقد كان داود مريضاً، وكان أعداؤه يتقاولون عليه بالشر. ولم يكن داود شخصاً ساذجاً، إذ يُقال عنه إنه «كملاك الله»، ورغم تظاهراتهم اللئيمة، فقد كان داود يدرك تماماً ما يحاك ضده من مؤامرات، مما كان يزيد جرحه. فعندما كان أبشالوم يدخل ليزور أباه، كان يتظاهر بأنه مهتم بسلامة أبيه، وهو في الواقع يتمنى موته. **«وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب»**، ثم يجمع أكاذيب ضد أبيه، ويخرج ليشيع تلك الأكاذيب في الخارج، التي مجملها: **«يقولون أمر رديء قد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم» (ع ٨).**

«أيضاً رجل سلامتي، الذي وثقت به، أكل خبزي، رفع عليّ عقبه!» (ع ٩).

وهو وصف لخيانة أخيتوفل البشعة (ارجع إلى ص ١٥: ٣١)، وفي قصة المسيح - كما سنرى بعد قليل - تمثل خيانة الخائن يهوذا الإسخريوطي.

ماذا نقول لك يا أخيتوفل عن خيانتك النكراء لمن انتمتك لتكون صاحب سرّه؟! أما أنت يا يهوذا، فبأي لسان نصيف جريمتك البشعة وحيانتك لسيدك وربك؟!

ولقد زاد يهوذا على أخيتوفل، الرياء فوق الخيانة. فلقد ظهر أخيتوفل بوجهه القبيح، أما يهوذا فأضاف إلى خطية الغدر، خطية الرياء!

أيها الأشرار، إن كنتم قد قررتم أن تكونوا أشراراً، فكونوا كما اخترتم لأنفسكم. لكن في أثناء ذلك لا تدعوا أنكم قديسون!

أيها الرجال والنساء الذين خنتم وغدرتم بأصحابكم، تبّاً لكم! إن يهوذا هو قائدكم ومقدامكم، والمسيح هو قاضيكم وديانكم.

ويهوذا يُعتبر تحذيراً لكثيرين! فهو لم يكن يتوقع موت المسيح فعلاً، تماماً كما لم يكن هيرودس يتمنى موت يوحنا المعمدان. ومن هذا نتعلم أن الخطية كثيراً ما قادت أصحابها إلى حيث لا يريدون، ودون أن يقدروا هم أنفسهم على تغيير الوضع. والمشكلة في حياة هذين الاثنين - يهوذا وهيرودس - كانت وجود صنم في الحياة: صنم محبة المال في حياة يهوذا، وصنم الشهوات (هيروديا) في حياة هيرودس. فلنحذر إذاً من أي صنم! ولنهرب منه هروبنا من الأفعى القاتلة، فهو سيقتلنا حتماً طالما احتفظنا به **«أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام» (يو ٥: ٢١).**

وفي القسم الأخير (ع ١٠-١٢) يقول المسيح: **«أما أنت يا رب فارحمي وأقمني، فأجازيهم»**، **«أما أنا فبكمالي دعمتني، وأقمتني»**

هنا نجد فكرة مزدوجة لقيامة المسيح من الأموات، فانه أقامه، وأقامه بسبب كماله وقداسته. كما يتبين لنا من هذه الآية أيضاً أنه كما أن قيامة المسيح هي أساس خلاص المؤمنين (رو ١٠: ٩)، فإنها أيضاً أساس دينونة الرافضين (أع ١٧: ٣١). فيقول هنا: «أقمني فأجازيهم». هم قالوا «لا يعود يقوم» (أع ٨)، لكنه قام (أع ١٢)، بل أيضاً قام لكي يجازيهم (أع ١٠)، فيا لبؤسهم ويا لشقاوتهم!

ولهذا فإني أقول للمؤمن أبشروا! لا دينونة عليك، لأن المسيح قام. فهو «الذي أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥). كما أقول للخطي ويليك! فانت إن لم تسرع بالاحتماء به ستدان، ذلك لأن المسيح قام، والله «أقام يوماً هو فيه مزعم أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً (برهاناً) إذ أقامه من الأموات» (أع ١٧: ٣١).

الذي رفعه الناس مداناً، الله رفعه دياناً «هذا أقامه الله... وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات» (أع ١٠: ٤٠-٤٢).

ثم يُختم المزمور بهذه الآية الكريمة: «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد». هذا المزمور إذاً يبدأ وينتهي بالبركة*، وهي بركة في اتجاهين: من أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلا. فالمسيح المصلوب هو الذي يوصل بركات الله إلى الإنسان (كما في أول المزمور)، والمسيح المقام هو الذي يرفع سجود وحمد القديسين إلى الله (كما في آخر المزمور).

والذين يقولون: «مبارك الله» أو «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد» هم المفديون الذين تمتعوا أولاً ببركات الله.

وأخيراً، ومثل كل الأقسام الخمسة لسفر المزامير، يختم بهذه العبارة، أو ما يشبهها: «آمين وآمين».

التطبيق النبوي

إن التمرد أو الثورة التي قامت في إسرائيل تحت زعامة أبشالوم، تصور لنا موقف الأمة الغبية من المسيح الذي رفضته، وسيرهم وراء أبشالوم الفاسد الشرير، تصور قبولهم

* بل إن الكتاب الأول من سفر المزامير (مز ١-٤١) تبدأ آيته الأولى بكلمة «طوبى»، وآيته الأخيرة بكلمة «مبارك».

في المستقبل لصد المسيح. لقد انقسمت الأمة في الماضي إلى فريقين: فريق نظر نظرة الإيمان للمصلوب، فلم يخزوا (١بط ٢: ٦)، وأما الفريق الآخر فلم يؤمن به، فأدركهم الغضب إلى النهاية. وهو عين ما سيتم مع الأمة في المستقبل بعد اختطاف الكنيسة.

وداود في التطبيق النبوي، يصور لنا لا المسيح شخصياً، بل إخوة المسيح الأصاغر. طوبى لكل من ينظر إليهم ويعتبرهم، سوف يحظون بالملوك المعد لهم منذ تأسيس. وأما الذي يحتقرهم أو يتأمر عليهم فسوف يكون نصيبه في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، كما سنوضح بعد قليل.

«يقولون: أمر رديء قد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم».

كلمة «أمر رديء» تعني: "من بليعال". هذا ما قاله شمعي بن جيرا على داود المطارد من أشالوم (٢صم ١٦: ٧)، وما قاله أيضاً اليهود غير المؤمنين لما رأوا المسيح ودَّله فوق الصليب، فحسبوه يتألم لأجل شر ارتكبه (انظر إش ٥٣: ٤). أما نحن فنعرف أنه لم يكن مصاباً ومضروباً من الله ومذللاً، بل كان مجروحاً لأجل معاصينا مسحوقاً لأجل آثامنا. وبينما نحن المؤمنون عرفنا ذلك من الآن، إلا أن الشعب القديم سيعرف ذلك في المستقبل يوم يظهر لهم المسيح، وينوحون عليه (زك ١٢: ١٠).

«حيث اضطجع لا يعود يقوم»: عبارة يمكن أن نطبقها على فكر اليهود الأشرار من جهة موت المسيح. لقد مات المسيح، فهل الذي يموت يقوم مرة أخرى؟! والعجيب في قصة المسيح، أنهم بعد موته، عملوا كل احتياطاتهم. فقال رؤساء الكهنة الأردباء لبيلاطس: «تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم». فطلبوا أن يضبط القبر، ويختم الحجر، ويوضع حراس أمام القبر. غير أنه رغم كل ذلك قام!!

«أيضاً رجل سلامتي، الذي وثقتُ به، أكل خبزي، رفع عليَّ عقبه!» (٩ع).

هنا يتكلم داود عن خيانة أخيتوفل، مُشير الملك، الذي يذكرنا بالخائن يهوذا الإسخريوطي*.

وإنجيل يوحنا قبل أن يشير إلى "عقب يهوذا" الذي رفعه على المسيح، أشار إلى قلب يهوذا الذي دخله الشيطان (يو ١٣: ٢، ١٨). وماذا نتوقع من شخص فتح قلبه على

* من الملفت للنظر أن أخيتوفل أنهى حياته منتحراً بأن شق نفسه (٢صم ١٧: ٢٣)، وهي نفس نهاية الخائن يهوذا أيضاً (مت ٢٧: ٥).

مصراعيه ليدخله الشيطان!؟

ونلاحظ أن ليهوذا نفس اسم الشخص الذي باع أخاه يوسف بعشرين من الفضة (تك ٣٧: ٢٦، ٢٧)، وهو نموذج لآلاف لا تُحصَى من رجال الدين غير المؤمنين الذين استخدموا الدين وسيلة للتربح.

«بهذا علمت أنك سررت بي، أنه لم يهتف عليّ عدوي» (ع ١١). وليس فقط لم يهتف، بل ما أُرهب مصير كل أعدائه. نقرأ عن هذا المصير في أجزاء عديدة في الوحي (مز ٧٢: ٩؛ لو ١٩: ٢٧؛ أع ١٠: ٤٠، ٤٢).

لقد رجع داود من المطاردة إلى الملك، وجازى كل واحد بحسب موقفه منه في أثناء المطاردة. فجازى برزلاي الجلعادي في إكرام ابنه كمهام، كما أوصى ابنه سليمان بمجازاة شمعي بن جيرا الذي أساء إليه في أثناء هربه من أبشالوم. هكذا سيفعل المسيح مع الأمم في دينونة الأحياء بالنسبة لموقفهم من إخوته الأصاغر، البقية النقية (مت ٢٥: ٣١-٤٦).

والرب آتٍ سريعاً، وسيجازي المسيح كل واحد كما يكون عمله، وكما تكون نظرته للمسيح. سيكافئ المؤمنين باسمه، ويجازي الأشرار مبغضى اسمه.

المسيح في المزمور:

«طوبى للذي ينظر إلى المسكين» (ع ١)

كثيرة هي الآيات في سفر المزامير التي تحدثنا عن المسيح باعتباره المسكين:

- ١- «لأنه لم يحتقر ولم يردل مسكنة المسكين» (مز ٢٢: ٢٤).
- ٢- «أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بي» (مز ٤٠: ١٧).
- ٣- «أما أنا فمسكين وكثير» (مز ٦٩: ٢٩).
- ٤- «أما أنا فمسكين وفقير» (مز ٧٠: ٥).
- ٥- «أنا مسكين ومسلم الروح منذ صباي» (مز ٨٨: ١٥).
- ٦- «صلاة لمسكين إذ أعيا» (مز ١٠٢).
- ٧- «فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي» (مز ١٠٩: ٢٢).

المسيح المسكين الأعظم

يمكننا تتبع سبع درجات مسكنة ذلك المسكين الذي ليس له نظير

- ١- البداية في مذود: لقد بدأ المسيح حياته في مذود، «إذ لكم يكن لهما موضع في المنزل» (لو ٢: ٧).
- ٢- مقدمة الفقراء: يقول الكتاب إنه لما تمت أيام تطهير المطوبة مريم، وأرادوا أن يقدموا المولود للرب حسب الشريعة، قدموا مقدمة الفقراء «زوج يمام أو فرخي حمام» (لو ٢٢: ٢٤).
- ٣- نجار الناصرة: لقد تربى المسيح في الناصرة (لو ٤: ١٦)، وهي بلدة محتقرة، وعرف في وطنه بأنه «النجار» (مر ٦: ٣)، و «ابن النجار» (مت ١٣: ٥٥).
- ٤- بلا مأوى: عندما قال له كاتب «يا معلم أتبعك أينما تمضي. قال له يسوع: للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (مت ٨: ٢٠).
- ٥- بلا نقود: لقد كانت النساء يعلنه، وقد خدمه من أمواهن (لو ٨: ٣). ولقد قال للذين أرادوا أن يجربوه «أروني معاملة الجزية» (مت ٢٢: ١٩)، ولم يكن معه الدرهمين، هذا المبلغ الزهيد (مت ١٧: ٢٤-٢٧).
- ٦- بلا ثياب: عند الصليب كانت ثيابه هي كل ما يمتلك، فجردوه منها واقتسموها بينهم أمام عينيه، كل هذا قبل أن يسلم الروح، وهكذا خرج من العالم بلا شيء ولا حتى الثياب!
- ٧- القبر المستعار: وانتهت حياته بأن دُفن في قبر مستعار، ظل فيه ثلاثة أيام وثلاث ليال. وفي اليوم الثالث قام تاركاً القبر والأكفان. ومع أن له الكل، إلا أنه كما دخل العالم بلا شيء، فقد خرج منه بلا شيء!

آه أيها الأحباء، يذوب القلب فينا ونحن نتكلم عن ذاك المجيد «العلي المرتفع ساكن الأبد» وكيف افتقر وصار مسكيناً!!

«أنا قلت: يا رب ارحمني. اشف نفسي لأنني قد أخطأت إليك» (ع ٤).

لقد سبق لداود أن اعترف بخطيته طالباً الرحمة، قائلاً: «لأنني أخطأت إليك» فهو قد فعل الشر قدّام عيني الرب (مز ٥١: ٤). لكن أكان أمراً سهلاً أن ينطق بهذه الكلمات "رب داود" و "ابن داود"؟ كلا البتة. لأنه هو الذي لم يعرف خطية. لهذا يرى بعض الشراح صعوبة في تطبيق هذا الكلام على المسيح. ولكن المشكلة في رأي "جرانت" لها حل، عندما نعرف أن عبارة «أخطأت إليك» هي نفس العبارة التي قالها يهوذا قديماً

ليعقوب أبيه «أصير مذنباً» (تك ٤٤: ٣٢) بمعنى أحمل الذنب والإثم. وهذا ما حدث مع المسيح، فمع أنه البار القدوس لكن «الرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦)، ويقول في المزمور التاسع والستين «ذنوبي عنك لم تخف». إذاً فالعدد الرابع من هذا المزمور يحدثنا عن لغة داود الشخصية، ولغة رب داود باعتباره ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم.

«أعدائي يتقاولون عليّ يَشْر: متى يموت ويبيد اسمه؟» (ع ٥). كانت هذه رغبة الشيطان التي بثّها في قلوب رؤساء أمة اليهود الأشرار، أن يموت المسيح ويبيد اسمه. لكن هيهات، فقد تعظّم المسيح جداً بعد موت الصليب، كقول الكتاب «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم» (في ٢: ٨، ٩).

أين في كل الأرض نجد اسماً ممدوحاً وممجّداً كاسم المسيح. ما أكثر المشاهير في العالم الذين كتبت لهم الأغاني والأنشيد والقصائد، لكن أين هم الآن بقصائدهم وأغانيهم. بل اجمع كل ما كتب عن الكل، وقارنه بما كتب عن ذلك الشخص المجيد، ربنا يسوع المسيح، ستجد الفرق شاسعاً جداً. كم من شعراء وملحنين ومرنمين أنشدوا لهذا المجيد العظيم؟ وكم من اجتماعات في كل أرجاء العالم، بكل أجناسه، وعلى مختلف المستويات الاجتماعية، والأعمار، ليس لها غرض سوى تمجيد وتكريم هذا الاسم الغالي؟ بحق نقول له: «اسمك دهن مهراق».

والكتاب المقدس يخبرنا عن «محيي اسمه» (مز ٦٩: ٣٦؛ ١١: ٥)، والمفكرين في اسمه (ملا ٣: ١٦)، والمتقين اسمه (ملا ٤: ٢). فهل أنت واحد منهم؟

«وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثماً. يخرج. في الخارج يتكلم» (ع ٦). كم من المرات اجتمع الأشرار إلى الرب لا ليخلصوا بل ليجربوه (لو ٢٠: ٢٢).

«كل مبغضٍ يتناجون معاً عليّ. عليّ تفكروا بأذيني» (ع ٧). نقرأ كثيراً في الأنجيل عن مؤامرات وخطط لقتل الرب يسوع؛ كم مرة نقرأ «تساوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه» (مت ٢٦: ٤) فسجّل لنا الأنجيل سبع محاولات لقتل ربنا المعبود (مت ٢: ١٦؛ ١٤: ١٢؛ ٢٦: ٤؛ ٢٩: ١٠؛ ١٦: ١٨؛ ٨: ٥٩؛ ١٠: ٣١). وفي المحاولة السابعة تم لأولئك الأرياء ما أرادوا، ليس لأن تخطيطهم هذه المرة كان محكماً، بل ببساطة لأن ساعته كانت قد أتت (أع ٢٢: ٤؛ ٢٧، ٢٨).

«يقولون أمر رديء قد انسكب عليه. حيث اضطلع لا يعود يقوم» (ع ٨).

«أمر رديء» تعني حرفياً أمر من بليعال التصق به. ولعلها تذكرنا بقول الأشرار عن المسيح «ألسنا نقول حسناً إنك سامري وبك شيطان؟» (يو ٨: ٤٨). ثم ألا نجد ما يماثل ذلك القول الخبيث أيضاً في مشهد الصليب؟ ألم تدل صيحاتهم الآثمة على استنتاج قلبهم الشرير بأن الله كان ضد المتألم القدوس؟

«آكل خبزي، رفع عليّ عقبة!» وهنا نأتي إلى ذروة المأساة، إن هذا التعبير «آكل خبزي» يُظهر مدى الشراكة الحميمة والمحبة القوية. ولقد تم ذلك عندما قدّم الرب بنفسه اللقمة بعدما غمسه. إن هذا المشهد لا نراه في أيامنا سوى في حفل زفاف عروسين لإظهار قمة المودة والمحبة بينهما، لكننا نجد في إنجيل يوحنا أن الرب قد فعل ذلك مع يهوذا، بل وفعل معه أيضاً أكثر من ذلك، إذ كان قد غسل رجليه. ومع ذلك فإنه بعدما أخذ اللقمة، دخله الشيطان. فحقاً ما أشنع وأفطع شر الإنسان!!

* * *

وداود في هذا المزمور، هو رمز لابن داود في آلامه، وفي خيانة الأحباء له وتتكّر الأصدقاء، مع هذا الفارق العظيم أن داود كان يحصد ما زرعه من إثم وشر، لكن الرب يسوع، «أصل وذرية داود»، تألم نتيجة خطايا غيره، وكان يحصد ما لم يزرعه هو، بل تألم لأجل خطايانا ومعاصينا نحن.

أبشالوم - هذا الابن العاق - نجد فيه صورة رمزية للأمة اليهودية التي قدّم المسيح لها كل الخير، وقابلت هذا الخير بالجحود والنكران (إش ١: ٣).

وأخيتوفل - يذكرنا بذلك الخائن يهوذا الأسخريوطي!

أما الأصدقاء والأوفياء أمثال شوبي وماكير وبرزلاي الجلعاوي الذين أتوا إلى داود في محنايم* (٢صم ١٧)، فإننا نرى إشارة إليهم في ما قاله داود في هذا المزمور: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين». وهم يمثلون، في قصة المسيح، بعض الشخصيات التي ظهرت عند الصليب فسببت لسيدنا التعزية، عندما ندرت التعزية.

* «محنايم» نرى فيها تشجيعات السماء ليعقوب الهارب من خاله لابان، والذي كان على وشك التقابل مع أخيه الغاضب عيسو، حيث ظهرت له ملائكة الله، فدعى اسم ذلك المكان «محنايم» أي جيشين (تك ٣٢: ١). وهناك أيضاً أتت لدواود تشجيعات السماء مستخدمة ثلاثة من الرجال الأوفياء: شوبي، وماكير، وبرزلاي (٢صم ١٧: ٢٧).

الأصدقاء الأوفياء

شوبي بن ناحاش: وكان أبوه اسماً على مسمى. فاسمه الحنش أو الحية، وكان كذلك فعلاً (١ صم ١). كما أن أخاه الذي خلف أباه كان أيضاً شريراً (٢ صم ١٠). لكن من هذا الوسط الضليع في الشر أتى شوبي.

وقد نرى فيه صورة للض نائب، فهو أيضاً كان ضليعاً في الشر، وكان «من أب هو إبليس». ذاك كان قتالاً للناس من البدء» (يو ٨: ٤٤). لكن اعتراف ذلك اللص بكمال المسيح وربوبيته وملكه العتيق، كان بمثابة قطرات منعشة من التعزية لقلب السيد، وسط جمود الأمة له.

وماكير بن عمييل: يرجع أنه كان خادماً بسيطاً ليبت شاول، لكنه رغم بساطته كان نبياً، فاستضاف مقيوش الهارب من داود، ثم أظهر هنا الود لداود الهارب أيضاً.

وقد نجد فيه صورة لنساء الجليل الوفيات اللواتي تبعن المسيح وخدمته من أموالهن، وظلن معه حتى النهاية (لو ٨: ٢، ٣؛ ٢٣: ٤٩).

وأما برزلاي الجمعاوي: ذلك الشيخ العظيم والذي لم يخدم الملك طمعاً في مغنم دنيوي (٢ صم ١٩: ٣٥-٣١)، فقد نرى فيه صورة لشيخين عظيمين هما يوسف الرامي، الرجل الغني، ونيقوديموس الرئيس، اللذان ظهرا في المشهد العصيب، وكفنا جسد يسوع، ودفناه في القبر الجديد المنحوت في الصخر: قبر يوسف الرامي (مت ٢٧: ٥٧؛ يو ١٩: ٣٨-٤٢).

الآية المسياوية

«رجل سلامتي الذي وثقت به، أكل خبزي رفع علي عقبه» (٩ع).

وعندما اقتبس الرب يسوع الآية ٩ من هذا المزمور في يوحنا ١٣: ١٨، لا يذكر عبارة «الذي وثقت به» بل يقول «الذي يأكل معي الخبز رفع علي عقبه*»، فالرب كان يعلم من البداية بحقيقة يهوذا، كما أنه لم يضع ثقته في يهوذا ولا في غيره[†]، وقد قال

* عبارة «رفع علي عقبه» يفسرها «ديلتش» بأنها تعبير عبري يعني رفعه بقوة وقسوة. فيا لعاره، ودماره!

[†] لم يضع المسيح ثقته لا في بطرس ولا في يوحنا الحبيب. وعلمنا ألا نضع ثقتنا في البشر (في ٣: ٣).

المسيح لتلاميذه: «أليس أني أنا اخترتكم، الاثني عشر؟ وواحد منكم شيطان! قال عن يهوذا سمعان الإسخريوطي» (يو ٦: ٧٠، ٧١). فداود قد خُدعَ في أخيتوفل، لكن رب داود، ربنا يسوع المسيح، كان يعلم قلوب الجميع (يو ٢: ٢٤، ٢٥).

وكم نعجب من صبر المسيح ولطفه الذي احتمل إلى النهاية مَنْ كان يعرفه من البداية، دون أن يثير الشكوك حول حقيقة شره. لكن علينا أن نلاحظ أن سَبَقَ معرفة المسيح، باعتباره الله، لم تضعف تأثر مشاعره وجرح قلبه باعتباره الإنسان. حيث أن واحداً من الاثني عشر الذين اختارهم كان يبيعه بثلاثين من الفضة، وهو ثمن عبد مقتول (مت ٢٦: ١٥؛ ٢٧: ٣؛ ٩: ٣٢). ولذا يذكر الوحي في يوحنا ١٣: ٢١ أنه عندما تذكر المسيح خيانة يهوذا اضطرب يسوع بالروح.

وهناك ثلاثة فصول أخرى في العهد القديم، بخلاف آيتنا هذه (مز ٩: ٤١)، تشير إلى خيانة يهوذا الأسخريوطي:

١- مزمور ٢٥: ٦٩، وقد اقتبس الرسول بطرس في أعمال ١: ٢٠.

٢- مزمور ٨: ١٠٩، وقد اقتبس الرسول بطرس أيضاً في أعمال ١: ٢٠.

٣- زكريا ١١: ١٢، ١٣، وقد اقتبسَ في إنجيل متى ٢٧: ٩، ١٠.

ويجب أن نلاحظ أن يهوذا لم يكن مؤمناً وارتد، بل إنه من البداية - كما ذكر المسيح عنه - شيطان. ولعله ملفت أن يهوذا لم يخاطب المسيح ولا مرة قائلاً له يا رب، لأنه ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس (١ كو ١٢: ٣). لكنه كان يستخدم في حديثه معه تعبير آخر: "رباي"، الذي ترجم هنا يا سيد، أو يمكن أن يترجم يا معلم.

الزمرور الخامس والأربعون

عُرس المَلِك

الزمرور في كلمات

مزمور مسياوي، يتحدث أساساً عن ترنيمة عرس، لكنه يشتمل أيضاً على الحديث عن ظهور المسيح بالمجد، وإخضاعه لكل الأعداء بالقوة، وتأسيس ملكوته بالبر. كما يتحدث عن مجد الملك، وكمال حُكمه، وجمال عروسه.

الاقْتِباسات

اقتبس منه الرسول العديدين السادس والسابع في الرسالة إلى العبرانيين، حيث يقول: «وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» (عب ١: ٨، ٩).

الكاتب والمناسبة

غير مؤكد لا الكاتب ولا المناسبة. يرجح البعض أن المناسبة هي زواج سليمان بابنة فرعون، لكن في كل الأحوال هو يتحدث كما نفهم من العهد الجديد عن هو أعظم من سليمان. قال "سبرجون" تعليقاً على هذا: البعض لا يرى في الزمرور سوى سليمان، هؤلاء عندهم

قصر نظر، والبعض الآخر يرى فيه سليمان والمسيح، هؤلاء عندهم حَوَل، أما أصحاب الرؤية الروحية السليمة فيرون فيه "يسوع وحده".

عنوان المزمور:

«لإمام المغنين»^{*}

«على السوسن»: العبارة تشير - على الأرجح - إلى الآلة الموسيقية المستخدمة، أو ربما إلى نغمة تتناسب مع تلك الزهرة الجميلة. فالسوسن هي زنباق الحقل الجميلة التي أشار إليها الرب يسوع (مت ٢٨: ٦؛ لو ١٢: ٢٧)، وذُكرت في سفر المحبة، سفر النشيد، سبع مرات (٢: ١٦، ٢: ١٦؛ ١٣: ٥؛ ٢: ٦؛ ٣: ٧؛ ٢: ٧)، وهي نبتة صغيرة تنبت في الأودية، لهذا فإنها تشير إلى الاتضاع والوداعة، ولونها الأبيض يشير إلى الطهارة والنقاوة، وهي مرتبطة بفصل الربيع البديع، فصل الزهور المتفتحة والروائح الذكية العطرية.

والأرجح أن نغمة «على السوسن»، كانت تُعزف في فصل الربيع حيث أفرح الحصاد وجمع الثمار. إنها بالتالي نغمة ابتهاج وسرور. وعندما نتذكر المسيح الذي مات وقام، في بداية الربيع، فإن هذا يعطي معنى روحياً لهذا العنوان. وكما تأتي أفرح الربيع بعد مضي الشتاء وزوال المطر، هكذا قيامة المسيح[†]، وبداية موسم الحصاد الروحي «الذين يزرعون بالدموع، يحصدون بالابتهاج» (مز ١٢٦: ٥).

وقد وردت هذه العبارة «على السوسن» في العبري "شوشانيم"، أي في صيغة الجمع. فهي إن كانت تحدثنا عن جمال المسيح ورقته وطهارته، لكنها أيضاً تشير إلى المؤمنين بالمسيح الذين يقتدون بسيدهم. ولهذا فإن هذا المزمور يبدأ بأوصاف مجد العريس، لكنه

^{*} انظر التعليق على المزمور الثامن ص ٣١.

[†] وهناك عيدان من أعياد الشعب قديماً مرتبطان بالربيع، وهما عيد الفصح وعيد الباكورة، كان العيد الأول يوم ١٤ من الشهر الأول، والثاني في أول يوم أحد بعد عيد الفصح. ونحن الآن في ضوء العهد الجديد نستطيع أن نفهم إلى أي شيء يشير هذان العيدان: فالفصح يكلمنا عن المسيح وموته فوق الصليب «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٥: ٧)، والباكورة تكلمنا عن قيامة المسيح (١كو ١٥: ٢٠). فهناك بركات كثيرة لنا، وأساس حصولنا عليها وتمتعنا بها هو موت المسيح وقيامته، فهو «الذي أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا». أليس هذا أمراً يدعو إلى البهجة والفرح؟

يختم بالحديث عن مجد العروس (١٣ع).

«لبنّي قورم» نحن نعلم من كلمة الله أن قورح قاد ثورة تمرد وعصيان ضد موسى وهارون (عدد ١٦)، ففتحت الأرض فاهها وابتلعت هؤلاء المتمردين. لكن نعمة الله أبقت بني قورح (عد٢٦: ١١). بل لقد جعلت النعمة منهم مغنين وبوابين في هيكل الرب (أخ٦: ٢٢-٢٧؛ ١٧-١٩؛ نح١١: ١٩). وهم، باعتبارهم بوابين، كانوا أول من يذهبون إلى بيت الله، وآخر من يبرحونه. ونسمعهم يترنمون قائلين «اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» (مز٨٤: ١٠). وليس ذلك فقط، بل ومن فرق المرنمين الأربعة والعشرين كانت هناك أربعة عشر فرقة من بني قورح، أنشدوا بالروح القدس أروع القصائد والترانيم. والمزامير المعنونة لبني قورح يميزها كلها العمق الروحي. وهذه عددها أحد عشر مزموراً، ورقم (١١) هو رقم الترنيمة والفرح. هناك سبعة من هذه المزامير في الكتاب الثاني للمزامير (مزمور ٤٢-٧٢)، وهي: ٤٢؛ ٤٤؛ ٤٥؛ ٤٦؛ ٤٧؛ ٤٨؛ ٤٩. بالإضافة إلى أربعة مزامير في الكتاب الثالث: المزامير ٧٧؛ ٨٤؛ ٨٥؛ ٨٧.

«قصيدة» وهي عنوان لثلاثة عشر مزموراً، والكلمة العبرية المستخدمة هنا «مسكيل» ومنها جاءت كلمة «الفاهمين» في سفر دانيال، والتي تكررت فيه مراراً كثيرة (انظر التطبيق النبوي). وما أجمل صفة الفهم التي تميز المؤمنين في كل الأزمان (عب ١١: ٣). «هكذا قال الرب: لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه. بل بهذا ليفتخرن المفتخر: بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض، لأنني بهذه أسر يقول الرب» (إر ٩: ٢٣، ٢٤).

أول مزمور من المزامير الثلاثة عشر التي تعنون بكلمة قصيدة هو مزمور ٣٢ وهو بحق بداية الفهم الصحيح: «طوبى للذي غفر إثمه وسُتِرت خطيته، طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية، ولا في روحه غش». إن داود هنا لم يقل طوبى لمن كان غنياً أو عظيماً، وإلا ما كان لنا أن نتغنى بمثل هذه الكلمات، غير أن ما ترنم به داود هنا هو أنشودة كل إنسان نال هذه البركة العظمى: غفران الخطايا^أ.

* مزامير ٣٢؛ ٤٢؛ ٤٤؛ ٤٥؛ ٥٢-٥٥؛ ٧٤؛ ٧٨؛ ٨٨؛ ٨٩؛ ١٤٢.

^أ في رومية ٤ يشرح الرسول بولس معنى هذا التطويب. وفي رومية ٩ يوضح أن إسرائيل لم يفهم هذا التطويب.

أما في هذا المزمور ٤٥، فالمرنم ليس مشغولاً بالخطية، بل بالرب نفسه «أنت أبرع جمالاً من بني البشر». إن من يأتي إلى الرب كخاطئ، فإنه سيتمتع ببداية الفهم. ستغفر خطاياه (مز ٣٢)، من ثم تجعله النعمة من ضمن رفقاء العريس وشركائه كما سنرى في هذا المزمور (مز ٤٥).

«ترنيمة محبة»: جاءت هذه الكلمة «محبة» بالعبري في صيغة الجمع. وما أجمل المحبة في عالم البغضة وعالم الشهوة. من أين كان لنا أن نعرف عن المحبة؟ مكتوب «بهذا قد عرفنا المحبة، أن ذاك وضع نفسه لأجلنا» وأيضاً «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١ يو ٣: ١٦؛ ٤: ١٠).

وترنيمة المحبة هي الترنيمة التي ستبقى معنا في الأبدية، إذ سنغني بفرح وهتاف لربنا الذي أحبنا وغسلنا من خطايانا بدمه. فإن كانت ترنيماتنا هنا على الأرض لها مواضيع كثيرة ومتنوعة، لكننا في السماء لن نرم سوى ترنيمة واحدة، هي ترنيمة المحبة، فلن ننشغل في الأبدية سوى بالمحبة.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

العلاقة مع مزموري ٢٢، ٤٠: لا ينظر هذا المزمور إلى المسيح باعتباره المخلص كما في مزمور ٢٢ أو مزمور ٤٠، بل كالملك.

العلاقة مع مزمور ٤١: في المزمور المسياوي السابق (مز ٤١) نرى الرب كالمسكين: وطوبى لمن ينظر إليه نظرة الإيمان. أما هنا فهو الملك المجيد، والذي لا بُد لكل عين أن تراه. في مجيئه الأول كان هو المسكين الحقيقي، أما في مجيئه الثاني فسيأتي كملك الملوك ورب الأرباب (رؤ ١٩: ١٦).

وعلينا أن ندرك أن هناك نظرتين يُنظر بهما للمسيح: نظرة الإيمان وتوقيتها الآن، ثم نظرة العيان وتوقيتها في المستقبل «هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين» (رؤ ١: ٧). فالذين يرونه الآن، هم من جلى الله بصيرتهم الروحية (٢كو ٤: ٦). نحن ننظر إلى وجه الرب يسوع فنرى فيه مجد الله، وسعيد من يفعل ذلك. لكن سيأتي يوم قريب جداً حيث ينتهي دور الإيمان، وستراه كل عين لأنه مكتوب «استتارت الأرض من بهائه» (رؤ ١٨: ١). وفي ذلك الوقت لا نقرأ عن تطويب من ينظر إليه، بل من سبق ونظر إليه

نظرة إيمان في زمن انتصاعه ورفضه. هؤلاء هم الذين نقرأ عنهم هنا بأنهم «رفقاء الملك» الذين سيأتون معه في مجده، ويملكون معه عندما يملك. أما من لم يقدر المسيح ويؤمن به الآن، فهؤلاء هم أعداء الملك الذين سيقع عليهم حكم الله ودينونته المروعة.

العلاقة مع مزمور ٤٢: مزمور ٤٢ هو مزمور العطش، ومع أنه عطش لذيذ وحلو، لأن سيدنا قال: «طوبى للجبايع والعطاش إلى البر» (مت ٥: ٦)، لكن هناك ما هو أخطر من العطش، إنه الارتواء، وهذا ما نراه هنا في هذا المزمور وقد فاض قلب المرنم بكلام صالح.

بكلمات أخرى في مزمور ٤٢ نجد عطشاً، وهذا يتوافق مع ما جاء في يوحنا ٣٧: ٧ «إن عطش أحد فليقبل إليّ»، أما في مزمور ٤٥ فنجد الفيض وهذا يتوافق مع ما جاء في يوحنا ٣٨: ٧ «من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي».

العلاقة مع مزمور ٤٤: يبدأ مزمور ٤٤ بالقول: «اللهم بأذاننا قد سمعنا، آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم، في أيام القدم»، أما هذا المزمور فيبدأ بوصف جمال المسيح باعتباره أبرع جماًلاً من بني البشر. فكأننا في هذين المزمورين نجد قول أيوب (٤٢: ٥) «بسمع الأذن قد سمعت عنك» (مز ٤٢) «والآن رأيتك عيني» (مز ٤٥).

العلاقة مع مزموري ٦٨، ٦٩: انظر تعليقنا على مزمور ٦٨.

أقسام المزمور:

- ١- مجد الملك (٢٠، ١٤)
- ٢- النصر على الأعداء (٥-٣٤)
- ٣- ظهوره وملكوته (٨-٦٤)
- ٤- الملكة والرعايا (١٧-٩٤)

الدروس الأدبية والعملية:

نظرة عامة: يحتوي الكتاب الثاني من سفر المزامير - كما أشرنا - على سبوعية مزامير لبني قورح: ويرد المزمور الخامس والأربعون في وسط هذه المجموعة السبوعية:

- ١- المزامير التي قبله (من ٤٢-٤٤): وتميزها نغمة الحزن، والأسى، والانعناء.
٢- المزامير التي بعده (٤٦-٤٩): وتميزها نغمة الانتصار، والفرح، والمجد.

أفكار عن السجود

ويمكننا من العدد الأول في زمور ٥٤ أن نستخلص أفكاراً هامة عن ماهية السجود:

- ١- السجود يعني فيضان القلب: لأنه من فضلة القلب يتكلم الفم. لنحذر في سجودنا من القلب الفاسد الجامد، وليكن لنا دائماً القلب الملتب بمحبة الرب. قال أحدهم: "إنه أمر رديء أن أنشغل بالأمور المقدسة بقلب فاسد، وأردنا منه أن أتكلم عن الأمور النجسة بقلب ملتب، ولكن ما أجمل أن أتكلم عن الأمور المقدسة بالقلب الملتب". هنا نحن نجد أقوالاً خارجة من القلب، لأنها تدور حول حبيب القلب.
- ٢- «متكلم أنا بإنشائي للملك»: أي أتكلم من واقع اختياري ومشاعري الشخصية نتيجة معرفتي به وشركتي معه، وليس مجرد نقل عبارات عن آخرين.
- ٣- «لساني قلم كاتب ماهر» إنا نحتاج إلى معونة الروح القدس (الكاتب الماهر) لكي نسجد للرب (ارجع إلى فيلي ٣: ٣). ولقد علّق أحدهم على ذلك بالقول: "إذا امتلكك الروح القدس، فإنه يعطيك أن تنطق بعبارات سجود ومدح للرب، لم يسبق لأحد أن نطق بها، من يوم الخمسين إلى الآن!!"

وأما سبب ذلك فهو أن مجموعة المزامير الأولى طابعها المشغولية بالنفس وبالظروف، وهذا لا يقود إلا إلى الحزن والاكتئاب. لهذا كان القرار المتكرر هو: «لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تننين في؟» (مز ٤٢: ٥، ٦، ١١؛ ٤٣: ٥). ولكن عندما تتشغل النفس بشخص المسيح، وتتحول العين إليه، ويتجه القلب نحوه، تأتي الأفراح والشبع والتلذذ، وبالتالي السجود.

«فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك لساني قلم كاتب ماهر» (١٤).

نجد في بداية هذا المزمور أحلي كلام يُقال، وذلك لأنه كلام له وعنه. كما نجد في لوقا ٢٤ أحلى كلام يُسمع، لأنه كلام عنه ومنه، عندما ابتدأ المسيح يشرح لتلميذي عماوس «من موسى ومن جميع الأنبياء... الأمور المختصة به في جميع الكتب». فالكلام الذي له وعنه في

مزمورنا ارتبط بفيضان القلب، والكلام الذي عنه ومنه ارتبط بالتهاب القلب: «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟» والسبب في هذا وذلك هو

أن المرئم هنا يتكلم عنه بقاءة الروح القدس: «لساني قلم كاتب ماهر»، والمسيح بعد القيامة كان يكلم تلاميذه أيضاً بالروح القدس (أع ١: ٢).

أفكار عن الروح القدس في ضوء المزمور

نجد الروح القدس في هذا المزمور يقود للسجود، ويملأ القلب بالفرح، ويربط النفس بالمسيح. فالروح القدس في ع ١ هو مُنشئ السجود الحقيقي، كيف لا ومهمته العظمى - كما نفهم من العهد الجديد - أن يشغل القلب بالمسيح وأمجاده (يو ١٦: ١٣-١٥)، كما رأينا الآن.

ثم في ع ٧ نقرأ أن الله قد مسح المسيح بزيت الابتهاج (وهو رمز للروح القدس) أكثر من رفقاءه (وهم المؤمنون كما نفهم من رسالة العبرانيين ١٤: ٣). وكما كان للمسيح فرحه الخاص بالروح القدس، فإن لنا نحن أيضاً - بعد أن أخذنا المسحة من القدوس - أن نفرح في الروح القدس (رو ١٤: ١٧)، فالارتباط عظيم بين الروح القدس والفرح (أع ١٣: ٥٢؛ أف ١٨: ١٩).

وأخيراً يجعل الروح القدس المؤمن ينسى كل ما هو وراء، ويمتد إلى ما هو قدام (ع ١٠)، كما فعل عبد إبراهيم قديماً مع رفقة (تك ٢٤). لقد قالت رفقة، رداً على طلب العبد: «أذهب»، وسارت معه حوالي ثمانمائة كيلومتر عبر الصحاري. ما الذي دفعها إلى ذلك إلا المحبة لإسحاق؟ ونحن أيضاً في رحلتنا إلى عريسنا السماوي عبر آلاف السنين، يعمل الروح القدس فينا نفس ما عمله العبد مع رفقة؛ إذ يريدنا أن ننسى شعبنا وبيت أبينا. لنقول له بصدق "شعبك شعبي وإلهك إلهي".

الثياب في هذا المزمور (ع ٨، ١٣)

نقرأ في هذا المزمور عن ثياب المسيح الملك، وأيضاً عن ثياب عروسه. فيقول عن ثياب المسيح: «كل ثيابكم مرّ وعودٌ وسليخة».

والمر: يقطر تلقائياً من بعض الأشجار، ولا سيما إذا جرح الجذع بألة حادة. وهو عطر فواح جميل، ويصلح للتكفين والتحنيط.

أما العود: فهو نبات رائحته عطرية، وساق النبات هي التي تصلح لأن تكون عطراً. ولقد أحضر نيقوديموس المرّ والعود ليكفن بهما جسد سيدنا وربنا يسوع المسيح.

وأخيراً فإن السليخة: هي لحاء الشجرة، وتشبه القرفة، ويُقال إنها البلسم الشافي، وكان المسيح مات لكي يشفيها لأنه مكتوب «بحيره شُفينا» (إش ٥٣: ٥).

ونلاحظ القول هنا: «كل ثيابك مر وعود وسليخة»، ولم يقل الوحي "كل ثيابك معطرة بالمر والعود والسليخة". نعم سيظل المسيح أبداً، حتى في المجد، في عواطف قديسيه، متسربلاً برائحة الألم الذي احتمله في سبيل محبته لنا. ومن خروج ٣٠ نعرف أن المر والسليخة كانا من ضمن مكونات دهن المسحة، التي تكلمنا عن شخص المسيح نفسه، المكتوب عنه «اسمك دهن مهراق».

ونحن عندما نتأمل المسيح نجده «مر... وسليخة»، وعندما نتأمل ثياب المسيح نجدها أيضاً «مر وعود وسليخة»، فهو من الداخل كما هو من الخارج، وهو في ذلك خلاف الإنسان الذي نجد صورة له في نعمان قائد الجيش، فكان من الداخل مضروباً بالبرص، وأما مظهره الخارجي فحلّه عسكرية مرصعة بأعلى الأوسمة والنياشين. وجدير بالذكر أن المرنم هنا لا يتكلم عن ثياب الضعف والألم، ولا ثياب النعمة أو حتى ثياب النعمة، بل عن ثياب المجد.

ثم نقرأ عن ملابس العروس المطرزة، وهي صورة جميلة لتبررات القديسين، أي أعمال برهم العملي، وأعمال التكريس النابعة من محبة العروس لعريسها، والتي تُشبع قلب الرب (رؤ ١٩: ٧، ٨). وهذه ستكون بمثابة ثوب زفاف العروس التي ستُحضر إلى العريس الغالي ربنا يسوع المسيح.

ثم لاحظ الارتباط بين ثياب العريس وثياب العروس «كل ثيابك مر... كلما مجد ابنة الملك... منسوجة بذهب ملبسها». هو ثيابه المر، بينما ملابسنا نحن منسوجة بالذهب! والواقع أنه ما كان ممكناً لنا أن نتجمل بالبر والمجد لو لم يتحمل هو عنا الألم والموت! «أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها... لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة» (أف ٥: ٢٥-٢٧). له كل المجد.

«من قصور العاج سرتك الأوتار» (ع ٨).

نحن نعرف كيف نحصل على العاج، فنحن نحصل عليه عن طريق موت كائن حي. فمن أنياب الأفال نحصل على العاج. ولكي يعمل سليمان كرسياً عظيماً من العاج (١ مل ١٠: ١٨) كان يجب أن تموت أفيال كثيرة، ولكي يبني أخاب بيتاً من العاج

(امل ٢٢: ٣٩) كان يجب أن تموت أفيال أكثر، أما هنا فنحن لا نقرأ عن عرش من العاج، أو بيت أو حتى قصر من عاج، بل نقرأ عن قصور من عاج؟! فكم تكلف هذا من تضحية لا حد لها. لكن هذه التضحيات الفائقة لم تتحملها الأفيال البريئة، بل تكلفها ابن الله الكريم نفسه.

ويمكننا أن نرى في قصور العاج، كما في الجنات التي في سفر النشيد (٢: ٦؛ ٨: ١٣)، صورة للاجتماعات المحلية. ومن قصور العاج هذه يُسرُّ الرب بالأوتار. فنحن كمؤمنين يسرنا الدهن الطيب، دهن الابتهاج، عندما يعزينا الروح القدس بالأفراح النازلة من السماء. لكننا بدورنا نُصعد بالروح القدس نغمات وترنيمات أوتار قلوبنا، تلك الترانيم التي تصعد إلى السماء لتُسَرَّ الله (عب ١٣: ١٥). وكم يُسرُّ الآب حقاً أن يجد قلوباً ترنم بملء المحبة والتقدير لشخصه.

«سُرَّتْكَ الأوتار»

يمكننا أن نرى في الأوتار حكمة الإنسان وسيطرته على الطبيعة لإخراج نغمات رائعة. فالوتر عبارة عن مادة معينة، تشكلت بتشكيل معين، وشُدَّتْ على آلة بقوة معينة، لتخرج نغمة جميلة عندما تُضرب بأسلوب معين. ولكل وتر نغمة خاصة به، وعندما تُضرب هذه الأوتار، تُخرج لنا لحناً جميلاً رائعاً يشنف الأذان ويطربها. وفي هذا نرى عبقرية الإنسان التي ظهرت من قديم الزمان، والتي نرى بدايتها في تكوين ٤. لقد استطاع الإنسان أن يسيطر على الطبيعة لكي يخرج منها أصواتاً ونغمات جميلة. لكن بكل أسف، لقد أفسد الإنسان كل شيء، فلم تعد أصوات التعبد والسجود لله هي وحدها التي تصعد إلى الله، بل هناك أصوات أخرى تتصاعد، أصوات صراخ وصياح، كما قال الرب لإبراهيم «إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيتهم قد عظمت جداً» (تك ١٨: ٢٠). وبالطبع لا يتكلم الرب هنا عن صراخ الحناجر، أو حتى موسيقاهم الصاخبة، بل صراخ الخطية التي تصعد إلى عرش الله، كما قال ليونان: «أذهب إلى نينوى المدينة العظيمة ونادِ عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي» (يون ١: ٢).

غير أننا نحن، ومن الآن، لنا أن ننشد ونرنم لسيدنا وسط عالم مليء بالضوضاء والتشويش، لنا أن نرنم ترنيمات الحمد والشكر لذاك الذي أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا.

«جُعِلَت الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بَذْهَبَ أَوْفِيرَ» (٩٤).

ذهب أوفير هو ذهب نقي، وفي لغة الكتاب يشير الذهب النقي إلى مجد الله، ولذلك كان يوجد الذهب النقي في خيمة الاجتماع في تابوت العهد وفي المنارة والمائدة ومذبح البخور. وعندما يقول: «جُعِلَت الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ»، فهذا معناه أنه كما تكونت الكنيسة، وهي أعظم مشروع في قلب الله من الأزل وإلى الأبد، في لحظة وفي غفلة من الزمن كما يقولون. ففي يوم الخمسين كانت هناك جماعة قليلة مجتمعة في غلّية لتصلي، وإذا بالروح القدس قد نزل وكونَ الكنيسة، ولم يدر أحد من الناس بما حدث! هكذا أيضاً في لحظة وغفلة من الزمن فإن الكنيسة التي على الأرض، ستوجد في السماء، وتُجعل عن يمين المسيح، إذ سيحضرها المسيح «لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك» (أف: ٥: ٢٧).

«كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملبسها. بملابس مطرزة تحضر إلى الملك» (١٤، ١٣ع).

«كلها مجد»: إنها ليست فقط مجيدة، بل كلها مجد. تماماً كما توصف في سفر النشيد «كلك جميل يا حبيبتي، ليس فيك عيبة» (نش: ٤: ٧). لاحظ أنه لم يقل ليس فيك عيب، بل ليس فيك عيبة (واحدة).

تُترجم كلمة «في خدرها» في الإنجليزية (inwardly) أي داخلياً. فقد لا يظهر علينا الآن أي مجد من الخارج، لكننا من الداخل مجد خالص. الأمر الذي نراه في الرب يسوع، فمن الخارج لم يبصر الناس فيه مجداً «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهي» (إش: ٥٣: ٢)، لكن كم كان مجيداً من الداخل. ولنا في خيمة الاجتماع توضيحاً لذلك، فلقد كانت من الخارج مغطاة بجلود تحس*، لكنها من الداخل كلها ذهب. وهكذا قد يكون هناك مؤمن ضعيفاً أو فقيراً أو حتى مريضاً وطريح الفراش، لكنك عندما تقترب منه تجده ممثلاً من روح الله، وعليه جلال المسيح ومجده «لنا هذا الكنز في أوان خفية» (٢كو: ٤: ٧). ولقد أشار يوحنا إلى ذلك بالقول: «من أجل ذلك لا يعرفنا العالم، لأنه لا يعرفه. أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يو: ٣: ٢٠). وما أجد أن يكون مؤمن حياته هي المسيح. وجدير بالذكر أننا نجد الأشرار على عكس ذلك تماماً، فهم يحاولون

* التخص: حيوان بحري، جلده سميك، لكنه غير جذاب، ولذلك كان يعمل منه النعال (حز: ١٦: ١٠).

أن يظهرُوا أنفسهم من خارج في أفضل صورة ممكنة، ولكنهم من داخل ممثلين كل شر وفساد (مت ٢٣: ٢٥-٢٨).

«منسوجة بذهب ملايسما»: إن فكرة أن تتسج العروس ثيابها، هي أثناء ذلك العمل لا تفكر سوى في عريسها، وفي اليوم السعيد الذي ستُرف فيه إليه. وكم يُفرح هذا قلب عريسنا الذي مهرنا لنفسه بدمه الزكي الكريم.

«تُحضر إلى الملك»: إننا لن نذهب إلى قصر الملك، بل إلى الملك ذاته. وعن هذا تقول العروس في سفر النشيد: «أدخلني الملك إلى حجاله. نبتهج ونفرح بك» (نش ١: ٤)، ويقول الرب لتلاميذه «أتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤: ٣).

«اسمعي يا بنت وانظري. وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك، فاسجدي له» (ع ١١، ١٠).

«اسمعي يا بنت... وأميلي أذنك» نرى هنا أهمية الاستماع، لأن الإيمان أتى بالاستماع (ارجع إلى إش ٥٥: ٢، ٣؛ يو ٥: ٢٤؛ رو ١٠: ١٧، ١٨؛ قارن ١ يو ١).

«أميلي أذنك». نتذكر قول المرنم في مكان آخر: «أحببت لأن الرب يسمع صوتي، تضرعاتي. لأنه أمال أذنه إليّ» (مز ١١٦: ١، ٢). لقد أمال الرب أذنه لسمع همساتي وتهداتي، وأنا أميل أذني نحوه لأسمع لا وصاياه فحسب، بل رغباته وأشواقه.

«وانسي شعبك وبيت أبيك». ومريم أخت لعازر في لوقا ١٠ سمعت وقدرت. ثم في يوحنا ١٢ نسيت الكل في تكريس كامل وولاء منقطع النظير.

علّق أحد الشراح على هذه الآية قائلاً: «بيت أبينا السابق هو الخطيئة التي عشنا فيها، وشعبنا هم رجال الإثم ورفقاء السوء الذين كانت تربطنا بهم علاقات غير مقدسة قبل الإيمان. ولكن إذ قد عرفنا المسيح، علينا أن ننفصل عن البيت وعن الشعب».

وقال آخر: «إن كنا قد دخلنا فلك الخلاص، فدعونا ننسى الجيف النتنة خارج الفلك، وإن كنا قد وصلنا إلى جبل النجاة، فلا ننظر إلى سدوم المحترقة كما فعلت امرأة لوط، وإن كنا قد خرجنا من مصر، فلا يجب أن نشتهي قدور اللحم التي تركناها خلفنا، وإن كنا في حربنا مع مديان، فلنشرب الماء بالعجلة، وإن كنا على السطح، فلا ننزل لنأخذ الرداء الذي في المنزل، وإن كنا قد وضعنا أيدينا على المحراث، فدعونا لا ننظر إلى الوراء».

وقال ثالث: "لقد دُعينا لنترك الحماسة لأجل الحكمة، والبُطل لأجل الأفراح الأبدية، والخداع لأجل الحق، واليبؤس لأجل السعادة، والأوثان لنعبد الله".

وأخيراً قال رابع: "الفلسفة هي فن التذكُّر، والقداسة هي فن النسيان". وبهذا وحده - أيها الأحباء - أي عندما ننسى شعبنا وبيت أبينا، يتم فينا ما ذُكرَ بعد ذلك:

«فيشتهي الملك حُسْنَكِ» لقد نسيت راعوث شعبها وبيت أبيها، فتغنى بوعز بجمالها وإخلاصها، وقال لها: "أحسنت" (انظر را ١١: ٢١؛ ١٠: ٣). كما أن ابني زبدي إذ وصلتَهما دعوة الرب، فإنهما في الحال تركا أباهما مع الأجرى والشباك، وتبعوا يسوع. والحسن، في نظر العريس، هو التكريس والقلب الموحد لخوف اسمه العظيم (مز ٨٦: ١٠). والعروس عندما كانت «جنة مغلقة، عين مغلقة، ينبوع مختوم» (نش ٤: ١٢)، استطاع العريس أن يدخل إلى جنة قلبها ويقطف المر مع الطيب (نش ٥: ١).

التطبيق النبوي

تعبير قصيدة الذي في عنوان المزمور، كما فهمنا ونحن نتحدث عن عنوان المزمور، يعني الفاهمين. وهي عبارة تشير إلى البقية النقية في المستقبل (دا ١١: ٣٣، ٣٥؛ ١٢: ٣، ١٠). هؤلاء الفاهمون سيقروُن هذه القصائد في آخر الأيام، كما سيقروُن أيضاً أجزاء كثيرة من النبوات، والمعرفة تزداد (دا ١٢: ٤). ولقد أشار الوحي إلى هؤلاء الفاهمين في أكثر من مكان. فقال المسيح: «فمتى نظرتُم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارئ» (مت ٢٤: ١٥). وهم بعينهم الذين أشار إليهم سفر الرؤيا (رؤ ١٣: ١٨).

ويمكننا أن نرى في المزامير، من المزمور الثاني والأربعين إلى المزمور التاسع والأربعين، وحدة مترابطة تقدم لنا اختبار البقية النقية في المستقبل، ففي المزمور الثاني والأربعين، نستمتع إلى صرخاتهم في زمن ضيقة يعقوب (إر ٣٠: ٧) وقت هروبهم من أورشليم بسبب اضطهاد الوحش والنبى الكذاب. فالمزمور يصوِّر لنا أحزان شخص هارب محروم من المقدس، ويشتهي أن يرى مقدس الله. ونغمة المزمور الرابع والأربعين هي نغمة الصراخ من فرط الألم الشديد «حتى سحقتنا في مكان التنانين وغطيتنا بظل الموت» (١٩ع).

لكن النغمة تغيرت تماماً بدايةً من المزمور الخامس والأربعين، مما يذكرنا بقول الرب: «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهائياً وليلاً وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً» (لو ١٨: ٨، ٧). ففي هذا المزمور نرى الرب في ظهوره لنجدتهم من الأعداء. وهي الصورة عينها التي نراها في سفر زكريا؛ ففي الأعداد الأولى من الأصحاح الرابع عشر، نلمس نغمة الأسى والحزن والألم مثل المزمور الرابع والأربعين، ثم نقراً عن "ظهور الرب" على جبل الزيتون لينقذ أحبائه وأحميائه من أعدائهم (١٤: ١-٥).

ولقد جاء أسلوب الإنقاذ هذا مغايراً تماماً لتوقعاتهم وتصوّره، تماماً كما حدث في إنقاذهم الأول من أرض مصر (ارجع إلى خروج ١٤، ١٥). من ثمّ أتت ترنيمة المحبة في هذا المزمور، كما أتت ترنيمة الخلاص بعد الإنقاذ الأول من أرض مصر (خو ١٥). وأولئك الذين فيما سبق تقلّت عليهم يد الرب نهائياً وليلاً، سيتمكنون أن يشاركوا داود اختباره عندما قال «بترنم النجاة تكتفني» (مز ٣٢: ٧).

المسيح ومُلكه كموضوع هذا المزمور

يبدأ هذا المزمور بالحديث عن المسيح في أيام جسده (١٢ع)، ثم ينتقل بسرعة للحديث عن كهنوته الحالي في السماء (٢ع)، ومنها ينتقل مرة ثانية إلى موضوع المزمور الرئيسي ألا وهو تأسيس المُلك في الأعداد من ٣ع-٥. لذلك فبعد الجمال الأدبي المذكور في ٢ع، نرى الجلال الحربي (٣ع). وهو في البداية سيُخضع الأعداء، ويملك بالبر (مثل داود)، من ثمّ يجلس على كرسي المجد ويتزوج بمحبة قلبه (مثل سليمان) ٦ع.

وعندما يأتي المسيح بالمجد والقوة ليبيد أعداءه ويملك على الكل، ستكون نُبله المسنونة في قلب الأعداء. فَمَنْ لم تدخل في قلبه أشعة نعمة الله وتغسله أنهارها المُغيّرة المُخلصة، ستدخله قريباً نبال دينونته المرعبة، ومَنْ لم يخضع لسيف الروح (كلمة الله) لن ينجو من سيف الغضب القادم.

والمسيح في مجيئه الأول لم يميزه السيف. بل إن بطرس عندما أراد استخدام السيف ليدافع به عن سيده، قال له المسيح: «رُدَّ سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦: ٥٢). لكن في مجيئه الثاني فإن سيفاً ذا حدين سيخرج من فمه، به سيقتل الجماهير الغفيرة (رو ١٩: ١٥، ٢١)، ونبله المسنونة ستخترق قلب أعدائه، وشعوب تحته سوف يسقطون (٥ع).

ومع أن هناك مزامير موضوعها المسيح ومملكته مثل المزمور الثاني والسبعين، والمزمور المئة والعاشر، لكن هذا المزمور يعطينا لمسات شخصية لا نجد مثلها في مكان آخر في الوحي المقدس.

«أحببت البر وأبغضت الإثم» (٧ع).

هذا هو ربنا يسوع المسيح، وهذا طابع مملكته، عندما يملك أولاً كملك البر، ثم كملك السلام (عب ٧:٢). سيكون مملكته بالبر (مز ٧٢:٢؛ إش ٣٢:١)، بل سيكون «البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقيقه» (إش ٥:١١). وعاصمة مملكته ستدعى «مدينة العدل» (إش ٢٦:١). وهو نفسه سيُدعى «الرب برنا» (إر ٢٣:٦). ويقول عنه ملاخي «لكم أيها المتقون اسمي، تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها» (ملا ٤:٢). وفي أيامه «يشرق.. الصديق» (مز ٧٢:٧). بل إن الأبرار فقط سيدخلون هذا الملكوت (مت ٢٥:٣١-٤٦). لكن قبل أن يأتي المسيح البار، ويُستعلن مملكته بالبر، سيُستعلن الأئسم (٢تس ٢:٨)، الذي يسمى أيضاً الماكر واللئيم (ارجع إلى إش ٣٢:٥-٨).

«من قصور العاج سرتك الأوتار» (٨ع).

إن صوت الخطية صراخ، لكن سيأتي اليوم الذي فيه ستُصعد الأرض أصوات التعبد، وتُعزف أحلى الأغاني والأنشيد لله حينما تكون مشيئة الله كما في السماء كذلك على الأرض، وكل نسمة فيها تسبح الله. ونحن نقرأ عن أورشليم في المستقبل هذا القول: «ومغنون كعازفين كل السكان فيك» (مز ٨٧:٧)، أي أن كل واحد من المغنين في تلك المدينة السعيدة هو في ذاته "أوركسترا". هذا ما ينتظر هذه المدينة التي في تاريخها الطويل لم تعرف سوى الحروب، ولما أتى المسيح إليها ليفتقدها وبياركةا، فإنها لم تعرف زمان افتقادها.

«انسى شعبك وبيت أبيك» (١٠ع).

إن كل امتيازات إسرائيل قد ضاعت بسبب رفضهم مسياهم، بل إنهم أخرجوه خارج المدينة وقتلوه. ورغم كل الأدلة على أنه «الآتي باسم الرب» لكنهم أصرُّوا على رفضه قائلين «لا نريد أن هذا يملك علينا» (لو ١٩:١٤). وبذلك سقط كل حق لهم. غير أن الرسول بطرس يفتح أمامهم رجاءً جديداً إذ يقول «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة، ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ٣:١).

ونعمته، من أجل ذلك عليهم أن ينسوا شعبهم وبيت أبيهم.

ونجد صورة لذلك في سفر التثنية، إذ يقول الكتاب: «إذا خرجت لمحاربة أعدائك (تلك العبارة التي تذكرنا بالرب يسوع المسيح الذي سيخرج ليحارب أعداءه)... ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة... واتخذتها لك زوجة، فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها (أي تتخلي عن كل مجد لها)... وتقع في بيتك وتبكي أباه وأمه شهوراً من الزمان» (تث ٢١: ١٠-١٣)، ولكن لماذا تبكي أباه وأمه، هل لأنهما قد ماتا؟ الإجابة كلا، فلماذا تبكيهما إذا؟ لأنهما بالنسبة لها، كأنهما ماتا، فلن يكون لها علاقة بهما فيما بعد، وعليها أن تنسى شعبها وبيت أبيها. إنهم مثل نعمي التي ذهبت إلى بلاد موآب وضاع منها كل شيء، وقد عاد إليها الميراث فقط نتيجة ارتباط بوعز براعوث الموآبية، تلك التي تركت شعبها نهائياً، إذ قالت لنعمي «شعبك شعبي» (را ١٦: ١١). هكذا البقية في المستقبل، فإن كل ما سيتمتعون به يرجع الفضل فيه إلى بوعز الحقيقي، إله كل نعمة. ولهذا فإنهم أيضاً مثل راعوث عليهم أن ينسوا شعبهم.

وفي الملك الأفني سيكون المسيح ملكاً بالبر، وستكون العروس ملكة بالنعمة وحدها.

«عوضاً عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض» (ع ١٦).

لما جاء المسيح في المرة الأولى رفضه الشعب وقتها، لكن أبناءهم سوف يقبلون المسيح في مجيئه ثانية. وسيجد المسيح فيهم التعويض على رفض آبائهم له.

الفئات السبع المختلفة في المزمور

يشتمل هذا المزمور العجيب على سبع فئات مختلفة كالآتي:

١ - الملك (ع ٥): الملك هو ذات الشخص الذي اضطجع يوماً في مذود بيت لحم، وعُلق مرةً على الصليب! لكنه هو الذي قالت عنه النبوة: «له الحكم» (حز ٢١: ٢٧). سيأتي ويأخذ الملك الذي له على الجميع. مجيئه الأول كان مجيء الاتضاع، ومجيئه الثاني هو الظهور بالمجد والقوة.

٢ - رفقاء الملك (ع ٧): رفقاء الملك هم مؤمنو الكنيسة. ويا للشرف أن ذاك الذي يدعوهم رب الجنود «رجل رفقتي» أو «الرجل رفيقي»، هو نفسه يدعونا رفقاءه. لقد راقنناه في يوم رفضه، وسرافقه أيضاً في يوم مجده.

نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين أن «المُقدَّس والمقدَّسين جميعهم من واحد، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة» (عب ١: ١١). فنحن إذاً رفقاء الملك الأعزاء على قلبه، وقد أصبحنا «شركاء الدعوة السماوية» (عب ٣: ١)، وأيضاً «قد صرنا شركاء المسيح» (عب ٣: ١٤). ولهذا السبب فعندما يملك المسيح على العالم سنملك نحن أيضاً معه.

هناك ثلاث آيات في سفر الرؤيا توضح هذا الفكر. الآية الأولى في رؤيا ١٢: ٥ «فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعضاً من حديد». ولكي نعرف من هو الابن الذكر، نقرأ الآية الثانية في رؤيا ١٩: ١١ - ١٥ «ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب... ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعضاً من حديد». لكن يا للعجب، أن يكون لنا هذا الامتياز عينه، كما تذكر لنا الآية الثالثة «من يغلب ويحفظ أعماله إلى النهاية فسأعطيهِ سلطاناً على الأمم، فيرعاهم بقضيب من حديد» (رؤ ٢: ٢٦، ٢٧).

نعم سنملك على الأرض، بل وسنملك مع المسيح. «وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت... لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك... وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك على الأرض» (رؤ ٥: ٩، ١٠)، وأيضاً «إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢ تي ٢: ١٢). وهو إن كان قد تحمل الآلام وحده، لكنه في مجده وملكه أشركنا معه!! ويوماً - وذا قريب - سنشارك ربنا في ملكه العتيدي «أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد، وإلى أبد الأبد» (دا ٧: ١٨).

٣- **زوجة الملك (١٣، ٩ع):** زوجة الملك في هذا المزمور ليست هي الكنيسة جسد المسيح، لأن هذا السر العظيم كان مكتوماً منذ الدهور في الله خالق الجميع ببسوع المسيح، ولم يعرف به أحد من البشر حتى أعلن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح (أف ٣: ٩)، إنما زوجة الملك هنا هي العروس الأرضية: أورشليم في أزمنة رد كل شيء، في ارتباطها بالمسيا الملك (إش ٦٢: ٥).

لنلاحظ أننا لا نقرأ في كلمة الله أن الكنيسة هي امرأة الملك، بل أورشليم هي التي ستتزوج الملك، لأن شعبه الأرضي سيرتبط به في يوم مجده وقوته كالمملك المتوج على صهيون، بل وعلى كل الأرض (مز ١١٠: ٣؛ ٤٧: ٢)، أما الكنيسة فيقال عنها «امرأة الخروف» (رؤ ١٩: ٩)، حيث ارتبطت بالمسيح في يوم رفضه واحتقاره من العالم.

وإن كان اقتران المسيح بالكنيسة بعد مجيئه للاختطاف، سيكون إيذاناً بانتهاء زمن النعمة، وبالتالي ستعقبه أسوأ أيام عرفتها البشرية، هي أيام الضيقة العظيمة على الأرض. فإن ارتباط المسيح بشعبه الأرضي سيكون بعد ظهوره بالمجد والقوة، وسيعقبه أسعد أيام عرفها التاريخ!

وبعد زفاف الكنيسة ستأتي النصره على الأعداء وإبادتهم، لكن هذه النصره الساحقة ستسبق اقترانه بالعروس الأرضية.

٤- حظيات الملك (٩ع): «بنات ملوك بين حظياتك»، وهؤلاء هم إشارة إلى مدن الأمم، أو إلى الشعوب المختلفة في فترة الملك الألفي التي ستخدم سيد كل الأرض. ومما بنت صور (١٢ع) سوى واحدة من بنات الملوك، وتشير إليهن جميعاً. ففي ملك المسيح في المستقبل، سيكون لأورشليم وضعٌ خاص متميز، باعتبارها العروس الأرضية «قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله» (مز ٨٧: ٢)، ولو أن بقية شعوب الأرض ستتبارك أيضاً في إثرها. وهذا ما نجده في سفر النشيد «هن ستون ملكة، وثمانون سرية، وغازى بلا عدد» (إشارة إلى مدن يهوذا وإسرائيل والعالم على التوالي)، واحدة هي حمامتي كاملي. الوحيدة لأمها هي، عقيلة والدتها هي. رأتها البنات فطوبنّها، الملكات والسراري فمدحنها (وهذه هي أورشليم) «(نش ٦: ٨، ٩). ستظل أورشليم هي مدينة الله المحبوبة، وأما بقية مدن الأمم فستكون بمثابة حظيات الملك، وستقدم كل المدن السجود والعبادة للرب (زك ١٤: ١٦).

٥- موكب الملك (١٤ع): «في إثرها عذارى صاحباتها» هؤلاء العذارى اللاتي أحبين الملك (ارجع إلى نشيد ٣: ١) يمثلن مدن يهوذا. فالشعب الذي رفض المسيا في مجيئه الأول بالانتضاع، سيقبله في مجيئه بالمجد والقوة، فيتم المكتوب: «شعبك منتدب في يوم قوتك، في زينة مقدسة من رحم الفجر، لك طلٌ حدثك» (مز ١١٠: ٣). وكل مدن يهوذا ستفرح بالملك على جبل صهيون.

٦- أبناء الملك (١٦ع): وهم في النبوة بنو صهيون (إش ٤٩: ٢١)، أو سكان مدينة أورشليم (إش ٣٣: ٢٠-٢٤). لقد قُطع المسيح من أرض الأحياء وهو في ربيع العمر، ولكن بعد أن تم العمل، مكتوب عن شخصه المجيد: «من تعب نفسه» (وهي ذات الكلمة التي تُقال عن آلام المخاض) يرى ويشبع»، وكان المسيح على الصليب كان يتمخض. من أجل ذلك يُقال عنه «يرى نسلًا» وإن كنا نحن من زاوية نعتبر من ضمن هذا النسل الذي سوف يراه، لكن الكلام هنا ينطبق على بني صهيون، أو سكان أورشليم. فسوف تقول أورشليم في

زمان الملك الأفني السعيد: «من ولد لي هؤلاء وأنا تكلّي، وعافر منفية ومطرودة؟ وهؤلاء من ربّاهم؟ هأنذا كنت متروكة وحدي. هؤلاء أين كانوا؟» (إش ٤٩: ٢١).

٧- أعداء الملك (٥ع): وهذا الفريق الأخير نهايته مرعبة. إنهم كل الذين رفضوا ملك المسيح على حياتهم، ومعهم أيضاً كل الذين تكلموا عليه بالكلمات الصعبة. هؤلاء ستدخل نبل الدينونة المرعبة في قلوبهم عندما يأتي «في نار لهيب، معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح» (٢تس ١: ٨، ٩؛ ارجع أيضاً إلى لوقا ١٩: ٢٧؛ يه ١٤).

المسيح في المزمور

«أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك» (٢ع).

هذا المزمور غير مشغول بعمل المسيح، بل بشخصه. والمسيح جميل، ولكن أمام الإيمان فقط، أما بنو البشر فقد رأوا في مجده عاراً (مز ٤: ٢)، وفضلوا باراباس عليه، مع أنه مميّز ليس عن بني بليعال فقط، أو عن بني البشر فحسب، بل مميّز حتى عن القديسين. لقد كان موسى جميلاً (أع ٧: ٢٠)، وكذلك كان يوسف (تك ٣٩: ٦)، وداود (اصم ١٦: ١٢)، أما المسيح فإنه أبرع جمالاً من هؤلاء جميعهم. ليس فقط البشر شهدوا عنه، بل الآب أيضاً (مت ٣: ١٧؛ ١٢: ١٨-٢١؛ ١٧: ٥).

ما أسعد الذين رأوا المسيح! أما نحن فلم نره، وطوبى لنا على ذلك (يو ٢٠: ٢٩). على أننا عندما نقرأ الأناجيل الأربعة، نستطيع أن نقول بكل يقين: «أنت أبرع جمالاً من بني البشر». ليس الجمال الخارجي هو المقصود هنا، بل الجمال الأدبي.

ومن المهم أن نلاحظ أن المسيح لم يتميز بنوع واحد من الجمال، بل بالجمال الأدبي كله. لقد تميّز إبراهيم بالإيمان، وإسحاق بالطاعة، ويوسف بالطهارة، وموسى بالحلم. ونحن قد نشاهد في أحد المؤمنين صفة جميلة تميّزه، أما المسيح فلم يكن متحلياً بصفة، ولا حتى بمجموعة صفات، بل إنه حوى جميع أوصاف الكمال. ثم إن ما نتحلى به نحن من صفات إيجابية، هي مجرد انعكاس بسيط لما ظهر كاملاً في المسيح، وصفاتنا الجميلة، ما هي إلا روافد صغيرة من نهري الدافق الغزير.

والمرنم يقول: «أنت أبرء جمالاً... انسكبت النعمة*» فهو انشغل أولاً بالإثناء ثم بما انسكب منه. كما قال البشير: «كان الجميع يشهدون له (أولاً) ويتعجبون (بعد ذلك) من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو ٤: ٢٢).

«انسكبت النعمة على شفتيك»

وهذا نجده واضحاً في الأنجيل عموماً، ولا سيما في إنجيل نعمة الله، إنجيل لوقا. ففي بداية الإنجيل نراه في المجمع معلماً، يتكلم بكلمات ما أروعها، وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من شفتيه (لو ٤: ٢٢)، وفي نهاية الإنجيل عندما وُضع على الصليب، نجده يطلب الغفران لأعدائه[†] «اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤).

ولماذا انسكبت النعمة على شفتيه؟ نجد الإجابة في إشعياء ٥٠: ٤ «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين، لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة». كان - تبارك اسمه - يجلس طويلاً في محضر الرب، وبذلك يخرج ليعطي كلاماً مصلحاً بملح.

هو جميل، وكلامه أيضاً جميل. قد نصمت نحن، وفي صمتنا لا نظهر ما بداخلنا من نقائص وعيوب، أما المسيح فكان كلامه يظهر ما بداخله من كمال. سألوه مرة: من أنت؟ فكان جوابه: «أنا من البدء ما أكلكم أيضاً به» (يو ٨: ٢٥).

لهذا فلا عجب أن قال أحد القديسين وصفاً لجمال المسيح: «ما أجمل الشمس، وما أجمل القمر، وما أجمل النجوم، وما أجمل الزهور، وما أجمل الورود، وما أجمل الزنابق، لكن ربنا يسوع أجمل من هذه آلاف المرات.. آسف، لقد أخطأت عندما قارنت هذه الأشياء بسيدي بالطريقة التي فعلتها. فدعني أصحح غلطتي.. ما أشد ظلام الشمس، وما أسود القمر، لكن ما أبهى سيدي يسوع وما أروع. ما أقبح الزهور والورود والزنابق، لكن ما أشهى سيدي وما أحلاه. إن السماء نفسها ليست بظاهرة في عينيه، وإلى ملائكته ينسب حماقةً (أي ٤: ١٨)، أما سيدي فهو كمال الجمال في كل الوجود».

* لم ترد كلمة النعمة في كل سفر المزامير، في ترجمتنا العربية، سوى في هذه الآية (أما ما ورد في مزمور ٩٠: ١٧، فالمقصود بها جمال)، ولو أنها في الأصل العبري وردت أيضاً في مزمور ١١: ٨٤ وهو أيضاً مزمور لبني قورح.
† قشمشون مثلاً، وهو أحد أبطال الإيمان، عندما قلعوا عينيه، طلب من الرب الانتقام لعينيه، وكانت هذه هي آخر طلبته وصلاة له قبل أن يموت (قض ١٦: ٢٨). وأما المسيح فقد صلى قبل موته، وصلى أيضاً لأجل أعدائه، ولكنه طلب لهم الغفران.

«مسحك الله إلك بدين الابتهاج»

عندما يقول مسحك الله إلهك، فواضح أنه هنا يشير إلى ناسوته، هذا الناسوت القدوس الذي فيه تمجد الله تماماً، فأعطاه الروح القدس ليس بكيل (يو ٣: ٣٢).

والرب يسوع على الأرض كان بحق رجل أوجاع. لم يكن طريقه سهلاً على الإطلاق، بل كان «مختبر الحزن»، ومع ذلك تأملناه في مزمور ١٦ يقول: «لذلك فرح قلبي، وابتهجت روعي... تعرفني سبيل الحياة، أمامك شبع سرور». لقد كان طريقه صعباً، ولكنه «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي». أما الآن، وهو في يمين عرش الله، فإنه في ملء الابتهاج.

لقد أعطي الروح القدس للمسيح مرتين: الأولى وهو على الأرض بمفرده، فهو إذ ذاك لم يكن له شريك. لكن بعد أن أكمل العمل وصعد إلى السماء، نقرأ في أعمال ٢: ٣٣ أنه أخذ الروح القدس وسكبه على المؤمنين. فلقد أخذه مرة في كماله المطلق، وأخذه مرة ثانية لكي يعطيه لنا. وعندما يربطني الروح القدس عملياً بذاك الشخص المجيد، يمتلئ القلب بالابتهاج.

أمجاد المسيح المتنوعة في المزمور

هذا المزمور يشبه مزمور ٢٤ إذ يحتوي هو أيضاً على أمجاد ثلاثية للمسيح:

- ١- المجد الأدبي (٢٤).
- ٢- المجد الملكي (ع ٣-٥).
- ٣- المجد الإلهي (٦٤-٧).

والارتباط بين هذه الأمجاد المختلفة ممكن أن نفهمه كالاتي:

العلاقة بين المجد الأدبي والمجد الملكي: في مجيئه الأول ميّزته النعمة، وفي مجيئه الثاني السيف، وكلاهما خارج من فمه.

العلاقة بين المجد الملكي والمجد الإلهي: إن كل البشر سيرونه في مجده الملكي، أما كنيسته فقط فهي التي ستراه كما هو (١يو ٣: ٢).

العلاقة بين المجد الأدبي والمجد الإلهي: «بالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر

في الجسد» (اتي ٣: ١٦).

أولاً مجد الرب يسوع الأدبي

عندما نرفع عين الإيمان ونشخص إلى ذاك الفريد ونري الوداعة، والاتضاع، والطاعة، واللفظ، والاتكال، والشجاعة، والحنو، والرفق، لا يسعنا إلا أن نهتف مع العروس قائلين: «كله مشتتهيات» (نش ٥: ١٦). فهو الذي جمع في شخصه الفذ الكريم كل أوصاف الكمال*.

والمؤمن غالباً ما يسقط في نفس الصفة التي يتميز بها. فالشيء الذي تميّز به موسى هو الحلم، والخطية التي حرّمته من دخول الأرض كانت الغضب (عد ٢٠: ١١؛ مز ١٠٦: ٣٣)؛ وإيليا الرجل الناري المعروف بشجاعته، جُبِنَ وخاف في يوم ضعفه من إيزابل الشريرة (امل ١٩). والوحي يُبرز لنا ضعفات هؤلاء الأفاضل لكي يبقى في المشهد المسيح وحده متقدماً في كل شيء. **فموسى العظيم كلّ بسبب الشعب وإيليا في يومه انكسر، ولكن قيل عن المسيح: «لا يكَلِّ ولا ينكسر» (اش ٤٢: ٤).**

«لذلك باركك الله إلى الأبد» (٢ع)

إن كان آدم الأول أثبت أنه غير مستحق للبركة الأرضية في الجنة (تك ١)، بل وجلب لعنة الله على كل المشهد بسبب خطيته (تك ٣)، فإن الرب يسوع - آدم الأخير - قد رفع اللعنة، إذ صار هو نفسه لعنة لأجلنا (غل ٣: ١٣). ولهذا فهو وحده الذي يستحق البركة، لا البركة الوقتية فحسب، بل البركة الأبدية (٣ع مع رؤ ٥: ١٢) وفيه قد باركنا الله بكل بركة روحية في السماويات (أف ١: ٣).

لكن ما معنى: **«لذلك باركك الله إلى الأبد»**؟ إنها تعني أن الله باركه لأنه أبرع جمالاً من بني البشر، ولأن النعمة انسكبت على شفتيه. نحن أيضاً قد بوركنا، لكننا بوركنا في المسيح (أف ١: ٣). لقد باركنا الله في المسيح ولأجل المسيح، وأما هو فقد باركه الله لما هو عليه في ذاته.

* يحلو لنا أن نستبدل كلمة «المحبة» في كورنثوس الأولى ١٣ ونضع بدلاً منها كلمة «الرب يسوع» فنجدها تتطبق تمام الانطباق على شخصه المجيد فهو الذي يتأنى ويرفق ولا يحسد ولا يتفاخر ولا ينتفخ. كما يلذ لنا أيضاً أن نستبدل كلمة «ثمر الروح» في غلاطية ٥ بكلمة «المسيح»: «وأما المسيح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف» (ص ٢٢: ٥).

يطالعنا سفر التكوين بشخصيتين: الأولى حصلت على البركة، ولكنها لم تستطع أن تحتفظ بها، والثانية طلبت البركة بشدة وإلحاح، لكنها لم تحصل عليها. لقد بارك الله آدم في الجنة في تكوين ١ ببركات أرضية، لكن سرعان ما ضاعت البركة وأتت اللعنة إلى الأرض بسبب آدم. ثم عندما أراد عيسو أو أدوم أن ينال البركة رفض رغم أنه طلبها بدموع (عب ١٦: ١٧). فلا توجد بركة لآدم ولا لأدوم. البركة كلها يستحقها المسيح. والذين هم في المسيح لهم كل بركة، وأما الذين خارجه فليست لهم أية بركة.

ثانياً مجد الرب يسوع الملكي

هذا الجميل الممتلئ نعمة، رُفِضَ من هذا العالم، وبالتالي فإن الدينونة تنتظر العالم. لقد أتى المسيح إلى العالم باعتباره النبي الذي فيه كلام الله (تث ١٨: ١٨؛ أع ٣: ٢٢؛ ٧: ٣٧)، فرفضه العالم. وفي الفترة الحاضرة يشغل وظيفة الكاهن العظيم عن يمين الله في الأعالي. ولكن في مجيئه الثاني سيأتي باعتباره الملك، وهذا سيكون في المستقبل.

يقول هنا: «تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبار، جالك وبهاءك» (ع ٣).

هنا نشاهد مجد الرب يسوع الملكي يوم خروجه لمحاربة الأعداء، كقول الرائي «ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب... ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعضاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء» (رؤ ١٩: ١١-١٥).

ما هو السيف الذي سيتقلده؟ نجد في رؤيا ١٩: ١٥ القول «ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكي يضرب به الأمم» فالمسيح ليس له حاجة أن يمسك السيف في يده، بل كلمة فقط تخرج من فمه، يسقط على أثرها الناس صرعى. إن أنفاس الذين يتطاولون الآن عليه هي في يده، لكنه اليوم يطيل أناته عليهم، بل ويخرج من فمه كلمات النعمة. لكن ماذا بعد أن تنتهي سنة الرب المقبولة؟ لا بد أن يأتي يوم انتقام لإلهنا (إش ٦١: ٢)!

هناك تعليم خطأ يقول: إن بشارة النعمة والإنجيل سوف تنتشر في العالم كله، حتى يصبح كل العالم مسيحياً!! لكن الكتاب يعلمنا عكس ذلك، وهذا ما أخبر به سمعان قائلًا: «كيف افتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه» (أع ١٥: ١٤). فالله لن يأخذ الأمم شعباً، بل سيأخذ من الأمم. وليست بشارة الإنجيل هي التي ستجعل العالم مسيحياً، ومع

ذلك فسيأتي اليوم الذي فيه ستجثو باسم يسوع كل ركبه، عندما يتقلد الرب سيفه على فخذه، وبالعَدل يحكم ويحارب. فالى يوم ظهوره بالمجد والقوة سيكون هناك من ينطبق عليهم القول «أعداء الملك».

إن الذي وقف يوماً في مجمع الناصرة وأعلن إعلان النعمة العجيب (لو ٤: ١٦-٢١)، هو بذاته الذي سيتقلد السيف على فخذه في يومٍ قادمٍ لِيدين كل مَنْ رفض هذه النعمة، وليعطي نعمة على الذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون الإنجيل (٢ تس ١: ٧-١٠). والأرض لن ترجع للمسيح إلا بالقضاء والدينونة القادمة «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلّم سكان المسكونة العدل» (إش ٢٦: ٩).

تأمل أيّها النفوس العزيزة، وخذي لنفسك الدرس والعبرة: فإن المسيح في يوم ضعفه (٢ كو ١٣: ٤) قال للآتين للقبض عليه «أنا هو (أو أنا أهيه)» (يو ١٨: ٥)، «فلماً قال لهم إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض». فإن كان قد فعل ذلك في يوم ضعفه، فماذا عساه يفعل في يوم قوته؟ وإن كانوا قد سقطوا أمامه في يوم نعمته، فماذا عساهم يفعلون في يوم نقمته؟

«من أجل الحق والدعة والبر»

من أجل الحق: أين الحق في عالم اليوم؟ هل نجده بين صنّاع السياسة؟ هل هو في الجامعات والمدارس؟ هل في أجهزة الإعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية؟ هل بين رجال الصناعة أو رجال الاقتصاد؟ إننا نقول: أين الحق؟ (ارجع إلى إش ١: ٢١).

«من أجل الحق والدعة والبر، فتُريكم يمينكم مخاوف» (ع ٤). وهذا معناه أن حرب المسيح القادمة ليست كحروب البشر: حرب أطماع، بل حرب مبادئ. فهذا الملك ليس مقتحماً أو مختلساً، بل إنه يأخذ حقه. وهو يحارب من أجل الحق، والوداعة، والبر. وبكلمات أخرى، هو يحارب لنصرة الحق، وتثبيت البر، والانتقام لودعاء الأرض.

«شعوب تحتك يسقطون» (ع ٥).

وهذا معناه أن المعركة ستُحسم فوراً. وبمجرد انتهاء أناة الله، ستسقط الشعوب تحتَه! إنه الحجر الذي قُطع بغير يدين، ومَنْ يسقط هو عليه فإنه يسحقه (دا ٢: ٣٤، ٣٥، ٤٤؛ مت ٢١: ٤٤).

«كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيبُ استقامةٍ قضيبُ ملكك»

لقد ظنَّ هتار أنه سيؤسس إمبراطورية تستمر ألف عام. لكن تلك الإمبراطورية الشيطانية انهارت سريعاً وسقطت بعد سنوات معدودة. أما مملكة المسيح فإنها ستستمر إلى أبد الآبدين (دا ٤٤:٢ ؛ ١٨:٧).

«قضيبُ استقامةٍ قضيبُ ملكك»: هذا القضيب يمثل القوة التي لا تطوع، بل تطاع.

لقد ظلم المسيح كثيراً في حياته على الأرض، لكنه عندما يأتي بالقوة والمجد، كم من البشر سيظلمهم إزاء ما قبل به من ظلم؟ إنه لن يظلم أحداً، بل سيحكم بالعدل ويملك بالحق. وحتى عندما يسحق أعداءه فإنه لن يظلم أحداً.

«من قصور العاج سرتك الأوتار».

وقصور العاج - كما رأينا - كل جزء فيها تكون بالتضحية والموت. وهذا معناه أنه - تبارك اسمه - سيملك لأنه تألم، وسيأخذ السفر ويسود لأنه ذُبح واشترى (رؤ ٥:٩).

ثالثاً: المجد الإلهي للرب يسوع

«كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيبُ استقامةٍ قضيبُ ملكك» (٦٤).

وستأمل في هذه الآية مرة أخرى تحت عنوان الآية المسبوبة.

هذه هي الآية المقتبسة في العهد الجديد من المزمور (عب ١:٨، ٩). ترى من هو هذا الشخص المُخاطَب هنا باعتباره الله؟ هو شخص ربنا يسوع كما نفهم من رسالة العبرانيين «وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيبُ استقامةٍ قضيبُ ملكك».

فالرب يسوع هو بهاء مجد الله ورسم جوهره، وهو المعادل لله تماماً، بل هو الله*، ومنذ وجود الله (أي من الأزل، لأن الله أزلي) هو هناك (إش ٤٨:١٦). فهو الذي «مخارجة منذ القديم منذ أيام الأزل» (مي ٥:٢). هو الذي قال مرةً وهو في أيام جسده، شاهداً عن أزليته: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن (إجو آيمي ego eimi)» (يو ٨:٥٨). والعجيب أن الآية التالية لهذه الآية مباشرة توضح أن الله هو إلهه. فكيف يكون

* انظر الملاحظات الإضافية على المزمور ٤٥.

المسيح هو الله، وأيضاً الله إلهه؟! إنه أمر بلا شك يفوق العقل*، وهذا صحيح، من أجل ذلك قال الرب عن نفسه «ليس أحد يعرف الابن إلا الأب»، ومكتوب: «عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد»، وقال إشعياء عنه «ويدعى اسمه عجيباً» فهو يجمع[†] بين اللاهوت والناسوت.

الآية المسيبوية

«كرسبك يا الله إلى دهر الدهور، قضيبُ استنقامٍ قضيبُ ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلك بزيت الابتهاج أكثر من رفاقك» (٧،٦ع).

«أحببت البر وأبغضت الإثم» (٧ع).

لا يوجد شخص أحبَّ البرَّ وأبغض الإثم كما فعل ربنا المعبود يسوع، فهو الذي قال ليوحنا المعمدان عند المعمودية: «هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر» (مت ٣: ١٥). كما أنه أبغض الإثم لدرجة أنه ليس فقط لم يفعله في كل حياته، بل مضى أيضاً إلى الصليب ليموت عليه، فيُطيل الخطية بذبيحة نفسه. لقد أبغض الإثم إذاً حتى الموت! ثم قام لكي «يُوتَى بالبر الأبدي» (١٩: ٢٤)، وهذا سيتم في مجيئه الثاني عندما يملك على كل الأرض، ثم في السماء الجديدة والأرض الجديدة التي سيسكن فيها البر (٢بط ٣: ١٣)، حيث يزيل من الوجود كل آثار الخطية.

«من أجل ذلك مسحك الله إلك بزيت الابتهاج أكثر من رفاقك»

والملوك عادة ثلاثة أنواع: فهناك الملك الخرفان، والملك الخرفان، والملك القرفان Bad, sad and mad لكن أين نجد الملك الفرحان Glad؟

سيأتي هذا الملك عن قريب، ذاك الذي مسحه الله (باعتباره الملك) بدهن الابتهاج أكثر

* ونلاحظ العكس في نبوة زكريا، فبعد أن تحدث عن عبد يهوه المتألم والمضروب، الذي يقول إن إنساناً اقتناني من صباي، نسمع رب الجنود يقول عنه «رجل رفقتي» (زك ١٣: ٥-٧). فبعد الإشارة إلى لاهوته في المزمور، يشير فوراً إلى ناسوته، وبعد الإشارة إلى ناسوته في النبوة، يشير تَوّاً إلى لاهوته.

[†] وفي تجسده جمع بين النعمة والحق (يو ١٧: ١). وفي هذا المزمور جمع بين النعمة في ع ٢، والنعمة في ع ٣. وذلك لفريقين مختلفين هما: أعداء الملك في ع ٥، ورفقاء الملك في ع ٧.

من رفقاءه.

وعندما يقول الوحي هنا: "مسحك.. بدهن الابتهاج أكثر من رفقاءك"، فهذا يذكرنا بالمنارة الذهبية الطاهرة ذات الشعب الست. أما الساق الوسطى للمنارة، وتسمى أيضاً المنارة، فكان أكثر جمالاً وطولاً من باقي الشعب، رغم أن الكل من ذهب نقي! وهكذا فمع أننا رفقاؤه، إلا أنه "متقدم في كل شيء" (كو ١: ١٨). فهناك تماثل، لكن أيضاً تفوق. إنه هو البكر بين الإخوة الكثيرين (رو ٨: ٢٩).

ملاحظات إضافية على المزمور الخامس والأربعين

المسيح هو الله

تُعتبر الآية السادسة من هذا المزمور، وهي الآية المقتبسة في عبرانيين ٨:١ عن المسيح «وأما عن الابن: كرسيك يا الله* إلى دهر الدهور» واحدة من أقوى الأدلة على لاهوت ربنا يسوع المسيح. ونحن يمكننا أن نتتبع آيات عديدة في الكتاب المقدس في كل من العهدين القديم والجديد تذكر صراحة عن المسيح أنه هو الله.

في العهد الجديد

«وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً، ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره: الله معنا» (متى ٢٢: ٢٣).

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو ١: ١).

فأجاب توما وقال له: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨).

«احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٨: ٢٠ أرجع إلى متى ١٦: ١٨).

«ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً (أو الله المبارك - ترجمة تفسيرية) إلى الأبد» (رو ٩: ٥).

«وبالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦).

«منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح (أو إلهنا ومخلصنا العظيم يسوع المسيح - ترجمة تفسيرية)» (١ تي ٢: ١٣).

«إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا، ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح (أو إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح - ترجمة تفسيرية)» (٢ بط ١: ١).

«ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية» (١ يو ٥: ٢٠).

وفي العهد القديم:

«كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك» (مز ٤٥: ٦).

«لأنه يُولد لنا ولد ونُعطي ابناً، وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً (أو الله القدير - فهي نفس العبارة اللغوية الواردة في إشعياء ١٠: ٢١)، أباً أبدياً، رئيس السلام» (إش ٩: ٦).

* البدع التي تذكر لاهوت الابن لا تتحدث مطلقاً عن هذه الآية.

ونلاحظ أن المسيح ليس مجرد إله، كما يعلمّ شهود يهوه ومن ينسجون على منوالهم، بل هو الله. ففي بعض الأحيان يستخدم تعبير "إله" في الكتاب المقدس عن الأشخاص الفائقين: الملائكة أو القضاة أو الملوك، ولكن تعبير "الرب" أي "يهوه" ليس كذلك. والرب يسوع قيل عنه أيضاً بصريح العبارة إنه يهوه، كما قيل عنه أيضاً إنه الخالق وصاحب الأمجاد.

ولو قصرنا نظرتنا فقط على ما ورد عن المسيح في سفر المزامير (في المزامير المصاوية)، نجد المزيد من الأدلة على لاهوت المسيح، فهو له:

الأسماء الإلهية: فيقال عنه إنه «الرب الإله»، أو "يهوه إيلوهيم".

والصفات الإلهية: فهو السرمدى: أي الأزلي الأبدي.

والأعمال الإلهية: فهو خالق السماء والأرض.

والأمجاده الإلهية: فهو المتكَلِّ، والذي يُسجد له.

✧ فبحسب مزمور ١٨:٦٨ هو الرب الإله، الذي صعد إلى العلاء. فنقرأ القول: «صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس... أيها الرب الإله». وعندما اقتُبست هذه الآية في العهد الجديد، التي فيها يتحدث داود إلى الرب الإله، نقرأ: «لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد، فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» (أف ٤:٨، ٩). ونحن نعرف أن الذي نزل إلى أقسام الأرض السفلى هو ربنا يسوع المسيح، مما يدل على أن الرب يسوع المسيح هو الرب الإله، "يهوه إيلوهيم".

✧ ويخاطبه الأب بحسب مزمور ١٠٢:٢٥ بالقول: «يا رب»، حيث يرد القول: «من قديم أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك». وهذه الآية عندما اقتبسها كاتب العبرانيين في معرض حديثه عن أمجاد الابن، وتفوقه عن الملائكة، قال: «وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك» (عب ١:١٠).

✧ ومن الآية السابقة يتضح لنا أن المسيح هو الذي أسس السموات والأرض، أي أنه الخالق، وبالتالي فإنه الأزلي. ويرد عنه في يوحنا ٣:١ «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان».

✧ ثم إنه هو الذي يبقى بعد زوال السماء والأرض، أي أنه الأبدي، كقوله في مزمور ١٠٢:٢٦، ٢٧ «هي تَبِيدُ وأنت تَبْقَى، وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيرهن فتتغير، وأنت هو وسنوك لن تنتهي». وعندما تُقْبَس هذه الآية في عبرانيين ١:١٢، ١١ «هي تَبِيدُ، ولكن أنت تَبْقَى، وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى».

✧ وهو الذي ستسجد له جميع الآلهة، أو جميع الملائكة، كقول مزمور ٩٧: ٧ «اسجدوا له يا جميع الآلهة»، وتُقتبس في العبرانيين ١: ٦ «وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله». فمن هو الذي تسجد له جميع الآلهة وجميع الملائكة؟ أليس هو الله، الذي لا يصح السجود إلا له؟ (قارن مت ١٠: ٤؛ أع ١٠: ٢٥، ٢٦؛ رؤ ١٩: ١٠). ويقول عنه الرسول بولس أيضاً: «لكي تحثوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (في ٢: ١٠).

✧ وهو الذي يطوب في المزمور ١٢: ٢ «جميع المتكلمين عليه». رغم أنه «ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعاً... مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، وكان الرب متكلاً» (إر ١٧: ٥، ٧). ومكتوب أيضاً «لا تتكلوا على الرؤساء، ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده... طوبى لمن إله يعقوب معينه» (مز ١٤٦: ٥، ٣). فعندما يقول الوحي طوبى للمتكلمين على الرب، واللعنة للمتكلمين على سواه. ثم يقول طوبى للمتكلمين على الابن، فهذا معناه أن الابن هو يهوه، وهو إله يعقوب، وهو إلهي أيضاً.

هذا الشخص المبارك، ربنا يسوع المسيح، هو إذاً: "الله"، كما أنه "الرب الإله"، أو "يهوه إيلوهيم"، كما أنه الأزلي الأبدي، وهو خالق السماوات والأرض، وهو متكل الجميع وموضوع سجودهم. له كل المجد.

المزمور الثامن والستون

المسيح المنتصر الصاعد

المزمور في كلمات

مزمور مسياوي يُقدّم لنا الرب في انتصاراته بواسطة شعبه. وفيه يتحدث المرنم عن انتصارات الشعب الماضية، ويتنبأ عن انتصاراته اللاحقة، واضعاً نصب عينيه نصرّة الله العظمى على كل قوى الشر، والتي ستُسْتَعْلَن عن قريب. وهو رائع حقاً في كل من تاريخه ونبواته، مع أنه - في مفرداته وآياته - واحد من أصعب المزامير كلها.

الاقتباسات

اقتبسَ الرسول بولس العدد ١٨ من هذا المزمور في الرسالة إلى أفسس ٨: ٤ «إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا».

الكاتب والمناسبة

كتبه داود، على الأرجح بمناسبة نقل التابوت من بيت عوبيد أدوم إلى صهيون (ارجع إلى صم ٦؛ ١ أخ ١٥، وانظر التعليق على مزمور ٢٤).

عنوان المزمور

«لإمام المغنين، لداود مزمور*».

«تسبيحة»: عندما يقول الوحي مزمور فهذا معناه أنه كان يُنشد في الهيكل بمصاحبة الآلات الموسيقية. وأما تعبير تسبيحة فهذا يتضمن أن مادة المزمور تدعو للفرح وتمجيد الله.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

في الكتاب الثاني من سفر المزامير (مز ٤٢-٧٢) نجد ثلاثة مزامير مصاوية هي: المزامير ٤٥؛ ٦٨؛ ٦٩. ويمكن أن نتأمل فيها بطريقة عكسية. فواضح أن مزمور ٦٩ هو أعظم تلك المزامير، وفيه نرى المسيح النازل، الغارق في الحمأة العميقة التي ليس لها مقر. لكن هذا الذي نزل، نراه هنا في مزمور ٦٨ صاعداً فوق جميع السماوات. وأخيراً في مزمور ٤٥ نراه أتياً مرة ثانية ظاهراً بالمجد والقوة لإخضاع كل الأعداء، والسيادة على كل الأرض، والفرح مع مفديه. فمزمور ٦٩؛ ٤٥ يحدثنا عن الصليب والعرش، أو بالحري عن المجيئين الأول والثاني. ومزمور ٦٨ يحدثنا عن الفترة المتوسطة، حيث صعد المسيح فوق جميع السماوات ليملاً الكل، وقد سبى سبياً وأعطى الناس عطايا.

أقسام المزمور

يمكن تقسيم هذا المزمور إلى قسمين: القسم الأول (ع ١٨-١) وموضوعه أحداث تاريخية ماضية، والقسم الثاني (ع ١٩-٣٥) ويتكلم عن أمور نبوية مستقبلية. وكل من هذين القسمين ينقسم بدوره إلى أربعة أقسام كالآتي:

التقسيم الرباعي للجزء الأول:

١- الله القائد المنتصر (ع ١-٦).

٢- خروج الشعب من مصر، ورحلته في البرية (ع ٧-١٠).

* انظر تعليقنا على عنوان مزمور ٨ ص ٣١.

- ٣- انتصارات الشعب على الأعداء في أرض الموعد (١١٤-١٤).
٤- وصول تابوت العهد إلى صهيون (١٥٤-١٨).

التقسيم الرباعي للجزء الثاني

- ١- تسبحة سجود (١٩٤).
٢- بركات الشعب، التي تتضمن إبادة الأعداء (٢٠٤-٢٣).
٣- قبول الشعب للمسيح كالمملك العظيم (٢٤٤-٢٧).
٤- الإكرام العام للرب في فترة المملك الألفي (٢٨٤-٣٥).

الدروس الأدبية والعملية

الجزء الأول من المزمور يكلمنا عن تحرُّك الله في التاريخ على النحو الآتي:

- ١- تحرُّك الله بالشعب جغرافياً من مصر إلى كنعان.
٢- تحرُّك الله بشعبه روحياً من سيناء إلى القدس (جبل صهيون).

إننا نعرف أن الشعب بعد ارتحالهم في البرية لمدة ٤٠ سنة، وبعد وصولهم إلى أرض كنعان، فإنهم لم يجدوا الراحة التي كانوا ينشدونها «لأنه لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر» (عب ٤: ٨). فهم بعد أن امتلكوا الأرض، طردوا منها ومكثوا في السبي ٧٠ سنة. ولقد أعطاهم الرب فرصة أخرى، وجاءهم المسيح بنفسه، إلا أنهم رفضوه وصلبوه، وتشتتوا بعد ذلك منذ نحو ألفي عام.

ومصر تُذكرنا بعبودية الشعب القاسية في الطين واللبن، حيث استعبد المصريون بني إسرائيل (خر ١: ١٤). وسيناء هو اسم الجبل الذي أُعطى فيه الناموس، فهذا الجبل إذاً يكلمنا عن الناموس وعبوديته (غل ٤: ٢٤). لكن كان هناك مخطَّط إلهي عجيب لنقل شعبه من كور المشقة وبيت العبودية إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، ومن جبل سيناء الوالد للعبودية إلى جبل صهيون الذي يشير إلى نعمة الله (عب ١٢: ٢٢). فشكراً لله الذي يريد في نعمته أن ينقل الإنسان من عبودية الشيطان (في مصر) إلى حرية أولاد الله (في كنعان)، ومن عبودية القاصرين تحت أركان العالم (الناموس)، إلى حرية الأبناء البالغين (النعمة)، ومن العهد الأول إلى العهد الجديد، عهد البركة! بل إن قصد الله الذي لا بد أن

يتحقق في النهاية: «هوذا مسكن الله مع الناس» (رؤ ٢١: ٣).

هذه الأعداد إذاً لا تتكلم فقط عن رحلة الشعب في أيام موسى من مصر إلى أرض كنعان، بل تتكلم أيضاً عن مصر باعتبارها بداية خطة الله من جهة البشرية بصفة عامة، وكنعان باعتبارها نهاية هذه الخطة. فالإنسان بدخول الخطية بدأ قصته مع العبودية «كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية» (يو ٨: ٣٤). وأيضاً «لأن ما انقلب منه أحد فهو له مستعبد أيضاً!» (٢بط ٢: ١٩). فتاريخ البشرية يوضح أن جميع الناس قد أصبحوا عبيداً لسيد رهيب، ألا وهو الشيطان، وكان تخطيط الله أن يحرر الإنسان من تلك العبودية.

إذاً فالأعداد من ع ١ - ١٨ ترينا تحرك الرب، (أو بالحري تحرك رمز حضور الرب، أي التابوت). وتبدأ هذه الفقرة بالقول: «يقوم الله» وهي إشارة لما كان يقوله موسى عن التابوت في سفر العدد: «قم يا رب، فلتنبت أعداؤك» (عد ١٠: ٣٥)، وتنتهي الفقرة بالقول «صعدت إلى العلاء» وهي إشارة إلى صعود التابوت من بيت عوبيد إلى جبل صهيون. وتحدثنا أدبياً عن رحلة شعب الله من بيت العبودية إلى بيت العز (مز ٢٣: ٦).

القسم الأول: أحداث تاريخية (ع ١-١٨)

١) الله القائد المنتصر (ع ١-٦)

يبدأ المزمور بالقول: «يقوم الله، يتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه» (ع ١).

وهكذا، أنت ترى الأشرار متماسكين، إلى أن يقترب الرب، الذي هو نار آكلة، منهم، فيذوبون ذوباناً. ألا يذكرنا بما حدث مع بيلشاصر عندما ظهرت أصابع يد إنسان وكتبت بإزاء النبراس على مكلس حائط قصر الملك، ويقول الكتاب عنه: «تغيرت هيئة الملك، وأفرغته أفكاره، وانحلت خرز حقويه، واصطكت ركبته» (دا ٥: ٦).

لكن إن كان هذا القيام سيرعب الأشرار، فإن الصديقين يفرحون (ع ٣).

هذا التحرك قاد المرنم إلى أن يغني ويرنم لاسم الرب الكريم ذاكراً بعض صفاته (ع ٤-٦)، فهو:

١- القائد الظافر: «الراكب في القفار» (ع ٤). الذي «يركب السماء في معونتك

والغمام في عظمتة» (تث ٣٣: ٢٦).

٢- الحنان «أبو اليتامى» (ع٥). إن ذلك القوي والقدير، الذي يُسمي الخطاة أمامه كالدخان وكالشمع، هو - في الوقت نفسه - صاحب الحنان، وأبو اليتامى.

٣- العادل لأنه «قاضي الأرامل» (ع٥).

٤- الرحيم الشفوق «مُسْكِن المتوحدين في بيت» (ع٦) وكلمة «المتوحدين» قد تعني المساكين أو البؤساء والمنفردين الذين لا معين لهم، أو قد تعني المتفردين* أي الذين لا نظير لهم كما جاءت في بعض الترجمات (انظر نش٦:٨، ٩).

٥- صاحب السلطان «مُخْرِج الأسرى إلى قَلامٍ» (ع٦)، فهو لا يخرج الأسرى إلى الحرية فحسب، بل يخرجهم إلى فلاح. إنه لم يحرر يوسف فقط من الأسر والسجن، بل سلَّطه أيضاً على كل أرض مصر (تك٤١:٤٤)، وقاده من وجه الضيق إلى رحب لا حصر فيه (أي١٦:٣٦). وبعد ذلك أخرج كل بني إسرائيل الذين كانوا عبيداً في مصر، أخرجهم إلى الرحب.

٦- الديان: «إنما المتمرّدون يسكنون الرضاء» (ع٦)، وهو ما تم أيضاً في رحلة البرية من مصر إلى كنعان. فالذين تمردوا على الرب، سقطت جثثهم في القفر (الرضاء).

ومع ذلك لاحظ المباينة بين ع٦، ع١٨ ففي الآية ٦ يقول «إنما المتمرّدون يسكنون الرضاء» (ع٦)، بينما في الآية ١٨ يقول «قِيلَتْ.. المتمردين للسكن أيها الرب الإله» (ع١٨). وسر ذلك الاختلاف هو ظهور الله في ملء الزمان في شخص المسيح المملوء نعمة وحقاً، الذي مضى إلى الصليب ليذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد، ثم قيامته من بين الأموات وصعوده فوق جميع السماوات. ففي الناموس كل المتمردين هم تحت اللعنة، ويسكنون الرضاء، أما النعمة فإنها تقبل المتمردين وتعدهم للسكنى في بيت الأب ذي المنازل الكثيرة!

(٢) خروج الشعب من مصر، ورحلة البرية (ع٧-١٠)

«اللهم عند خروجك أمام شعبك، عند صعودك في القفر» (ع٧).

ما أروع أن يخرج الله أمام شعبه! من مثل ذلك الشعب المغبوط الذي قال عنه

* انظر «وحيديتي» أو «عزيزتي» (مز٢٢:٢٠).

موسى: «هل سمع شعبٌ صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش؟ أو هل شرع الله أن يأتي ويأخذ لنفسه شعباً من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب» (تث ٣٣: ٤، ٣٤). لذا فلا عجب أن ترد كلمة «سلا»^{*} بعد هذه الآية. ورحلة البرية كما أظهرت فشل الشعب من جانب، فإنها أظهرت إجابة الرب من الجانب الآخر!

«الأرض ارتعدت... سيننا نفسه من وجه الله إله إسرائيل» (ع ٨، ارجع إلى قض ٥: ٤، ٥: ٣؛ حب ٣: ٣)

عندما نزل الله على جبل سيناء، كان الجبل يدخن، وكانت هناك أصوات رعود وبروق وصوت بوق (خر ١٩: ١٨؛ عب ١٢: ١٨). بل إن جبل سيناء ارتعش! فما أعظم الله في قوته وقدرته! لكن لننتذكر أن الذي نزل على جبل سيناء هو الذي صعد يوماً على جبل الموعظة، والذي أنزل الولايات على جبل سيناء، هو الذي في يوم نعمته فتح فاه بالتطويبات، والذي قال موسى في حضرته: «أنا مرتعب ومرتعِد» (عب ١٢: ٢١)، هو ذاته الذي «كان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه» (لو ١٥: ١).

«مطراً غزيراً[†] نضجت يا الله» (ع ٩).

نفهم من المزمور الثامن والسبعين أن المطر الغزير كان هو السلوى والمنّ النازل حوالي المحلة «وأمر عليهم مناً للأكل... وأمطر عليهم لحماً مثل السراب وكرم للبحر طيوراً ذوات أجنحة» (ع ٢٧، ٢٨). فما أعظم جود الرب للشعب في البرية. ثم عندما أعيى الشعب (ميراث الرب) فإن الرب قد شدده (ع ٩).

٣ الانتصارات على الأعداء في أرض الموعد (ع ١١٤-١٤)

يتكلم المرنم في الأعداد من ع ١١-١٤ عن الحروب التي حدثت في أرض كنعان، ولا سيما في سفر القضاة. وكان الرب هو الذي يحارب عنهم وهم صامتون. «الرب يعطي كلمة» وتكون النتيجة أن «المبشرات بما جند كثير» (ع ١١).

* سلاه: هي إشارة موسيقية مقصود بها أن تستمر الموسيقى في العزف بينما بصمت المرنمون، والقصد من ذلك هو التأمل في معنى الكلمات التي رُئمت. أليس بعد تلك الكلمات الرائعة نحتاج إلى وقفة تأمل؟ وكما قال موسى: «أليس بمسيرك معنا... نمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض؟» (خر ١٦: ٣).

† rain of free gifts بحسب حاشية ترجمة داريبي.

هذه الكلمة بالنسبة للشعب القديم، كانت كلمة الانتصار على الأعداء، أما بالنسبة لنا فهذه الكلمة هي كلمة الخبر التي نذيعها. وكم نشكر الله كثيراً من أجل صوت البشارة الذي يُذاع الآن في كل مكان، وبمقدور كل إنسان أن يسمعه. إننا لا نستطيع أن نعرف عدد الذين يُبشرون بهذه الأخبار السارة في كل مكان. وبالتالي طبعاً لا يمكننا معرفة عدد من يقبلونها لخلاص أنفسهم.

«المُبَشِّرَاتُ بِهَا جَنْدٌ كَثِيرٌ» (١١ع). المُبَشِّرَاتُ هُنَّ النساء اللواتي يُذعن أخبار النصر. ونلاحظ أن هذا المزمور - الذي يتحدث كثيراً عن الانتصارات - يحوي ثلاث إشارات إلى النساء: المُبَشِّرَاتُ (١١ع)، المُلازمة البيت (١٢ع)، فتيات ضاربات (٢٥ع). ولقد سبق أن أشرنا أثناء دراستنا للمزمور الثامن (صفحة ٤٠)، أن أشهر ثلاث ترنيمات في الكتاب المقدس (خر ١٥؛ قض ٥؛ اصم ١٨) هي التي رنمتها النساء بعد الانتصار على أحد رموز الشيطان. فبعد النصر على فرعون، وهو رمز للشيطان في عبوديته القاسية لشعب الله، رنمت مريم أخت هارون مع النساء. ثم بعد النصر على يابين ملك كنعان، والذي معنى اسمه «الفطن أو الذكي»، صورة لذلك الماكر اللئيم عدو كل برٍّ، رنمت دبورة ترنيمتها الشهيرة والتي تقول فيها «دوسي يا نفسي بعز» (قض ٥: ٢١). ثم بعد النصر على جليات الجتي، وهو أيضاً صورة للشيطان في جبروته، أجابت النساء اللاعبات: «ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته» (اصم ١٨: ٧). لماذا عند كل مشهد هزيمة لرمز من رموز الشيطان، كانت النساء تهتفن مترنمات؟! السبب لأن هناك نبوة قديمة عن المسيح باعتباره «نسل المرأة»، الذي سيسحق رأس الحية: إبليس (تك ٣: ١٥). فالرب يسوع «نسل المرأة» انتصر على الشيطان في الجلجثة (كو ٢: ١٥)، وقريباً سيُسحق الشيطان، بل وكل أشرار الأرض تحت أرجل المؤمنين (رو ١٦: ٢٠؛ ملا ٤: ٣).

«ملوكُ جيوشٍ يهربون، يهربون. الملازمة البيت تقسم الغنائم» (١٢ع) ارجع إلى قض ٥: ٣٠). الجنود الصناديد هربوا، والإناء الأثوي الأضعف، اقتسم غنائم الانتصار. إن الذين يقسمون الغنائم عادة هم الرجال المحاربون، غير أننا هنا نرى أن الذين يقسمون الغنائم، ليسوا هم رجال الحرب، بل النساء. وليس فقط النساء، بل الملازمات البيوت! أي

* حدث نفس الأمر، بصورة أعظم، عند قيامة المسيح من الأموات، فالملك الذي نزل من السماء ودحرج الحجر جعل الحراس يرتعدون وصاروا كأموات، لكنه قال للمرأتين: «لا تخافا أنتما» (مت ٢٨: ٥، ٤).

اللواتي لا قيل لهن بالحروب، بل ولا بأي عمل آخر خارج جدران المنزل!! وذلك لأنها حرب للرب، حيث لا تتفجع قوة الخيل، ولا ساقا الرجل (مز ١٤٧: ١٠).

«إذا اضطجعت بين الحظائر، فأجنحة (أي فهناك أجنحة) حمامة مغطاة بفضة، وريشها بصفرة الذهب» (١٣ع).

والاضطجاع بين الحظائر صورة للرخاوة والكسل (تك ٤٩: ١٤؛ قض ٥: ١٦). فكأن الرب يقول لشعبه: ولو لم تكن فيكم نخوة الرجال، ولم يميزكم سوى التراخي والكسل، ولو وصلتكم إلى حضيض الحضيض في تشبهكم بالبهائم التي تُباد (قارن مع مز ٤٩: ١٢، ٢٠)، لكن هناك الحمامة بأجنحتها وريشها. والحمامة رمز جميل للمسيح* في محبته الفدائية العجيبة. وأجنحة الحمامة مغطاة بفضة: صورة للفداء، وصفرة الذهب: صورة المجد الإلهي.

وإن كنا، نتيجة مجيء الرب الأول، أمكننا أن نتمتع بفضة الفداء، فإن مجيئه الثاني سيجعلنا نتمتع بذهب المجد. وهكذا فإن ذلك الشعب الذليل، سيكون لهم - نظراً لفداء محبة المسيح (الحمامة)، وحمايته لهم (الأجنحة) - الفداء الآن (الفضة)، والمجد عن قريب (الذهب).

«عندما شئت القدير ملوكاً فيها (أو بسببها)، أثلجت في صلمون» (١٤ع).

نجد هذا الأمر في مشهدين واضحين للشعب قديماً:

ففي يشوع ١٠ حدث مطر، لكنه لم يكن "ماء" ولم يكن "مناً" أو "سلوى"، بل "حجارة برَد"! لقد كان يوماً لا يُنسى، يوم استجاب الله لصلاة عبده يشوع فوقف الشمس في كبد السماء وأيضاً القمر. ولكن هل كان يكفي أن النهار يطول حتى ينتصر يشوع على هذه الجيوش العظيمة؟ كان لا بد لله أن يتدخل، وأن يعمل هو ويعطي النصر، وكان ذلك عن طريق حجارة البرَد.

ومرة ثانية في قضاة ٥، ٤، نقرأ ما فعله الله، وهو ما جعل دبورة تقول في ترنيمة لها: «الكواكب من حُبْكَها حاربت سيسرا» ونحن لا نعرف كيف حدث ذلك، وقد يكون شبيهاً بما حدث في أيام يشوع.

* الحمامة أيضاً رمز جميل للروح القدس، كما نفهم من متى ١٦: ٣؛ وأيضاً لعروس المسيح (العروس الأرضية) قارن مع نشيد ١٤: ٢؛ ٩: ٦.

«أُتْلِجَتْ فِي صُلْمُون»

و"صلمون" هو اسم جبل (قض ٩: ٤٨)، ولكثرة الغابات التي تملؤه فإن منظره يكون داكناً (وهذا معنى اسمه)، غير أن ذلك الجبل القاتم الداكن تحولّ لونه إلى بياض ناصع بهيج. وفي الطبيعة قد يتم ذلك في وقت قصير جداً، فقد يأتي الليل والجبل قاتم، لكن في الصباح نجده وقد امتلأ بالتلج الناصع الأبيض. وهذا كثيراً ما يحدث معنا روحياً: أن يحول الرب - في وقت وجيز جداً - ظل الموت صباحاً (عا ٥: ٨).

٤) وصول تابوت العهد إلى صهيون (١٥٤-١٨)

«جبل الله جبل باشان؟ جبل أسنمة جبل باشان» (ع ١٥). ربما يأتي الكلام هنا في العبارة الأولى في صيغة استفهام: فهل جبل الله هو جبل باشان؟ كلا، فجبل باشان هو جبل أسنمة، لكن جبل الله الذي اشتناه هو جبل صهيون (مز ١٣٢: ١٣)، كما نفهم أيضاً من باقي هذا المزمور.

«لماذا أيتها الجبال المسنمة (ذات السنام، أي القمم العالية) ترصدن نظرات الحسد إلى الجبل الذي اشتناه الله لسكنه». لقد اختار الله صهيون (مز ٨٧: ١؛ ٢٠: ١٣٢؛ ١٤٤: ١)، ليس لأنها أعلى القمم. فالله - بصفة عامة - يختار الأضعف والأقل، لا الأقوى والأعلى «اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم، والمزدرى، وغير الموجود ليبطل الموجود، لكي لا يفخر كل ذي جسد أمامه» (١ كو ١: ٢٧-٢٩ ارجع إلى تث ٧: ٧، ٨).

«مركبات الله، ربوات ألوف مكررة، الرب فيها» (ع ١٧). مركبات الله هم الملائكة (٢ مل ٢: ١١). ونقرأ في دانيال ١٠: ٩، ١٠ القول «لباسه أبيض كالثلج... نهر نار جرى وخرج من قدمه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدمه»، وفي عبرانيين ١٢: ٢٢ يقول الرسول بولس للمؤمنين: «أتيتم إلى جبل صهيون... وإلى ربوات هم محفل ملائكة».

ثم يقول «الرب فيها»، أي أنه في وسط هؤلاء الملائكة، كما ورد في نبوة أخوخ «قد جاء الرب في (وسط) ربوات قديسيه» (يه ١٤).

* ربما يشير المزمور هنا إلى جبل حرمون (جبل الشيخ) الذي له ثلاث قمم عالية متساوية في الارتفاع.

«سبينا في القدس» يمكن أن نقرأ هذه الآية هكذا: كما كان الرب في سيناء، هو كذلك أيضاً في القدس. فهو كان عظيماً على جبل سيناء، واتضاعه لم يقل قط ذرة واحدة من هذه العظمة، عندما أخلى نفسه في مشهد النعمة العجيب.

ثم يعقد مقارنة بين سيناء (جبل الناموس) والقدس (جبل النعمة)، فيقول:

«صعدت إلى الهاء سبيت سبياً، قبلت عطايا بجن الناس، وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله» (١٨٤).

ونحن نعرف أنه لا توجد عطايا في جبل سيناء، لأن الرب في جبل سيناء نزل مُطالباً، لكنه في ملء الزمان نزل - له المجد - ليفعل مشيئة الذي أرسله. ولقد أكمل هذا العمل، أكمل كل ما كان فيه مجد الله وبركة الإنسان، من ثم فقد صعد ليبارك، وليعطي عطايا للناس!

«سبيت سبياً» المرنم هنا ينظر إلى الوراء، إلى ما حدث أيام دبورة التي قالت في ترنيمتها: «قُم يا باراق، واسب سبيك يا ابن أبينوعم» (قض ٥: ١٢). لكن عين النبوة تمتد إلى الأمام، فباراق الذي هو ابن أبينوعم إنما هو صورة مصغرة لمن هو أعظم منه، ذاك الذي انتصر على الشيطان الماكر في الجلجثة، كما هو مكتوب: «إذ جردّ الرياسات والسلطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كو ٢: ١٥).

«وأيضاً المتمردين» وهل الله مستعد أن يعطي عطايه وبركاته حتى للمتمردين؟! نعم، ألم يخلص اللص على الصليب؟ ألم يظهر لشاول الطرسوسي الذي كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً؟! لقد كان شاول من المتمردين، وقال عن نفسه «ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري» (أع ٢٦: ٩)، غير أن نعمة الله قد غيرته من شخص ينفث تهديداً وقتلاً، إلى إنسان له عواطف وأحشاء المسيح (غل ٤: ١٩، ١ تس ٢: ٧). لأنه «حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رو ٥: ٢٠).

كانت هذه الآية سبباً لتعزية يوحنا بنيان وإنقاذه من بالوعة اليأس التي كاد أن يطرحه فيها إبليس. فكم مرة عزم أن يعيش للرب وفشل، وتأكد من أن هلاكه أمر محتتم، حتى لمعت أمامه هذه الآية، أن الله يقبل المتمردين. فوثق أن الله لا يمكن أن يرفضه. صحيح هو سبق له أن أحبه وخافه وخدمه، ثم عاد وتمرد عليه وباعه. لكن ذلك المحب الأعظم يعطي عطايا للمتمردين، فلماذا لا يعطيه؟ ويقبلهم للسكن معهم، فلماذا لا يرحب به أيضاً؟

القسم الثاني: نظرة نبوية مستقبلية

بمجرد أن ذُكر في ١٨ ع صعود المسيح إلى العلاء، وعطاياه للإنسان، فقد رُنّت نغمة السجود الشجبة في العدد التالي مباشرة:

«مبارك الله يوماً فيوماً، يُحْمَلُنَا إِلَه خَلاصنا. سلام» (١٩ ع).

لاحظ أن الرب يحمل أُنْقَالنا (مز ٥٥: ٢٢؛ في ٤: ٦، ٧؛ ١ بط ٥: ٧)، بل وأيضاً يحْمَلُنَا نحن أنفسنا (تث ١: ٣١؛ إش ٦٣: ٩)، وأكثر من ذلك هو يُحْمَلُنَا بالخيرات (كما ترد في ترجمة داربي). وهو يفعل ذلك معنا «يوماً فيوماً»! فالرب إذا يأخذ أُنْقَالنا، وهذه رحمة، ويعطينا بركات، وهذا خير. وشكراً لله فإن الخير والرحمة يتبعاننا كل أيام حياتنا (مز ٢٣: ٦). وعبارة «إله خلاص» في ٢٠ ع وردت في الأصل العبري بالجمع. وفي ضوء العهد الجديد نحن نتمتع بخلاص في الماضي، وخلاص في الحاضر، وخلاص في المستقبل. فهناك خلاص لنناه (رو ٩: ٢٢؛ تي ١: ٩)، وهناك خلاص نحياء (رو ٥: ١٠؛ عب ٧: ٢٥)، وهناك خلاص نترجاه وتتمناه (رو ١١: ١٢؛ عب ٩: ٢٨).

وإن كان الخلاص لنا (٢٠ ع) فإن الهلاك لأعدائه (٢١ ع). ومهما كانت صلابة رؤوس الأعداء، فإن الله سيسحقها (٢١ ع مع مز ١١٠: ٦؛ حب ٣: ١٣)، ومهما كان بُعدهم، ولو كانوا على قمة جبل باشان العالي، فإنه من باشان سيُرجعهم، أو إن كانوا في أعماق البحر فمن هناك سيأتي بهم ويسحقهم (ارجع إلى عاموس ٩: ٢، ٣).

التطبيق النبوي

«يقوم الله» (١ ع).

ذكرنا فيما سبق أن هذا المزمور يتحدث عن تقدّم الله عبر الزمان إلى غايته المعروفة والمحددة؛ إلى «تدبير ملء الأزمنة» أي الملّك الألفي، وساعتها أيضاً سيقوم الله، وعند قيامه سيرُعب الأرض (إش ٢: ١٩). نعم سيتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه. ترى ماذا يفعل الدخان أمام الريح؟ وماذا يفعل الشمع قدام النار؟ (٢ ع) هكذا الأشرار عندما يقوم الله. وإن كان هذا القيام سيملاً لقلوب أعداء الرب بالفرح والرعب، لكنه في نفس الوقت سيغمر كل الأتقياء بالسعادة، فيفرحون طافرين مهللين (٣ ع).

ونحن يقيناً ننتظر مجيء المسيح. ننتظر تلك اللحظة عندما يقوم المسيح من عرشه ويأتي إلينا على السحاب حيث نلاقه في الهواء، فكم ستكون أفرحنا عندما «يقوم الله»! لكن في ذات الوقت، ما الذي سيحدث مع غير المؤمنين؟ ما أخطر قيام الله بالنسبة للمؤجلين وغير التائبين. يقول الرسول بطرس: «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣: ٩).

والمسيح الآن جالس على عرش أبيه منتظراً، لكن جلوسه الآن له نهاية، ولا بد أن يقوم. «اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠: ١)، والنتيجة الحتمية «يتبدد أعداؤه».

ثم يأتي في (٢ع) بوصفين لحال الأشرار عند ظهور المسيح:

١- «كما يذرى الدخان تذرهم» (٢ع). والدخان يُعتم الجو ويظلم السماء، وعندما تأتي الريح تريح هذا الدخان وتلاشيه.

٢- «كما يذوب الشمع قدام النار يبيد الأشرار قدام الله» (٢ع) فالشمع أمام النار يفقد تماسكه ويصبح بلا شكل أو قوام.

ومن الناحية الأخرى يقول عن الأبرار: «والصديقون يفرحون. بيتهمجرون أمام الله ويطفرون فرحاً» (٣ع).

ثم يقول المرنم: «عندما شئت القدير ملوكاً فيها، أثلجت في ملون» (١٤ع).

«صلمون» ذلك الجبل الداكن، كما أشرنا أثناء حديثنا عن الملاحظات العملية والأدبية، هو صورة للأمة وهي يغطيها الظلام بسبب رفضهم للمسيا. لكن بعمل النعمة سوف يشرق النور عليها فجأة إذ يظهر المسيح لهم (إش ٥١: ٥٢).

«صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس، وأيضاً المتمردين للسكن

أيها الرب الإله» (١٨ع).

ونلاحظ أن الرسول في أفسس ٤ لما اقتبس الآية من مز ٦٨: ١٨ لم يُشِرْ إلى المتمردين، لأن هذه الكلمة بصفة خاصة تشير إلى إسرائيل، وستتم في المستقبل عندما يغفر الرب لمن يبقيه (إر ٥٠: ٢٠).

في الجزء الثاني من المزمور نجد صورة نبوية لما سيحدث مع الشعب بعد اختطاف

الكنيسة. فتحدثنا الأعداد من ع ٢٠-٢٣ عن إبادة كل الأعداء الذين سيعترضون طريق الشعب، ويخصُّ بالذكر كبيرهم، الذي يشير إليه بالقول «**هامة الشعراء**» (ع ٢١)، الذي هو النبي الكذاب*.

قبول الشعب للرب كالمك (٢٤-٢٧)

إذ يُباد الأعداء، فإنه سيُرْحَب بالملك الذي يأخذ مكانه في وسط شعبه الفرحان. وإن كان إحضار التابوت قد اقترن بكل هذه الأفراح، فكم بالحري مَنْ كان التابوت يرمز إليه.

إكرام الرب في فترة الملك الألفي (٢٨-٣٥)

وهذا يتضمن:

أ - عزاً للشعب وجلالاً وقوة وشدة (ارجع إلى ع ٢٨، ٣٤، ٣٥). وبالنسبة لنا نحن أيضاً فقد صيّرنا - له كل المجد - أعزاء، وسنقتسم معه غنائم موته ونصرته (إش ٥٣: ١٢).

ب - هدايا للملك (ع ٢٩): سيأتي الملوك بهديايم، بالذهب واللبان[†] (إش ٦٠: ٦).

ج - إبادة كل الأعداء (ع ٣٠): القادة والمنقادين على السواء. وإتمام ذلك سيكون عند ظهور المسيح (ارجع إلى رؤ ١٩: ١٩-٢١).

د - كل الأمم يسرعون إلى الله (ع ٣١)، سواء من مصر أو من كوش.

هـ - عبادة عامة وفرح شامل (ع ٣٢-٣٥): فالكل سيسبِّح الله ويعبده. هلوليا.

المسيح في المزمور:

«الراكب في القفار» (ع ٤)

لا يُقصد بالقفر هنا البرية الجذباء بصفة عامة، بل الكلمة في العبري تعني "الأخدود العميق"، إشارة إلى الأخدود الذي بين بحر الجليل والبحر الأحمر. وهذا الأخدود يسوده

* نفهم من سفر الرؤيا أن أعوان النبي الكذاب لهم وجوه الرجال وشعر النساء. وهكذا زعيمهم هنا له هامة شعراء. والمعنى الروحي لذلك، أن الأثيم الذي سوف يُكرَّم من اليهود الأشرار كإله، هو نفسه سيكون خاضعاً لمن هو أعلى منه: أعني الوحش. وبذلك فهو له شعر النساء (صورة للخضوع)، إذ سيخضع للوحش.

† لاحظ أنه هنا لا يذكر المَرَّ (قارن مت ١١: ٢) لأن المرَّ انتهى دوره في مجيء الرب الأول ولا سيما في الصليب.

أردأ مناخ على سطح الأرض، حتى قال عنه واحد: "ربما نجد مثل هذا المناخ الرديء في بعض الكواكب، لكن لا نظير له على سطح الكرة الأرضية". ويقع هذا الأخدود عند مصب نهر الأردن في البحر الميت حيث توجد أوطى نقطة على سطح الكرة الأرضية.

إن نهر الأردن والبحر الميت في كلمة الله، بحملان مدلولات روحية هامة وخطيرة، فنهر الأردن يكلمنا عن الموت، فهو يبتدئ بمياه صافية وينتهي بمياه عكرة مليئة بالطين، كما أنه كثير المنحنيات والتعرجات، فالمسافة بين منبعه ومصبه أي بين بحر الجليل والبحر الميت صغيرة لو أخذنا طريقاً مستقيماً، غير أن طول نهر الأردن أضعاف تلك المسافة! وهو في ذلك صورة للإنسان الطبيعي الذي عبثاً يحاول أن يهرب من الموت، ولكن لا مفر من ذلك، تماماً كما أن نهاية نهر الأردن أن يصب في البحر الميت مهما طال مجراه.

أما البحر الميت فله وضع خاص، فهذا البحر له مدخل للمياه ولكن ليس له مخرج، وهو بذلك صورة للبحيرة المتقدة بالنار والكبريت، التي عندما يدخلها الإنسان لن يخرج منها أبداً!!

من أجل ذلك فنهر الأردن والبحر الميت هما صورة للموت وما بعده «وُضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩: ٢٧). تُرى هل يوجد مَنْ ينقذ من الموت، أو مَنْ يرفع الدينونة؟ شكراً لله لقد جاء رئيس خلاصنا (عب ٢: ١٠) واستطاع أن يغيّر مصيرنا من النار الأبدية إلى المجد الأبدي.

ما الذي يمكن أن يقف أمام رئيس الخلاص؟ هل الموت؟ كلا، فلقد قال المسيح ليوحنا: «أنا هو الأول والآخر، والحي، وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الأبدين! آمين. ولي مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١٧: ١٨). هل يقدر ذاك الذي له سلطان الموت أن يقف أمام رئيس الخلاص؟ كلا، فمكتوب عن الرب «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويعتق أولئك الذين - خوفاً من الموت - كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب ٢: ١٤، ١٥)

حقاً إنه هو «الراكب في القفار». من أجل ذلك يذكر لنا بعد ذلك حنانه بالنسبة لمن عانوا من مرارة الموت: الأرمال واليتامى والمتوحدين. إنه من أجل هؤلاء المساكين أتى المسيح إلى العالم، كما هو مكتوب: «روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية» (لو ٤: ١٨، ١٩).

رحلة التابوت

قبل أن ينتقل التابوت في عهد داود إلى أورشليم، كان قد انتقل من مكان إلى مكان: ففي أيام عالي الكاهن سُبِّيَ التابوت إلى أرض الفلسطينيين، ثم عاد بعدها إلى يعازيم، ومن هناك أصعده داود إلى أورشليم.

وزُدهاب التابوت إلى أرض الفلسطينيين نرى فيه صورة لتسليم المسيح للأمم، والحكم بصلبه وموته. ثم في رجوع التابوت من جديد إلى قرية يعازيم تعطينا صورة لقيامه المسيح. ثم في صعود التابوت إلى مكانه المؤقت إلى الخيمة التي نصبها له داود في صهيون نرى فيها صورة لجلوس المسيح حالياً على عرش أبيه. وأخيراً فإن وصول التابوت أيام سليمان إلى مقره الدائم في الهيكل يعطينا صورة لجلوس المسيح على عرشه في ملكه السعيد على كل الأرض.

وإن كان التابوت قد ارتفع فوق قمة جبل صهيون، فإن المرموز إليه، ربنا يسوع المسيح، قد صعد فوق جميع السماوات (أف: ٤: ١٠)، لذلك لا يكتفي المرنم هنا بالقول «صعدت» بل يضيف قائلاً «إلى العلاء».

الآية المساوية

«صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس، وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله» (١٨٤).

هذه الآية يقتبسها بولس الرسول في الرسالة إلى أفسس ٤: ٨-١١، مطبقاً إياها على شخص ربنا يسوع «لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا»، ثم يعطينا بولس الرسول نوراً إضافياً فيقول: «وأما أنه صعد، فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى*». الذي نزل هو الذي صعد فوق جميع السماوات ليملاً الكل». كما يضيف أيضاً أن الذي قبل عطايا هو الذي أعطى عطايا، فيقول: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين».

* انظر الملاحظات الإضافية في آخر هذا المزمور.

«**صعدت إلى العلاء**»: لقد تجاوز المسيح الملائكة مرتين: مرة في النزول (عب ٩:٢)، والمرة الثانية في الصعود (بط ٣:٢٢). ولقد صعد المسيح إلى السماء باعتباره الإنسان، لأنه باعتباره الله لا يصعد، فالله يملأ السماء والأرض بلاهوته. وهو الآن باعتباره الإنسان مكلل بالمجد والكرامة (عب ٩:٢)، جالس في يمين عرش العظمة في السماوات (عب ٨:١).

«**سبيئ سبياً**»: المسيح ليس كما يظن البعض أنه سبى المؤمنين، كلا فالمسيح لم يسبب المؤمنين بل أعتقهم (عب ٢:١٤)، لكنه سبى الذين كانوا يسبون المؤمنين، وهو ما نفهمه من ترنيمة دبورَة التي أشرنا إليها سابقاً (قض ٥:١٢). ثم لو كان المقصود أن الرب سبى المؤمنين لقال بولس "سبى سبياً وأعطاهم عطايا"، لكنه لم يقل ذلك، بل قال: «سبى سبياً» (الشياطين)، وأعطى الناس عطايا».

عطايا المسيح للكنيسة

المواهب المعطاة للكنيسة
ذكرها بولس في أفسس ٤،
وذكرها أيضاً في رومية ١٢،
وكذلك في ١ كورنثوس ١٢.
ونرى في كل فصل من هذه
الفصول أحد أقانيم اللاهوت:
الآب في رومية، والابن في
أفسس، والروح القدس في
كورنثوس الأولى. أو يمكن
القول إن الله هو مصدر العطايا
(رو ١٢)، والمسيح هو المستلم لها
(أف ٤)، والروح القدس هو
الموئل لها (١ كو ١٢).

«**قبلت عطايا بين الناس**» أو "قبلت عطايا في الإنسان" in Man* فالمسيح باعتباره الإنسان، رأس الخليقة الجديدة، قد قبل من الآب عطايا، وهو - تبارك اسمه - أعطاه للمؤمنين به، الذين يسميهم الرسول بولس في أفسس ٤ «الناس». والمسيح قبل الصليب كان وحيداً (يو ١٢: ٢٤)، هو «الابن الوحيد» (يو ١: ١٨) لكنه بعد القيامة، صار البكر بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩). والبكر له نصيب مضاعف، ولقد قبل المسيح هذا النصيب المضاعف وأعطاه لنا، وهو في هذا يذكرنا بإيليا الصاعد إلى السماء، الذي نزل رداؤه على أليشع فقبل أليشع نصيب اثنين من روح إيليا عليه. وفي هذا قال الرسول بطرس: «يسوع... ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه»

(أع ٢: ٣٢، ٣٣). كما أن العطايا تشير أيضاً (كما نفهم من أفسس ٤: ١١) إلى المواهب المعطاة

* الإنسان هنا بدون أداة تعريف أو أداة نكرة. والمقصود بها الطبيعة البشرية. فالمسيح قبل العطايا باعتباره الإنسان، رأس الجنس الجديد.

من المسيح، رأس الجسد، لتكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح.

ونزول المسيح (بحسب الآية المقتبسة في أفسس ٩: ٤) إلى أقسام الأرض السفلى، يعني دخوله إلى القبر. كما أن صعوده (وليس اختطافه أو إصعاده) فوق جميع السماوات، لا يعني دخوله إلى حيث لم يكن قبلاً، ولا تعني أي سمو ورفعة شخصية له، بل إنه صعد باعتباره الإنسان الذي مضى إلى الموت. وبموته وقيامته صار رأساً للجنس الجديد.

وإذا اعتبرنا أن العطية (بحسب أعمال ٢: ٣٢، ٣٣) هي الروح القدس، فكم هو معزٍ ومسر أن نلاحظ اشتراك الثالوث الأقدس في خلاص الإنسان وأيضاً في بركته. فالذي صعد هو الابن، والذي أعطى العطية هو الأب، والعطية ذاتها هي الروح القدس.

وأما إذا اعتبرنا أن العطايا (بحسب أفسس ٤: ١١) هي المواهب، فإننا من هذه الآية نفهم أن العطايا ليست مقصورة على الخدام، بل في الحقيقة إن الخدام هم أنفسهم العطايا* التي يقدمها الرب للمفديين من شعبه.

«صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً... أيها الرب الإله» (١٨٤) والاسم "الرب الإله" هو بالعبري "يهوه إلهيم". وهذه الآية من أروع الأدلة على لاهوت ربنا يسوع[†]، لأن الذي يخاطبه داود هنا في المزمور باعتباره يهوه إلهيم، هو نفسه شخص المسيح المُخاطَب بهذه الآية على فم بولس الرسول في العهد الجديد (أف ٤: ٨).

* عبارة «أن يكونوا» غير موجودة في الأصل. فالمسيح أعطى لجسده الرسل والأنبياء والمبشرين... الخ.

† انظر مزيداً من الأدلة على لاهوت المسيح في الملاحظات الإضافية على المزمور الخامس والأربعين.

ملاحظات إضافية على المزمور الثامن والسعين

أقسام الأرض السفلى

الآية المصاوية التي في هذا المزمور، اقتبست في أفسس ٩:٤، حيث يذكر لنا الرسول بولس هناك أن المسيح قبل أن يصعد إلى العلاء، «نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى». وهذه الآية مع آية أخرى في رسالة بطرس الأولى ٣:١٩، تُفسر تفسيراً خاطئاً كما أنه مهيئ لشخص المسيح: إذ يقول أصحاب هذا التعليم إن المسيح قد نزل إلى الجحيم، وبشر الأرواح التي في السجن، وأصعد منه أرواح قديسي العهد القديم !

لكن هذه النظرية لا أساس لها من الصحة في كلمة الله للاعتبارات الآتية:

أولاً: إن المسيح لم ينزل إلى الجحيم:

- ١- قال المسيح على الصليب للص التائب: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣)، مما يدل على أنه بعد الصليب، ذهب إلى الفردوس وليس إلى الجحيم.
- ٢- كما قال قبيل أن يُسلم الروح «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» (لو ٢٣: ٤٦). فروح المسيح ذهبت بعد الموت مباشرة إلى يدي الآب، وليس إلى مكان آخر.

ثانياً: أرواح قديسي العهد القديم لم تكن في الجحيم:

- ١- لقد «سار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه» (تك ٥: ٢٤). ويقول كاتب العبرانيين «بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أَرْضَى الله». ثم يعلق على ذلك قائلاً: «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه. لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب ١١: ٦). فهل مجازة الله للذين يطلبونه، والذين أرضوه في حياتهم، أن يأخذهم من الأرض مبكراً ليلقي بهم في الجحيم؟

- ٢- قال المسيح عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: «ليس هو إله أموات، بل إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء» (لو ٢٠: ٣٨). لاحظ القول إنهم أحياء عنده، وليسوا أمواتاً في الجحيم.

- ٣- ظهر موسى مع المسيح فوق جبل التجلي، ولقد ظهر بمجد. فمن أين حصل موسى فوق جبل التجلي على المجد؟ هل في الجحيم مجدٌ يحضر به موسى لكي يظهر مع المسيح؟

- ٤- إيليا - وهو أحد قديسي العهد القديم - وهو أيضاً ظهر مع المسيح فوق جبل التجلي،

يذكر الوحي صراحة أنه أٌصعد إلى السماء حياً دون موت، إذ يقول الوحي: «وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء»، وأيضاً «فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء» (٢مل١: ١١).

٥- في قصة الغني ولعازر يقول المسيح «مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم»، وكانت هناك بينه وبين الغني هوة عظيمة قد أُثبتت (لا تتغير)، وكان لعازر في حضن إبراهيم في موضع العزاء، بينما الغني في موضع العذاب (لاحظ أنهما موضعان، لا موضع واحد).

ثالثاً: الآية في ١ بطرس ٣: ١٩ لا تشير إلى كرازة الرب لمؤمنين

الآية في رسالة بطرس الأولى لا تشير إلى كرازة الرب إلى مؤمني العهد القديم، كما يدّعي البعض، بل إن الكرازة في هذه الآية كانت إلى العصاة، لا كل العصاة، بل الذين عصوا قديماً في أيام نوح*. ولاحظ أن الوحي لا يقول إنه كرّز إلى الأرواح التي كانت في السجن، بل التي هي في السجن، ولا زالت كذلك إلى وقت كتابة الرسالة، بل وإلى الآن.

ما المقصود إذاً بهاتين الآيتين؟

المقصود بكلام الرسول بطرس، أن المسيح ذهب، لا شخصياً، بل في الروح القدس (الذي كان يعمل في أنبياء العهد القديم - ارجع إلى ١بطرس ١: ١١)، وكرّز قديماً بالبر «في أيام نوح» لأشخاص كانوا يعيشون فوق الأرض وقتها. لكن أولئك الذين وُجّهت إليهم الكرازة قد رفضوها، فذهبت أرواحهم إلى السجن، وما زالوا إلى الآن في سجن الأرواح في الهاوية.

والمقصود بكلام الرسول بولس في أفسس ٤، أن المسيح نزل إلى أقسام الأرض السفلى، أي نزل إلى القبر بالموت (انظر مز ٦٣: ٩).

والعهد الجديد يوضّح لنا أن المسيح - تبارك اسمه - نزل درجتين عظيمتين من الاتضاع: الاتضاع الأول كان إلى بطن المطوّبة مريم، بالتجسّد (لو ١: ٣٥). والاتضاع الثاني كان إلى بطن الأرض (القبر)، بالموت (انظر النزول المزدوج ص ٨١). ويلفت النظر أن الكتاب شَبّه بطن المرأة أيضاً بأعماق الأرض (مز ١٣٩: ١٥).

* لا يُعقل أن يكون المسيح قد نزل إلى الجحيم ليبشر هؤلاء الناس فقط!! فكم من ملايين قبل نوح وبعده ذهبوا إلى السجن، فلماذا يبشر المسيح هؤلاء فقط دون غيرهم؟! فلا بد إذاً أن للآية معنى مختلف كما سنوضح.

المزمور التاسع والستون

المسيح ذبيحة الإثم

المزمور في كلمات

هذا المزمور يكلّمنا عن شخص المسيح وعمله على الصليب كذبيحة الإثم، التي نري فيها المسيح يرُدُّ الله الذي لم يخطفه، ويعوّضه عن الضرر الناتج عن الآثام. كما يحدثنا المزمور عن النتائج السلبية والإيجابية لآلام المسيح. فمن جهة: هناك القضاء المروّع والدينونة الرهيبة على كل مبغضي اسمه، ومن الجهة الأخرى: هناك البركات والأفراح والتعزيات لكل محبي اسمه بل ولكل الخليقة.

الاقتباسات

ولقد اقتبس من هذا المزمور العظيم سبعة اقتباسات في العهد الجديد: أربعة منها تتحدث عن آلام المسيح، والثلاثة الأخرى عن نتائج رفض شخصه الكريم، هكذا:

الاقتباس الأول: «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضوني بلا سبب» (ع ٤). «لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سبب» (يو ١٥: ٢٥)

الاقتباس الثاني: «لأن غيرتك بيتك أكلتني» (ع ٩). «فتذكر تلاميذه أنه مكتوب غيرتك أكلتني» (يو ٢: ١٧).

الاقتباس الثالث: «تعبيرات معيريك وقعت عليّ» (ع ٩). «لأن المسيح أيضاً لم يُرضِ

نفسه بل كما هو مكتوب تعبيرات معيريك وقعت عليّ» (رو ١٥: ٣).

الاقتباس الرابع: «في عطشي يسقونني خلّاً» (ع ٢١). «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلما كتب الكتاب قال: أنا عطشان» (يو ١٩: ٢٨).

الاقتباس الخامس: «لتصر مائدتهم قدامهم فخاً، ولأمنين شركاً» (ع ٢٢). «وداود يقول: لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم» (رو ١١: ٩).

الاقتباس السادس: «صَبَّ عَلَيْهِم سَخَطُكَ، وَلَبِذْرِكْهُمْ دَمُ غَضَبِكَ» (ع ٢٤). «الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله وأضداد لجميع الناس يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتّى يتمموا خطاياهم كل حين. ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية» (١٦: ١٥، ٢٨).

الاقتباس السابع: «لتصر دارهم خراباً، وفي خيامهم لا يكن ساكن» (ع ٢٥). «لأنه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر» (أع ١: ٢٠).

الكاتب والمناسبة

الكاتب هو داود. ولقد أنكر البعض نسبة هذا المزمور لداود بحجة أن حياة داود تخلو من ظروف مشابهة، لكننا نجد أولاً أن الرسول بالوحي يذكر أن داود هو الكاتب (رو ٩: ١١ أرجع إلى ع ٢٢)، ثم إن داود لم يكن مجرد شاعر وناظم للمزامير، لكنه كان نبياً (ارجع إلى أع ٢: ٣٠)، وواضح أن ليس كل ما كتبه داود يطابق اختباره الشخصي (ارجع إلى مزمور ١٨: ٦٨ مع أعمال ٢: ٣٤، مزمور ١٠: ١٦ مع أعمال ٢: ٢٥-٣١).

عنوان المزمور

«لإمام المغنين على السوسن لداود»

لإمام المغنين: انظر التعليق على المزمور الثامن

على السوسن: انظر التعليق على المزمور ٤٥.

وتعبير «على السوسن» الوارد في عنوان المزمور، جاء في الأصل العبري بالجمع «شوشنيم»، فإن كان المسيح هو الرائد في طريق الألم، ولكنه ليس منفرداً فيه، لأن شعبه

المدعو عليهم اسمه الكريم، يشاركونه في ذات الرفض والألم والاحتقار من العالم، وهذا واضح تماماً من آية وردت في هذا المزمور «لأن الذي ضربته أنت هم طردوه (المسيح) وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون (الأمناء التابعين له، لا سيما البقية النقية في الضيقة العظيمة)».

لقد كان المسيح - تبارك اسمه - متقدماً في الآلام، ولكنه ليس منفرداً فيها، كذلك هو المتقدم في المجد، لكنه أيضاً ليس منفرداً فيه. ونحن الآن نتبع المسيح في طريق الألم، وقريباً جداً سنتبعه في طريق المجد (رو٨:١٧). الآن علينا أن: «نخرج... إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب١٣:١٣). ثم في زمن مجده سينطبق علينا القول «سيمشون معي في ثياب بيض» (رؤ٣:٤).

وضع المزمور وعلاقته ببقية الزامير

كما رأينا في المزمور الثاني والعشرين المباشرة بين أيلة الصبح والوحوش الشرسة المفترسة، هكذا هنا أيضاً: فما أشد المباشرة بين السوسنة البيضاء الطاهرة (عنوان المزمور) وبين الطين والحماة التي تملأ آيات المزمور!! في المزمور الثاني والعشرين، يصرخ المسيح قائلاً: «خَلِّصْنِي مِنْ فَمِ الْأَسَدِ»، وهنا يُصرخ «خَلِّصْنِي... لِأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي... نَجِّنِي مِنَ الطِّينِ فَلَا أُغْرَقُ، مِنْ مِبْغَضِي وَمِنْ أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ».

هناك مزمور مساوي آخر عنوانه أيضاً «على السوسن» وهو المزمور الخامس والأربعون، ولكن ما أبعد الفارق بين نغمة المزمور الخامس والأربعين ونغمة المزمور التاسع والستين. فالمزمور الخامس والأربعون هو مزمور المسيح الملك المتوّج، والعريس السعيد، والمحارب الظافر بأعدائه. ولكن النغمة هنا تختلف تماماً، فهي نغمة المسيح الصارخ المتألم. يمكن القول إن مزمور ٦٩ يكلمنا عن «السوسنة بين الشوك» (نش٢:٢)، أما مزمور ٤٥ فيكلمنا عن «سوسنة الحقول» التي اعتبرها المسيح رمزاً للمجد (مت٢٨:٦). وثمة ارتباط وثيق بين هاتين الفكرتين، نفهمه من قول المسيح لتلميذي عمواس: «أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا (مز٦٩) ويدخل إلي مجده (مز٤٥)» (لو٢٤:٢٦). ونحن الآن نشارك المسيح في الآلام، وقريباً سنشاركه في الأمجاد.

يتكلم المزمور الثامن والستون - كما أسلفنا - عن صعود المسيح (ع ١٨)، لكن المزمور التاسع والستين يوضح لنا أن هذا الذي صعد، هو الذي «نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» (أف ٤: ٩). فهو هنا يقول «غرقت... وليس مقر». في مزمور ٦٨ «قَبْلَ عطايا» (ع ١٨)، أما هنا فدفع الغرامة (ع ٤)!

لمزيد من الارتباطات انظر تعليقنا على مزمور ٢٢، وكذلك الملاحظات الإضافية على المزمور الأربعين.

أقسام المزمور

ينقسم هذا المزمور إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

١- القسم الأول (ع ١٤-٢١): آلام المسيح

وهذا القسم ينقسم بدوره إلى ثلاثة أجزاء هي:

(أ) وصف الآم المسيح (ع ١٤-٦).

(ب) سبب الآم المسيح (ع ٧٤-١٢).

(ج) مصدر الآم المسيح (ع ١٣-٢١).

٢- القسم الثاني (ع ٢٢-٢٨): النتائج السلبية لآلام المسيح من يد البشر.

٣- القسم الثالث (ع ٢٩-٣٦): النتائج الإيجابية لآلام المسيح.

الدروس الأدبية والعملية

في هذا المزمور لا نرى إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً. لهذا فإننا سنتحدث أيضاً هنا عن **المسيح في المزمور**. وإن كان المسيح - تبارك اسمه - من فوق الصليب، قد نطق بسبع عبارات غالية جداً وعزيزة علينا، لكن هناك الكثير مما قاله في صمت ولم تسجله البشائر، ولا سمعته آذان بشر، وهنا نجد جانباً منه.

وصف آلام المسيح (ع ١٤-٦):

«خلصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلي نفسي، غرقت في حمأة عميقة... تعبت من

صراخي» (١٤-٣).

مَنْ هو هذا الذي يصرخ طالباً الخلاص؟ إنه الأسد الخارج من سبط يهوذا، المخلص الذي ليس بأحد غيره الخلاص!! والذي قال عنه موسى: «قفوا وانظروا خلاص الرب» (خر ١٤: ١٣)، غير أن الأشرار عند الصليب سخروا منه وتهكموا عليه: «أما نفسه فما يقدر أن يخلصها» (مت ٢٧: ٤٢). ونحن نعلم أنه لو كان الأمر يتوقف على قدرته في أن يخلص نفسه، ما كان أسهل ذلك على المسيح، لكن المسيح لم يستعمل قوته عند الصليب. كان في مقدوره لو استعمل قوته أن يفني الإنسان، بل والشيطان، لكن ما كان يصلح هذا لفدائنا. بل لكي يفدينا كان لا بد من دفع الثمن. والثمن كان أن يذوق بنعمة الله الموت. إن الكبش الذي قدمه إبراهيم عوضاً عن إسحاق ابنه كان مُمسكاً في الغابة بقرنيه، أي لم يكن مسموحاً له باستخدام قوته. فليس هنا مجال استخدام القوة، بل إنه «صلب من ضعف».

ويا للعجب أن المخلص يطلب في (١٤) الخلاص، والفادي يطلب في (١٨) الفداء! ومستجيب الدعاء يطلب في (١٣، ١٦، ١٧) سرعة الاستجابة!

إنه يقول: «خلصني يا الله». وذلك لأنه جاء لا ليخلص نفسه، بل ليخلص الآخرين عن طريق موته. فمن يخلصه هو إذاً؟ إنه يقول: «خلصني يا الله». وتفسير هذه الآية نجده في عبرانيين ٧: ٥ «الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع، طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت*، وسُمع له من أجل تقواه».

ولماذا يصرخ هذه الصرخات المدوية، صرخات أقوى رجل عرفه التاريخ؟ لأنه كان هناك يواجهه الله في يوم حمو غضبه، ويدفع أجرة خطايانا!

* هناك نظريتان شيطانيتان مرتبطتان بهذه الآية:

الأولى: إن المسيح لم يمت، ودليلهم في ذلك قول الرسول «وسُمع له من أجل تقواه» غير أنه في رسالة العبرانيين ذاتها يكلمنا الرسول في أكثر من موضع، وبكل صراحة عن موت المسيح (عب ١٠: ١٤). نعم نحن نعلم يقيناً أنه مات، وهو الذي قال عن نفسه «كنت ميتاً وها أنا حي» (رؤ ١: ١٨). لكن الله سمع له وخلصه من الموت عندما أقامه من الأموات.

النظرية الثانية: إن الشيطان أراد أن يقتل المسيح وهو في بستان جثسيماني، حتى لا يمضي إلى الجلجثة ويموت طائعاً للآب!! وهذه النظرية أيضاً فاسدة تماماً، فالرب قال بصريح العبارة «ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن أأخذها أيضاً» (يو ١٠: ١٨).

«غَرَقْتُ فِي حِمَاةٍ عَمِيقَةٍ وَلَيْسَ مَقَرٌّ»

«غَرَقْتُ»: لقد كانت كارثة كبرى أن تغرق، من نحو مائة عام، أعظم وأشهر باخرة في التاريخ: الباخرة تيتانيك. لكننا هنا نجد الحامل لكل الأشياء بكلمة قدرته، يقول: «غَرَقْتُ». السفينة التي صُمِّمَتْ في الأزل، ونُفِّذَتْ بواسطة الروح القدس في بطن المُطَوِّبَةِ العذراء مريم، والتي كم هَبَّتْ عليها رياح، وكم هاجمتها عواصف على مدى أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، فصمدت. وإن كانت تيتانيك قد غرقت في أول رحلة لها، أما سفينة المسيح فقد تحطمت حولها العديد من السفن الصغيرة في بيت لحم، أما هي فقد نجت! وعلى مدى السنين ثارت الزوابع عليها ولم تغرق. لكننا هنا في الجبلثة نجد معبود القلب يغرق!

«فِي حِمَاةٍ عَمِيقَةٍ» وما هذه الحماة العميقة التي اجتاز فيها سيدنا القدوس؟ إنها حماة خطايانا المرعبة؛ من نجاسات تقشعر لها الأبدان! قال عنها أحد الشوَّاح: «إن توفّة بكل قذاراتها، من خيالات الإنسان الدنس، وأقواله النجسة، وأفعاله الخبيثة... الكذب والنفاق، الغضب والبغضة، شرور الرجال الأشرار على مر الزمان، وشرور النساء الساقطات على مدى تاريخ الجنس البشري. بل ولماذا نذهب بعيداً؟ ففكر في الخطايا التي في داخلنا. نعم، خطايي أنا وخطايك أنت أيها القارئ العزيز!!» تأملي يا نفسي وأطيلي التفرُّس في هذا المشهد الرهيب! تأملي سيدك القدوس وهو غارق لأجلك في طين حماة الخطية!! تأملي واسجدي أمامه بكل الورع والخشوع.

«أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يَبْغِضُونَنِي بِلا سَبَبٍ» (٤٤).

وهي مقارنة تدعو للتأمل بين بُغْضَتِنَا له بلا سبب، وبين محبته هو لنا بلا سبب. فيقول الرب على لسان هوشع النبي «أحبهم فضلاً (أي بلا سبب)[†]» (هو ١٤: ٤). نحن أبغضناه بلا سبب من جانبه، وهو أحبنا بلا سبب من جانبنا!

* توفّة (مل ٢: ٢٣؛ ١٠: ٧؛ ٣١: ١٩؛ ٦: ١٩) اسم لودي ابن هنوم، ويسمى أيضاً نفقة (إش ٣٣: ٣٠). وهو المكان النجس الذي كانت تُجمع فيه قمامة أورشليم، فيتولد فيها الدود، فكانوا يضطرون لحرقها بالنار. ولقد اتخذته الوحي كتصوير لجهنم، حيث يقضي الأشرار (قمامة الأرض) أبديتهم النعيسة. وكلمة جهنم، هي كلمة يونانية الأصل، تتكون من مقطعين: جي هنوم. أي وادي هنوم. وجاء ذكر جهنم في العهد الجديد ١٢ مرة، منها ١١ مرة على فم سيدنا في الأناجيل.

[†] وليس فقط أحبنا بلا سبب، بل أيضاً بررنا مجاناً، أي بلا سبب (قارن رومية ٣: ٢٤). بل إن كلمة «مجاناً» ترد مرتين في سفر الرؤيا: «أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً» (رؤ ٢١: ٦)، «من يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً» (رؤ ٢٢: ١٧).

والذين فعلوا ذلك لم يكونوا قلة مارقة أو فئة ضالة، بل كان هذا توجهاً عاماً في أمته. كقوله هنا: «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب»، وقوله في مكان آخر: «بذل محبتي يخاصمونني... وضعوا عليّ شراً بدل خير، وبغضاً بدل حبي» (مز ١٠٩: ٤، ٥).

«حينئذ ردمت الذي لم أخطئه» (٤ع).

لماذا لم يتقدم الرب إلى الصלב من بداية خدمته؟ لأنه كان من بين أغراض مجيئه أن يمجد الآب، باعتباره الإنسان الكامل. وبعد سنين الصمت في الناصرة، التي لا نسمع فيها من أقواله سوى عبارة واحدة قصيرة تعبر عن خضوعه وطاعته لأبيه: «ألم تعلم أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟» (لو ٤٩: ٢)، فقد ختمت هذه السنوات بشهادة الآب له بأن «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت ١٧: ٥). ثم بعد سنين الخدمة التي لم تعرف الكلل، أمكنه أن يخاطب الآب بالقول: «أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يو ١٧: ٤). نعم يمكننا أن نقول إن المسيح بحياته مجد الآب تماماً.

لكن كان عليه - تبارك اسمه - ليس فقط أن يمجد الآب في حياته التي لم تعرف خطية، بل أيضاً أن يمجد الله بموته لأجل الخطية. نعم كان عليه أن ينطلق إلى مكان أبعد. وبالحقيقة ما أكثر ما رد المسيح بموته. لقد رد الله كرامته المهانة، وللإنسان سعادته المفقودة، ولأرض خيرها وراحتها. مع أن الإهانة التي لحقت بالله، والشقاء الذي خيم على الإنسان، والتعاسة التي حلت على الأرض لم تكن البتة مسئوليته. لكن المسيح أتى ليرد ذلك كله، وليس ليرده فقط بل ليزيد عليه الخمس باعتباره ذبيحة الإثم (لا ١٦: ٥؛ ٥: ٦). ولقد فعل ذلك فعلاً، فعوض الله أكثر بكثير من الإهانات التي ألحقها الإنسان بمجد الله خلال كل تاريخه. كما أنه حتماً سيعيد الملك للإنسان، وسيعيد البركة للأرض في «أزمنة رد كل شيء» (عب ٢؛ رؤ ٥).

«لا يفزع بي منتظروكم يا سيد رب الجنود، لا يخجل بي ملتسموك يا إله إسرائيل» (٦ع).

إنه يطلب من الله ألا يعثر أحد من الأتقياء بسبب ما حل به من أحزان وخزي. وعندما نفكر في ما أصاب تلميذي عماوس مثلاً (لو ٢٤: ١٩-٢٤) نقدر أن نفهم سبباً لما طلبه الرب هنا.

* ألم يرّد المسيح للإنسان السلام مع الله، وأيضاً مع أخيه. فالإنسان في تكوين ٣ هرب من الله، وفي تكوين ٤ قتل أخاه. ويذكر إشعياء النبي مرتين أنه ليس سلام للأشرار (إش ٥٧: ٢٢؛ ٢١). لكن المسيح بعدما قام من الأموات كانت بداية حديثه مع تلاميذه: «سلام لكم» ولقد قالها مرتين، إعلاناً عن رجوع السلام من جديد للإنسان بعد أن كان قد فقده.

سبب آلام المسيح (٧-١٣)

«لأنني من أجلك احتملت العار، غطى الخجل وجهي» (٧ع).

لقد بصقوا عليه (مت ٢٧: ٣٠)، وهو لم يستر وجهه عن العار والبصق، بل بذل خذيه للناثقين (إش ٥٠: ٦). ومحصلة كل ذلك أن كان وجهه كذا مُفسداً أكثر من (أي رجل) (إش ٥٢: ١٤). وهنا يذكر المسيح لماذا احتمل كل هذه الآلام: لكي يرد اعتبارات مجد الله، الذي يخاطبه هنا بالقول «من أجلك»، وأيضاً لأنه يحب بيته، ويغار عليه (٩ع). وفي نور العهد الجديد نفهم أن «بيته نحن» (عب ٣: ٦)، فلقد «أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» (أف ٥: ٢٥). ويمكن القول إن المسيح هو العبد العبراني الحقيقي الذي قال: «أحب سيدي وامراتي وأولادي، لا أخرج حراً» (خر ٢١: ٥).

«صرت أجنبياً عند إخوتي وغريباً عند بني أمي» (٨ع).

هنا نرى يوسف الحقيقي الذي انفصل عن إخوته وصار أجنبياً وغريباً.

إن يوسف النجار لم يكن أباه، لذلك لا يشير هنا إلى بني أبيه، بل «بني أمي».

ونحن نفهم من يوحنا ٧ أن إخوته لم يكونوا يؤمنون به، غير أنهم آمنوا به بعد موته وقيامته، فقرأ عن يعقوب أخي الرب، وأيضاً عن يهوذا (أع ١٣: ١٥؛ كو ١٥: ٧؛ غل ١٩: ١؛ يه ١).

«لأن غيرة بيتك أكلتني، وتعبيرات معبريك وقعت علي» (٩ع) وهذه الغيرة على مجد الله هي صفة حميدة يجب أن نتحلى نحن أيضاً بها. وقد كان للرسول بولس غيرة عظيمة في كل أمور الله، فقال مرة «فأني أغار عليكم غيرة الله، لأنني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عزراء عفيفة للمسيح» (٢كو ١١: ٢). وقال أيضاً «من يعثر وأنا لا ألتهب» (٢كو ١١: ٢٩).

وسنعود للتعليق على هذه الآية عند حديثنا عن المسيح في المزمور.

«وأبكيته بصوم نفسي فصار ذلك عاراً علي» (١٠ع).

لقد بدأ خدمته بالصوم (مت ٤، لو ٤)، وفي نهايتها أيضاً كان جائعاً، إذ خرج من بيست عنيا بدون طعام، ولماً ذهب إلى شجرة التين المورقة لم يجد فيها ثمراً (مر ١١: ١٢-١٤).

* يمكننا أيضاً فهم هذه العبارة، بأن بني أمه هم اليهود، فأمه هنا تشير إلى الأمة اليهودية التي منسها أتى المسيح بحسب الجسد (رو ٩: ٥؛ رؤ ١٢: ١-٦).

ولقد كان الرب في حياته رجل البكاء والدموع في خلواته السرية مع أبيه. كم شاهدت الجبال والبراري الكثير من أحزانه وآلامه التي لو قُدِّرَ لنا أن نراها لتملَّكنا العجب. وبسبب الأحزان الكثيرة التي ميَّزت كل طريقه، كان يبدو في الخمسين من عمره عندما كان في بداية الثلاثينات. وفي أسبوعه الأخير بكى على مدينة أورشليم وهو في الخارج (لو ١٩: ٤١)، بينما كانوا هم في الداخل يتآمرون على قتله!

«صرت لهم مثلاً» (١٤ع).

قال أيوب بأسف وحزن: «أما الآن فصرت أغنيتهم، وأصبحت لهم مثلاً» (أي ٣٠: ٩ ارجع إلى مزمور ١٤: ٤٤). فكم بالحري كان حزن وألم الرب العظيم.

«يتكلم في الجالسون في الباب، وأغاني شرابي المسكر» (١٢ع).

أي عليّة القوم والرعاع، القادة والشعب!

فكّر في هذا أيها القارئ الكريم، كيف أن المعبود من الملائكة، وموضوع تسبيح السرافيم، أصبح موضوع سخريات وهُزء السكّاري!!

مصدر آلام المسيح (١٣-٢١)

يشير هنا إلى مصدرين:

١- الله: فقد تألم المسيح من يد الله كذبيحة الخطية (مز ٢٢)، وأيضاً كذبيحة الإثم (مز ٦٩).

٢- البشر: عندما اجتمع على شخصه القدوس كل الأعداء. وعبر المسيح عن آلامه من يد البشر طالباً النجاة من الله (عب ٥: ٧).

وتكشف لنا الأعداد من ع ١٣-١٨ جانباً من صلوات المسيح السرية خلال كل حياته، تلك الصلوات التي ذكرتها الأناجيل دون أن تذكر مضمونها، والتي أشار إليها كاتب العبرانيين أنه «في أيام جسده إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طليبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من (بين فكّي) الموت*، وسمِعَ له من أجل تقواه» (عب ٥: ٧).

* يظن البعض أن المسيح كان يطلب من الله أن يعفيه من الموت على الصليب. حاشا! بل كان الصليب غرضه (يو ٢١: ٢٧). لكنه طلب من الله أن يقيمه من الأموات، لا أن يتجنب الموت. وهذا معنى القول «للقادر أن يخلصه من الموت» (out of death) وليس (from death).

«أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضى. يا الله، بكثرة رحمتك استجب لي» (ع ١٣).

يا للعجب! فهل بعد كل ما اجتاز فيه المسيح من استهزاء وتهكم وتطاول، يقول لله: «بكثرة رحمتك»! هناك من لم يتعرض لمثل ما تعرض له المسيح، ومع ذلك فإنه أول ما فتح فاه لعن يومه. أما المسيح ذلك الفريد الكامل، عندما اجتاز في كل هذه الأحوال، وعُلّق أخيراً على الصليب، كانت أولى كلماته فوق الصليب: هي صلاة: «لك صلاتي يا رب في وقت رضى»! إنه بحق «رئيس الإيمان، ومكمل».

ولقد كانت طلبته ألا تطبق الهاوية فاهها على شخصه الكريم (ع ١٤، ١٥).

وقد نجد صعوبة في التوفيق بين هاتين الآيتين، حيث يقول: «نجني من الطين فلا أغرق... لا يغمرنى سبيل المياه» (ع ١٤، ١٥)، وبين قوله السابق «غرق... السيل غمرني» (ع ٢٤). فإن كان السيل قد غمره (ع ٢٤) فلماذا يقول: لا يغمرنى سيل المياه (ع ١٤، ١٥)؟

إن المقصود من عددي ١٥، ١٤ أن لا يستمر المسيح في هذه الحالة. لقد غمره فعلاً السيل، غير أنه يطلب نهاية لهذه الحالة. وهذا عين ما نجده في عبرانيين ٧: ٥، فهو لم يطلب ألا يموت، بل طلب أن يقيمه الله من الأموات، وبلغه المزمور هنا: «لا تطبق الهاوية عليّ فاهها» (ع ١٥)، وبلغه مزمور ١٠: ١٦ «لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تفكك يرى فساداً». وكما لم يهضم الحوت يونان بل احتفظ به ثلاثة أيام، ثم قذفه إلى البر، هكذا الموت لم يملك جسد المسيح، بل قام المسيح ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه (ع ٢٤: ٢٤).

«العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد» (ع ٢٠).

بعد أن استودع المطوبة أمه ليوحنا الحبيب في مشهد الصليب، فأخذها ذلك التلميذ من تلك الساعة إلى خاصته، وعندما كان جميع معارفه ونساء كنّ قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون، من الذي ظل بقرب الصليب؟ إنه لم تكن تحيط به سوى الأعين الشريرة التي لا تشفق!

«انتظرت رقة فلم تكن» (ع ٢٠).

لقد انتظر رقة من كل الناس، ذاك الذي عمل الخير للجميع، بل وعندما كان معلقاً

على الصليب كان يحملهم، باعتباره «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١: ٣)، والذي يعطي الجميع الحياة والنفس وكل شيء (أع ١٧: ٢٥). ولقد انتظر رقة بصفة خاصة من الذين خدمهم في أيام جسده، أو على أقل تقدير من تلاميذه. غير أن الكتاب يذكر «تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (مت ٢٦: ٥٦).

إنه لم يتعرض فقط لخيانة الأمة، بل ولتخاذل تلاميذه. لقد قال لتلاميذه: «كلكم تشكون في هذه الليلة، لأنه مكتوب: أني أضرب الراعي فتبتدد خراف الرعية» (مت ٢٦: ٣١).

«ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلّاً» (ع ٢١).

وسنعود للتعليق على هذه الآية عند حديثنا عن الآيات المسياوية.

* * * *

«اجعل إثمًا على إثمهم، ولا يدخلوا في برك ليمموا من سفر الأحياء» (ع ٢٧).

هذا بالنسبة للأشرار، أما نحن فعلى النقيض من هذا، إذ محا الله ذنوبنا وآثامنا كقول الرب: «قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك» (إش ٤٤: ٢٢)، ذلك لأن «الرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦)، وأيضاً كتبت أسماؤنا في سفر الحياة (لو ١٠: ٢٠؛ في ٤: ٣).

نحن أخذنا من الله بركتين: البر والحياة، لأنه مكتوب «جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه» (٢ كو ٥: ٢١)، وأيضاً «المسيح حياتنا» (كو ٣: ٤).

ونلاحظ أن في قصة الغني ولعازر، في إنجيل لوقا ١٦: ١٩-٣١، أن الوحي لم يذكر لنا اسم الغني، بل ذكر اسم لعازر فقط. لقد كان اسم لعازر معروفاً في السماء، أما اسم الغني فلا ذكر له في السماء ولا في الأرض (مز ١٦: ٤؛ ٣٤: ١٦).

ما أخطر هذا الفكر: المؤمن الحقيقي يذكر الله اسمه ويمجوا إثمه، أما الخاطئ فيذكر الله إثمه ويمجوا اسمه!!

«أما أنا فمُسكين وكئيِب. خلاصك يا الله فليرفعني» (ع ٢٩).

نحن كبشر يظهر فينا الضعف، فنريد أن ننتقم لأنفسنا، وعلى أحسن تقدير نُخلّص أنفسنا، ولكن ما أجمل أن ننتظر توقيت الله للخلاص «تواضعوا تحت يد الله القوية لكي

يرفعكم في حينه» (ابط٥:٦)، وبذلك نتمثل بالمسيح الذي «إذ تألم لم يكن يهدد، بل كان يُسلّم لمن يقضي بعدل» (ابط٢:٢٣).

لقد طال زمن وجود يوسف في السجن حتى أنه طلب من الساقى أن يذكره، ولكنه نسيه لمدة سنتين، ولكن عندما جاء التوقيت الإلهي «أسرعوا به من السجن»! (تك٤١:١٤). ويقول كاتب المزمور «بيع يوسف عبداً، آذوا بالقيد رجله، في الحديد دخلت نفسه، إلى وقت مجيء كلمته، قول الرب امتحنه. أرسل الملك فحله» (مز١٠٥:١٧-٢٠). ما أروع قول الرب: «أنا الرب في وقته أسرع به» (إش٦٠:٢٢)!

«خلاصك يا الله فليرفعني» (٢٩ع).

وهي تذكرنا بقول الله: «أرفعه لأنه عرف اسمي» (مز٩١:١٤).

لقد نزل الرب في ع ٢ إلى حمة عميقة وليس مقر، أي أنه نزل نزولاً بلا حدود، لكن في ع ٢٩ نجد أن الله قد رفعه أيضاً بلا حدود، كقول الرب على لسان إشعياء: «هوذا عبدي يعقل، يتعالى، ويرتقي ويتسامى جداً» (إش٥٢:١٣). وفي هذه الآية كأن الروح القدس أراد أن يجمع كل كلمات الرفعة* لهذا العبد المتألم.

لقد وقف مرة أمام الأشرار كالمُدان، ولكن الأشرار سيقفون أمامه عن قريب باعتبارهم الديان «أوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعين من الله دياناً للأحياء والأموات» (أع١٠:٤٢).

«فيسْتَطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذبي قرون وأطلاف» (٣١ع).

نرى في ذلك إشارة لتغيير التدابير، ففي هذا العدد نجد تلميحات لانتهاء دور الذبائح الحيوانية، وبداية ما قاله الرب للسامرية عن السجود الحقيقي. إن ما كان يقدّم في العهد

* هناك ثلاثة مزامير، بصفة خاصة، تكلمنا عن رفعة الرب:

* فبعد مزمور ٢٢ الذي يحدثنا عن نزول المسيح وآلامه، يأتي مزمور ٢٤ الذي يحدثنا عن رفعة، باعتباره «ملك المجد».

* ومزمور ١٠٢ الذي عنوانه «صلاة لمسكين...»، فإن الله يجيب ذلك القدوس المتألم قائلاً: «إلى دهر الدهور سنوك...».

* وبعد مزمور ١٠٩ الذي يختم بالقول: «يقوم عن يمين المسكين ليخلصه»، يأتي مزمور ١١٠ الذي يفتتح بالقول: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني».

القديم إنما هو سجد رمزي، وما قدمه الآباء من حيوانات كثيرة وعديدة، كل هذا في مجموعه لم يُسرَّ الله، وحتى ما قدمه إبراهيم «إذ قدم... وحيد»، ما كان ليعالج مشكلة الخطية. إنما الذي أدخل السرور إلى قلب الله هو ابنه الوحيد وذبيحته. وهذا ما أشار إليه داود: «ذبحة وتقدمة لم تُسر. أذني فتحت. محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت هاأنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني» (مز ٤٠: ٦، ٧).

إن الذي يُقدَّم اليوم ذبيحة تُسر قلب الله، بل ويقودنا في هذا التسبيح، هو المسيح. هذه الذبائح التي يقول عنها الرسول بولس: «فلنقدم به لله في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

لقد أهين الله بسبب شر الإنسان. لكن جاء المسيح، وبموته على الصليب من ألقى عام، ثم بالتسابيح التي بدأت من ذلك الوقت، وستستمر طول الأبدية، سيعوض الله أكثر كثيراً مما تعرض له من إهانة بسبب شر الإنسان على مر الزمان.

التطبيق النبوي

يمكننا في القسمين الثاني (٢٢٤-٢٨) والثالث (٢٩٤-٣٦) من هذا المزمور أن نرى صورة نبوية مستقبلية من شقين: الشق الأول يمثل اللعنة للأشرار، أو بالحري النتائج السلبية لعمل المسيح، والشق الثاني يمثل مجموعة من النتائج الإيجابية لموته كما سنرى الآن. أو يمكن القول إن فترة الكنيسة، وقد كانت سرّاً في أسفار العهد القديم، فإنها لا ترد هنا*. وبالتالي فإن صليبه (١٤-٢١) يُتبع بفترة الضيقة العظيمة على تلك الأمة المرتدة (٢٢٤-٢٨)، وبعد ذلك يأتي الملك الألفي السعيد الذي سيبدأ بهم لكنه سيشمل العالم كله أيضاً (٢٩٤-٣٦).

من ع ٢٢٤-٢٨: النتائج السلبية لآلام المسيح من يد البشر

هذه الآيات السبع تصوّر لنا المستقبل النعيس لكل الأعداء الذين رفضوا التوبة. وكنا

* بين ع ٢١، ٢٢ تأتي كل فترة الكنيسة، فترة النعمة الحاضرة. وهي ليست واردة في النبوة، بل كانت سرّاً مكتوماً في الله منذ الدهور (أف ٣). وهذا الارتباط بين عددي ٢٢، ٢١ يوضّح أن الجلجلة لا بد أن يتبعها أدبياً «مجنون» (زك ١٢: ١٠، ١١) - ارجع إلى دانيال ٩: ٢٦، ٢٧.

قد رأينا في المزمور الثاني والعشرين البركات والتعزيات نتيجة ألم المسيح بالعدل من يد الله. وهنا نرى الولايات والنقمات نتيجة لآلام المسيح بالظلم من يد البشر. صحيح لقد صُلِّيَ المسيح لأجل صالبيه وقاتليه طالباً المغفرة لهم، لكن ماذا بالنسبة لمن يحتقرون هذا العرض العجيب، ويرفضون هذا الخلاص المجاني؟ ليس أمامهم سوى الدينونة بالعدل. فسيأتي المسيح يوماً في نار لهيب «معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح» (٢ تس ١: ٨). وكوَلِي الدم (يش ٢٠: ٣) — سينتقم بنفسه من كل رافضيه ومبغضيه اسمه لأنه أعطاهم زماناً لكي يتوبوا ولم يتوبوا (ارجع إلى رؤ ٢: ٢١).

ونلاحظ أن المسيح في كل حياته لم يلعن أحداً، بل بارك فقط، وطلب المغفرة حتى لقاتليه. وجاء من بعده استفانوس فسار على الدرب ذاته قائلاً: «يا رب، لا تُقِمْ لهم هذه الخطية» (أع ٧: ٦٠). ومن هذا نفهم أن هذه الطلبات كلها لا تناسب فترة النعمة الحاضرة. لكن بعد الاختطاف، عندما ينتهي زمان النعمة، سيبدأ الانتقام الإلهي من القاتلين (رؤ ٦: ١٠)، وستتم كل هذه اللعنات حرفياً على الأمة غير الراحمة وغير المستحية (صف ٢: ١).

«لنصر مائدتهم فخاً، ولآمنين شرَكاً» (ع ٢٢).

اقتبس الرسول بولس هذه الآية في معرض حديثه عن القساوة الجزئية التي حدثت لإسرائيل، إلي أن يدخل ملء (اكتمال) الأمم (رو ١١)، فيقول الرسول: «وداود يقول: لتَصِرْ مائدتهم فخاً، وقنصاً، وعثرةً، ومجازاةً لهم» (رو ٩: ١١).

وهذه الآية تمت جزئياً سنة ٧٠م، عندما جاء تيطس الروماني فأخرب المدينة والقدس، وكما ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي: كان دخول تيطس الروماني لأورشليم في مناسبة عيد الفصح (نفس المناسبة التي فيها صلبوا رب المجد) حيث كان اليهود يعيدون العيد، والخروف المشوي موضوعاً على موائدهم، فصارت موائدهم فخاً، وأُتت عليهم أبشع مجزرة عرفها التاريخ. لكنها في ذات الوقت صورة مصغرة للضيقة العظيمة التي ستأتي على العالم فجأة دون توقع من أحد (١ تس ٥: ٣). أَلَمْ يَقُلْ المسيح إنه «كما كان في أيام نوح كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان، كانوا يأكلون ويشربون... إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك، وجاء الطوفان وأهلك الجميع»

(لو ١٧: ٢٦، ٢٧ مع إشعياء ٥: ٢١)؟

ومع أن هذه الآية تنطبق تمام الانطباق على اليهود الأشرار الذين رفضوا المسيح، لكن ممكن تطبيقها أيضاً بصفة عامة على أعداء المسيح من كل جنس.

«لتظلم عيونهم عن البصر» (٢٣ع).

إن العيون التي لم ترَ جمالاً في المسيح، والتي لم ترَ النورَ نفسه عندما جاء، لا بد أن تظلم عن البصر. لقد أرادوا أن يطفئوا الشمس، فأتى الآن على الأمة عمىً قضائيً، وينتظروهم الطرح في الظلمة الخارجية إلى أبد الآبدين.

«صَبَّ عَلَيْهِم سَخَطُكَ، وَلِيَدْرِكْهُمْ حَمُؤُ غَضَبِكَ» (٢٤ع).

وهذه الآية أيضاً اقتُبِست في العهد الجديد. كما أن التعليم المتضمن فيها ذكره المسيح في عدة مناسبات في الأسبوع الأخير له قبل الصلب. فالمسيح له المجد كان يعرف مقدماً رفض اليهود الأشرار له، فحذروهم من مصيرهم المروع (ارجع إلى مت ٢١: ٤١؛ ٢٢: ٧). وهو ما تم فعلاً معهم، كقول الرسول بولس عنهم «الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن... ولكن قد أدركهم الغضب إلي النهاية» (١ تس ٢: ١٥، ١٦). ولا عجب فلقد رفضوا الشخص الوحيد الذي يحمي من الدينونة، فصاروا بلا غطاء ولا حمى.

ونلاحظ أن الرسول قال إن الغضب «أدركهم إلي النهاية»، ولا يقول إن الغضب قد أدركهم إلي ما لا نهاية. فبعد اختطاف الكنيسة، ونتيجة قساوتهم وعدم إيمانهم، سيأتي ولي الدم (يش ٢٠) - الرب يسوع - لينتقم بنفسه من كل رافضيه. ففي الحقيقة، إن خطية رفض المسيح هي أشرّ كل الخطايا العديدة التي فعلها البشر في كل تاريخهم (عب ١٠: ٢٩).

وفي عظة جبل الزيتون قال المسيح: «لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد... ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى» (مت ٢٤: ٦، ١٤). وعندما يأتي المنتهى سيظهر المسيح بالمجد والقوة، ويُخلّص البقية التقية (مت ٢٤: ٣٠)، وينتهي الغضب بالنسبة لهم.

«لتصر دارهم خراباً، وفي خيامهم لا يكن ساكن» (ع ٢٥).

وهذه الآية تمت جزئياً في يهوذا الإسخريوطي (ابن الهلاك) كما أوضح الرسول بطرس عند حديثه عن يهوذا: «لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن» (أع ١: ٢٠). وقد يمكننا أن نستنتج من مز مور ١٠٩ أن يهوذا كان متزوجاً، وبسبب خيانتة صارت امرأته أرملة وأولاده أيتام. لكن كما سُمي يهوذا في يوحنا ١٧: ١٢ «ابن الهلاك»، فإن النبي الكذاب أيضاً دعي في ٢ تسالونيكي ٣: ٢ «ابن الهلاك». والإتمام النهائي لهذه النبوة ينتظر ابن الهلاك العتيد، عندما يتحالف كثيرون من اليهود مع النبي الكذاب. ولكن كل هؤلاء الأشرار سيبيدهم الرب بنفخة فمه (٢ تس ٢: ٨؛ رؤ ١٩: ٢٠، ٢١)، وسيجعل دارهم خراباً بلا ساكن. وبهذا يحصد الإنسان ما زرعه في كل تاريخه الطويل المحزن.

«لأن الذي ضربته أنت هم طردوه وبوجع الذين جرحتهم يبتعدون» (ع ٢٦).

من الذي ضربه الله؟ هو الذي أشار إليه إشعياء بالقول: «في جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي» (إش ٥٣: ٨). ونقرأ عنه في نبوة زكريا «استيقظ يا سيف على راعي، وعلى رجل رفقتي، يقول رب الجنود. اضرب الراعي» (زك ١٣: ٧). نعم لقد ضرب ذلك البار من أجلنا «والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦).

أما بقية العبارة «وبوجع الذين جرحتهم يبتعدون»، فهي تشير إلى البقية النقية. فكما ضرب المسيح من الله ورفض من الناس، هكذا سيحدث مع البقية من الشعب: سيُنزل الله بهم الغضب. إنه ذات نوع الاختبار الذي أدخل يوسف فيه إخوته عندما وضعهم في السجن وضيق عليهم، وكان ذلك ليقودهم للتوبة، هكذا سيدخل الرب شعبه الأرضي في الضيقة العظيمة. لكن ليس الغضب من الله فحسب، بل أيضاً من الأكثرية المرتدة التابعة للنبي الكذاب الذين سيضطهدونهم «حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي» (مت ٢٤: ٩).

«اجعل إثمًا على إثمهم، ولا يبدخلوا في برك» (ع ٢٧).

وفي سجل اليهود الأشرار ليس فقط الخطايا التي ارتكبوها، بل أيضاً خطية تحولهم عن المسيح (أم ٨: ٣٦)، وبهذا سيجعل الله إثمًا على إثمهم. فيا ويلهم! أو يمكن القول إن الإثم الأول هو خطية رفضهم للمسيح، والثاني قبولهم لضعف المسيح.

«لِيُجَمِّعُوا مِنْ سَفَرِ الْأَحْيَاءِ، وَمَعَ الصَّدِيقِينَ لَا يُكْتَبُوا» (ع ٢٨).

«سَفَرِ الْأَحْيَاءِ»: الحياة في مفهوم العهد القديم هي الحياة على الأرض. والمقصود أن الرب سينهي حياتهم على الأرض بالقضاء والدينونة (مز ٣٤: ١٦).

من ع ٢٩-٣٦. النتائج الإيجابية لآلام المسيح

(١) رَفَعَهُ اللهُ لِلْمَسِيحِ

«خَلَّاصُكِ يَا اللهُ فَلْيُرَفِّعْنِي» (ع ٢٩) إن الإنسان الذي رأيناه مسكيناً وكثيراً، ها هو يرتفع ويجلس في الأعالي (ارجع إلى مز ١٠٩: ٣١؛ ١١٠: ١). وهو عين ما يقوله بولس الرسول: «لذلك رَفَعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُو بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رَكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ، وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللهِ الْآبِ» (في ٢: ٩-١١).

(٢) التَّسْبِيحَةُ الْجَدِيدَةُ وَالْأَفْرَاحُ الْحَقِيقِيَّةُ طَوَالَ الْأَبَدِيَّةِ

«أُسَبِّحُ اسْمَ اللهِ بِتَسْبِيحٍ، وَأَعْظُمُهُ بِحَمْدٍ. فَيُسْتَطَابَ عِنْدَ الرَّبِّ أَكْثَرُ مِنْ ثَوَرٍ بِقَرْدِي قُرُونٌ وَأُظْلَافٌ» (ع ٣٠، ٣١).

إذ ارتفع المسيح إلى الأعالي، فإنه من هناك يقود قديسيه في أغنية حمدٍ، وقد فاضت نفسه بالفرح: فَاللهُ تَجَلَّى، وَالْإِنْسَانُ تَحَرَّرَ، وَالشَّيْطَانُ سُحِقَ، وَالْمَوْتُ أَبْطُلَ، وَالْخَطِيئَةُ دِينَتْ. فَمَا عَادَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الظَّلَالِ، وَلَوْ كَانَ ثَوَرٌ بِقَرْدِي قُرُونٌ وَأُظْلَافٌ. فَإِنَّ الْحَقِيقَةَ النَّاصِعَةَ حَلَّتْ مَحَلَّ كُلِّ الظَّلَالِ. بوسعنا الآن أن نقدم عجول شفاهاً (هو ١٤: ٢) التي هي «ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاة معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

(٣) الْقَضَاءُ بِالْعَدْلِ وَالْبِرِّ لِلْوُدْعَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فِي «أَوْقَاتِ الْفَرَجِ»

«يَبْرِي ذَلِكَ الْوُدْعَاءُ وَيُفْرِحُونَ، وَنَحْنُ يَا طَالِبِي اللهِ. لِأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ،

ولا يحتقر أسراه» (٣٣، ٣٢ع).

كم ستكون هذه الكلمات سبب تشجيع للبقية النقية في فترة الضيقة العظيمة. فهؤلاء الأسرى، هم «أسراه»، وبالتالي فهم «أسرى الرجاء» (زك ٩: ١٢)، تنتظرهم الحياة في ملئها في «أزمنة رد كل شيء» (أع ٣: ٢١) «في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه» (هو ٦: ٢). كما نقرأ «يشرق في أيامه الصديق، وكثرة السلام» (مز ٧٢: ٧).

(٤) مصالحة السماء والأرض

«تُسَبِّحُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. الْبَحَارُ وَكُلُّ مَا يَدْبُ فِيهَا. لِأَنَّ اللَّهَ يَخْلُصُ صَهْيُونَ وَيَبْنِي مَدْنَ يَهُوذَا فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا» (٣٥، ٣٤ع).

«تُسَبِّحُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». يخبرنا الكتاب عن المسيح «لأنه فيه سرٌّ أن يحل كل الملء، وأن يصلح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات» (كو ١٩: ٢٠).

وواضح أن هذا لم يتم بعد، بل إن الذي نراه الآن هو العكس، إذ أن «كل الخليقة تنئن وتتمخض معاً إلى الآن»، غير أن «انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» (رو ٨: ١٩-٢٢).

«لأن الله يخلص صهيون». ونلاحظ ارتباط مصالحة كل شيء بخلص صهيون^١. والشعب الأرضي في يوم قادم سيقبل المسيا الملك، وعندما يملك المسيح على جبل صهيون، سوف يبني مدن يهوذا (مز ١١٠: ٣؛ ٦: ٢). وعندئذ ستتم البركة أيضاً على كل الأرض. فالبركة الأرضية مرتبطة بالشعب الأرضي، لأن الرب سيمتلك الأرض عن طريق شعبه الأرضي.

^١ مزور ١٤٨، وهو أحد المزامير التي تتكلم عن الملك الأكفي، ينقسم إلى قسمين: الأول يتكلم عن تسبحة السماوات، والثاني تسبحة الأرض. ونلاحظ أن في كلا القسمين تدرجاً، لكن في القسم الأول (تسبحة السماوات)، التدرج هنا من أعلى إلى أسفل، بينما في القسم الثاني (تسبحة الأرض)، التدرج هو من أسفل إلى أعلى! ^٢ اليوبيل (وهو صورة لأزمنة رد كل شيء) يبدأ من يوم الكفارة (لا ٢٥)، وعندما تتم كفارة الإثم، سيؤتى بالبر الأبدى، وتُختم الرؤيا والنبوة، ويُمسح قدس الأقداس (دا ٩: ٢٤).

الآيات المسيحية

«أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب» (٤ع).

«لأن غيري بيتك أكلتني» (٩ع)

«تعبيرات معيريك وقعت علي» (٩ع).

«وفي عطشي يسقونني خلا» (٢١ع).

الآية الأولى: «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب» (٤ع).

هذه هي الآية الأولى المقتبسة من مزمورنا في العهد الجديد. ولقد قالها الرب يسوع في معرض حديثه مع تلاميذه، ليوضح لهم كراهية الأمة لشخصه «لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب» (يو ١٥: ٢٥).

بغضة أمة الرب له

هذه البغضة لشخص ربنا المعبود من أمته حسب الجسد هي:

١- **بغضة عمداً وإبصاراً:** فهي لم تكن بغضة سهواً أو نتيجة عدم معرفة بحقيقة شخصه. فحتى آخر لحظة، عندما أتوا ليقبضوا عليه، قصد الرب أن يعطيهم رسالة واضحة تدل على حقيقة من هو. فبمجرد أن قال لهم: «أنا هو»، وهي بعينها «أنا الكائن» أو «الواجب الوجود»، أو «أنا أهي» (خر ٣: ١٤)، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. ولقد كان هذا المشهد وحده كفيلاً أن يجعلهم يراجعون حساباتهم، ولكن كما قال المسيح: «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم» (يو ١٥: ٢٢).

٢- **بغضة ضد المنطق:** فليس أنهم فقط علموا مجد وجلال شخصه، ومع ذلك اقتادوه للصلب والموت، لكنه أيضاً كم عمل من الخير معهم. ولقد قال لهم مرة: «أعمالاً كثيرة حسنة أرىكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني؟» (يو ١٠: ٣٢)، لقد كانت كل معجزاته بينهم هي معجزات النعمة*. ويلخص الرسول بطرس حياة

* كانت آخر معجزة قام بها لتوه معهم هي إبراء أن عبد رئيس الكهنة، ذاك الذي جاء ضمن من أتوا للقبض عليه (لو ٢٢: ٥٠، ٥١). ونحن نرى في ذلك معجرتين لا معجزة واحدة: معجزة شفاء من الداء، ومحبة للأعداء!

ذلك الفريد العجيب بالقول: «الذي جال يصنع خيراً، ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس» (أع ١٠: ٣٨)، ومع كل ذلك فقد فضلوا عليه باراباس، ذلك القاتل واللص!! إنها حقاً بغضة ضد المنطق.

٣- بغضة مصدرها شيطاني: إن كان لا يوجد في المسيح سبب واحد يدعو لبغضته، فهناك آلاف الأسباب التي تحفز على عبادته ومحبته وإكرامه، فلماذا يُبغض المسيح؟! لقد شفى مرضاهم وأقام موتاهم وأشبع الآلاف بخيره، وعلمهم دروس الحياة الأبدية، فكان جوابهم على كل ذلك هو الصليب!! يقول الرب: «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري، لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبني» (يو ١٥: ٢٤). وكما علّق أحدهم بالقول: "أن ترد الإحسان بالإحسان فهذا مبدأ إنساني، وأن ترد الشر بالخير فهذا مبدأ مسيحي، وأن ترد الخير بالشر فهذا مبدأ شيطاني".

الآية الثانية: «لأن غيرة بيتك أكلتني» (٩ع)

عندما صعد الرب إلى أورشليم، «وجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرأ وغنماً وحماماً، والصيارف جلوساً، فصنع سوطاً من حبال وطرده الجميع من الهيكل... فتذكر تلاميذه أنه مكتوب «غيرة بيتك أكلتني» (يو ١٤: ١٧-١٨). لقد لاحظ التلاميذ غيرة الرب، لكننا يمكننا أيضاً أن نلاحظ حكمته واتزانته. والمرء عادة عندما يغضب لا يكون متمالكاً لنفسه، لكن ليس كذلك المسيح. لاحظ كيف تعامل مع المشكلة: فبالنسبة للغنم والبقر طردها، ولا خطورة من ذلك. ودراهم الصيارف كبها، وهذه يمكن جمعها بسهولة. أما الحمام فإنه قال للباعة: «ارفعوا هذه من هنا»، ولو فعل أكثر من ذلك لكان ممكن لها أن تنزعج وتطير بعيداً، وتضيع على أصحابها.

ولقد كان لربنا يسوع الغيرة المقدسة على بيت الله. وهذه الغيرة جعلته ليس فقط يظهر بيت الله، بل أيضاً يمضي إلى الصليب لكي يموت عليه، إذ قال بعد ذلك مباشرة: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو ٢: ١٩).

يذكر لنا التاريخ المقدس أناساً عظماء غاروا غيرة للرب. فلقد شبع الرب يوماً من غيرة فينحاس بن ألعازار الكاهن المقدسة، الذي قضى على الشر العلني «فينحاس بن ألعازار... قد رد سخطي عن بني إسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم، حتى لم أفن

بني إسرائيل بغيرتي» (عد٢٥: ١١). إنَّ كلَّ ما استنطاع فينحاس أن يفعله هو أن يقتل الرجل الإسرائيلي والمرأة المديانية، لكن أكان بوسع فينحاس أن يُنهي مشكلة الخطيئة؟ مُحال. أمَّا المسيح فليس بالروح في يده، بل بالحربة في جنبه. فسال الدم الكريم، بذلك فقط أنهى مشكلة الخطيئة. فليست دماء الفاجرين هي التي تمحو الخطايا، بل الدم الكريم الذي من حمل الله: الحمل الذي بلا عيب ولا دنس.

وإن كانت غيرة المسيح على مجد الله، جعلته يضع نفسه ويموت، فإن غيرة الله على المسيح أقامته ومجَّدته (إش٩: ٦، ٧).

الآية الثالثة: «وتعبيرات معيّريك وقعت عليّ» (٩ع).

هذه الآية اقتبسها الرسول بولس عن الرب يسوع «لأنَّ المسيح أيضاً لم يُرضِ نفسه بل كما هو مكتوب: تعبيرات معيّريك وقعت عليّ» (رو١٥: ٣). ونلاحظ أن الرسول لا يشير إلى حادثة بالذات، بل إن طابع حياة المسيح كان كذلك.

ما أروع أن نتأمل في سيدنا الفريد الذي لم يفعل شيئاً لأجل نفسه، ولا قال كلمة لأجل نفسه. ورغم التعبيرات التي وقعت عليه، فقد استمر مسروراً بالعباء لا بالأخذ. وحتى عندما عُلق فوق الصليب فإنه تشفع في معذبيه قائلاً: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤).

نعم، إن المسيح «لم يُرضِ نفسه» (رو١٥: ٣)، ولم «يمجِّد نفسه» (عب٥: ٥)، بل هو «أخلى نفسه» (في٧: ٢)، و«وضع نفسه» (في٨: ٢)، و«أسلم نفسه» (أف٥: ٢٥)، و«بذل نفسه» (تي٢: ١٤)، و«سكب للموت نفسه» (إش٥٣: ١٢)؛ لذلك من حقِّه علينا أن يرى «من تعب نفسه» لكيما يشبع (إش٥٣: ١١).

الآية الرابعة: «وفي عطشي يسقوني خلاً» (٢١ع).

أشارت الأنجيل الأربعة إلى شرب المسيح للخل، ومن متى ومرقس نفهم أنهم قدموا الخل للمسيح مرتين: الأولى في بداية عملية الصلب، وكان خلاً ممزوجاً بمرارة، كنوع من المخدِّر، وفي هذه المرة ذاق المسيح الخل لكن لم يشربه؛ ذاق المرارة لكنه رفض أن يتخدَّر لكي يشعر، في إنسانيته، بكل الآلام التي ستقع عليه. وأما المرة الثانية - وهذه

أشار إليها أيضاً كل من لوقا ويوحنا - فكانت بعد ساعات الظلمة وقبل أن يسلم الروح مباشرة. وفي هذه الإشارات الست في الأناجيل الأربعة (إشارتان إلى تقديم الخل في بداية الصلب، وأربع إشارات إلى تقديم الخل في النهاية)، مع الإشارة الواردة في مزمو ٢١:٦٩ نحصل على سبع إشارات في الكتاب لشرب المسيح الخل!!

وفي إنجيل يوحنا نقرأ: «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلقي الكتاب قال: أنا عطشان» (يو ١٩: ٢٨). واضح أن الإشارة هنا إلى تلك النبوة الصغيرة الواردة في مزمو ٢١: ٦٩.

تأملي يا نفسي في تنازل ذاك المجيد وافتقار ذلك الغني. فحقاً ما أوسع الهوة وأبعد المسافة بين رب المجد على العرش والمصلوب على الصليب، بين ذاك المسقف علاليه بالمياه (مز ١٠٤: ٣)، وذاك الذي نسمعه هنا يقول: أنا عطشان!

لقد بدأ - تبارك اسمه - خدمته بالجوع وختمها بالعطش. والشيطان في بداية خدمته قدّم له الحجارة مكان الخبز، والناس في ختامها قدموا له الخل مكان الماء!

أمام تفرد المسيح وروعته نحن نقف ساجدين خاشعين، فقد كان - تبارك اسمه - عطشاناً، وليس في ذلك ما يعيب المسيح. لكنه قال «أنا عطشان»، لا ليروي ظمأه، بل لكي يتم الكتاب!! فقد كان يعلم أن هناك نبوة لم تتم بعد، وأنهم في عطشه سيسقونه خلاً. نعم لقد كان إتمام نبوات الكتاب في نظره، أهم بكثير من الأكل ومن الشرب!

* والخل المذكور هنا يرد في تثنية ٣٢: ٣٢، ٣٣ «عقم ومرارة وسم» (انظر أيضاً أي ١٦: ٢٠؛ هو ١٠: ٤).

ملاحظات إضافية على المزمور التاسع والستون

مزَامِير الانتقام

هناك بعض المزامير تُعرف عند المفسرين بمزامير الانتقام*، فيها يستنزل المرنم اللعنات على الأشخاص موضوع المزمور. وهذه المزامير تسبب حيرة لدى البعض: كيف تكون هذه اللغة القاسية هي جزء من الوحي المقدس؟ ويزداد العجب أن مزموراً مثل مزمور ٦٩، الذي يتحدث عن المسيح وهو على الصليب، يتضمن مثل هذه اللعنات. ونحن نعرف أن المسيح من فوق الصليب كانت أولى طلباته من أبيه: «يا أباه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤). كيف يتضمن إذاً المزمور الخاص بالآلام المسيح على الصليب، مثل هذه اللغة التي هي غريبة تماماً على لغة المسيح لما ظهر في الجسد، بل وأيضاً غريبة على عقلية المسيحي وفكر المؤمن؟

لكننا نؤمن بأن كل كلمة من الله نقية (أم ٣٠: ٥)، وأن كل الكتاب هو موحى به من الله (٢٢: ٣: ١٦). وبداية نقول: إننا لا نشتم في هذه المزامير أي عداً شخصي بين المرنم ومن يستنزل عليهم لعنات الله، بل إن الكاتب يتحدث فيها عن مصير أعداء الله. ولتوضيح هذا الأمر، خذ على سبيل المثال، الأقوال الواردة في مزمور ١٣٩: ٢١، ٢٢، «ألا أبغض مبغضيك يا رب، وأمقت مقاوميك؟ بغضاً تاماً أبغضتهم صاروا لي أعداء»، وبعدها مباشرة فإن المرنم استشهد الله على دوافع سريره إذ قال: «اختبرني يا الله واعرف قلبي، امتحني واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً». وهذا معناه أنه لم تكن هناك دوافع جسدية في هذه الأقوال على الإطلاق. كلا ليس في هذه الأقوال أي تعارض مع فكر الله، أو أقوال الوحي. ونحن نقرأ مثلاً في العهد الجديد، وفي إنجيل لوقا، أكثر الأناجيل حديثاً عن نعمة الله «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهائياً وليلاً؟» (لو ١٨: ٧)، وذلك بعد أن ذكر مثل قاضي الظلم وصرخة الأرملة إليه قائلة: «أنصفي[†] من خصمي». والله رغم أنه متمهل على قديسيه لكنه لا بد أن ينصفهم سريعاً. وكيف سينصف الله قديسيه المسحوقين في الأرض؟ أليس بإجراء الدينونة الربية على أشرار الأرض؟ وعندما يجري الله هذه الدينونة، هل سيكون الله ظالماً؟ حاشاً. وهل سيكون لدى المؤمنين أي اختلاف في الفكر عن الله؟ كلا البتة.

* هي تسعة عشر مزموراً كالاتي: ٥: ١٠، ٦: ٧-١٠، ١٥: ١٠، ٢٨: ٥، ٣٥: ١-٨، ٥٥: ٩، ١٥: ٥٨، ٦: ٩، ٥٩: ١١-١٣، ٦٩: ٢٢-٢٨، ٧٩: ٦، ١٢: ٨، ٨٢: ٨، ٨٣: ٩-١٨، ٩٤: ٢، ١٠٩: ٦-٢٠، ١٣٧: ٧-٩، ١٤٠: ٨-١١، ١٤١: ٥، ١٤٣: ١٢، ١٤٤: ٥-٨.

[†] أنصفي: تعني انتقم لي. خذ بثأري

ألا نقرأ ماذا سيحدث في السماء عندما يدين الله بابل، الزانية العظيمة، التي سكرت من دم القديسين ودم شهداء يسوع (رؤ ١٧: ٦؛ ١٨: ٢٠؛ ٢٤: ١٩؛ ٢: ٢)؟ نقرأ أنه ستتصاعد من قلوب كل القديسين عبارة «هللوا»، وتكرر ٤ مرات (رؤ ١٩: ١؛ ٣، ٤، ٦)!

ثم بعد ذلك سيظهر المسيح في مجيئه الثاني بالمجد والقوة خارجاً من السماء، ركباً على الفرس الأبيض، وبالعدل يحكم ويحارب، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله (رؤ ١٩: ١١-١٣). عندها ستتم كلمات المسيح نفسه والتي قالها أيضاً في إنجيل لوقا، وذلك قبل أيام قليلة من موته على الصليب: «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي» (لو ١٩: ٢٧).

هل نعتبره إذاً أمراً غريباً أن يرد في مزمور ٦٩ أقسى وأشر أنواع القضاء على الأشرار؟ وهل تسأل ما هو سر هذه القسوة الرهيبة؟ السر في ذلك أن هذا المزمور يتحدث عن أعظم شهيد على الإطلاق، وعن أزكي دم سكب على الأرض ظلماً وعدواناً. صحيح لقد طلب المسيح الغفران لقاتليه، لكن هل معنى ذلك أن كل البشر سوف يتمتعون بغفرانه، بغض النظر عن موقعهم منه؟ كلا، بل إن الرسول بطرس لما كرر بغفران الخطايا لليهود المسؤولين عن جريمة صلب المسيح، ربط بين غفران الله لخطاياهم وبين توبتهم وإيمانهم بالمسيح (أع ٢: ٣٨، ٣٩؛ ٣: ١٧-١٩). فلا يتوهم أحد أنه سيحظى بالغفران دون توبة حقيقية وإيمان قلبي بربنا يسوع المسيح.

وكذلك فعل الرسول بولس في أنطاكية بيسيدية. فهو قدم الغفران والتبرير لهم إن هم تابوا وآمنوا (أ ١٣: ٣٨، ٣٩)، وإلا فإن الله سيوقع عليهم الدينونة الرهيبة «انظروا أيها المتهاونون وتعجبوا واهلكوا، لأنني عملاً أعمل في أيامكم، عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به» (أع ١٣: ٤١).

عزيزي القارئ، لا تدع الهراطقة* يخدعوك بإنجيلهم الشيطاني المزيف، بأن البركة في النهاية ستعم البشر جميعاً سواء قبلوا المسيح أو رفضوه؟ حاشا. بل هناك دينونة رهيبة، أروع جداً من الدينونة تحت الناموس، ستنتظر من داس ابن الله، وازدري بروح النعمة (عب ١٠: ٢٩).

إن المسيح الذي في إنجيل لوقا، في بداية خدمته، لم يقرأ عبارة «أكرز .. بيوم انتقام لإلهنا» بل طوى السفر وسلمه للخادم وجلس (لو ٤: ١٧-٢٠؛ إش ٦١: ٢؛ ٢٠)، لا بد أن يقوم في السماء، ويأخذ السفر من يمين الجالس على العرش، ليقرأ كلمات النبي الأخيرة، كلمات الانتقام (انظر رؤ ٥: ٧)، وذلك المتألم الصابر، الذي طلب الغفران لقاتليه وهو على الصليب، هو نفسه الذي كان قد قال في مثل الشريف الجنس «أما أعدائي، أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا، واذبحوهم قدامي» (لو ١٩: ٢٧).

* وهو ما ينادي به عموميو الخلاص Universalists.

المزمور الحادي والتسعون

المسيح الممتحن الناجح

المزمور في كلمات

مزمور مسياوي، ينطبق تماماً على شخص الرب يسوع، حتى ولو كان ينطبق جزئياً على كل المؤمنين أولاد الله.

الاقتباسات

اقتبس منه الشيطان عندما جرّب المسيح في بداية خدمة المسيح الجهارية، لكنه كعادته في تزييف كلمة الله، حذف جزءاً من المكتوب، فخرج النص المقتبس من المزمور مشوّهاً.

فالآية المذكورة في المزمور هي: «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك»، فاقتبسها الشيطان في إنجيل متى ٦: ٤ «وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك» (انظر أيضاً إنجيل لوقا ٤: ١٠، ١١).

الكاتب والمناسبة

لم يذكر الوحي اسم الكاتب. لكن اليهود القدماء اعتبروا أن مزموري ٩٠؛ ٩١ لهما نفس الكاتب، وهو موسى رجل الله، وهو عين ما يقوله التلمود اليهودي أيضاً. وهناك

ثمة أدلة توحى لنا بصحة هذا الاعتقاد، ولو أنها ليست أدلة جازمة، إذ توجد في هذين المزمورين تعبيرات لا توجد في أي جزء آخر من الكتاب المقدس إلا في سفر التثنية، أحد أسفار موسى الخمسة*؛ مثل كلمة «ملجأ» التي تكررت فيهما كثيراً.

عنوان المزمور

بدون عنوان

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

يقع هذا المزمور في الكتاب الرابع من سفر المزامير (مز ٩٠-١٠٦)، الذي يقابل الكتاب الرابع من أسفار موسى الخمسة، أعني به سفر العدد، سفر البرية. وهو فعلاً يبدأ بمزموري ٩٠ و ٩١، وهما مزمورا البرية.

العلاقة بين المزمور التسعين والحادي والتسعين: يتكلم كلا المزمورين عن البرية، مع هذا الفارق: أن المزمور التسعين يتكلم عن رحلة التيهان في البرية، أما المزمور الحادي والتسعون فيتكلم عن رحلة الثقة الهادئة في الله. الأول يحدثنا عن سني البرية بالنسبة لبني إسرائيل، والثاني يحدثنا عن البرية بالنسبة للمسيح. البرية في الحالة الأولى مليئة بالتنمر والأنين، أما في الحالة الثانية فهي مليئة بالفرح والتهليل. كأننا في المزمور الأول نستمع إلى مراثاة جنازية، بينما في المزمور الثاني نسمع نغمة الفرح والانتصار.

مزمور ٩١ إذاً يختلف عن المزمور الذي يسبقه (مز ٩٠)، فنحن هنا لا نجد الإنسان يخطئ إلى الرب ويواجهه غضب الرب وسخطه، بل الإنسان يحب الله، ويتعلق به، والرب ينجي.

ترى ما سر الاختلاف بين هذين المزمورين؟ إننا في كلا المزمورين نجد البرية بمتاعبها، غير أنه في مزمور ٩٠ يضع الإنسان صعوبات الطريق أمامه، بينما في مزمور ٩١ يضع الرب أمامه، فالفرق ليس في تغيير الظروف، إذ إنها واحدة في كلا المزمورين، لكن نجد

* لو كان موسى هو كاتب هذا المزمور أيضاً كالمزمور السابق (مز ٩٠) يكون معنى هذا أن كل الاقتباسات التي وردت في تجربة المسيح من الشيطان، سواء تلك التي نطق بها المسيح أو الكلمات التي اقتبسها الشيطان من الوحي، قد وردت كلها في كتابات موسى.

النتيجة تختلف في مزمور ٩١، وذلك لوجود الرب في الضيق «معه أنا في الضيق» (ع ١٥). ونضع هنا المباشرة بين هذين المزمورين في السباعية المبينة بالجدول الآتي:

المزمور الحادي والتسعون	المزمور التسعون
١- نعمة فرح وتهليل (يقابل رسالة فيلبي في العهد الجديد).	١- نعمة تنمّر وأنين (يقابل سفر العدد في العهد القديم).
٢- نجد فيه إنساناً متعلقاً بالله، ولا يخشى شر الناس.	٢- نجد فيه إنساناً خاطئاً خائفاً من غضب الله.
٣- البرية أظهرت مَنْ هو الله في نعمته وكفايته إنه كل شيء.	٣- البرية أظهرت مَنْ هو الإنسان. إنه لا شيء.
٤- نجد فيه كمالات الإنسان الثاني، ربنا يسوع المسيح، وأمانته.	٤- نجد فيه سمات الإنسان الأول الفاشل وضعفاته.
٥- نسمع فيه عن طول الأيام (ع ١٦).	٥- نسمع فيه عن قِصر الأيام (ع ٩).
٦- يُختم ببركات سباعية أكيدة ومجيدة للإنسان الكامل الفريد (ع ١٤-١٦).	٦- يُختم بطلبات سباعية تُفيد الترجي والتمني (ع ١٣-١٧).
٧- وعد بالشبع «أشبعهُ» (ع ١٦).	٧- طلب الشبع «أشبعنا» (ع ١٤).

المباشرة بين المزمور السادس عشر والمزمور الحادي والتسعين:

- ١- كل منهما يبدأ بالانكسار على الله (مز ١٦: ١؛ ٩١: ٢).
- ٢- كل منهما يُختم بالقيامة وطول الحياة (مز ١٦: ١١؛ ٩١: ١٦).
- ٣- كل منهما مشغول بشخص الرب يسوع وسياحته الفريدة في عالم الخطية والشر، مع تركيز المزمور السادس عشر على مشاعر المسيح الداخلية وأمانته نحو الله، وتركيز المزمور الحادي والتسعين على سلوك المسيح الخارجي وأمانة الله نحوه.

أقسام المزمور

ينقسم هذا المزمور إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

- ١- القسم الأول (ع ١، ٢): وفيه نستمع إلى لغة المسيح لما كان على الأرض.

ويمكن تقسيمه إلى جزئين:

١٤ ونرى فيه "المبدأ العام"

٢٤ هو التطبيق العملي الاختباري لهذا المبدأ العام.

٢- القسم الثاني (ع ٣-١٣): وهو لغة الروح القدس متكلاً بالمواعيد العظمى والتمنية إلى الشخص المتكل على الرب.

٣- القسم الثالث (ع ١٤-١٦): وهو لغة الأب مخاطباً الشخص الذي وثق فيه، ويَعِدُه ببركات سباعية مجيدة.

الدروس الأدبية والعملية

مزمور ٩١ ينطبق تمام الانطباق على المسيح، فلم تكن البرية بالنسبة له سهلة، ومع ذلك كان رجل الإيمان الوثاق والفرحان (لو ١٠: ٢١؛ مز ١٦: ٩، ١١). إلا أننا نجد فيه تشجيعاً لنفوسنا ومواعيد عظمى ترفع النفس وتسندها وسط صعوبات الحياة وعواصف الزمان.

«الساكن في ستر العلي، في ظل القدير يبيت. أقول للرب ملجأً وحصني، إلهي فأتكلم عليه» (ع ٢، ١)

هذان العددان من أجمل آيات الكتاب المقدس، فهما يوضحان تماماً احتياج الإنسان وكفاية الله.

«الساكن في ستر العلي»: ما أجمل ستره في يوم الشر، وفي عالم العواصف والرياح المضادة (مز ٢٧: ٥)! وكل مؤمن فينا يسكن لدى الرب آمناً «يستره طول النهار» (تث ٣٣: ١٢).

«في ظل القدير يبيت»: فالرب ليس لنا فقط ستاراً من السيل، بل إنه أيضاً ظل صخرة عظيمة في أرضٍ معيبة (إش ٣٢: ٢).

وكلمة «يببت» توحى لنا أن هذه الحياة التي نعيشها مجرد ليلة، سريعاً ما تعبر. وما أجمل أن تُقضى تلك الليلة في ظل القدير. لقد رجعت الحمامة المتعبة إلى نوح عند المساء لكي تبيت داخل الفُك. وهكذا أيضاً راعوث الموابية، التي كان المستقبل غامضاً

أمامها بعد أن فقدت رجلها، عندما وصلت إلى أرض غريبة، ومارست فيها عمل الفقير واليئيم، إذ التقطت وراء الحصادين، نصحتها حماتها أن تذهب في الليل عند بوعز، حيث تجد راحتها الحقيقية عند رجله، وهو قال لها: «بيتي الليلة» (را ١٣:٣). وفي الصباح حدث هناك أعظم ما كانت تتصوره راعوث، واختبرت كلمات المرنم: «عند المساء يبني البكاء، وفي الصباح ترنم» (مز ٣٠:٥).

ونحن أيضاً علينا أن نقول:

إِنْ أَجْلاً أَوْ عَاجِلاً سَأَرْقُبُ الصَّبَاحَ
تَنْقَشِعُ كُلُّ الْغُيُومِ إِذَا مَا الْفَجْرُ لَاحَ

والذين ينتظرون الصباح، ويترقبون بزوغ كوكب الصبح المنير، فإن أفضل وضع لكل منهم هو: «في ظل القدير يبني».

«أقول للرب ملجأ، وحصني إلهي فأتكلم عليه» (٢٤).

إنها تعزية قليلة أن نعرف أن الله حصن، أما أن نقول بصدق إن الله «حصني»، فيالها من تعزية قوية! تماماً كالفارق بين من يعرف أن الرب راع، وبين من يقول بصدق: «الرب راعي» (مز ٢٣:١).

إن من يقول للرب: «ملجأ، حصني، إلهي» يمكن أن يضيف، «فأتكلم عليه». وهي لغة الإنسان الكامل المتكل على الله، كما رأينا في مزمو ١٦:١. وهناك فرق بين مجرد الصلاة وبين الاتكال على الله. أحياناً نعمل مثل يعقوب: نصلي مظهرين الاتكال على الله، غير أننا بعد أن نفرغ من الصلاة، نلجأ إلى تخطيطنا بل وإلى حيلنا.

يقول المرنم: «الساكن في ستر العلي، في ظل القدير يبني. أقول للرب ملجأ، وحصني، إلهي فأتكلم عليه».

ونحن هنا نجد أربعة أسماء مختلفة لله: العلي (وبالعبري: عليون)، القدير (وبالعبري: شداي)، الرب (وبالعبري: يهوه)، الله (وبالعبري: إلهيم).

فهو العلي، صاحب السيادة والسلطان المطلق. هكذا أعلنه ملكي صادق لإبراهيم (تك ١٤: ١٨-٢٢)، وهكذا عرفه نبوخذنصر بعد سني الذل (دا ٤: ١٧، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٤). وهو القدير، كُلي القدرة والجبروت. والارتباط بين هذين الاسمين جميل، فمن يعطي

الرب السيادة على حياته، يتمتع بكل قدرة الله لحسابه*.

ثم هو الرب (يهوه)، الثابت الأزلي الذي لا يتغير (ملا ٣: ٦).

وأخيراً هو إلهيم: الله الذي معه أمرنا (عب ٤: ١٢، ١٣).

إذاً فهذه الأسماء تحدثنا بالترتيب عن عظمة الله، وقدرة الله، وثبات الله، وكفاية الله.

حسن أن نتأمل كثيراً في اسم الرب الرباعي هنا، فمن بين بركات هذا المزمور ما ورد في ع ١٤: «أرفعُه لأنه عرف اسمي». فيقول الحكيم: «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمتع» (أم ١٠: ١٨)، ويقول المرنم: «يتكل عليك العارفون اسمك» (مز ٩: ١٠). ويقول النبي: «أما الشعب الذين يعرفون إلههم، فيقرون ويعملون» (دا ١١: ٣٢).

قديمًا كتب الرب أمامه «سفر تذكرة، للذين اتقوا الرب، وللمفكرين في اسمه» (ملا ٣: ١٦). وكيف أفكر في اسمه؟ أليس بأن أتأمل في ما يعنيه هذا الاسم بالنسبة لذاته وبالنسبة لي؟

بركات الحماية والحفظ الإلهي (ع ٣-١٣):

«لأنه ينجيك من فخ الصياد، ومن الوبأ الخطر. بخوافيه يظلك وتحت أجنحته تحتمي.

ترس ومجن حقه» (ع ٣، ٤).

«الصياد» هو الشيطان (يو ١٠: ١٠).

«الوبأ الخطر»: أي الخطية.

«بخوافيه يظلك»: والخوافي هي الريش الناعم الدافئ تحت جناحي الدجاجة.

«وتحت أجنحته تحتمي»: والأجنحة رمز للقوة والحماية (مز ٥٧: ١).

وهذا معناه أن المؤمن يتمتع بأجنحة الرب وخوافيه، وبذلك فهو يتمتع بكل من قوته وحنانه. هو لنا مثل الأب والأم في آن معاً، والمؤمن - وهو معه - يستطيع أن يقول مع المرنم: الأمان فيه والهجوم.

«لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من وبأ يسلك في الدجى، ولا

من هلاك يفسد في الظهيرة» (ع ٥٤، ٦).

* هذا ما اتضح حقاً في حياة المسيح، كما فهمها الضابط الروماني الذي قال للمسيح: «قل كلمة فيبراً غلامي. لأنني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان... أقول لهذا اذهب فيذهب، ولآخر انت فيأتي، ولعبيدي افعل هذا فيفعل» (مت ٨: ٩، ٨). فلن المسيح - باعتباره الإنسان الكامل - كان خاضعاً تماماً لسلطان الله، كانت كل قوة السماء لحسابه!

نجد هنا الليل والنهار، كما نجد أيضاً الدجى (شدة الظلمة)، والظهيرة (منتصف النهار). وهذه وتلك بالإضافة إلى معناهما البسيط، لهما أيضاً معنى مجازي، فإنهما تشيران إلى التجارب الظاهرة والتجارب الخفية. في مزمور ٣ نجد داود في النهار، ونجد المخاوف، وفي مزمور ٤ نجد داود في الليل وما زالت هناك أيضاً مخاوف. لكن في كلا الحالتين هناك الضمان والطمأنينة في الرب. هذا ما اختبره داود (مز ٣: ٥؛ ٤: ٨). والدرس العظيم الذي تعلمه داود في البرية هو هذا: «لك النهار ولك أيضاً الليل» (مز ٧٤: ١٦).

إن لخصمنا - إبليس - أسلوبين يستعملهما في الهجوم: ففي ستر الليل يهجم كالصل والثعبان، وفي وضوح النهار يهجم كالأسد والنسب. فقد يحاول أن يخدعنا كالحية الماكرة (٢كو ١: ٣)، أو قد يواجهنا كالأسد (١بط ٥: ٨). لكن شكراً لله الذي ينجّي وينقذ من كل أمر رديء، سواء من الصل الماكر، أو من الأسد الزائر.

«يسقط عن جانبك ألف، وربوات عن يمينك، إليك لا يقرب» (٧ع).

هذا ما قاله الشيطان عن أيوب مخاطباً الرب: «أليس أنك سيّجت حولي، وبيتك، وحول كل ما له من كل ناحية؟» (أي ١: ١٠).

ولعل أوضح تطبيق لهذا الوعد، ما نقرأه في الأصحاحات الأولى من سفر الخروج (انظر مثلاً خروج ٩)، إذ نزلت ضربات الله على المصريين، وأما شعب الله في مصر فلم يقترب منهم أي شر على الإطلاق.

«إنما بعينيك تنظر وتروى مجازاة الأشرار» (٨ع).

فالشريير لا بد أن ينال جزاء شره. والرب قد يتأنى في قضائه، لكنه في النهاية يكون قضاؤه عادلاً ورهيباً.

«لأنك قلت أنت يا رب ملجأى. جعلت العليّ مسكنك لا يلافيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك» (٩ع، ١٠).

«جعلت العليّ مسكنك.. لا تدنو ضربة من خيمتك».

طوبى لكل شخص يكون هذا عنوان مسكنه: يسكن في العليّ (ارجع إلى ع ١). هذا الشخص يعيش غريباً في العالم، ويقم في خيمة.

نحن غرباء ونزلاء، وهذا ما يذكره الرسول بطرس (١بط ٢: ١١)، بينما يذكر الرسول بولس أننا لسنا غرباء ولا نزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أف ٢: ١٩). وذلك لأن الرسول بطرس يتحدث عن وضعنا في العالم، فرسالته هي رسالة البرية، أما الرسول بولس فيكلمنا في رسالة أفسس عن "السماويات"، وبالتالي عن وضعنا بالنسبة لله. وعلى قدر ما نكون غرباء في العالم، على قدر ما نكون غير غرباء بالنسبة لله.

لقد قال المسيح عن تلاميذه: «ليسوا من العالم، كما أنني أنا لست من العالم». فنحن لم نعد من «أهل الدنيا» (مز ١٧: ١٤)، بل «أهل بيت الله» (أف ٢: ١٩). ويقول الرب لملاك كنيسة فيلادلفيا «لأنك حفظت كلمة صبري، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم لتجرب الساكنين على الأرض» (رؤ ٣: ١٠). فكأن فيلادلفيا ليس من أولئك الساكنين على الأرض، بل إنه من الغرباء في الأرض (مز ١١٩: ١٩).

«لأنه يوصي ملائكته بك، لكي يحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك» (ع ١١).

قال سبرجن: إن الملائكة إذ رأوا أن الله لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، فقد عرفوا مقدار إعزاز الله لنا، لذلك عندما يأخذون الوصية من جهتنا فإنهم يتممونها بكل نشاط وهمة. لكن لنلاحظ أن الملائكة غير مكلفين برفع الحجارة من طريقنا، بل برفعنا نحن فوق الصعوبات والمصاعب.

ويقول كاتب العبرانيين عن الملائكة: «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟» (عب ١: ١٤). وعن هذا قال أحد الشراخ الأفاضل: **«ليس قبل أن نصل إلى السماء، سيمكننا معرفة كم من الخدمات الجليلة غير المرئية قدمتها لنا الملائكة»!** حقاً إن «ملاك الرب حالٌ حول خائفيه وينجيهم» (مز ٣٤: ٧).

قديماً أرسل الله ملاكاً لدانيال لإنقاذه من فم الأسد (دا ٦: ٢٢)، وأرسل ملاكين للوط في سدوم لإنقاذه من حريق سدوم (تك ١٩: ١)، وامتلاً الجبل بمركبات من نار حول أليشع لإنقاذه من جيوش ملك آرام (٢مل ٦: ١٧)، وأرسل الله جيشين من الملائكة ليعقوب لإنقاذه من خاله وأخيه (تك ٣٢: ٢١).

«على الأسد والعلّ تظأ، الشبل والشعبان تدوس» (ع ١٣).

وكما حدثنا أول المزمور عن أربعة أسماء لله، يذكر في الآية الثالثة عشر* أربعة أسماء للشيطان هي: الأسد، والصل، والشبل، والثعبان.

«لأنه تعلّق بي أنجّبه، أرفعّه لأنه عرف اسمي» (ع ١٤).

فمن يتعلّق بالمحبة بالرب، له وعد بأن الرب ينجيّه، وأيضاً بأن يُرفّعه. وقديماً تعلّق مردخاي بالرب، فرفّعه الرب جدّاً، وأراه خلاصه من شر هامان الرديء.

«يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق. أنقذه وأمجّده» (ع ١٥).

«معه أنا في الضيق» وبمقارنة الوعد المذكور هنا بالوعد السابق في ع ١١، يمكن القول: إن الملائكة تعمى من الخطر. والله يرسل ملائكته لينقذنا من التجربة. وأما إذا سمح الله بالتجربة، كما يذكر هنا، فإنه هو بنفسه يأتي إلينا (إش ٤٣: ١، ٢؛ ٣١). هذا ما نراه من ختام عبرانيين ١ و٢، ففي ختام عبرانيين ١ يقول عن الملائكة إنهم جميعاً أرواح مرسلون للخدمة، لكن في ختام عبرانيين ٢ يقول عن المسيح رب الملائكة، المسيح رئيس الكهنة، إنه هو بنفسه، وليس ملائكته، يعين المجربّين.

«معه أنا في الضيق. أنقذه». وكأن الله يقول: أولاً سأمتعه بحبي واعتنائي به في الضيق، ثم أنقذه بإخراجه من الضيق. فالرب أولاً يأتي إلينا في التجربة ليعطينا انتصاراً فيها، ثم يقودنا خارجها، فيعطينا إنقاذاً منها. وهذا ما حدث في بيت عنيا، بيت العناء والتعب. لقد رأت مريم أولاً دموع الرب تُشاركها الحزن، ثم رأت قوته في الإقامة من الأموات. وهو ما تكرر بعد ذلك مع بولس وسيلّا في سجن فيلبي (أع ١٦: ١٩-٣٩). فكان الله معهم في الضيق، وأعطاهم خلاصاً فيه، ثم أخرجهم من الضيق، وأعطاهم خلاصاً منه. وفي هذا قالت العروس: «شماله تحت رأسي (الشمال ترد أولاً، حيث ينبض القلب بالحب، ثم بعد ذلك)، ويمينه (يمين القوة والعز) تعانقني».

وما أكثر المواعيد التي يُختم بها المزمور (ع ١٤-١٦). إنها مواعيد سبوعية كالآتي: «أنجّبه... أرفعّه... أستجيب له... أنقذه... أمجّده... أشبّعه... أريه خلاصي». ثم إن المجد هناك سيكون هو مكافأة الحياة الغالبة هنا.

هذه المواعيد كلها هي:

*نلاحظ أن الرقم ١٣ هو رقم الشيطان في الكتاب المقدس. انظر مدلولات الأرقام في كتاب "وحي الكتاب المقدس" (الطبعة الثالثة) للمؤلف.

(١) لعارفيه: «أرفعه لأنه عرف اسمي».

(٢) لمحبيه: «لأنه تعلق بي أنجيه».

(٣) لطالبيه: «يدعوني فأستجيب له».

أخي العزيز: هل أنت واحد من هؤلاء السعداء؟

لكن قد يسأل سائل ويقول: "كيف تصدق هذه المواعيد ونحن نرى المتعاصب والمصاعب تواجه المؤمنين؟!". والإجابة أنه علينا أن نتأكد من سلطان الله في دقائق الأمور، فما من شيء صغير يحدث لنا بدون إذن أبينا الصالح المبارك. أليس هذا ما نجده في قصة يوسف في العهد القديم (تك ٣٧-٥٠)، وقصة موت لعازر في العهد الجديد (يو ١١)، وغيرهما الكثير؟ إذا فحياتنا لا تعرف العشوائية والحظ، بل كل أمورنا مع إلها صاحب السلطان والقدرة والحكمة الفائقة.

وفي هذا يقول الرسول: «نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله»، ثم بعد ذلك يقول: «من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟» (رو ٨: ٣٥، ٢٨). فالحصيلة النهائية خير، ولكن هذا لا يمنع الجوع والعري والخطر بل والسيف. ومن آية واحدة نحن نجد الفكرتين السابقتين معاً، فيقول الرسول بطرس: «فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير؟ ولكن إن تألمتم من أجل البر فطوباكم» (١بط ٣: ١٣، ١٤). وهذا معناه أنه لا أذى يمكن أن يصيب المؤمن، ولكنه يمكن أن يتألم.

التطبيق النبوي

لا شك في أن هذا المزمور له تطبيقه على البقية النقية في آخر الأيام. هؤلاء سيسكنون في ستر العلي، ويحميهم القدير من شرور التنين والوحش والنبى الكذاب (ارجع إلى رؤيا ١٢: ١٣، ١٤). وكما أن الرب ملجأ المرنم هنا (ع ٢)، فإنه سيكون ملجأ للمنسحق، ملجأ في أزمنة الضيق (مز ٩: ٩)، ويتكل عليه العارفون اسمه (ارجع إلى ع ١٤ مع مز ٩: ١٠). إنهم بلغة مزمور آخر هم أحميائه الذين لن يظللهم جناح الأرجاس (د ٩١: ٢٧)، بل جناح يهوه (ع ٤).

سيكون هناك مختارون في سني الضيقة، سيخلصون من كل الشرور، ليدخلوا إلى الملك الألفي السعيد، فيشبعون من طول الأيام ويريهم الرب خلاصه. وطبعاً هؤلاء بخلاف

الكثيرين الذين سيموتون شهداء في فترة الضيقة، سواء نصفها الأول (رؤ ٩: ٦-١١)، أو نصفها الثاني (رؤ ١٢: ١١؛ ١٥: ٢، ٣). هؤلاء وأولئك سيقومون في نهاية سني الضيقة، ويكونون ضمن فريق السماويين المالكين مع المسيح (رؤ ٢٠: ٤).

المسيح في المزمور

في هذا المزمور نرى مجموعة من الكمالات الأدبية الرائعة لذلك الشخص الذي مرّرتَه ورمته واضطهدته أرباب السهام ، لكن ثبتت بمثانة قوسه وتشددت سواعد يديه (تك ٢٤: ٢٣، ٢٤): ونلخص تلك الأمجاد الأدبية في السباعية التالية:

كمالات المسيح المتنوعة كما يعلنها المزمور

في هذا المزمور نرى:

- ١- المسيح رجل الشركة.
- ٢- المسيح رجل الغربة.
- ٣- المسيح رجل الاتكال.
- ٤- المسيح رجل الخضوع.
- ٥- المسيح هو الرجل الذي أنقذه الله.
- ٦- المسيح هو الرجل الذي مجّده الله.
- ٧- والمسيح هو الحي إلى أبد الأبد.

١- **المسيح هو رجل الشركة:** فالرب يسوع باعتباره الابن الأزلي، هو من الأزل وإلى الأبد في حضن أبيه، وعندما جاء إلى هذا العالم كان هو الإنسان «الساكن في ستر العلي» كتعبير عن الهجوع والطمأنينة والشركة العميقة مع أبيه. ولكن هل بدأ المسيح شركته مع الله عندما أخذ صورة إنسان؟ بالطبع كلا، لأنه في علاقة مع الله من الأزل، باعتباره الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب. لكنه أراد أن يرينا كيف يمكن للإنسان - رغم كل ما يحيط به من ظروف معاكسة، بل ومضادة - أن يحيا في شركة مع الله! ومن هذه الزاوية علينا أن نتأمل به ونتمثل به، فنسير في إثر خطواته.

٢- **والمسيح هو رجل الخضوع:** فهو - تبارك اسمه - كان ساكناً في ستر العلي (عليون) (ع ١)، وكان هو خاضعاً لذلك العلي، ومطيعاً له على طول الخط، ولسان حاله: «لأنني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يو ٦: ٣٨). وفي آخر الرحلة قال للآب: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢: ٤٢).

٣- **والمسيح هو رجل الاتكال:** فقد كان شعاره دائماً: «أقول للرب ملجأً وحصني إلهي، فأأكل عليه» (مز ٩١: ٢، انظر أيضاً مزمور ١٦: ١، عبرانيين ٢: ١٣). لقد تهكّم الأشرار على المسيح، وسخروا منه وهو على الصليب قائلين: «قد أكل على الله فلينقذه الآن إن أراد» (مت ٢٧: ٤٣). والتهمة التي توجه إلى الإنسان تُظهر معدنه، فهم لم يستطيعوا أن يجدوا علة على دانيال سوي أنه يصلي ثلاث مرات في اليوم! وأما المسيح، فإن الأشرار عندما أرادوا أن يتهكموا عليه لم يجدوا سوى أنه كان على الدوام متكلاً على إلهه! ولقد خبرنا البشير لوقا بما دل على هذا الاتكال إذ ذكر سبع مرات صلى فيها المسيح.

٤- **والمسيح هو الرجل الغريب:** وبقدر شركته مع الله، بنفس القدر كان هو الغريب المنفصل عن هذا العالم (إر ١٤: ٨). لقد كان إبراهيم أعظم الغرباء في هذا العالم (عب ١١: ٩-١٣)، إذ عاش مترفعاً عن دنيا العالم، ولم يكن له في حياته سوى «خيمة» (عب ١١: ٩)، وفي موته «قبر» (تك ٢٣: ٤). أما المسيح فهو بحق الغريب الأعظم، وفي هذا، كما في كل شيء، هو المتقدم. فهو في حياته لم يكن له أين يُسند رأسه (مت ٨: ٢٠)، وفي موته دُفن في قبر ليس له (مت ٢٧: ٦٠).

ونلاحظ أن المسيح الذي جعل العلي مسكنه، تمتع بالوعد «لا تدنو ضربة من خيمتك». فطوال سياحته هنا في البرية لم تدنُ منه ضربة البتة (يو ٧: ٣٠، ٤٤؛ ٨: ٢٠، ٥٩؛ ..).

٥- **والمسيح هو الرجل الذي أنقذه الله:** لم ينقذه من الصليب كما تحدوه وتهكموا عليه، بل أنقذه من بين فكي الموت. ففي أيام جسده «قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمِعَ له من أجل تقواه» (عب ٥: ٧) وهذا ما نقرأه هنا في المزمور «يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق» (ع ١٥). فالله قد سمع صراخه وأقامه من الأموات «إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه (من الموت)» (أع ٢٤: ٢٤).

٦- **وهو الذي مجدَّه الله (ع ١٥):** فلم يكتفِ الله بأن أقامه من الأموات، بل إنه أجلسه عن يمينه في السماويات (أف ١: ٢٠)، ونلاحظ أن الذي أراد أن يصير مثل العلي

طُرِحَ في الهاوية (إش ١٤: ١٥)، أما الذي وضع نفسه وأطاع، وخضع لله، فقد «رَفَعَهُ» الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم» (في ٢: ٩).

٧- والمسيح هو الحي إلى أبد الآبدين: فيقول الآب هنا «من طول الأيام أشبعه» (ع ١٦). فذاك الذي يقول في المزمور المئة والثاني: «لا تقبضني في نصف أيامي»، يجيبه الآب «إلى دهر الدهور سنوك. من قَدَمِ أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك. هي تبید وأنت تبقى، وكلها كُتُوبٌ تبلى، كرداءٍ تَغَيَّرُ هُنَّ فتتغير، وأنت هو وسنوك لن تَفْنَى» (مز ١٠٢: ٢٤-٢٧). ويقول عنه المرنم: «حَيَاةً سَأَلَكْ فَأَعْطَيْتَهُ، طول الأيام إلى الدهر والأبد» (مز ٢١: ٤).

* * *

عَلَّقَ "بللت" على هذا المزمور قائلاً: إن هذا المزمور هو بمثابة مدينة ملجأ للمسيح، كان بوسعه في أي وقت أن يركض إليها. لكنه قَبْلَ أن يتخلى عن هذا الحمى. ومع أنه بلا خطية قَبْلَ أن يكون خطية لأجلنا. لقد أخلى نفسه من حقوقه الإنسانية، تماماً كما أخلى نفسه من مجده الإلهي (في ٢). له كل المجد.

الآية المساوية

«لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طريقك» (ع ١١).

هذه الآية اقتبسها الشيطان مطبقاً إياها على الرب يسوع، عندما جرَّبه في البرية، كالإنسان الكامل، أربعين يوماً وأربعين ليلة، كما نقرأ في متى ٤؛ لوقا ٤. ولقد كان الغرض من هذه التجربة إظهار كمال الإنسان الثاني: الرب يسوع المسيح. وهو في هذا في مفارقة تامة مع الإنسان الأول في الجنة.

لقد كان آدم وسط جنة غناء، فيها كل ما يلذه وينعشه، أما المسيح فكان في برية جدياء ليس له فيها حتى الخبز الضروري. بمعنى أن كل ظروف آدم في الجنة كانت تحتج لصالح الله في وجه العدو، بينما في البرية كانت كل الظروف في طاعة العدو ضداً لابن الله. ولقد سقط الإنسان الترابي فوراً، وأما الرب يسوع فانتصر انتصاراً عظيماً. ونهاية التجربة بالنسبة للمسيح أن أتت الملائكة لتخدمه في البرية، بينما مع آدم وحواء نقرأ عن الكروبيم وسيف اللهب تمنع الإنسان من الاقتراب إلى الجنة.

«لأنه يوصي ملائكته بك»

- كم خدمت الملائكة المسيح لما كان بالجسد هنا على الأرض.
- فهي التي أعلنت البشرى بمولده (مت ١: ٢٠؛ لو ١: ٣١؛ ٢: ١٤).
- وفي البرية أتت لتخدمه (مر ١: ١٣).
- وطوال سني خدمته كانت صاعدة ونازلة عليه (يو ١: ٥١).
- وفي بستان جسيماني أتى ملاك من السماء ليقويه (لو ٢٢: ٤٣).
- ولو أراد لطلب من أبيه فأرسل له اثني عشر جيشاً من الملائكة (مت ٢٦: ٥٣).
- وفي القيامة: دحرج الملاك حجر القبر وجلس عليه، وأعلن قيامته (مت ٢٨: ٢؛ انظر أيضاً مر ١٦: ٥-٧؛ لو ٢٤: ٤-٧، ٢٣: ٧؛ يو ٢٠: ١٣).
- وعند الصعود جاء ملاكان ليعلنا وصول الرب إلى السماء، وعودته ثانية إلى الأرض من السماء - متى آن الأوان - لتأسيس الملكوت (اع ١: ٩).

عندما اقتبس الشيطان هذه الآية المصاوية الواردة في مزمو ٩١: ١١، فإنه كعادته حوّر في الآية لتخدم مقاصده الخبيثة. لقد قال للمسيح: «إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب إنه يوصي ملائكته بك، فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك». لقد حذف الشيطان منها عبارة «في كل طرقك»، وكأنه مصرّح للمؤمن بأن يضع نفسه في التجربة ليرى إذا ما كان الله سيعتم وعده أم لا. في التجربة الأولى طلب

الشيطان من المسيح أن يجعل الحجارة خبزاً، فلما رفض المسيح أن يعمل شيئاً بالانفصال عن الآب أو أن يساعد نفسه، كأن الشيطان يقول للمسيح: إن كنت لا تريد ممارسة قوتك الإلهية لتساعد نفسك، إذاً فاجعل أباك يستخدم قوته لمساعدتك. والمسيح لو فعل ذلك، لكان قد جرب الرب كما فعل بنو إسرائيل في البرية. لهذا فإن المسيح قال للشيطان: «ومكتوب أيضاً: لا تجرب الرب إلهك» (مت ٤: ٧؛ لو ٤: ١٢).

وإذا سألنا: لماذا انتصر الرب يسوع على الشيطان؟ فالإجابة هي: لأنه كان في ستر العليّ، ولم يخرج من هذا المكان قطّ، إلا طوعاً وباختياره، في ساعات الظلمة فوق الصليب. لقد أظهرت تجربة المسيح من إبليس حقيقة شخصه الكريم. ولأن المسيح كان خاضعاً لسلطان الله فقد تمتع بكل قوته.

علّق أحد الأفاضل على هذا قاتلاً: «هذا الإنسان الفريد، شرور الأرض لم تدن منه (٩٤، ١٠٤)، جنود السماء طوع أمره (١١٤، ١٢)، وقوات الجحيم تحت قدميه (١٢٤)».

المزمور المئة والثاني

المسيح رجل الأحزان الحقيقي

المزمور في كلمات

مزمور مسياوي، فيه نجد أحزان وآلام المسيح، ليست تلك التي احتملها من يد البشر، ولا الآلام الكفارية، بل كمن قُطع في نصف أيامه. وبرغم أنه التقى الذي له كل المواعيد، فما هو يذوي ويذبل. لكن المزمور في النهاية يتضمن الرجاء، سواء من جهة ظروفه الشخصية، أو من جهة الأمة التي يمثلها هنا.

الاقتباسات

اقتبس الروح القدس من هذا المزمور الأعداد ٢٥-٢٧ ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ١-١٢ «وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثر تبلى، وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى».

الكاتب والمناسبة

لم يذكر لنا الوحي اسم الكاتب. والبعض يعتقد أنه دانيال نظراً لتشابه ظروف المزمور بصفة عامة مع اختباراتهم. والبعض الآخر يعتقد أن له أكثر من كاتب: ف قيل إن الجزء

الأول من المزمور (ع ١١-١٠) كتبه حزقيا الملك (قارن مع صلاته في إشعياء ٣٨). والجزء الثاني (ع ١٢-١٧) كُتب قرب نهاية السبي، وربما يكون كاتبه دانيال. ثم بعد الرجوع من السبي، إذ اتضح للأنقياء أن رجوعهم كان في ضعف، ولا يتناسب مع أمانيتهم القومية، فقد قام ثالث بكتابة هذا الفكر (ع ١٨-٢٢). وأخيراً أضاف عزرا الفقرة الرابعة والأخيرة (ع ٢٣-٢٨) وقام بجمع هذا المزمور وإضافته إلى سفر المزامير.

عنوان المزمور

«صلاة لمسكين إذا أعييا وسكب شكواه قدام الله».

كثيراً ما يُوصف المسيح بكلمة «المسكين» في سفر المزامير، فهي تتكرر عنه مرات عديدة في هذا السفر (٢٤: ٢٢؛ ٤٠: ١٧؛ ٤١: ١؛ ٦٩: ٢٩؛ ٧٠: ٥؛ ٨٨: ١٥؛ ١٠٩: ١٦؛ ...). ونحن نعرف لماذا أصبح هذا المجيد المرتفع مسكيناً «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره (٢كو ٨: ٩).

«صلاة لمسكين»: إن ما أشار إليه الرسول بولس في عبرانيين ٥ عن طلبات وتضرعات المسيح لا يمكن أن نحصره فقط في صلاته في بستان جثسيماني، بل إنها طلباته وتضرعاته في كل أيام جسده، ومن بين هذه الصلوات ما ورد في الأعداد من ٤ - ٦ من مزمورنا هذا. وتأتي كلمة «أعييا» في ترجمة داربي «overwhelmed» أي وصل إلى أقصى حالة من الإعياء والضغط النفسي الشديدين، فأصبح مغموراً في الأحزان. وهنا نتذكر كلماته - تبارك اسمه - لتلاميذه وهو في جثسيماني: «نفسي حزينة جداً حتى الموت». ولقد قال واحد إن هذه العبارة في الأصل اليوناني، لا يمكن التعبير عنها بدقة في أي لغة من اللغات، وأقرب ترجمة لها هي: «نفسي محاطة من كل جهة بالحزن».

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

الكتاب الرابع من سفر المزامير (٩٠-١٠٦) الذي يقابل سفر العدد في أسفار موسى الخمسة، مُقسَّم إلى مجموعات مختلفة من المزامير المرتبطة معاً. فالمزمور التسعون

* انظر المزمور ٤١، ولا سيما ص ١٣٠، ١٣١.

يرتبط بالمزمور الحادي والتسعين كما ذكرنا سابقاً، والمزمور الأول بعد المئة يرتبط بالمزمور المئة والثاني. فالمزمور الأول بعد المئة هو مزمور الملك العادل الذي يتسلط على الناس بخوف الله، ويحكم بالعدل والحق للمساكين. والمزمور المئة والثاني هو مزمور الملك المرفوض من الناس. وهذه الثنائية تذكرنا بثنائية مزموري ٢، ١ حيث في مزمور ١ نجد الرجل البار، ولكن في مزمور ٢ نجده هو نفسه الملك المرفوض.

أقسام المزمور

يمكن تقسيم هذا المزمور بطريقتين:

أولاً: التقسيم الثنائي للمزمور

تلخصه العبارة الشهيرة «الآلام التي للمسيح، والأمجاد التي بعدها» (ابط ١: ١١). وفي هذا التقسيم تتكرر الآلام مرتين، والأمجاد مرتين أيضاً كالآتي:

- ١- الآلام التي للمسيح (١١-١٤).
 - ٢- الأمجاد التي بعدها (١٢٤-٢٢).
 - ٣- الآلام التي للمسيح: حيث يعود المرنم مرة أخرى للحديث عن آلام المسيح (٢٣٤، ٢٤ الجزء الأول).
 - ٤- الأمجاد التي بعد الآلام (النصف الثاني من ٢٤٤-٢٨).
- ومن الجميل أن ندرك أن المسيح أتى وسيأتي أيضاً: فقد جاء مرة مجيء الاتضاع، وهذه المرة كانت مرتبطة بالآلام وبعمل الكفارة على الصليب «عند دخوله إلى العالم» (عب ١٠: ٥). وسيأتي ثانية بالمجد والقوة، وسيملك كالمملك الكبير على كل الأرض (مز ٤٧: ٢)، وستسجد له كل الملائكة، لأنه «متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله» (عب ١: ٦).

ثانياً: التقسيم الثلاثي للمزمور

- ١- صلاة (١١-١٤).
- ٢- أناشودة انتصار (١٢٤-٢٢).
- ٣- عودة للصلاة مرة أخرى (٢٣٤-٢٨).

أو بعبارة أخرى:

أ- كلام شخصي (ع ١١-١١).

ب- كلام قومي (ع ١٢-٢٢).

ج- كلام شخصي (ع ٢٣-٢٨).

أو يمكن تقسيم المزمور أيضاً بطريقة أخرى كما يلي:

١- نعمة مليئة بالحزن والأسى (ع ١١-١١).

٢- نعمة مليئة بالثقة والرجاء (ع ١٢-٢٢).

٣- مزيج بين النغمتين (ع ٢٣-٢٨).

أو يمكننا النظر إلى هذه الأقسام الثلاثة بطريقة مختلفة كالآتي:

أ- هشاشية الإنسان (ع ١١-١١).

ب- سرمدية الله (ع ١٢-٢٢).

ج- مزيج بين هشاشية الإنسان وسرمدية الله (ع ٢٣-٢٨). أو بالحري مزيج

من الظلال والنور، وإن كانت الأرجحية تميل ناحية النور.

الدروس الأدبية والتعليمية

«صلاة لمسكين» قد تفهم كلمة «مسكين» هنا بمعنى الفقير، وهذا صحيح! فلقد افتقر سيدنا وهو الغني، وقد وصل في فقره إلى ما لم يصله أي إنسان قبله أو بعده. ولكن هذا ليس كل ما تحويه هذه الكلمة العجيبة من معانٍ. فلقد كان محتقراً ومخدولاً من الناس (إش ٥٣: ٣)، كما كان وحيداً غير مفهوم حتى - في بعض الأحيان - من تلاميذه (مت ١٦: ١١، ٢٢، ٢٣؛ مر ٧: ١٨؛ يو ٩: ١٤؛ ...)، وأخيراً ترك من الجميع وأمسى وحيداً، إلا من وجود أبيه معه (يو ١٦: ٣٢)، ولكن في ساعات الظلمة وصلت مسكنته إلى منتهاها عندما ترك من الله (مت ٢٧: ٤٥، ٤٦).

وسكب الشكوى قدام الله، يذكرنا بما فعلته قديماً حنة وبما فعله أيضاً إرميا (صم ١٠: ١٦؛ إر ٢٠). والمسيح هنا يسكب شكواه أمام الملجأ الوحيد الذي يستطيع أن يسكن الآلام، ويعالج الجروح، ويكفكف الدموع. وهو في هذا قدوة لنا، فعندما تضيق بنا الحياة ونعيا، علينا أن نهرع إليه (مز ٩: ٩، ١٠).

تعليق على القسم الأول: م ١-١١

«يا رب استنم صلاتي، وليدخل إليك صراخي. لا تحجب وجهك عني في يوم ضيقي. أمل إليّ أذنك في يوم أدعوك استجب لي سريعاً» (٢٠،١ع).

أكثر ما يؤلم القديس هو أن يحس أن صلاته وصرخاته لا يسمعها الله. وها الرب هنا يعبر عن شوق جارف لديه كي يسمعه الله. وكأنه وهو يقول له: «لا تحجب وجهك عني»، يناجيه قائلاً: دعني أراك قريباً مني.

«حتى سهوت عن أكل خبزي» (٤ع).

نقرأ في مزمور ١٠٧: ١٧ «والجهال من طريق معصيتهم ومن آثامهم يذلون. كرهت أنفسهم كل طعام، واقتربوا إلى أبواب الموت». ولا غرابة أن يحدث مثل هذا للجهال العصاة الأثمة. أما الحكمة المتجسد، أما البار الخاضع، فقد احتمل هذا في سبيل محبته لنا. ونحن قد نختبر مثل ذلك، عندما ندخل في ضيقات شديدة، فنفقد الشهية للأكل، ويطير النوم من أعيننا، وهذا بالطبع في ضعف إيماننا.

تعليق على القسم الثاني: م ١٢-٢٢

نلاحظ أن اسم الرب ورد مرة واحدة في القسم الأول، ومرة واحدة في القسم الثالث، بينما ورد في القسم الأوسط سبع مرات. فحقاً لا شيء يعزّي القلب المتألم ويشجّع النفس الخائفة في وقت التجارب والصعوبات، قدر الالتجاء إلى الرب، والتأمل في سرمدية الله، وعدم محدوديته.

«أنت تقوم وترحم صهيون لأنه وقت الرأفة لأنه جاء الميعاد» (١٣ع).

كم هي جميلة ومعزية العبارة «لأنه قد جاء الميعاد». وعندما يحين الميعاد لا تقدر قوة في الأرض، أن تقف في وجه تحقيق مقاصد الله. ألا يذكرنا هذا بما حدث في قصة يوسف وهو في أرض مصر. لقد تأنى الله عليه، لكن عندما أتى الميعاد، أسرعوا به من السجن (تك ٤١: ١٤)، كقول المرنم في المزمور ١٠٥: ٢٠، «إلى وقت مجيء كلمته، قول الرب امتحنه. أرسل الملك فحله».

«التفت إلى صلاة المضطر ولم يرذل دعاءهم» (١٧ع).

وهو تعبير جميل «صلاة المضطر». وما أجمل أن تكون لنا مثل هذه الصلوات التي تجعل الله بدوره - إن جاز القول - مضطراً ليلتفت إلى صلواتنا، وأن يقول بلغة العريس

في سفر النشيد: «حولني عني عينيك، فإنهما قد غلبتاني» (نش:٦:٥). ومثل قاضي الظلم يحتوي على درس روي على جانب كبير من الأهمية لنا. ولقد قال المسيح تعليقاً على هذا المثل «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهراً وولياً، وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً» (لو:١٨:٨،٧). وهو عين ما نتعلمه من مثل صديق نصف الليل (لو:١١:٥-١٠). ومن هذين المثلين نتعلم أن المضطر ليس بحاجة لأحد يعلمه التوسل واللجاجة.

تعليق على القسم الثالث: ٢٣-٢٨

ذاك المجيد، الذي عمل العالمين منذ القديم بكلمة، والذي السماوات هي عمل يديه (ع:٢٥)، ها هو يصنع بنفسه تطهيراً لخطايانا (ارجع إلى عب:١:٣،٢). الكلفة هنا أكبر بكثير. وعندما يقول الوحي في الآيات التي أمامنا عن الأجرام السماوية «كلها كثوب تبلى» (ع:٢٦). فإن هذا تعبير في غاية الدقة العلمية. لقد أكدت نظريات الديناميكا الحرارية تناقص كتل الأجرام السماوية باستمرار، وبالتالي فإنها «تبيد» (لاحظ صيغة المضارع المستمر) وأيضاً عبارة «تبلى» كالثوب. والثوب كما نعلم لا يبلى بين يوم وليلة، بل يأخذ في التقادم رويداً رويداً، ببطء ولكن بثبات. هكذا هنا أيضاً. لكن لا يُختم المزمور إلا بالتأكيد على ثبات الله (ع:٢٦،٢٧). ويا له من أمر معزٍ، فإنه نتيجة ثبات الله، أننا لم نفن (ع:٢٨ ارجع إلى ملا:٣:٦).

التطبيق النبوي

عرفنا أن الروح القدس في هذا المزمور، لا يكلمنا مباشرة عن آلام المسيح الشخصية، ولا عن آلامه الكفارية، بل آلامه وهو يشارك شعبه في آلامهم وأحزانهم. لقد دخل المسيح في النوع ذاته لأحزان الأمة وهي جالسة وحدها باكية ودموعها على خديها (مرا:١:١). تلك الأمة التي ارتفعت جداً، ثم هوت إلى الحضيض* (قارن ع:١٠). لكن بينما حدث ذلك للأمة بسبب خطاياها، فقد حدث نفس الشيء للمسيح بسبب خطايانا نحن.

* لقد شارك المسيح شعبه في آلامهم واختبر هذه الآلام، إذ يقول هنا: «بسبب غضبك وسخطك لأنك حملتني وطرحتنني» (ع:١٠). في أماكن أخرى يضيف كلمة «علي»، «غضبك علي»، أما في هذا المزمور فقصد ألا يقصر الآلام عليه هو وحده، بل يضم معه شعبه في هذه الآلام.

ونحن نرى الرب هنا يُتحد نفسه مع البقية في آلامها وآمالها. ولذلك فإنه يتحول إلى الحديث عن المجد العتيد والرحمة المخزونة لهم.

لقد سرَّ الرب في نعمته أن يفتقد الآن الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه «وهذا توافقه أقوال الأنبياء كما هو مكتوب: سأرجع بعد هذا وأبني أيضاً خيمة داود الساقطة وأبني أيضاً ردمها وأقيمها ثانية» (أع ١٥: ١٥، ١٦). وهذا معناه أنه بعد الاختطاف، سيرجع الله ليتعامل مع شعبه الأرضي القديم ويرحمهم «أنت تقوم وترحم صهيون، لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد» (ع ١٣). وهذه العبارة تذكرنا بقول النبي إشعياء وهو يتحدث عن أمجاد الأمة مستقبلاً: «أنا الرب في وقته أسرع به» (إش ٦٠: ٢٢).

وعبارة «جاء الميعاد»، تشير في تطبيقها المبدئي إلى نهاية السبعين سنة للشعب في السبي البابلي (إر ٢٩: ١٠؛ ٣٠: ١٨)، ولو أن روح الله كعادته يلمح إلى المجد المستقبل، فيمتد بصر النبوة إلى نهاية السبعين أسبوعاً التي تكلم عنها دانيال النبي (دا ٩: ٢٤-٢٧).

«لأن عبدي قد سروا بجاراتها، وحضوا إلى ترابها» (ع ١٤). قارن مع إشعياء ١١: ٥٤، ١٢؛ نح ٢: ١٣.

«إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده» (ع ١٦).

يوضح المزمور هنا، أن بناء الرب لصهيون مؤسس على أمانة الرب (ارجع إلى ع ١٢)، وعلى رحمته (ع ١٣). فالمرامح والأمانة هما دعامتان أساسيتان لرد الشعب، وبركتهم في المستقبل (ارجع إلى هوشع ٢: ١٩، ٢٠).

ونلاحظ أن الرب هو باني الكل: فقد بنى البيت قديماً أيام موسى (عب ٣: ٣)، وهو الآن يبني الكنيسة (مت ١٦: ١٨)، وفي المستقبل سيبني صهيون.

وعبارة «يرى بمجده»، عبارة تدعو للتعزية. صحيح أن الرب دائماً مجيد، لكنه سيُرى آنذاك بمجده، وستمتلئ الأرض من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر (حب ٢: ١٤). يومها سيكون مجد الرب مثل الشمس الساطعة التي تهزم كل الغيوم، فتنبتد من أمامها.

ثم إن عبارة «التفت إلى صلاة المضطر، ولم يرذل دعائهم» (ع ١٧) تفيد أن الرب لن يخلص صهيون دون توبة الشعب. وصلاة المضطر تشير إلى صلوات البقية المتألّمة من اضطهاد الوحش والنبي الكذاب في ضيق الأزمنة، ممثلة بالأرملة التي كانت تصرخ

للقاضي لينصفها من خصمها (لوقا ١٨: ١-٨). ونحن نجد العديد من الأمثلة على صلاة المضطر تشغل مكاناً بارزاً في سفر المزامير.

«يُكْتَبَ هذا للدور الآخر وشعب سوف يُخْلَق يسبح الرب» (ع ١٨).

والشعب الذي سوف يُخْلَق هو إسرائيل الجديد (ارجع إلى مز ٢٢: ٣١).

«ليسسم أنين الأسير، ليطلق بني الموت» (ع ٢٠).

بنو الموت هم البقية النقية الذين سيحسون أنه لا مستقبل لهم سوى الموت (ارجع إلى مزور ٧٩: ١١). ونرى صورة لهم في بطرس الذي كان هيرودس مزماً أن يقتله في الغد، لكن الرب أطلقه من السجن في تلك الليلة عينها. هكذا سينجي الرب البقية النقية من بطش النبي الكذاب في ذلك الزمان العصيب الذي قال عنه الرب إنه لو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد» (مت ٢٤: ٢٢).

ثم تحدثنا الآية الأخيرة في هذا القسم عن عاقبة الرب. وهنا يقول الوحي: «عند اجتماع الشعوب معاً والممالك لعبادة الرب» (ع ٢٢). هذه العاقبة المجيدة آتية لا ريب في هذا. «أنا الرب، في وقته أسرع به» (إش ٦٠: ٢٢). وهو ما لا بد أن يحدث حرفياً في زمان الملك الألفي السعيد (ارجع إلى زكريا ٨: ٢٠-٢٣).

المسيح في المزمور

ننتبع ذلك في أربع ثنائيات كالآتي:

اللاهوت والناسوت:

هذا المزمور العجيب يجمع ما بين ناسوت ربنا القدوس وبين لاهوته المجيد. ففي ناسوته ومحدودية عمره يقول «لأن أيامي قد فنيَتْ في دخانٍ وعظامي مثل وقيدٍ قد ببست». ولكنه باعتباره الله هو الأزلي، الذي منذ الأزل إلى الأبد هو الله، القديم الأيام الذي خاطبه الأب بالقول: «وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك، هي تبديد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى» (عب ١٠: ١-١٢ اقتباساً من ع ٢٥).

يقول البشير: «الكلمة صار جسداً وحل بيننا» (يو: ١: ١٤)، إن الذي ولد من امرأة هي العذراء مريم، هو بعينه الذي لا بداية أيام له ولا نهاية حياة. وبينما يشير المزمور في صور ليس لها نظير، إلى مسكنته وذله وضعفه، فإنه في المزمور عينه يحدثنا عن لاهوته وخلقه للعالمين.

يا له إذاً من شخص* فريد وعجيب!! فهو باعتباره الإنسان قد أعيا في أيام جسده، وظهر له في بستان جثسيماني ملاك من السماء ليقويه[†] (لو: ٢٢: ٣٤)، ولكن باعتبار لاهوته فإنه «يُعطي المعنى قدرة، ولعديم القوة يكثر شدة» (إش: ٤٠: ٢٩).

الرفعة والهوان:

«أنتك حملتني وطرحتنني» (ع: ١٠).

وهي عبارة تعني أنك رفعتني عالياً ثم طرحتني بعنف. ونحن نرى ذلك في أحداث الأسبوع الأخير من حياة الرب بالجسد على الأرض. ففي يوم الأحد حدث من الإكرام للمسيح ما لم يحدث مع أي إنسان على الأرض، إذ عند دخوله مدينه أورشليم، لم يفرشوا له السجاد أو الرمال، بل فرشوا ثيابهم. كما أن المدينة كلها ارتجت، فلم يكن هناك بيت واحد لم يسمع بخبر دخول الملك إلى مدينته. وقد امتلأت المدينة بصوت المرحبين: «أوصنا لابن داود». وبعدها بأيام قليلة رأى مذلة وهواناً لم يتعرض لمتلهما أحد قط في كل التاريخ، من سخرية واحتقار وتعذيب.

نقرأ في (ع: ٨): «الحنفون عليّ حلفوا عليّ» (أو حلفوني)». يا للهوان أن يقف رب المجد، الديان الأعظم، أمام أناس أردياء، ويحلفوه كمتهم (مت: ٢٦: ٦٣) وهو ما كان يحدث في الناموس مع المرأة المشكوك في سلوكها (عد: ٥: ٢١). ونحن نجد في القسم الأول كله حديثاً مزيهاً عن الهوان الذي قاساه المسيح له المجد. ويختم بكلماته في ع: ١١ الذي هو لسان حال الرب نفسه، أما ع: ١٢ فهو جواب الآب عليه، ونفس الأمر أيضاً في ع: ٢٤، فالجزء الأول منه هو لسان حال الرب، والجزء الثاني منه هو جواب الآب له.

* كان التابوت قديماً - وهو أحد الرموز الجميلة للمسيح - يتكون من خشب السنت ويغشى بالذهب النقي. والخشب صورة لناسوت المسيح القدوس، والذهب النقي صورة جميلة للاهوت المسيح (خر: ٢٥: ١٠-٢٢).
† يرجح البعض أن الملاك الذي جاء ليقويه نطق على مسامحه بكلمات هذا الجزء العجيب من كلمة الله (ع: ٢٤ب-٢٧). فإن كلمة الله هي التي تقوي المؤمن (ارجع إلى دانيال ١٠: ١٦-١٩). والمسيح هنا كرئيس الإيمان ومكملة، تقوى في نفسه بهذه الكلمات المباركة.

الآلام والأعاجاد:

نجد في هذا المزمور كلاماً كثيراً عن آلام المسيح وتتهادته (ع ١٤-١١، ع ٢٣، ٢٤)، وأيضاً نقرأ عن الأعاجاد التي بعد هذه الآلام (ع ١٢-١٦، ع ٢٥-٢٨).

والآلام في هذا المزمور، كما ذكرنا سابقاً، هي آلام المسيح وهو يشارك شعبه في أحزانهم وضيقهم. ها الرب نفسه هنا قد سبق شعبه في طريق الآلام.

ونحن نجد الكثير من أحزان المسيح في هذا المزمور، فالمسيح هو رجل الأحزان الحقيقي، عنه انطبقت كلمات المراثي: «أما إليكم يا جميع عابري الطريق، تطلعوا وانظروا إن كان حزن مثل حزني الذي صنع بي، الذي أذلني به الرب يوم حمو غضبه» (مرا ١: ١٢).

وهنا نسمعه - من شدة أحزانه - يقول:

«سهمتُ عن أكل خبزي» (ع ٤٤؛ مع مز ١٠٧: ١٨).

«سهمت» (ع ٧).

«مزجت شرابي بدموع» (ع ٩٤؛ مع مز ٨٠: ٥).

فكم من ليالٍ مرت عليه دون أكل أو شرب أو نوم. فعندما كان يتذكر هول الجلجلة ورعبها فأثمة شهية تبقى له بعد ذلك؟! وأي نعاس ممكن أن يتسرب إلى جفونه؟!

لكن آلام المسيح ليست هي نهاية المطاف، ولا هي الكلمة الأخيرة. وكما تمت آلام المسيح حرفياً، فهكذا أيضاً ستم أمجاده العظيمة حرفياً.

نحن اليوم في زمن صبر المسيح، والعالم الموضوع في الشرير، لا يعرف المسيح بل يبعضه، ويبغض كل أتباعه. ونحن المؤمنون نسير في ذات الطريق الضيق الكرب، حاملين الصليب، سالكين في طريق العار والازدراء، لكن عن قريب سيتم القول: «إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢ تي ٢: ١٢).

أزليته وقصر أيامه

ذاك السرمدي، الأزلي الأبدى، الذي أسس الأرض والسماء منذ القديم (ع ٢٥)، والذي سيبقى بعد أن تتبد السماء والأرض (ع ٢٦)، نقرأ هنا كيف قصرت أيامه كأيام البشر (ارجع إلى مزمور ٨٩: ٤٧)، بل وأقل. ولقد أشار إلى ذلك في ثلاثة تشبيهات:

”دخان“ (٣٤): يتلاشى سريعاً.

و”عشب“ (٤٤، ١١)، يبيس سريعاً (مز ٩٠: ٥، ٦).

ثم ”ظل عند ميله“ (١١٤). أي الظل ساعة الغروب، إذ يتحرك بسرعة لكي ينتهي إلى الظلام. هو تشبيه يوضح السرعة، وأيضاً النهاية المظلمة، حين تغيب الشمس ولا يبقى شيء سوى الظلام!

ثم في ختام المزمور يرد في صلاته: «أقول يا الهي لا تقبضي في نصف أيامي» (٢٤٤). إنه بحق العود الرطب (لو ٢٣: ٣١)، الفريك الذي قُطع وهو لا يزال أخضر (٢٤: ١٤).

وحقاً كما قال ريدوت: ”يا للعجب أن ذاك الذي كان يتنهد حزينا حتى الموت في بستان جسيماني، ابن الله المبارك في مكان اتضاعه، يخاطبه الله كخالق السماء والأرض. وعندما يبيد كل ما حولنا، وعندما تنحل العناصر وتذوب، سيبقى هو له المجد في كل سلطانه ومجده الأبدي“.

تشبيهات للمسيح من الطيور

«أشبهت قوق البرية، صرت مثل بومة الخرب، سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطم» (٧، ٦٤)

مع أن المسيح في أماكن أخرى شُبه بالنسر القوي (خر ١٩: ٤؛ تث ٣٢: ١١) أو بالحمام الطاهر (لا ١١: ٥)، لكنه هنا يشبه بالطيور التي تشير إلى البؤس والحزن. لقد ذهب الضياء من العيون، والجمال من الوجه، وذلك بسبب ما تعرض له من صوم وتنهّد، وسهاد، وعار، ووحدّة، وعداوة.

ويذكر في هذا المزمور (١٠٢) ثلاثة تشبيهات من الطيور كالاتي:

١- قوق البرية: أو جع البراري. والقوق هو أشد الطيور عبوسة وكآبة. وهو

صورة رمزية للشخص المكتوب عنه «رجل أوجاع ومختبر الحزن» (إش ٥٣: ٣).

ثم إن القوق طائر يلذ له العيش في الماء، فماذا تكون حالته لو أخذ من الماء إلى البرية؟! أي ظروف عكس التي اعتاد عليها تماماً. هكذا كان ربنا المعبود على هذه الأرض، لقد أتى من السماء حيث القداسة والنور والحب إلى عالم غريب معادٍ مختلف عن طبيعته كل الاختلاف.

٢- بومة الخرب: التي تسكن عادة في الخرب، والأماكن المهجورة، والمسيح كان في نظر الأمة كبومة الخرب «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه» (إش ٥٣: ٢).

٣- عصفور منفرد على السطح: العصفور بطبيعته كائن اجتماعي، يتألم وينوح إذ فقد رفيقه، وكما يكون حزنه عند شعوره بالانفراد والعزلة! وكما كان حزن ربنا يسوع واكتأبه: «نفسى حزينة جداً حتى الموت». فعند القبض عليه، تركه تلاميذه الأعباء وهربوا، وفوق الصليب تركه الله القدوس، لأنه كان يمثل الأثمة وينوب عنهم. فبما لرهبة هذه العزلة والانفراد!!

كل الخليقة خلقت به وله، وهي تعلن كلها - بصورة أو بأخرى - عن أمجاده وعمله. ولو سألت: «لماذا خلق الله القوق والبوم؟»، فيمكننا أن نجيب بالقول «لكي تصور لنا بطريقة أوضح* شدة أحزان نفسه في طريق خلاصنا».

في كل حياته كان المسيح مثل قوق البرية، وفي جسيماني وجباتاً حيث حوكم من يد البشر، وأهين، كان مثل بومة الخرب. وأخيراً في جلسة كان كعصفور منفرد على السطح!!

الآية المسبوبة

«وَن قَدَمَ أَسَسَتِ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتِ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى، وَكَلِمَا كَثُوبٍ تَبْلَى، كَرْدَاءَ تَغْيِرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسَنُوكُلُنْ تَنْتَهِي» (ع ٢٥٤-٢٧).

اقتبست هذه الآية العجيبة في الرسالة إلى العبرانيين ١: ١٠-١٢، ولقد أصاب المفسر اليهودي الذي آمن بالمسيح، أدولف سافير، عندما قال: إنه لو لم يقل الرسول في عبرانيين ١ إن الكلام هنا في ع ٢٤ ب - ٢٧ هو عن المسيا المتألم، لما جرؤ أحد أن يطبق هذه الآيات عليه.

* قال أحد علماء الطيور بعد دراسة: «إنه لا يوجد طائر حزين ككبيب مثل القوق، ولا يلذ لطائر السكنى في الخرائب مثل البومة، ولا يوجد من يعاني الوحدة الشديدة مثل العصفور عندما يفقد أليفه».

يا للعجب أن ذاك الذي كان يتهدد حزينا حتى الموت في بستان جثسيماني، يخاطبه الأب باعتباره الرب، وأن المسكين الذي أعيأ (بحسب عنوان المزمور) هو نفسه الذي أسس الأرض منذ القديم، وهو الذي يبقى بعد أن تزول السماوات والأرض!

إننا عندما نراه جائلاً في اتضاع، وكأنه متسربل بجلود التخس، أو نسمعه مصلياً في خضوع، مُخفياً مجده الفائق عن الأنظار، فإننا ندرك، ولو القليل، لماذا دُعي اسمه عجبياً (قض ١٨:٣؛ إش ٦:٩)، ونشعر بالرغبة في أن نصيح مع توما قائلين: «ربي وإلهي»؟

لكن الرسول في هذه الآية العجيبة ينتقل بسرعة من الخليقة إلى زوال الخليقة، من تكوين ١:١ إلى رؤيا ١١:٢٠. فالمسيح هو الذي خلق العالمين بكلمته، ويحملها الآن بكلمته، وهي محفوظة بتلك الكلمة عينها إلى يوم زوالها (٢بط ٧:٣)، أما هو نفسه فيبقى وسنوه لا تنتهي.

إننا نعيش في عالم متغير. ومع أن هناك من يدّعي بأن كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة (٢بط ٣:٤)، لكن كلمة الله تعلن أن كل هذه تنحل (٢بط ٣:١١، ١٢). وليس ذلك فقط، بل إنها تعلن بوضوح أن شخصاً واحداً لا يتغير «أنت تبقى». إنه هو الكائن بذاته، الذي لا يتغير، ولذلك فإن الله الأب قال له بحسب أصحاب ١٢:١ «أنت أنت»، والروح القدس في أصحاب ٨:١٣ قال عنه: «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد».

وعلينا أن ندرك أن التعبير «سنوك لن تنتهي» لا يتعلق بمكانة سيدنا كالله والرب، فمن هذه الناحية لا سنين له إذ هو الأزلي الأبدى، لكن هذا التعبير يرتبط بذلك الذي مات وقام، وهو حي إلى أبد الآبدين (رؤ ١:٨).

المزمور المئة والعاشر

المسيح الملك الكاهن

المزمور في كلمات

قال واحد: "كلمات هذا المزمور قليلة، ولكنها محمّلة بالمعاني الثقيلة والعميقة". ومع أنه أصغر المزامير المسياوية، لكنه يحدثنا عن أروع حقائق الإيمان المسيحي: فالآية الأولى تحدثنا عن لاهوته، والأخيرة عن ناسوته، والوسطى عن كهنوته، كما أننا نجد فيه الحديث المتبادل بين الآب والابن، والحديث عن ملكه العتيد، وعن يوم النعمة الحاضر، ويوم النعمة في المستقبل.

الاقتباسات

اقتبس من هذا المزمور في العهد الجديد أكثر مما اقتبس من أي مزمور من المزامير المسياوية الأخرى. واقتبس منه في الأناجيل والأعمال والرسائل، وروحه نجدها في سفر الرؤيا.

الآية الواردة في ع ١: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» اقتبست في العهد الجديد سبع مرات.

لقد اقتبسها الرب يسوع مطبقاً إياها على نفسه، وذلك في المواضع الآتية:

(مت ٢٢: ٤٣، ٤٤) «قال لهم: فكيف يدعو داود بالروح رباً قائلاً قال الرب لربي

اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

(مر ١٢: ٣٦) «لأن داود نفسه قال بالروح القدس: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

(لو ٢٠: ٤٢، ٤٣) «وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

كما اقتبسها الرسول بطرس في سفر الأعمال ٢: ٣٤، ٣٥ «لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

واقتبسها الرسول بولس في اكورنثوس ١٥: ٢٥ «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه».

وأيضاً في رسالة العبرانيين ١: ١٣ «ثم لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

وأخيراً في رسالة العبرانيين ١٠: ١٢، ١٣ «وأما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه».

الآية الواردة في ع ٤: «أقسم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

اقتبسها الرسول بولس في الرسالة إلى العبرانيين، أو أشار إليها سبع مرات:

«كما يقول أيضاً في موضع آخر: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (عب ٥: ٦).

«مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق» (عب ٥: ١٠).

«حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد» (عب ٦: ٢٠).

«ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق...؟» (عب ٧: ١١).

«وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر» (عب ٧: ١٥).

«لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (عب ٧: ١٧).

«لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة، وأما هذا فبقسم، من القائل له: أقسم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (عب ٧: ٢١).

الكاتب والمناسبة

هو داود، ولو أنه قطعاً لا يتكلم عن داود. فداود لم يشغل قط وظيفة الكهنوت (٤ع)، حتى ولو قام - في ظروف خاصة - بعمل الكهنة (٢صم ٦: ١٣، ١٧، ١٨)، أو أكل - في ظروف استثنائية - الخبز الذي لا يحل أكله إلا للكهنة (١صم ٢١: ٦؛ مت ١٢: ٤).

وهناك أجزاء من الوحي، ومن سفر المزامير خاصة، لا يهم فيها شخصية الكاتب، لكن ليس هكذا هذا المزمور، إذ يحرص الوحي على أن يسجل أن داود هو كاتبه. وقد أشار المسيح إلى ذلك عندما سأل الفريسيين: إن كان المسيح هو ابن داود، «فكيف يدعوه داود بالروح رباً؟» (مت ٢٢: ٤٣)!

والمناسبة التي كُتِب فيها هذا المزمور غير معلومة على وجه التحديد، وربما تكون نقل التابوت إلى مدينة داود.

عنوان المزمور

«لداود مزمور^١» فلم ينشغل الروح القدس بأن يبرز سوى أن كاتبه هو داود، وأن ما كُتِب هو مزمور.

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

يرتبط هذا المزمور ارتباطاً وثيقاً بالمزمور السابق. فبينما المزمور ١٠٩ يحدثنا عن آلام المسيح من يد البشر، وكيف اجتمع على شخصه القديس كل الأعداء، ولا سيما يهوذا الخائن الذي صار دليلاً للذين قبضوا عليه (قارن مزمور ١٠٩: ٨ مع أع ١: ٢٠)، وبينما يختم هذا المزمور بصلاة المسيح لله، لكي يخلصه من القاضين على نفسه (٣١ع)،

^١ انظر التعليق على عنوان المزمور الثامن ص ٣١.

فإن المزمور ١١٠ يحدثنا عن استجابة الله للمسيح، إذ نقرأ عن صعود المسيح وجلوسه في يمين عرش العظمة في السماوات (عب ٨: ١).

إذا فالمزمور المئة والتاسع يكلمنا عن «الآلام التي للمسيح»، والمزمور المئة والعاشر عن «الأمجاد التي بعدها»، حيث يجلس المسيح الآن باعتباره الإنسان على عرش الله ذاته. فالذي أخلى نفسه، واتضع وتآلم (مز ١٠٩) كان لا بد أن يُرفَّعه الله (مز ١١٠). والرجل المسكين والفقير في المزمور المئة والتاسع، هو نفسه الملك والكاهن في المزمور المئة والعاشر. لقد رفعه الناس مُداناً على الصليب في مجيئه الأول (مز ١٠٩)، لكن الله رفعه دياناً للأحياء والأموات (مزمور ١١٠: ١ مع أع ١٠: ٤٢). والمسكين الذي قام يهوه عن يمينه في يوم آلامه، بحسب آخر آية في مزمور ١٠٩، جلس هو عن يمين يهوه بعد أن أكمل العمل بحسب أول آية في مزمور ١١٠.

ويرتبط هذا المزمور أيضاً بمزمور ١٦. فبينما يختم مزمور ١٦ بالصعود، فإن مزمور ١١٠ يبدأ به. وبينما يختم مزمور ١٦ بعبارة «في يمينك نعم إلى الأبد»، فإن هذا المزمور يشرح لنا تلك النعم التي في يمين الله، إذ يقول له: «اجلس عن يميني».

أقسام المزمور

يمكن تقسيم هذا المزمور تقسيماً ثلاثياً كالآتي:

- | | |
|-----------|--------------------------|
| (١) ٣-١٤: | المسيح الرئيس. |
| (٢) ٤: | الملك الكاهن. |
| (٣) ٥٤-٧: | النصرات الأكيدة المتصلة. |

الدروس الأدبية والعملية

في هذا المزمور العظيم، نستمع إلى إعلانين عظيمين من الآب لابنه الحبيب، الأول: «اجلس عن يميني حتى أضع أقدامك موطناً لقدميك» (ع ١)، والثاني: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (ع ٤). وكما هي نعمة غنية أن نستمع إلى أحاديث تجري بين أقنانيم

اللاهوت* قال أليفاز التيماني لأيوب: «هل تَنصَّتْ في مجلس الله؟» (أي ١٥: ٨). ومع أننا لم نتنصت، إلا أن «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَيْرٌ» (يو ١٨: ١)، والروح القدس سر أن يعلن (١ كو ٢: ٩-١١).

يبدأ المزمور بالإشارة إلى صعود المسيح وجلسه في يمين عرش العظمة في السماوات (عب ٨: ١)، وكان ذلك بسبب العمل العظيم الذي أتمه على الصليب (قارن مز ١٠٩). فالذي رفضته خاصته ولم تقبله (يو ١: ١١) «كان ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء» (أع ٣: ٢١). لقد رفعه الله، وأجلسه الآب عن يمينه، منتظراً حتى يضع جميع أعدائه موطئاً قدميه (عب ١٠: ١٣). وكما فعل يشوع بالأعداء قديماً، حيث أصدر الأمر لقواده أن يتقدموا ويضعوا أرجلهم على أعناق الأعداء (يش ١٠: ٢٤) هكذا، بمجدٍ أعظم، سيفعل الآب بكل أعداء المسيح، ويضعهم تحت قدميه وأقدام الذين له، كما هو مكتوب «والله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رو ١٦: ٢٠).

قارئ العزيز: أمامك اليوم أن تختار: **الجلوس مع المسيح في عرشه، ويا لسمو المقام! أو أن تكون موطئاً لقدميه.** وهذا متوقف على قبولك إياه رباً وسيداً على حياتك، أو أن تستمر في عدائك غير المبرر له.

لقد وقف الرب يسوع يوماً في مجمع الناصرة، وقرأ من سفر إشعياء النبي (٢٦: ١، ٢) «روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين... لأنادي للمأسورين بالعق، وللعُمي بالبصر، وأرسل المُتَسَحِّقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لو ٤: ١٧، ١٨). وسنة الرب المقبولة هذه يشار إليها هنا في العبارة «**اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك**» فكلمة «**حتى**» تغطي كل فترة النعمة الحاضرة التي يميزها صبر المسيح، ذاك الذي جلس منتظراً حتى يوضع أعداؤه موطئاً لقدميه[†]

* في يوحنا ١٧ نسمع أيضاً حديثاً من الابن للآب، والعجيب أننا نحن موضوع هذا الحديث. والمسيح الذي لم يقل في كل حياته على الأرض «أريد»، في هذا الفصل قال للآب «أريد»، لا شيئاً لنفسه، بل لنا نحن «أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي» (يو ١٧: ٢٤)!

[†] هناك نظرية غير كتابية تقول إن الناس تتعلم يوماً فيوماً كيف تحب الصلاح، وتخضع لسلطان المسيح، وبهذا فإن الأعداء تصبح موطئاً لقدمي المسيح. لكن هذه النظرية هي أبعد ما تكون عن الحق الكتابي والواقع الفعلي. ومع أن النعمة تنجح مع الكثيرين وتحولهم من أعداء إلى أحياء، لكن لا ننسى أن سر الإثم الآن يعمل، فقط إلى أن يُستعلن الأثيم (٢ تس ٢: ٨). ولا ننسى أيضاً أن الزوان والحنطة ينميان معاً إلى الحصاد (مت ١٣: ٣٠). ثم إنه من الأهمية بمكان أن نعرف أن مكان المؤمنين ليس هو تحت قدمي المسيح، كما تذكر هذه الآية، فهذا هو المكان الذي يليق بالأعداء لا الأحياء (يش ١٠: ٢٤؛ رو ١٦: ٢٠). أما الأحياء فإن مكانهم هو عند قدمي المسيح (٢ ت ٣: ٣؛ لو ٨: ٣٥؛ ١٠: ٣٩).

(عب ١٠: ١٣). واليوم «أناة الله تنتظر»، ويوم النعمة له الآن نحو ألفي عام!

ولكن بعد انتهاء تدبير النعمة الحاضر بمجيء ربنا يسوع للاختطاف، سيُكمل المسيح بقية عبارة نبوة إشعياء التي لم ينطق بها في مجمع الناصرة، وهي عبارة «يوم انتقام لإلهنا» (إش ٦١: ٢)، لأن الرب يعلن قائلاً: «لأن يوم النعمة في قلبي» (إش ٦٣: ٤). فإلهنا الآن هو «إله كل نعمة» (١بط ٥: ١٠)، لكنه قريباً سيكون «إله النعمات» (مز ٩٤: ١).

ومرة أخرى أقول لك أيها القارئ العزيز بكل الحب: إنك إن لم تتقابل اليوم مع إله كل نعمة، فلا بد في يوم قريب جداً أن تقابل إله كل نعمة. وإن من لا يذوب قلبه أمام محبة المسيح في يوم النعمة، لن يبقى أمامه إلا أن يحترق بنار غضبه في يوم النعمة القادم (٢ تس ١: ٧-٩).

«تسلط في وسط أعدائك»

وهذا يعني أن الإنجيل لن يغزو العالم، ليحول كل العالم إلى المسيحية، بل الكتاب يعلمنا أن الناس سيتقدمون إلى الأردن، وأنه ستأتي أزمنة صعبة، وسيرتدون عن الإيمان* (١ تي ٤: ١).

«شعبك منتدب في يوم قوتك»

ليس اليوم قوة المسيح. ومع ذلك فإننا بسرور ننتدب ونتكرس له. سيأتي وقت فيه ستجتو باسمه كل ركبة (في ٢: ١٠). لكننا لا ننتظر هذا الوقت لكي نقدم له السجود والاحترام. بل بينما يرفضه الكثيرون، فإننا نفعل مثل مريم التي أتت في يوم كانت سحب البغضاء ملبدة فوق رأس المسيح، وكسرت قارورة طيبها عند قدميه.

سوف يأتي عن قريب	يوم نصر مرتقب
عندما قسراً ستجتو	باسمه كل الركب
سوف أحنّي ركبتيّ	ليس من خوف ورعب
بل لأهدي كل شكر	وتسابيح وحب

«أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (٤ ع).

يمارس المسيح الآن كهنوته على رتبة ملكي صادق، وهي رتبة سامية أسمى من رتبة

* انظر الحاشية السابقة.

هارون (انظر الملاحظات الإضافية للمزمور)، لكنه يمارس الكهنوت على طابع كهنوت هارون المذكور بإسهاب في العهد القديم. فالمسيح يخدمنا خدمات من ذات نوع خدمات هارون. خدمة الكهنوت الهاروني هي الشفاعة، أما سمة الكهنوت الملكي صادقي فهي البركة.

قال ف. ب. ماير: "إن في جعل كهنوت المسيح على رتبة ملكي صادق، معنى سامياً. على أن في جعل ملكي صادق مشبهاً بابن الله، كما تخبرنا رسالة العبرانيين ٣:٧ معنى أسمى. فهذا معناه أن المسيح هو المثل الأعلى لكل شيء. وهو منذ الأزل يحمل كل الصفات التي تجعله لنا مثلاً أعلى. وكأن تلك الصفات لم تحتل أن تبقى مستورة، إلى أن تُستعلن في ملء الزمان، ولذلك ظهرت مثل ظهور المخلص في صور جزئية".

«من النهر يشرب في الطريق» (٧٤).

النهر في كلمة الله صورة للروح القدس، كما قال المسيح: «من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح (القدس)» (يو ٧: ٣٨، ٣٩). لقد كان الرب يشرب دائماً من النهر في شركته اليومية مع إلهه. والذي يشرب يغلب. هكذا حدث مع رجال جدعون الثلاثة: شربوا وغلبوا (قض ٧). وهكذا في آخر الكتاب المقدس، نقرأ عن من يشرب (رؤ ٢١: ٦)، ومن يغلب (رؤ ٢١: ٧). لكن أعظمهم على الإطلاق هو ربنا يسوع المسيح، الذي كان دائماً يشرب في الطريق، والذي كان دائماً غالباً رافع الرأس.

التطبيق النبوي

يوم النعمة ويوم النعمة

في مزمور ١٠٩ نشاهد المسيح في يوم ضعفه، يطلب من الرب الخلاص عدة مرات (٢٦٤، ٣١)، ولقد سُمِعَ له من أجل تقواه (عب ٥: ٧)، فأقامه الله من بين الأموات. ثم ماذا بعد القيامة؟ الإجابة: فترة النعمة الحاضرة، وصبر المسيح (مز ١١٠: ١). وماذا بعدها؟ الدينونة المريعة المذكورة هنا: «أضع أعدائك موطئاً لقدميك» (١٤)، «يحطم في يوم رجزه ملوكاً» (٥٤)، «ملاً جثثاً أرضاً واسعة، سحق رؤوسها» (٦٤).

بعد انتهاء تدبير النعمة الحاضر، بمجيء ربنا يسوع لاختطاف كنيسته، سيأتي «يوم انتقام لإلهنا» (إش ٦١: ٢؛ لو ١٩: ٤٠). وعندما يظهر المسيح باعتباره «إله النقمات»

(مز ٩٤: ١)، فإن الجبال ستذوب مثل الشمع (مز ٩٧: ٥)، وعيون الأشرار ستذوب في أوقابها، ويزوب لسانهم في فمهم (زك ١٤: ١٢).

وبهذه المناسبة نحب أن نوضح أن بعضاً من غير الفاهمين يتوهمون أن المسيح العهد القديم هو المسيح غريب عن الكتاب المقدس، لأنه مسيح حربي، بحسب تعبير بعضهم، أو مسيح يهودي، بحسب تعبير غيرهم، وآخرون يقولون إن مسيح سفر الرؤيا هو أيضاً مسيح لا تعرفه المسيحية (!). لكن واضح أن هناك مسيحاً واحداً في كل الكتاب. وكل ما في الأمر أنه أتى بالنعمة ليتمم الفداء، فقبله البعض ورفضه البعض الآخر. فمن قبلوه سيسعدون معه إلى أبد الأبد، وأما من رفضوه فسيكون نصيبهم الويل إلى أبد الأبد، بداية من ظهوره بالمجد والقوة في مجيئه الثاني. هذا ما أكدته الأناجيل ورسائل العهد الجديد أيضاً (لو ١٩: ٢٧؛ ٢٢: ١-٧).

وعندما يقول المزمور: «يرسل الرب قضيب عزك من صهيون» (ع ٢). فهذا معناه أن المرسوم الإلهي الذي أعلنه المسيح في المزمور الثاني لا بد أن يتم «أما أنا فقد مسحتُ ملكي على صهيون جبل قدسي» (مز ٢: ٦). ومع أن الملك سيخرج من صهيون، لكنه لن يكون ملكاً على صهيون وحدها. إن مركز الملك سيكون صهيون، لكن دائرته تشمل كل العالم.

«تسلط في وسط أعدائك» (ع ٢٤).

عندما يتقلد المسيح سيفه على فخذيه كرجل الحرب، سيجعل نبأه المسنونة في قلب أعدائه، وشعوب تحته يسقطون (مز ٤٥: ٣-٥)، وإتمام ذلك نراه في سفر الرؤيا: «ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، وبالعدل يحكم ويحارب... وهو سيرعاهم بعضاً من حديد، وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله» (رؤ ١٩: ١١-١٥).

«شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة، من رحم الفجر لك طل حدثتك» (ع ٣٤).

ففي يوم ضعفه لم يكن الشعب منتدباً، وكان قرارهم الأخير: «لا نريد أن هذا يملك علينا» (لو ١٩: ١٤). صحيح هم قالوا له: «أوصنا لابن داود»، ولكن سرعان ما غيروا رأيهم وقالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت ٢١: ١٥؛ ٢٧: ٢٥).

ولقد قال الرب لسكان أورشليم: «كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا! هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً. لأنني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب!» (مت ٢٣: ٣٧-٣٩).

وعندما يأتي ذلك اليوم الذي فيه يقولون: «مبارك الآتي باسم الرب»، عندئذ سيتم القول: **«شعبك منتدب في يوم قوتك».**

وكلمة «منتدب» هي ذات الكلمة المترجمة في سفر النشيد «قوم شريف»، في القول: «فلم أشعر إلا وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريف» (نش ١٢: ٦). وكيف لم يشعر؟ هل نسي الرب ما فعلوه به؟ هل نسي كم أبغضوه، وكم عانى من قسوتهم؟ نعم، لقد نسي كل ما أساءوا به إليه، وكأن تلك السنين الطويلة لا شيء بسبب محبته الشديدة لهم (ارجع إلى تك ٢٩: ٢٠).

«شعبك منتدب في يوم قوتك»: أي شعبك مكرس ومستعد لقبولك وتتويجك ملكاً عليهم. وإن كان قديماً قد أتى إلى أورشليم نحو ثلث مليون شخص ليتوجوا داود بن يسى ملكاً عليهم (أخ ١٢: ٢٣-٤٠)، فكم سيكون الأمر مع أصل وذرية داود، ربنا يسوع المسيح، في يوم مجده! إن الأمة التي رفضته يوماً وتوجته بإكليل الشوك، ستتوجه كالمملك المعظم* في صهيون «أخرجن يا بنات صهيون، وانظرن الملك سليمان، بالتاج الذي توجته به أمه، في يوم عرسه، وفي يوم فرح قلبه» (نش ١١: ٣).

«من رحم الفجر لك ظل حدثتك»

وتعبير «رحم الفجر» هو تعبير شعري، يدل على مولد يوم جديد. فلقد غربت الشمس وأتى الليل عندما رُفِعَ المسيح على الصليب، وستظل الظلمة باقية بالنسبة للشعب الأرضي حتى يتم القول: «ولكم أيها المتقون اسمي، تشرق شمس البر، والشفاء في أجنحتها» (ملا ٤: ٢). ونستطيع الآن أن نقول: «قد تنأى الليل وتقارب النهار» (رو ١٣: ١٢). ومن رحم الفجر سيأتي الندى الذي سينعش الأرض.

«لك ظل حدثتك» والظل صورة للكثرة[†]: (ارجع إلى صم ١٧: ١٢). ونحن نرى في حزقيال ٣٧ نبوة عجيبة تصور عظاماً يابسة، فالأجساد تحللت، ولم يتبقَ منها سوى

* لا بد أن يتم كلام جبرائيل الملاك للمطوبة مريم عن المسيح: «ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية» (لو ١: ٣٢). فإن العهد الداودي يتضمن ملك المسيح على شعبه (مز ١٣٢: ١؛ ٨٩: ٣٥) - انظر الملاحق في آخر الكتاب.

[†] تعبير «لك ظل حدثتك» تعبير شعري يعتبر الفجر هو أم الظل، وكأن الفجر له رحم، كما قال الرب لأيوب «هل للمطر أب؟ ومن ولد مآجل الظل؟» (أي ٢٨: ٢٨). وهو يذكرنا بتعبير «أبناء الشبيبة» (مز ١٢٧: ٤)، أي أبناء أيام شبابك. فالمسيح الذي مات في شبابه، ليحصل على النسل الكثير، سوف يحصل فعلاً على البنين من عند الرب، أجرة على تعبته، وسوف يملأ جعبته من أبناء الشبيبة (مز ١٢٧: ٥٠٣)، حتى أنهم يكونون كالظل في الكثرة. هؤلاء هم ظل حدثات المسيح.

عظام متناثرة يابسة. هذه العظام اليابسة تصور أمة إسرائيل على مدى العديد من القرون. هل يمكن أن تحيا هذه العظام اليابسة؟ هذا هو السؤال الذي سألته الرب للنبي. وهذا ما حدث في الرؤيا فعلاً، إذ عندما دخل الروح في هذه الأجساد صارت جيشاً عظيماً جداً جداً. إنه ليس مجرد جيش، ولا جيش عظيم، بل جيش عظيم جداً جداً. هذا هو مدلول العبارة «لكل حال حداثتك»، وهو ما سيحدث فعلاً في يوم قوة المسيح.

«أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (٤ع).

كيف يكون ابن داود كاهناً، وهو من سبط يهوذا، سبط الملك؟ إن الأعمى لم يتردد في الإعلان عنه إنه ابن داود، وكل اليهود يعرفون أن المسيا الملك هو من نسل داود (مت ٢٢: ٤١-٤٦)، لكن كيف يكون أيضاً كاهناً؟

الإجابة نجدها في زكريا ٦: ١٣ «فهو يبني هيكل الرب، وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهناً على كرسيه، وتكون مشورة السلام بينهما كليهما». فالمسيح سوف يتسلط على كرسيه (باعتباره الملك) وأيضاً يكون كاهناً على كرسيه. إنه هو الذي رآه إشعياء جالساً على كرسي عالٍ (الملك) وأذنيه تملأ الهيكل (الكاهن) (إش ٦: ١).

«الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً، يدين بين الأمم، ملأ جثثاً أرضاً واسعة.

سحق رؤوسها» (٦٠، ٥ع).

هذه الآية تذكرنا بما جاء في سفر الرؤيا عن عشاء الإله العظيم (رؤ ١٩: ١٧) وبعده تأتي معركة جوج وماجوج (حز ٣٨، ٣٩)، والرب سيبيد كل الأعداء (رؤ ١٩: ١٥) وسيكون الدم «إلى لجم الخيل مسافة ألف وستمئة غلوة» (رؤ ١٤: ٢٠). نعم، كم هو مخيف الوقوع بين يدي الله الحيّ (عب ١٠: ٣١)!

«يوم رجزه»: هناك غضب الله، وغضب الخروف. غضب الخروف نجده بعد اختطاف الكنيسة عندما «يقولون للرجال والصخور: اسقطي علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف» (رؤ ١٦: ٦). وأما غضب الله فنجدته في رؤيا ١٩: ١٥ إنه يوم عشاء الإله العظيم، يوم دعوة جميع الطيور الطائرة لكي تأكل لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل. ثم هناك موقعة أخرى نقرأ عنها في حزقيال ٣٨، ٣٩ حيث ستكون الدعوة أشمل ليس فقط لطيور السماء بل وأيضاً لوحوش البرية. ستكون مذبحه مريعة حتى أنهم يستمرون في دفن الجثث سبعة أشهر (حز ٣٩: ١٢). عندئذ سيتم

القول: «يدين بين الأمم، ملأ جثثاً أرضاً واسعة، سحق رؤوسها».

أربعة أيام هامة بالنسبة للمسيح

١- **يوم الضعف:** وهو ضعف اختياري حيث أخلى نفسه (بإرادته)، وحجب مجد اللاهوت في حجاب الناسوت، ووضع قليلاً عن الملائكة. لقد بدأ حياته فوق الأرض كأبي طفل ضعيف، ثم في ليلة آلامه وهو في بستان جثسيماني، ظهر له ملاك من السماء يقويه. ثم في الجلجثة قال بروح النبوة: «كالماء انسكبت ... يبست مثل شقفة قوتي» (مز ٢٢: ١٤، ١٥). وأخيراً نكس الرأس وأسلم الروح. حقاً، لقد «صُلِّبَ من ضعف» (٢كو ١٣: ٤).

٢- **يوم النعمة:** انتهى يوم الضعف بموت المسيح، ليفتح المجال ليوم النعمة، الذي فيه تُدَاع أعظم بشاره. وعندما قام من الأموات قال: «هكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم» (لو ٢٤: ٤٦، ٤٧). هذا هو تدبير النعمة الحاضر، وهو التدبير الذي له الآن حوالي ألفي عام*، أي أنه أطول كل التدابير. فما أروع سنة الرب المقبولة (لو ٤: ١٦-١٩). وسيأتي اليوم قريباً جداً، عندما نرى ثمره المبارك في فترة[†] النعمة الحاضرة.

٣- **يوم النعمة:** بعد انتهاء تدبير النعمة سيأتي يوم انتقام لإلهنا (إش ٦١: ٢، ٦٣: ٤) على كل رافضي المسيح وعمله الكامل على الصليب. فإن من احتقر يوم النعمة، لا بد أن يأتي عليه يوم النعمة. «يوم رجزه» (ع ٥).

٤- **يوم الملك والمجد:** أو «يوم قوته» (ع ٣). وذلك بعد أن يطهر ملكوته من جميع المعائر وفاعلي الإثم، ويضع جميع أعدائه موطئاً لقدميه (مز ١١٠: ١؛ عب ١٠: ١٣).

هذه الأيام الأربعة واضحة في ختام المزمور السابق وأول هذا المزمور. ففي مزمور ١٠٩: ٣١ نقرأ عن يوم الضعف، ثم في مزمور ١١٠: ١ نقرأ عن يوم النعمة.

* ليوم النعمة الآن نحو ألفي عام، على أن الرب في كل هذه الفترة كان جاهزاً في أية لحظة لأن يأتي، ولم يمنعه عن المجيء سوى تأنيبه على البشر. ونلاحظ أن تدبير النعمة هو أطول كل التدابير، فبينما استمر تدبير الضمير ١٦٥٦ سنة، وتدبير الناموس ١٥٠٠ سنة، وتدبير ملء الأزمنة سيستمر ١٠٠٠ سنة، فإن تدبير النعمة له الآن نحو ألفي سنة.

† إن كان في فترة محدودة جداً، هي فترة الضيقة العظيمة (مدة ثلاث سنين ونصف) وهي أسوأ أيام تمر على الأرض، إذ سيكون الشيطان مسيطراً، سيخلص من الأمم جمع لم يستطع أحد أن يعده. فكم نتوقع أن يكون عدد الذين خلصوا على مدى ألفي عام، وهي فترة النعمة؟!

أربعة أيام هامة بالنسبة للمسيح والكنيسة

وما أوثق العلاقة بين هذه الأيام الأربعة الهامة بالنسبة للمسيح وبيننا نحن: يوم الضعف: هو يوم جاء المسيح إلى الأرض، ومضى إلى الموت لأجل الكنيسة.
يوم النعمة: فيه يصير المسيح متأنياً، ينتظر اكتمال دعوة الكنيسة.
يوم النعمة: ويبدأ بمجرد اختطافنا إلى السماء، فنكون مع المسيح فتزف إليه الكنيسة.
يوم الملك: إذ يظهر المسيح ليملك على العالم، ومعه الكنيسة!

ثم نقرأ في (٥ع) عن «يوم الرجز»، وأخيراً اليوم الرابع في (٣ع) «يوم القوة».

ونلاحظ أن يوم الضعف انتهى بالصليب، ويوم القوة يبدأ بالظهور، ومن الصليب إلى الظهور لا يرى العالم المسيح. لقد رأوه محتقراً في يوم ضعفه، وسوف تراه كل عين مجيداً في يوم قوته (مت ٢٤: ٣٠؛ رؤ ١: ٧)، أما في فترة

اليومين، يومي النعمة والنعمة، فلا يراه أحد من الأشرار. نحن فقط نراه بالإيمان في اليوم الأول، وسنراه بالعيان في اليوم الثاني.

المسيح في الزمور

أولاً: المسيح الممجّد

«قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (١ع).

فإلى أن يأتي اليوم الذي فيه يجلس المسيح على عرشه، الأمر الذي لم يتم للآن، نظراً لأننا على الخطاة، فإن الله لا يمكن أن ينتظر دون إكرام المسيح. وكما قال المسيح بفمه الكريم قبيل الصليب: «إن كان الله قد تمجد فيه (وهو ما حدث فعلاً نتيجة عمل الصليب)، فإن الله سيمجّده في ذاته (أي سيمجد المسيح في ذات الله)، ويمجّده سريعاً» (يو ١٣: ٣١). فكان الله يقول للمسيح: إلى أن يأتي الوقت الذي فيه تجلس على عرشك أنت، اجلس الآن على عرشي. فإنني لن انتظر ألفي سنة حتى تنال المجد الذي لك على الجميع، لن انتظر حتى توضع جميع أعدائك موطئاً لقدميه، بل سأمجّدك سريعاً بالجلوس معي في عرشي.

ثانياً: المسيح العظيم

هذا المزمور العظيم يُبرز عَظَمَةَ المسيح:

فهو أعظم من داود (ع ١ مع مت ٢٢: ٤٣)، الذي دعاه: «ربي».
وأعظم من الملائكة (ع ١ مع عب ١: ١٣)، لأنه جالس عن يمين الله، بينما الملائكة
لا تجلس في محضر الله.

وأعظم من هارون (ع ٤ مع عب ٧)، لأن ملكي صادق أعظم من هارون.
وأعظم من إبراهيم (ع ٤ قارن مع عب ٦: ٧)، لأن ملكي صادق أعظم من إبراهيم.
المسيح إذاً أعظم من الكاهن (هارون)، ومن الملك (داود)، ومن أصل المواعيد
(إبراهيم)، ومن الملائكة. إنه بالإجمال أعظم من الكل.

ثالثاً: المسيح الرب

نلاحظ أن داود في هذا المزمور يتحدث عن الابن بالقول «ربي»، وفي مزمور آخر
يخاطب المسيح بالقول «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» (مز ٤٥: ٦؛ عب ١: ٨). وهذا
دليل قاطع على لاهوت المسيح. بل إن الآب نفسه يدعو الابن قائلاً: «وأنت يا رب»
(عب ١: ١٠ مع مز ١٠٢: ٢٥)، فإن كان الآب نفسه يقول عنه إنه «الرب» أفلا ندعوه
نحن ربنا وإلهنا؟! ألا نقول مع توما: «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨)؟! أو مع أليصابات
مخاطبة المطوبة مريم: «فمن أين لي هذا، أن تأتي أم ربي إليّ» (لو ١: ٤٣)؟! ألا نهتف
مع الرسول المغبوط قائلين: «معرفة المسيح يسوع ربي» (في ٨: ٣)؟!

رابعاً: المسيح الجالس

إن جلوس المسيح عن يمين الله، وفي ذات عرشه، يجعل من المستحيل أن يكون المسيح مخلوقاً، أو أن
يكون أقل من الآب. إن جلوسه عن يمينه في ذات عرشه* إنما يؤكد معادته للآب تماماً.

وجلوس المسيح على عرش الله حقّ أكده كاتب العبرانيين أربع مرات في الرسالة
(عب ١: ٣؛ ٨: ١؛ ١٠: ١٢؛ ١٢: ٢)، ويتضمن ذلك أربع أمور هامة:

* هنا نجد حقاً لم يُعرف تماماً إلا في نور العهد الجديد: فلقد أعلن داود أن المسيا سيجلس على كرسيه (أع ٢: ٣٠،
مز ١٣٢: ١١)، وليس في هذا غرابة على عقلية وفكر اليهودي. لكنه هنا يعلن شيئاً آخر أن المسيا سيجلس على
عرش الله نفسه!

أولاً: **جلس مُنْجِزاً** (عب ١:٣). إذ أكمل عمل التطهير
 ثانياً: **جلس خادماً** (عب ٨:١). إذ ما زال يخدمنا في الأقداس
 ثالثاً: **جلس منتظراً** (عب ١٠:١٢). إذ هو صابر على الأشرار، ولم يستلم ملكه بعد.
 رابعاً: **جلس مكافئاً** (عب ١٢:٢). إذ أكمل مسيرة الإيمان.

خامساً: المسيح العجيب

يُفْتَحُ المزمور بالإشارة إلى لاهوت المسيح (ع ١٤)، لكنه يُخْتَمُ بالحديث عن ناسوته (ع ٧٤). وهذا الأمر المجيد (اتحاد اللاهوت بالناسوت) نجده في أجزاء عديدة من الوحي. فَيُفْتَحُ إشعياء ١١ بالحديث عن المسيح باعتباره قضيب من يَسَّى، وغصن من أصوله (هنا نرى ناسوته)، ثم في ع ١٠ يذكر أنه أصل يسى (وهنا نرى لاهوته)! وفي الرسائل يقول الرسول بولس عن المسيح إنه صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيّن (تبرهن) ابن الله بقوة (رو ١: ٤، ٣). حقاً كما قال الرسول بولس: «بالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦).

المسيح، أيها القارئ العزيز، هو الله وهو الإنسان في آن. ولو أن الارتداد عن هذه الحقيقة هو سمة هذه الأيام الأخيرة. لكن تحذر فالرب سيأتي سريعاً ليدين الذين أنكروا ربوبيته (٢ بط ٢: ١).

سادساً: المسيح الملك والكاهن

فباعتباره الملك المتوج نقراً: «يرسل الرب قضيب عزك من صهيون» (ع ٢)، ثم كالملك الكاهن يقول «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (ع ٤).

ع ١ يكلمنا عن لاهوت المسيح، وع ٧ يتكلم عن ناسوته، وع ٤ يتكلم عن كهنوته، والكهنوت يتضمن اللاهوت والناسوت. فلكي يكون المسيح كاهناً، كان لا بد أن يكون هو الله وأيضاً الإنسان. يقول الرسول: «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات، يسوع (اسمه الإنساني) ابن الله (لاهوته) فلنتمسك بالإقرار» (عب ٤: ١٤). وباعتباره رئيس كهنة، فإنه إنسان يرثي، وهو الله فينجي.

سابعاً: المسيح الخاضع المنتصر

«من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس» (ع ٧).

الشرب من النهر يحتم الانحناء والركوع، وهذا ما حدث مع ربنا في يوم اتضاعه (في ٢: ٦-٨). ثم إن النهر هنا بحسب النص العبري يعني الجدول الصغير، وبالتالي تكون مياهه عكرة. لقد قبل المسيح في يوم اتضاعه أن يشرب من الماء العكر، عندما انحنى خاضعاً، ولذلك فإنه لا بد أن يرفع الرأس فخرًا وانتصاراً على كل الأعداء، ويُخضع لنفسه كل شيء (في ٣: ٢١). فالذي خضع لله مسلماً كل أموره لمن يقضي بعدل، يوم شَتِّم وتألَّم (ابط ٢: ٢٣)، هو بعينه الذي «مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له» (ابط ٣: ٢٢).

آيان مسياويتان

«قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (١ع).
«اقسم الرب ولن يندم. انت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق» (٤ع).

الآية المسياوية الأولى: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك».

هذه الآية اقتبسها المسيح في متى ٢٢، في حديثه مع الفريسيين، ووجَّه لهم هذا السؤال: «ماذا تظنون في المسيح؟ ابن مَنْ هو؟». ومتى ٢٢ هو أصحاب التساؤلات، فنجد فيه سؤال الفريسيين والهيروديسين، ثم سؤال الصدوقيين، ثم سؤال من ناموسي، وبعد أن أجاب المسيح على أسئلتهم جميعاً فإنه تقدم بسؤاله السابق لهم، فأجابوه بالقول: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ (مت ٢٢: ٤٢-٤٤). ولكن الفريسيين لم يعطوا إجابةً للمسيح على هذا السؤال، لأن الأمر كان فوق إدراكهم؛ كيف يكون المسيح هو ابن داود وفي نفس الوقت رب داود؟!

لكننا نجد في رؤيا ١٦: ٢٢ الرد الواضح على سؤال المسيح للفريسيين الوارد في متى ٢٢: ٤٥، فيقول المسيح هناك: «أنا أصل وذرية داود»، فالمسيح (كما أوضحنا سابقاً) هو أصل داود من حيث لاهوته، وهو ذرية داود من حيث ناسوته.

والتعبير «اجلس عن يميني» الذي قاله الرب للمسيح يدل على سمو شخص المسيح.

فالملاك لا يجلس في محضر الله (لو: ١٩؛ إش: ٦: ٢)، فهم جميعهم خدام (عب: ١: ١٣، ١٤)، أما المسيح فليس أحد العبيد، بل الابن الوحيد.

الآية المسياوية الثانية: «اقسم الرب ولن يندم. انت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق»

سبق أن ذكرنا أن هذه الآية اقتبست في الرسالة إلى العبرانيين أو أشير إليها سبع مرات. واسم ملكي صادق ورد في الوحي ١١ مرة، والرقم ١١ هو رقم النعمة والترنيم*. كما أن تعبير «رتبة» بالارتباط بملكي صادق وردت في الوحي ٧ مرات†، رقم الكمال. معنى الاسم «ملكي صادق» هو: ملك البر. ثم إنه كان ملكاً على سالييم، والتي تعني سلام. وفي هذا نجد جانبين من ملك المسيح العنيد: فهو سيملك بالبر، كما سيعم في أيامه السلام، حيث سيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل (إش: ٢: ٤).

كان لا بد أن يأتي ملك داود أولاً، وداود هو رجل الحرب والدماء، الذي أخضع كل الشعوب (مز: ١٨: ٤٧)، ثم يأتي بعد ذلك ملك سليمان، الذي فيه تمتعت كل الشعوب بالهدوء والراحة والسلام. ولذلك فإننا في الأعداد الأولى من المزمور، نجد الرب رجل الحرب، وفي نهاية المزمور نجد الرب رجل السلام، وفي منتصف المزمور نجد الرب الكاهن على رتبة ملكي صادق.

فالمسيح هو ملكي صادق، ملك سالييم: أي ملك السلام، لكنه أيضاً المحارب المنتصر (ع: ٦، ٥). لقد حارب إبراهيم الملوك وكسرهم، من ثم أتى إليه ملكي صادق وباركه. أما المسيح فسيكون هو المحارب المنتصر، وهو الكاهن المبارك في آن واحد معاً. وأخيراً نقول إن رتبة ملكي صادق‡ لا تشتمل إلا على كاهن واحد، شخص لا يموت، ويستمر إلى الأبد.

* انظر مدلول الأرقام في الكتاب المقدس في الفصل الرابع عشر من وحي الكتاب المقدس الطبعة الثالثة للمؤلف.

† يرد اسم ملكي صادق في سفر التكوين مرة، وفي سفر المزامير مرة، وفي الرسالة إلى العبرانيين ٩ مرات. وأما تعبير رتبة ملكي صادق فيرد مرة في سفر المزامير ١١٠، وست مرات في الرسالة إلى العبرانيين. انظر الملاحظات الإضافية على المزمور.

‡ انظر الملاحظات الإضافية على المزمور.

ملاحظات إضافية على المزمور المئة والعاشر

ملكي صادق: من هو؟ وما هي رتبته؟

كثيرون يعتبرون شخصية ملكي صادق شخصية غامضة. ولعل السر في عدم فهم البعض لهذه الشخصية هو قلة ما ورد في الكتاب المقدس عنها. فلا يُذكر ملكي صادق هذا في كل الكتاب سوى في ثلاث إشارات: الأولى في سفر التكوين، في إشارة مقتضبة عنه (ثلاث آيات فقط - تك ١٤: ١٨-٢٠)، عندما استقبل إبراهيم وباركه، وأعطاه إبراهيم عشرراً من رأس الغنائم. ثم بعد تلك الأحداث بنحو ألف سنة ذكر في سفر المزامير على فم داود في آية واحدة وردت في هذا المزمور ١١٠، وأخيراً، وبعد نحو ألف سنة أخرى، جاءت الإشارة الثالثة عنه في الرسالة إلى العبرانيين (ص ٥-٧).

البعض اعتبر ملكي صادق هذا ملاكاً. والبعض قالوا إنه "سام" ابن نوح، وآخرون قالوا إنه ابن الله في أحد ظهوراته في العهد القديم. لكن الحقيقة إنه ليس ملاكاً، لأنه كاهن، ويشترط في الكاهن أن يكون إنساناً، كقول الوحي «وكل رئيس كهنة مأخوذ من الناس، يقام لأجل الناس» (عب ٥: ١). كما أنه ليس "سام" لأنه يقال عنه هنا «بلا أب»، وأما سام فهو ابن نوح (تك ٥: ٣٢). وهو أيضاً ليس ابن الله، لأنه مثبته بابن الله (عب ٧: ٣).

الحقيقة إن ملكي صادق هذا إنسان عادي، بمعنى إنه كان له أب وأم ونسب وبداية ونهاية، لكن الكتاب صمت عن الإشارة إلى هذه الأشياء، ليتخذ منه رمزاً لابن الله. والشيء الرائع في كتابنا المقدس أنه عندما يذكر ذلك عن قصد، وعندما يصمت فهو أيضاً يصمت عن قصد. فالرسول خرج بتعليم معين من صمت سفر التكوين، سفر الأنساب، عن الإشارة إلى نسب ملكي صادق هذا، وإلى بداية حياته ونهايتها.

وكما ذكرنا فإن هناك فقط ثلاثة فصول في الوحي تحدثنا عن ملكي صادق. وهذه جاءت عنه في سفر تاريخي، وسفر شعري، ورسالة تعليمية كالاتي:

تاريخياً (تك ١٤)،

ونبؤياً (مز ١١٠)،

وتعليمياً (عب ٥-٧).

ونلاحظ أن الإشارة عنه جاءت في سفر التكوين، أول وأكبر الأسفار التاريخية؛ وفي سفر المزامير، أهم وأكبر الأسفار الشعرية؛ وفي الرسالة إلى العبرانيين، أهم الرسائل

التعليمية. وذلك لأن المسيح - الذي كان ملكي صادق مجرد رمز له - هو لُـسبَ التاريخ، وموضوع الترنيم، وهدف التعليم.

في الرسالة إلى العبرانيين الأصحاح السابع، يسهب الرسول في الحديث عن ملكي صادق كأحد الرموز التي لربنا يسوع المسيح. ويتحدث عن أمرين: أولاً (ع ١٠-١١) عظمة شخصه، كما ورد في تكوين ١٤ كرمز لعظمة شخص المسيح؛ ثانياً (ع ١١-٢٤) عظمة كهنوته كما ورد في مزمو ١١٠ كتصوير لعظمة كهنوت المسيح. ثم يدمج الرسول الأمرين معاً (في الأعداد ٢٥-٢٨): عظمة الشخص وعظمة الكهنوت.

وأما عن عظمة شخصية ملكي صادق فإننا نستدل عليها من أمرين: أنه بارك إبراهيم، وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر (عب ٧: ٧). كما أن إبراهيم أعطاه العشور (عب ٧: ٨-١٠). وفي هذا وذلك يتضح أن ملكي صادق أعظم من أبي المؤمنين، وبالتالي فإنه أعظم من كل المؤمنين. فإن كان ملكي صادق، وهو مجرد رمز لابن الله، هو أعظم من الكل، فكم بالحري يكون ابن الله نفسه؟!!

وأما عظمة كهنوت ملكي صادق فنستدل عليه أيضاً من أمرين: فهو يتميز بأنه جمع بين الملك والكهنوت معاً، الأمر الذي لم يتكرر قط مع أية شخصية من شخصيات الكتاب المقدس، كما أنه لم يتسلم هذا الكهنوت من أحد من الناس، ولم يتسلمه لأحد. وهكذا أيضاً بالنسبة للمسيح وكهنوته. فهو الذي أقسم له الرب - ولن يندم - أن يكون كاهناً إلى الأبد. ويقول كاتب العبرانيين: «لأن أولئك (الكهنة) بدون قَسَمٍ قد صاروا كهنة، وأما هذا (المسيح) فبقسم من القائل له... أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (عب ٧: ٢١). وكون كهنوت هارون بدون قسم، كما ذكر كاتب العبرانيين، فذلك لأنه لم يكن في قصد الله أن يجعله كهنوتاً أبدياً، بل هو كهنوت مرحلي.

ومن الإشارتين الواردتين عن ملكي صادق في العهد القديم نخلص بأن الكهنوت الملكي صادق يتصف بطابعين:

١- من سفر التكوين نتعلم أنه كان كاهن الله العلي: وليس كاهن يهوه. لأن اسم الرب "يهوه" هو بالارتباط بالشعب الأرضي، أما اسمه "العلي" فهو في علاقته بكل الناس الذين سيتباركون في المستقبل.

٢- ومن سفر المزامير نتعلم أن كهنوته كهنوت دائم: بينما الكهنوت الهاروني غير دائم، إذ أنه بسبب موت الكاهن كان لا بد أن يأتي من خلفه. ويذكر يوسيفوس المؤرخ أن من هارون حتى مجيء الرب يسوع بالجسد كان هناك ٨٣ رئيس

كهنة. أما ملكي صادق فلا نقرأ أنه مات، وفي هذا إشارة إلى دوام كهنوته.

وأخيراً فإنه بمراجعة كل ما جاء عن ملكي صادق الذي هو رمز للمسيح في كهنوته المستقبل تخلص بهذه الحقائق المجيدة التالية:

١- كهنوت المسيح ليس مرتبطاً بناموس موسى - ناموس الأعمال الذي ينتظر شيئاً من الإنسان في الجسد - «لأنه إن تغيّر الكهنوت فبالضرورة يصير تغيّر للناموس أيضاً» (عب ٧: ١٢).

٢- وكهنوت المسيح ليس محصوراً في شعب واحد، ولا في أمة واحدة، بل هو كهنوت شامل وعام. فالكهنوت الهاروني كان لشعب إسرائيل دون غيرهم، لكن لمّا جاء وقت البركة الأعظم، اتجهت هذه البركة إلى كل العالم (ارجع إلى إش ٥٦: ٣-٧).

٣- أنه ليس كهنوتاً مؤقتاً أو مرحلياً، بل أبدي ودائم. فملكی صادق لا يذكر الوحي أنه مات، وهكذا المسيح هو «كاهن إلى الأبد».

٤- أنه يجمع بين الملكوت والكهنوت في نفس الشخص: والكاهن يمثل قلب الله ومحبته، بينما الملك يمثل حق الله وبره. الملك يمثل الله أمام الناس، والكاهن يمثل الناس أمام الله. والمسيح كالمملك يستحضر بركات الله للشعب، وكالكاهن يقدم تسبيحاتهم له. حقاً إنه من جانب الله هو "رجل مشوراته"، ومن جانب الناس هو "مُستَهَي كل الأمم".

إن ربنا يسوع المسيح إذاً هو شخص عجيب:

يجمع بين الحكم والكهنوت،

وملكه يجمع بين البر والسلام،

ثم إن هذا الملك وهذا الكهنوت ليس لشعب واحد بل للجميع،

وليس لجيل واحد، بل أبدي.

له كل المجد.

المزمور المئة والثامن عشر

الانتصارات المتواصلة

المزمور في كلمات

هو أحد المزامير المصاوية التي تتكلم عن آلام المسيح على يد أعدائه، وعن تمجيد الله للمسيح بالقيامة من بين الأموات، والصعود، ويمتد فيه بصر النبوة إلى يوم ملك المسيح السعيد. إنه مزمور ابتهاج عظيم، سيرنم به الشعب في استقبال المسيح عند دخوله إلى أورشليم في مجيئه الثاني، مع المزمور الرابع والعشرين الذي ينظر إلى المسيح باعتباره ملك المجد.

الاقتباسات

هي عشرة اقتباسات في العهد الجديد من هذا المزمور كالاتي:

الآية الواردة في ع ٢٢ من المزمور «الحجر الذي رفضه البنّاءون قد صار رأس الزاوية» قد اقتبسها الرب يسوع مطبقاً إياها على نفسه، وذلك بعدما ضرب لليهود مثل الكرمّامين، في المواضع الآتية:

(متى ٢١: ٤٢) «قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البنّاءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا».

(مرقس ١٢: ١٠) «أما قرأتم هذا المكتوب. الحجر الذي رفضه البنّاءون هو قد صار

رأس الزاوية».

(لوقا ٢٠: ١٧) «فنظر إليهم وقال إذا ما هو هذا المكتوب الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية».

وقد ذكر الرسول بطرس الآية ذاتها عند حديثه عن المسيح مع رؤساء الأمة: «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناءون، الذي صار رأس الزاوية» (أع ٤: ١١).

الآية الواردة في ع ٢٦ من المزمور «مبارك الآتي باسم الرب» التي ردها الجمهور المعيد عند دخول المسيح متضجاً إلى أورشليم، وردت في البشائر الأربع على النحو التالي: (متى ٢١: ٩) «والجموع الذين تقدموا، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي».

(مرقس ١١: ٩) «والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنا. مبارك الآتي باسم الرب».

(لوقا ١٩: ٣٨) «قائلين مبارك الملك الآتي باسم الرب. سلام في السماء، ومجد في الأعالي».

(يوحنا ١٢: ١٣) «فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاءه وكانوا يصرخون: أوصنا، مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل».

وأشار ربنا يسوع إلى هذه الآية عينها عندما حذر أورشليم التي لم تعرف زمان افتقادها قائلاً: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً، لأنني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» (مت ٢٣: ٣٨، ٣٩)، وأيضاً: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً. والحق أقول لكم إنكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه: مبارك الآتي باسم الرب» (لو ١٣: ٣٥).

الكاتب والمناسبة

لم يذكر الوحي اسم الكاتب. ويظن البعض أن الكاتب هو داود، بينما يرى البعض الآخر أنه عزرا، وأنه كتبه بمناسبة تدشين الهيكل (عز ٣: ١١).

عنوان المزمور

بدون عنوان

وضع المزمور وعلاقته ببقية المزامير

هذا المزمور هو أحد المزامير التي يسميها الشراح "مزامير الهلّل"؛ وهي ستة مزامير، من المزمور المئة والثالث عشر إلى المزمور المئة والثامن عشر. وكانت تستخدم في الأعياد الرئيسية: الفصح، والخمسين، والمظال، ولا سيما في الفصح والمظال. ولا غرابة لأن موضوعه هو الآلام التي للمسيح والأُمجاد التي بعدها، أو الخلاص الأول والخلاص النهائي، أو مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني. ويُقال إنه في مناسبة عيد الفصح، كان الشعب يشرب أربع كؤوس، وكان يرتل مزمورين بعد الكأس الأولى، ثم بعد الكأس الرابعة كانوا يرتلون المزامير الأربعة الباقية. وكُتِبَ عن الرب يسوع وتلاميذه في الليلة التي أُسْلِمَ فيها أنهم «سَبَّحُوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦: ٣٠). وهي المناسبة الوحيدة التي يُسَجَّلُ فيها عن سيدنا أنه سَبَّح. وإذا كان المزمور المئة والثامن عشر هو تلك التسيبحة التي سبقت خروج المسيح إلى جبل الزيتون، فإنه يكون - بكل تأكيد - جديراً بالتأمل والدرس. وهو يَصوِّرُ الرحلة إلى البيت، ليس فقط رحلة بني إسرائيل الماضية ولا المستقبلية، ولا حتى رحلتنا نحن في الوقت الحاضر، بل الأهم رحلة الرب يسوع نفسه من خلال الصليب إلى بيت الآب.

وتوجد مشابهة بين المزمور الأول والثاني من جهة، والمزمور المئة والثامن عشر والمئة والتاسع عشر من الجهة الأخرى. فالمزمور الأول يكلمنا عن الرجل المنفصل، الذي وجد كل سروره في شريعة إلهه، والمزمور المئة والتاسع عشر هو المزمور الذي يحدثنا عن الرجل الغريب الذي وجد في كلمة الله سروره وابتهاجه ولهجه اليوم كله (مز ١: ٢؛ ١١٩: ٩٧). والمزمور الثاني يحدثنا عن الملك المرفوض، والمزمور المئة والثامن عشر يحدثنا عن الحجر المرفوض. والمزمور الثاني يتكلم عن المرسوم الإلهي لمسح الملك على صهيون، والمزمور المئة والثامن عشر يؤكد أن الله جعل هذا الحجر المرفوض رأس الزاوية (٢٣، ٢٢ع)، فهو «مختار من الله كريم» (١بط ٢: ٤).

ثمة ارتباط آخر مع المزمور المسياوي السابق، مزمور ١١٠، الذي فيه جلس المسيح عن يمين يهوه في السماء إلى أن يحين موعد رجوعه بالمجد والقوة ليؤسس ملكوته. أما هنا فنرى ترحيب أُمته به عند عودته، ونستمع إلى لغة شعبه المنتدب في يوم قوته (مز ١١٠: ٣؛ ١١٨: ٢٦).

أقسام المزمور

- ١- غرض كتابة المزمور: ع ١-٤.
 - ٢- الطريق إلى ديار الرب: ع ٥-١٨.
 - ٣- الوصول إلى الغرض: ع ١٩-٢٨.
- وهذا ينقسم إلى قسمين فرعيين:
- أ- الوقوف لدى باب بيت الرب: ع ١٩-٢٥.
 - ب- الدخول إلى داخل بيت الرب: ع ٢٦-٢٨.

الدروس الأدبية والعملية للمزمور

نظرة عامة على المزمور: بهذا المزمور، نأتي إلى خاتمة المزامير المسياوية، والجميل أننا نجد فيه لغة التسبيح هي الغالبة. وهذه هي لغة السماء النهائية، وموضوع شغل السماء الشاغل. فلا مجال في السماء للوعظ أو للطلبات، بل فيض من الأفراح يعبر عنه بتسبيح متصل.

هذا هو الفارق الكبير بين الأرض والسماء. فبدخول الخطية إلى العالم، دخل البؤس والشقاء إلى الأرض، وصار الإنسان يبدأ حياته، من لحظة مولده، بالصراخ، وعلى طول الطريق عبر وادي البكاء كم تزرّف دموع من العيون، وإذا انتهت الرحلة بدون المسيح، فإن أحزاناً أشد ستبدأ وبلا نهاية!!

لكن إلى هذه الأرض التي لُعنّت مرة عندما دخلتها الخطية، والتي أصبحت لا تنتج سوى الأشواك، وإلى هذا العالم الذي أمسى بحق وادي الدموع والنحيب، إلى هذا المكان جاء شخص فريد، ليس له أدنى علاقة بالخطية، وبالتالي كان من حقه أن يظل وإلى أبد الأبدن في النور والفرح. لكن في محبة عجيبة أتى إلى عالم بائس، وبدأ رحلة أقسى وأصعب من رحلة أي واحد منا من بدايتها وحتى نهايتها. وذلك لأنه لم يُرد أن يفرح إلى الأبد بمفرده. إن المحبة لا تشبع بذلك! المحبة تريد أن تُسعد الآخرين، من أجل ذلك أتى واحتمل الأحزان، وتجرب في كل شيء مثلاً، ثم مضى ليحتمل الآلام الكفارية لكي يدخل عنصراً

جديداً في هذا المشهد الكئيب، ذلك العنصر الذي نلمسه في افتتاحية هذا المزمور وختامه، بل نلمسه أيضاً وبصورة خاصة في ع ١٩ «افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب».

إن الشعب هنا لا يتذكر فقط اختباراتهم القديمة، بل يبدأون بإقرار هذه الحقيقة أن الرب صالح، وليس معنى هذا أنهم لم يجتازوا في متاعب ولا ضيقات، لأن الأعداد من ٥- ١٨ مليئة بالظروف المعاكسة، إلا أنه رغم كل الظروف، فإن الرب صالح. ونحن أحياناً ندرك صلاح الرب حتى في وسط تلك الظروف، لكن إن لم نستطع أن نفهم ذلك الآن، فإننا سنفهمه يقيناً في الأبدية.

ورحلة الكنيسة، عبر العصور، كانت مليئة بالاضطهادات. ورغم أن الطريق متعب، فإن السلامة مضمونة. وليس فقط السلامة مضمونة، بل والخاتمة أيضاً مجيدة. فلا بد أن نبلغ المواني الحسنة: السماء حيث لا عواصف.

عن قريب يأخذني	إلى موطن الخلود
حيث لا الدَّمْعُ يسيل	لا ولا الموتُ يسود

نظرة تفصيلية على المزمور:

«أحمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته» (ع ١).

وبداية المزمور بالحمد تذكرنا بالمزمورين المئة والسادس والمئة والسابع فهما أيضاً يبدأان نفس بداية مزمورنا. وبالنسبة لمزمورنا، فإنه يبدأ ويختتم أيضاً بحمد الرب. وأما المزمور المئة والسادس والثلاثون فيكرر عبارة: «إلى الأبد رحمته» ستاً وعشرين مرة في الست والعشرين آية التي يتكون منها.

والحمد يليق بالرب، لأن الرب صالح، وكل خليفته تتعم وتتلذذ بخيره العظيم (نح: ٢٥: ٩) لأنه «يفعل خيراً، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع: ١٤: ١٧). والملائكة أيضاً لا تكف عن التسبيح للرب لأنه صالح. فصلاح الله تعرفه الملائكة، وتدريبه الخليقة كلها، أما رحمة الرب فيعرفها بصفة خاصة الإنسان. فالملائكة لم تخطئ، لذلك لا تعرف شيئاً عن رحمة الله، أما نحن الذين وقعنا بين اللصوص (لو: ١٠: ٣٠-٣٧)، أما نحن الذين أذللنا الخطية (مز: ٥١: ١-٥)، فلنا أن ننشد مع الرسول بولس: «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحياناً مع المسيح» (أف: ٢: ٤، ٥).

ما معنى «إلى الأبد رحمته»، وأن «مراحمه لا تزول»؟ إنها تعني أن «رحمة الله هي كل يوم» (مز ٥٢: ١). وأن «مراحمه لا تزول، هي جديدة كل صباح» (مرا ٣: ٢٢، ٢٣) لذا قال المرنم أيضاً: «أما أنا فأغني بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك، لأنك كنت ملجأ لي، ومناصاً في يوم ضيقي» (مز ٥٩: ١٦)، وكم نتعزى من القول: «أما المتوكل على الرب فالرحمة تحيط به» (مز ٣٢: ١٠).

قال أحد القديسين: «متى يصح لنا أن نتوقف عن حمد الرب، ذاك الذي لا تتوقف مراحمه تجاهنا مطلقاً»؟! هذا هو اختبار داود الذي قال: «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» (مز ٢٣: ٦). وكان طريق المؤمن هي خطوة خير، تليها خطوة رحمة، وهكذا. أو كأن الرب إن أعطانا فهذا خير، وإن منع ولم يعطنا، فهذه رحمة.

«ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته» (٢ع). هكذا يليق بالشعب المفدي من أرض العبودية وكور المشقة، من سلطة فرعون وقبضته، أن يبارك الرب لأجل مراحمه وأطافه. «ليقل بيت هارون: إن إلى الأبد رحمته» (٣ع). اختار الرب بيت هارون للكهنة، ويليقي بالكهنة أن يقدموا للرب ذبائح الحمد والتهنئة.

«ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته» (٤ع). وهذا هو الكلام الذي ينش قلب الرب من أنقيائه «حينئذ كلم متقو الرب كل واحد قريبه، والرب أصغى وسمع وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه» (ملا ٣: ١٦).

هنا نجد ثلاث فئات تحمد الرب، ونجد فيها فكرة التدرج من الأقل إلى الأعلى. فأولاً: الشعب كله بصفة عامة، الشعب الذي اختاره الرب وأحبه. ثم يخص بيتاً واحداً تمتع برحمة أكثر وهو بيت هارون الذي صار منه الكهنة، هؤلاء صار لهم اقتراب إلى الله أكثر ومعرفة به أكثر، إنهم يمثلون القادة والمسؤولين. ثم دائرة خصوصية، «متقو الرب» تلك الدائرة التي لا يعرفها سوى الرب وحده.

«من الضيق دعوت الرب، فأجابني من الرحب» (٥ع).

لقد كان هذا المزمور هو مزمور لوثر المفضل، لا سيما الأعداد من ٥ إلى ١٨. وقد قال عنه إنه قدّم له مساعدات خاصة وكثيرة أكثر مما يستطيع أيّ إمبراطور أو ملك أو أمير أن يعمل معه، أو أيّ حكيم أو قديس أن يجريه فيه.

ونحن أيضاً، كم من المرات ضاقت نفوسنا، وصرخنا إلى الرب فاستجاب لنا! «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلّصه» (مز ٣٤: ٦). وصورة هذا الضيق نجدها في يوسف عندما باعه إخوته للإسماعيليين. لم يجد يوسف من يشكو له، إذ كان كاليثيم وهو بعيد عن أبيه، لكن كان هناك من يسمعه «إليك يسلم المسكين أمره. أنت صرت معين اليتيم» (مز ١٠: ١٤)، وهو المكتوب عنه: «في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلّصهم» (إش ٦٣: ٩).

يمكننا فهم هذا العدد بطريقتين:

أولاً: إن الطريق ضيق، لكن الخاتمة رحبة. «يقودك (الرب) من وجه الضيق إلى رحب لا حصر فيه» (أي ٣٦: ١٦). وفي هذا يقول المرنم:

يا نفسُ كم من مرة	نجاك ربُّك الكريم
يا نفسُ كم من ضيقة	أفضت إلى رحب عظيم
نفسى اشهدي عن رحمة	زادت على كل الهموم
كذا اشكري عن نعمة	قد بددت كل الغيوم

ثانياً: إن الرب في حكمته السرمدية يستخدم الضيق لكي يوسّعنا* روحياً «عالمين أن الضيق ينشئ صبراً» (رو ٥: ٣). وكم هو مؤثر وجميل قول الوحي عن بني إسرائيل وقت ذلهم في كور المشقة: «ولكن بحسبما أذلّوهم، هكذا نموا وامتدوا» (خر ١: ١٢).

والرب يتعامل معنا في الضيق بأسلوبين: إما أن ينفذنا من الضيق ويخرجنا منه، أو أنه يعطينا القدرة والإمكانية لأن نحتمل الضيق: «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبراً» (يع ١: ٣).

«الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟» (ع ٦).

إن كان العدد السابق (ع ٥) يعطينا تلخيصاً للاختبار، فإن هذا العدد يعطينا سر الانتصار. ولقد اقتُبست هذه الآية في عبرانيين ١٣: ٦، «لأنه قال: لا أهلك ولا أتركك، حتى إننا نقول واثقين: الرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسان؟». ما أجمل أن الرب يقول، ونحن نجيب. هو يقول: «لا أهلك»، ونحن نظهر الثقة في مواعيده، فنقول

* وهذا المعنى نفهمه من مزمور ٤: ١ (ترجمة داربي).

واتقن: «الرب معين لي». هناك مؤمنون كثيرون - بالأسف - رغم سماعهم مواعيد الله الصادقة، يظلون كما هم، خائفين ومنزعجين!

«الرب لي بين معين، وأنا سأرى بأعدائي» (٧٤).

في زمان صبر المسيح فإننا نعلم أن «القضاء على العمل الرديء لا يُجرى سريعا» (جا: ٨: ١١). ثم إنه لا يليق بنا كمؤمنين، في تدبير النعمة، أننا نطلب الانتقام من الأعداء، لأنه مكتوب «لي النعمة أنا أجازي، يقول الرب» (رو ١٢: ١٩). لكن مع ذلك علينا أن نتق أن الرب «إله مجازاة، يكافئ مكافأة» (إر ٥١: ٥٦)، وستأتي المجازاة في النهاية «إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء» (٢ تس ١: ٦، ٧). لقد كان دانيال أميناً، ولم يوجد فيه ذنب، غير أن الأريدياء دبوا له مكيدة حتى طُرح في جب الأسود، ولقد نجاه الرب، أما أولئك الأريدياء فقد هلكوا هم ونساءهم وأطفالهم.

«الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان» (٨٤).

تحذّرنا كلمة الله من الاستناد على البشر «ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعاً، وعن الرب يحيد قلبه» (إر ١٧: ٥). وتحذّرنا الكلمة على الاستناد على الرب «مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، وكان الرب مُتَكَلِّه» (إر ١٧: ٧)، وأيضاً «توكّل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يقوّم سبلك» (أم ٣: ٥، ٦).

«الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء» (٩٤).

يعلّمنا الكتاب «لا تتكلوا على الرؤساء، ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده» (مز ١٤٦: ٣). ماذا بوسع الرؤساء أن يعملوا معنا في الأزمات: في المرض أو التكل أو الموت، ناهيك عن المصير الأبدي الذي ليس بوسعهم، لا أن يفيدونا، ولا أن يفيدوا أنفسهم!! ولقد اختبر داود الاتكال على الرؤساء، فلم ينفعوه. لقد كان صهراً للملك شاول، ولكن الملك حاول أكثر من مرة أن يقتله. ثم هرب داود إلى أخيش ملك جت ليحتمي عنده، فلم يفده شيئاً. بل حتى أقرب الأقربين إليه قد خذله، أبشالوم ابنه، وأخيتوفل مشيره.

أما نحن فطوبى لنا. لم يعرف أحد من البشر أن الله له كما عرفنا نحن، وذلك عندما مات المسيح على الصليب. «فماذا نقول لهذا: إن كان الله معنا (أو لنا) فمن

علينا؟». وكيف ظهر ذلك؟ «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو ٨: ٣١).

الأعداد من ١٠ إلى ١٣: نرى فيها صورة لمهاجمة الأعداء الظاهرين (ع ١٠، ١١، ١٢)، والخفيين (ع ١٣). وهؤلاء وأولئك مُشَبَّهون بهجوم النحل، وهو هجوم مخيف جداً، نرى فيه الغضب والشراسة التي قد تؤدي إلى الموت.

وقديماً أحاط الأعداء باليسع النبي، ولكنه بعين إيمانه رأى الجبل مملوءاً خيلاً، ومركبات نار حوله (مل ٦: ١٥-١٨). وقال لغلامه: «الذين معنا أكثر من الذين معهم» (مل ٦: ١٥-١٧).

«باسم الرب أبديهم» (ع ١٠، ١١، ١٢). هذا التكرار الثلاثي، يذكرنا بكلمات داود لجليات: «أنا آتي إليك باسم رب الجنود» (اصم ١٧: ٤٥).

وفي (ع ١٣)، يتحدث المرنم عن عدو خفي «دمرتني دحوراً لأسقط» وهو يقيناً يقصد به ذاك الماكر الخبيث، الذي يعمل خلف كل الأعداء الظاهرين. إنه القتال للناس من البدء، إبليس. ويتكلم عنه الرسول بولس قائلاً: «أنقذت من فم الأسد». ولم يكن يقصد بالأسد هنا نيرون، لأن الرسول بولس يقول: «أنقذت من فم الأسد، وسينقذني الرب من كل عمل رديء» (٢ تي ٤: ١٧، ١٨)، ونحن نعلم أن نيرون قطع رأس بولس، فالرسول بولس ليس مشغولاً بحياته أو بموته، لأنه كان قد سبق وحسم هذا الأمر إذ قال: «يتعظم المسيح في جسدي، سواء كان بحياة أم بموت» (في ١: ٢٠). فهو لم يكن خائفاً من نيرون، بل من الأسد الذي يقف خلف نيرون، لئلا يهز ثقته وإيمانه بالله. هذا ما حاوله ذلك العدو الشرس مع المسيح في البستان، لكن المسيح قال: «رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء» (يو ١٤: ٣٠).

«قوتي وترنمي الرب، وقد صار لي خلاصاً» (ع ١٤).

يأتي الترنيم والتسبيح في الكتاب المقدس بعد الانتصار والخلاص. فبعد الانتصار على فرعون وجنوده، ترنم موسى والشعب معه (خر ١٥). وبعد الانتصار على سيسرا، ترنمت دبورة القاضية (قض ٥). وبعد الانتصار على جليات، غنّت النساء اللاعبات (اصم ١٨).

«افتحوا لي أبواب البر، أدخل فيها وأحمد الرب» (ع ١٩).

إن ما يميز المسيحية عن أي فلسفة أو ديانة في العالم، هي أنها لا تفتح للخطاة أمثالنا أبواب الرحمة أو حتى النعمة بل أبواب البر!

عندما يتوهم الإنسان - مخدوعاً - أن الله يمكنه أن يتغاضى عن بره، فهو يخطئ خطأً كبيراً. نحن سندخل السماء على أساس البر، لا البر الذي عملناه نحن، لأننا في الواقع لا نقدر أن نظهر أمام الله بأعمال برنا على الإطلاق (إش ٦٤: ٦؛ رو ٣: ٢٠؛ في ٣: ٩؛ تي ٣: ٥)، بل البر الذي حصله ربنا يسوع المسيح بموته لأجلنا (رو ٣: ٢٤؛ ٢ كو ٥: ٢١؛ ١ بط ٣: ١٨). وكم سنحمد الرب ونفرح به. عندئذ سيقود هو تسبيحاتنا، وهذا يظهر أن فرحه هو سيكون أعمق وأكثر من فرحنا نحن. لكن علينا أن نعي هذه الحقيقة المباركة: أن فرح الرب بنا لن يبدأ في السماء، بل من الآن هو يرحب بكل تائب راجع إليه (لو ١٥).

«هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهم ونفروم فيه» (٢٤ع).

ويوم الرب في الكتاب المقدس له معنيان: أدبي ونبوي. سترجئ المعنى النبوي لحين حديثنا عن التطبيق النبوي للمزمور. وأما المعنى الأدبي فهو ما نفهمه من رؤيا ١: ٩، أعني به اليوم الأول من الأسبوع، يوم قام المسيح من الأموات.

ويرتبط هذا اليوم الذي صنعه الرب، بالنور في (٢٧ع). ولا أعلم لماذا يُسمى الكثيرون من المسيحيين السبت الذي قضاه المسيح بطوله، ليله ونهاره، في القبر، "سبت النور"، فالأجدر أن يرتبط النور بيوم الأحد، يوم قيامة المسيح من الأموات فأبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢ تي ١: ١٠ مع ٢٧، ٢٤ع).

وفي هذا اليوم ينتظر الرب من قديسيه إكرامه وتمجيده، ولا سيما بصنع ذكرى موته وقيامته (أع ٢٠: ٧). وما أروع أن نقسّ هذا اليوم ونشترك مع الملايين في كل قارات العالم في التسبيح والحمد لربنا المقام.

«آه يا رب خلّص» (٢٥ع): وكاتب المزمور هنا لم يعمل مثل المرأة قاتلة ابنها في زمن الجوع التي قالت: «خلّص يا سيدي الملك» (٢ مل ٦: ٢٦)، بل إنه يتجه بصلاته هذه إلى الذي ليس بأحد غيره الخلاص (أع ٤: ١٢؛ إش ٤٥: ٢٢).

وعبارة: **«آه يا رب خلّص»** تعني حرفياً "أرسل الآن رضاء". ألا نقولها نحن أيضاً بصدد الجوع الروحي الذي نعاني منه؟! أيوجد اليوم شيء نحتاج إليه أكثر من الرجوع بالصراخ القلبي: **«آه يا رب خلّص»**؟

التطبيق النبوي

هذا المزمور هو لغة البقية بعد رجوعهم إلى الرب، ويركتهم في الأرض. هؤلاء سوف يتذكرون اختباراتهم الماضية الأليمة، ولكن سيذكرون أيضاً كيف أن الرب كان معهم ولهم، ولا سيما في فترة الضيقة العظيمة التي سيكونون قد خرجوا منها لتوهم، وذكرياتها ما زالت ماثلة أمام أذهانهم. وسيعقب تلك الأيام بالغة الصعوبة، أحلى الأيام. فهم سيدعون الرب من الضيق، فيجيبهم من الرحب (ع ٥٤). وسيأتي أخيراً اليوم الذي صنعه الرب (ع ٢٤)، يوم الابتهاج والفرح لكل الخليقة، وذلك بعد أن يقولوا: «**مبارك الآتي باسم الرب**» (ع ٢٦).

هذا المزمور هو إذاً مزمور ابتهاج عظيم، سترنم به الشعب في استقباله المسيح عند دخوله إلى أورشليم في مجيئه الثاني (مع المزمور ٢٤ الذي ينظر إلى المسيح باعتباره ملك المجد)، وفيه سيتذكر الشعب تاريخهم الطويل المليء بالألم والاضطهادات. ولا سيما ما اجتازوه في فترة الضيقة العظيمة. لكنهم في نهاية رحلتهم المضنية عبر السنين والقرون، فإنهم سيشهدون بصلاح* الرب، وأن إلى الأبد رحمته. فرغم ما عانوه وكابدوه من آلام، فإن الخاتمة المجيدة آتية لا ريب.

ولأن اختباراتهم في الضيقة العظيمة ستكون ماثلة أمامهم، فإنهم سيذكرون كيف أحاط بهم الأعداء من كل جانب (ع ١٠-١٢)، لكنهم سينطفئون كنار الشوك، وذلك بمجرد أن يظهر المسيح من السماء لخلاصهم (إش ١٧: ١٢-١٤؛ زك ١٤: ٣).

والآية الواردة في ع ١٣ «**ممرتنبي دحوراً لأسقط**» (سقوطاً لا قيام بعده)، أما الرب فعضدي، تذكرنا بتحالف الأشوري في الأيام الأخيرة ضد الأمة التي اختارها الرب «هوذا أعداؤك يعجّون ومبعضوك قد رفعوا الرأس. على شعبك مكروا مؤامرة، وتشاوروا على أحميائك. قالوا لهم نبدهم من بين الشعوب ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد» (مز ٨٣: ٢-٤).

* وكما سترنم من يدخل الملك الأكفي بهذا المزمور الذي يشيد بصلاح الله، فإن الواقفين على البحر الزجاجي المختلط بالنار، الذين هم شهداء الضيقة العظيمة، الذين تعرضوا للتجارب النارية، والذين قتلهم الوحش، سنسمعهم يرنمون قائلين: «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء! عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين!» (رو ١٥: ٢، ٣).

لكن بعد خروجهم سالمين من الضيقة العظيمة، سيكون اختبار البقية التقية هو ما جاء في ع ١٨ «تأديباً أدبني الرب وإلى الموت لم يسلمني».

ويرى البعض أن تعبير «الحجر الذي رفضه البناؤون»، وهو بلا شك ينطبق في المقام الأول على الرب، كما أوضح هو ذلك في العهد الجديد، ينطبق أيضاً على إسرائيل بصفة عامة، وأورشليم بصفة خاصة. وهذا ليس غريباً على أسلوب الكتاب المقدس، فقد ذكر صراحة في نبوة زكريا ٣:١٢ أن أورشليم ستكون في فترة الضيقة العظيمة حجراً مشوَّالاً. وكل الذين يشيرونه ينشقون شقاً. لقد رفض الأمم هذا الحجر قروناً طويلة، لكن لا بد أن يأتي اليوم وتكون تلك المدينة كما قصد لها الله، فرح كل الأرض (مز ٤٨: ٢؛ إش ٦٢).

«هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. نبتهم ونفرم فيه».

وفي المنظور النبوي والنهائي، فإن المقصود هنا هو يوم الرب*، لا يوم قيامة المسيح في اليوم الثالث، بل يوم قيامة الأمة في اليوم الثالث أيضاً (هو ٦: ٢). هذا قصد النبوة المباشر - «يوم الرب The day of the Lord»، يوم يملك ربنا يسوع المسيح على كل العالم، وهو اليوم الذي يقول عنه الرب: «اليوم الذي أنا صانع» (ملا ٣: ١٧). وكم سيملاً الفرح حينئذ كل الخليقة التي إلى الآن تئن وتتمخض معاً.

وهذا اليوم مرتبط بظهور البر. فكما ظهر البر بالمعنى الأدبي نتيجة مجيء المسيح الأول وموته وقيامته «أما الآن فقد ظهر بر الله» (رو ٣: ٢١)، سيظهر البر بمعناه الحرفي نتيجة مجيء المسيح ثانية، إذ سيتم القول: «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف بره» (مز ٩٨: ٢).

لقد كان يوم الرب بمعناه الأول الأدبي، مرتبطاً بتأسيس علاقته مع الكنيسة، أولاً بقيامة المسيح من الأموات، ثم بحلول الروح القدس بعد خمسين يوماً، وبذلك فقد أثار الرب لنا (ع ٢٧). وأما يوم الرب بمعناه الثاني، فهو يوم تأسيس علاقته مع الأرض، عندما يظهر بالمجد والقوة ليملك عليها، فينير على الجميع (إش ٣٠: ٢٦). في الحالة الأولى نواه صاعداً فوق جميع السماوات وفي الحالة الثانية نراه نازلاً ليؤسس ملكه فوق الجميع!

* كان الفيلدمارشال مونتجومري يتلذذ بأن يطبق هذه الآية على يوم انتهاء الحرب العالمية الثانية، باعتبار أن هذا النصر الذي تحقق كان من صنع الرب. لكن القرينة توضح أن هناك معركة أعظم حُسمت في الجلجلة والقيامة. كما أن هناك معركة عظمى سيحسمها المسيح عند ظهوره من السماء (رؤ ١٩). إلى هذه وتلك تتجه عين النبوة هنا.

«آه يا رب خلّص» (ع ٢٥).

ويمكننا ربط الخلاص أيضاً بيوم الرب بمفهومييه السابقين. فنحن خلاصنا بمجيئه الأول، وسيتم خلاصنا عند الاختطاف. كما سيخلص الشعب الأرضي بمجيء المسيح ثانية. فلا خلاص للبقية النقية إلا عندما يظهر لهم الرب (عب ٩: ٢٧)، ولذلك فإن المرنم بعد أن طلب الخلاص والإنقاذ، أشار تَوَّاً إلى مجيئه بالقول: «مبارك الآتي باسم الرب».

ولكن قبل أن يأتي المسيح باسم الرب، فهناك ضد المسيح الذي سيأتي باسم نفسه، وستقبله الأكثرية الغبية، فنتم كلمات المسيح: «أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني، إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه» (يو ٥: ٤٣). لكن عندما يُقبل ذلك الأئيم من جموع الأمم، فإن البقية النقية ستصرخ: «آه يا رب خلّص، آه يا رب أنقذ، مبارك الآتي باسم الرب».

المسيح في المزمور:

كان هذا المزمور يملأ فكر الرب يسوع في أسبوع آلامه، وهناك أربعة أدلة على ذلك:

١- فالجمع عند دخول المسيح إلى أورشليم راكباً على جحش، صرخوا بكلمات العدد السادس والعشرين من هذا المزمور قائلين: «مبارك الآتي باسم الرب» (مت ٢١: ٩). ولقد سمع المسيح هذه العبارة، وعلق عليها بالقول: «إن سكّت هؤلاء فالحجارة تصرخ» (لو ١٩: ٤٠).

٢- بعد ذلك، في مَثَل الكرامين الأرياء، اقتبس المسيح نفسه كلمات هذا المزمور (٢٢ع) لَمَّا قال لرؤساء الكهنة وشيوخ الشعب: «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيبٌ في أعيننا» (مت ٢١: ٤٢).

٣- بعد ذلك، عندما رثى المدينة العاصية، أورشليم، قال: «أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب» (مت ٢٣: ٣٩). مقتبساً بنفسه العدد السادس والعشرين، مرة أخرى.

٤- وأخيراً - كما يرجح الكثيرون - أنشد كلمات هذا المزمور، مع تلاميذه، قبل خروجهم من العلية، حيث «سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦: ٣٠).

والأعداد من ٥ إلى ٢١، تكلمنا عن قصة المسيح بدءاً من بستان جثسيماني، وحتى صعوده الظافر إلى السماء. ويمكننا تتبع هذه القصة في عدة مراحل كما يلي:

١- بستان جثسيماني:

«من الضيق دعوت الرب، فأجابني من الرحب» (ع ٥).

هل كان للمسيح ضيق؟ نعم، ونرى في قصة يوسف صورة مصغرة لذلك. لقد تذكر إخوته ذنبهم معه فقالوا: «إننا مذنبون إلى أخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع». وما هي الضيقات التي تعرض يوسف لها؟ طُرح في البئر، حرم من أقرب الأقرين له، بيع كعبد، دخل السجن، نعم «في الحديد دخلت نفسه»، أما ضيقة المسيح فكانت أعظم بما لا يُقاس، إذ نسمعه يقول: «نفسى حزينة جداً حتى الموت» (مت ٢٦: ٣٨).

لمن يشتكي الرب؟ يعنون مزمور ١٠٢ بعبارة «صلاة لمسكين إذا أعيأ وسكب شكواه قدام الله». ونحن نراه في بستان جثسيماني جاثياً يصلي لأبيه ثلاث مرات، ولقد سُمع له (ع ٥: ٧). ونحن لا يمكننا مطلقاً أن ندرك ضيقة نفس المسيح في البستان، كما لا يمكننا أن ندرك الرحب الذي انتقل إليه بعد القيامة من الأموات.

٢- القبض عليه:

«الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ الرب لي بين معيني، وأنا سأرى بأعدائي» (ع ٦: ٧).

بعدما صلى الرب ثلاث مرات في البستان، خرج وهو عالم بكل ما يأتي عليه، فهل أظهر خوفاً؟ في الواقع إن الذي خاف هم الجنود الآتين ليقبضوا عليه، كما أن تلاميذه أيضاً هربوا خوفاً، أما هو فكان ثابتاً هادئاً، بل نراه هو يسلم نفسه لهم، قائلاً لهم: «إن كنتم تطلبونني، فدعوا هؤلاء يذهبون» (يو ١٨: ٦). ويقول المسيح هنا: «أنا سأرى بأعدائي». ولقد رأى المسيح أعداءه في البستان، وهم ساقطون أمامه.

٣- محاكمة المسيح:

«الاحتفاء بالرب خير من التوكل على إنسان، الاحتفاء بالرب خير من التوكل على الرؤساء» (ع ٨: ٩).

في مشهد المحاكمة، كان المسيح «كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها» (إش ٥٣: ٧). فهو لم يدافع عن نفسه، ولم يستند على الرؤساء، سواء الرؤساء الدينيين أو السياسيين. فلقد تنكر رئيس الكهنة لوظيفته المعطاة له من الله (ع ٥: ٤)،

فواجب رئيس الكهنة هو أن يترفق بالجهال والضالين، لا أن يفترى على النقي البار، كما فعل حنان وقيافا بصورة مرعبة مع المسيح. أما دور الوالي الذي يستمد السلطان من الله، فهو أن يدافع عن المظلومين، وهو ما فشل فيه بيلاطس فشلاً ذريعاً. لكن المسيح لم يضع ثقة إطلاقاً في الإنسان، ولم ينتظر أحداً من البشر أن يبرره، بل انتظر الرب وحده. وكان المسيح قد حسم أمره مع الأب في البستان.

٤- غوغاء اليهود والرومان:

«كل الأمم أحاطوا بي، باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بي واكتنفوني، باسم الرب أبيدهم. أحاطوا بي مثل النحل، انطأوا كنار الشوك باسم الرب أبيدهم» (ع ١٠-١٢).

ترينا هذه الأعداد تكتل البشر ضد المسيح الله، وكيف اجتمع على شخصه القدوس هيرودس وبيلاطس مع أمم وشعوب إسرائيل، عندما ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل، وقامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه (أع ٤: ٢٥-٢٧). وعن هذا التكتل يكتب مزمور ٢٢ قائلاً: «أحاطت بي ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتني. فغروا عليّ أفواههم كأسد مفترس مزمر... لأنه قد أحاطت بي كلاب، جماعة من الأشرار اكتنفتني»

وعبارات هذا الجزء «باسم الرب أبيدهم» تُذكرنا بكلمات داود في ١ صموئيل ١٧: ٤٥-٤٧ في معركته مع جليات جبار الفلسطينيين، والتي كانت نموذجاً مصغراً لمعركة الجلجثة، معركة كل الدهور.

ما الذي يفعله الإنسان عندما يهاجمه سرب من النحل؟ عندما تهاجم الإنسان نحلة واحدة يمكنه أن يطردها، لكن عندما يهاجمه سرب من النحل، يبادر هو بالفرار إن استطاع (تث ١: ٤٤). أما المسيح فلم يفعل هذا أو ذاك. إنه لم يطرد النحل، ولا هرب منه. لقد كانوا حوله كالنحل في الكثرة: «جمعوا عليه كل الكتيبة» (مت ٢٧: ٢٧)، وقاموا بتمثيلية هزلية، ولم يدافع عن نفسه. إن بولس في محاكمة رسمية لم يتحمل أمر رئيس الكهنة بضربه، أما المسيح فكان صامتاً، وهو يتقبل لدغات النحل المؤلمة.

والنحلة بعدما تلدغ الإنسان تموت. وكأن الرب تحمل ببسالة كل لدغاتهم المحمومة عندما قال: «إن كنتم تطلبونني، فدعوا هؤلاء يذهبون» وكأنه يقول لهم: «افرغوا سمومكم كلها فيّ، هاتوا كل لدغاتكم»، ولسان حاله: «من هو صاحب دعوى معي، ليتقدم إليّ»

(إش ٥٠:٨). وهكذا هجم عليه لا البشر القساة فحسب، بل كل أجناد الشر الروحية، حتى انتهى كل سرب النحل بالكامل وكانت النتيجة الحتمية: «انطلقوا كنار الشوك»، تلك النيران التي تبدأ كبيرة ولكن في لحظات تنتهي. وهذا ما حدث في الجلجثة.

٥- ساعة الشيطان:

«مهرتني دجوراً لأسقط، أما الرب فعضدني» (ع ١٣).

هنا نرى العدو الحقيقي المستتر، عدو كل بر، الذي جند كل العالم تحت إمرته ضد مسيح الله راغباً أن يमित المسيح «ويبيد اسمه» (مز ٤١:٥). وعبرة «لأسقط» المذكورة هنا تعني سقوطاً لا يعقبه قيام. لقد وحد الشيطان كل البشر ضد مسيح الله، ولم يهدأ حتى مات المسيح. ثم أوعز أيضاً للجندي أن يطعنه بالحربة ليتأكد بذلك أنه مات فعلاً. ثم ذكر رؤساء الكهنة بقول الرب إنه سيقوم في اليوم الثالث، فطلبوا أن يضبطوا القبر، ويضعوا الحراس. وإزاء كل هذا، بدا للعيان أن المسيح سقط سقوطاً نهائياً، عندما مات المسيح، ودُفن في القبر، وختم الحجر؛ فخابت الآمال في ظاهر الأمر (ارجع إلى لوقا ٢٤:٢١). لكن لسان حال الرب في كل هذا: «أما الرب فعضدني». لقد أقامه من الأموات.

٦- القيامة:

«قوتني وترنمي الرب وقد صار لي خلاصاً» (ع ١٤).

نرى في هذه الآية المسيح المقام من الأموات «الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه» (ع ٢٤:٢٤). وخطب الرب يسوع الأب بعد القيامة بقوله «أخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك» (عب ٢:١٢). هذا ينقلنا إلى النقطة التالية:

٧- أفراح التلاميذ:

«صوت ترنم وخلص في خيام الصديقين. يمين الرب مانعة ببأس» (ع ١٥، ١٦)

فعلى أساس عمل المسيح الكامل، ثم قيامته الظاهرة، ملأت الأفراح قلوب قديسيه وامتألت أفواههم ضحكاً وأسنتهم ترنماً (مز ١٢٦:١، ٢). نلاحظ أن الصيغة في الآيات السابقة كانت بالمفرد، أما من ع ١٥ فيالجمع. وإن كنا نرى في ع ١٤ القيامة، فإننا في ع ١٥ نرى ما حدث للمؤمنين. وبقيناً كانت هذه حالة القديسين في أورشليم ابتداءً من يوم الخمسين، حيث نقرأ «وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام

بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب» (أع ٢: ٤٦، ٤٧).

وعندما يقول: «يمين الرب صانعة بئأس» (ع ١٥)، فإن هذا يذكرنا بما حدث في أول مرة يظهر فيها الرب للتلاميذ، إذ أراهم صاك المخالصة: «أراهم يديه وجنبه» (يو ٢٠: ٢٠)، وقال لهم «انظروا يدي ورجلي» (لو ٢٤: ٣٩).

٨- حياة لا تزول:

«لا أموت بل أحيأ وأحدث بأعمال الرب» (ع ١٧).

قال الرب ليوحنا وهو في جزيرة بطمس: «كنت ميتاً وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين» (رؤ ١: ١٨)، «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحيها يحيهاها الله» (رو ٦: ١٠).

٩- الصعود:

«افتحوا لي أبواب البر* أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب، الصديقون يدخلون فيه» (ع ١٩، ٢٠).

نرى في هذه الآية ربنا يسوع صاعداً إلى العلاء باعتباره الإنسان، مرتقياً أعلى مكان فوق جميع السماوات «إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلطين وقوات مخضعة له» (١بط ٣: ٢٢).

لقد تبرر المسيح بالقيامة من الأموات. فذاك الذي أغلقت السماء في وجهه بالعدل، قد فتحت له بالبر، لا أبواب القبر فقط بل أبواب السماء أيضاً. لا ليدخلها بمفرده، فلقد كان بوسع المسيح أن يدخل السماء باستحقاقه الشخصي في أية لحظة يريد، لكنه بالقيامة دخل السماء كسابق لأجلنا من خلال أبواب البر. وفي الوقت الحاضر نحن لا نتمتع بالنعمة فحسب بل النعمة التي تملك بالبر (رو ٥: ٢١)، وخدمتنا هي خدمة البر (٢كو ٣: ٩)، والله يقدم الآن للبشر «فيض النعمة، وعطية البر» (رو ٥: ١٧).

نلاحظ في مزمور ٢٤ دخول الرب من الأبواب الدهريات مرتين: مرة وحده باعتباره «الرب القدير الجبار. الرب الجبار في القتال»، أي دخل وحده بعد معركة الجلجلة، أما في المرة الثانية فباعتباره «رب الجنود»، حيث في هذه المرة سنكون معه، كقول الوحي هنا: «الصديقون يدخلون فيه».

* واضح أن ع ١٨ «تأدياً أدبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» لا يمكن أن ينطبق على الرب لسببين: أولاً، لأن الرب لم يتأدب مطلقاً، إذ هو الكامل على طول الخط، ثم لأنه ذاق بنعمة الله الموت. لكن هذه الآية - كما ذكرنا قبلاً - تنطبق على البقية التقية مستقبلاً.

ويربط المرنم هنا بين أبواب البر (ع ١٩)، واليوم الذي صنعه الرب (ع ٢٤)، اليوم الجديد. ونستطيع أن نقول إن النعمة ظهرت بظهور الرب يسوع المسيح (٢ تي ١: ٩، ١٠؛ يوا: ١٤-١٧)، وأما البر فظهر بموت المسيح وقيامته من الأموات. وكأن المسيح بقيامته من الأموات يكرر ما سبق أن قاله في مناسبة سابقة: «اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» (لو ٤: ٢١).

«أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح» (ع ٢٧).

الكلمة المعتادة للذبيحة بالعبري هي "ذبح"، وهي بخلاف الكلمة المذكورة هنا، والتي نجدُها أيضاً في خروج ١٨: ٢٣، وملاخي ٣: ٢. وتأتي بمعنى عيد، وبالعبري "حج"، والتي منها جاء اسم النبي «حجي». والمسيح يُذكر عنه في الأناجيل أنه أوثق ساعة

الرُّبُطُ النُّبِيُّ أَوْثَقَتِ الذَّبِيحَةَ

من الناحية الروحية والأدبية يمكننا أن نرى أن الربط التي أوثقت الذبيحة (مز ١١٨: ٢٧) هي:

- ١- مشيئة الله: «يا أبناه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس، إلا أن أشربها فلتكن مشيئتكم» (مت ٢٦: ٤٢).
- ٢- كلمة الله: «أتظن أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من أثنى عشر جيشاً من الملائكة. فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون» (مت ٢٦: ٥٣، ٥٤).
- ٣- محبة الله: «إن قال العبد أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً. يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالثقب، فيخدمه إلى الأبد» (خر ٢١: ٥، ٦).

وبهذه الربط الثلاثة: مشيئة الله، وكلمة الله، ومحبة الله، رد المسيح على افتراءات الشيطان الثلاثة في الجنة، عندما أوعز للإنسان أن الله - بجرمانه من الأكل من شجرة المعرفة - ليس باراً، وأنه - بقوله يوم تآكلان منه موتاً تموتاً - ليس صادقاً، وأنه لا يريد أحداً أن يكون مثله، فإنه ليس محباً. لكن المسيح بموته بيّن بر الله وصدقه ومحبه. فعندما مات المسيح لإتمام مشيئة الله أظهر بر الله، وعندما مات إتماماً لكلمة الله، أوضح صدق الله، وعندما مات إتماماً لمحبة الله أعلن محبة الله. وكان الرب في هذا المزمر يقول: "إن ما يقيدني ليست هي قيود الرومان ولا اليهود، فلو كنت أريد أن آخُص نفسي منها، ما كان أيسر ذلك عليّ، بل إنني موثق بربط مشيئة الله وكلمة الله ومحبة الله (قارن مع هو ١: ٤)، وهي ربط تجعلني أسير في الطريق إلى أن أصل حتى إلى قرون المذبح، لكي أقدم نفسي باعتباري الذبيحة".

القبض عليه، دون أن يذكر لنا بماذا أوثقوه: بسلاسل أو بحبال. وبالتالي نحن أيضاً لا يمكننا أن نعرف بماذا أوثق المسيح حرفياً، لكن المزمور يذكر هنا أن الذبيحة توثق «بربط». وفي عيد الفصح بعد قراءة مزامير الهلل، كانت هذه الآية تُردّد «أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح»، وبعدها يُذبح خروف الفصح. والمسيح في العلّة نطق، آخر ما نطق، بهذه العبارة، وبعد أن سيح، مضى إلى الذبح (إش ٥٣: ٧).

آيتان مسياويتان

«الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا» (٢٣، ٢٢ع).
«مبارك الآتي باسم الرب» (٢٦ع).

الآية المسياوية الأولى: «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا»

حماقة المتخصصين

ولو أن الفلاحين أو الملاحين، الرعاة أو الصيادين هم الذين رفضوا هذا الحجر، لمّا كنا نتعجب كثيراً، لأن البناء ليس مهنتهم. أما أن يرفض هذا الحجر الكريم البناؤون أنفسهم، يرفضون أفضل حجر شاهده عيونهم على الإطلاق، فما أشدّ العجب! هنا نحن نرى "حماقة المتخصصين"!

هناك متخصص كالطبيب، حماقته تسبب ضرراً كبيراً لواحد من مرضاه. وهناك متخصص في التشييد والبناء، حماقته تسبب ضرراً للعشرات أو للمئات. أما هؤلاء المتخصصون، فطامتهم الكبرى أنهم أهلكوا وراءهم الملايين.

صار رأس الزاوية

إن وجه العجب لا يقف عند رفض البنائين لهذا الحجر، فإن كان الإنسان قد رفض المسيح، فإن الله رفعه جداً. لقد أجمع قادة الأمة على احتقاره وصلبه، فكيف يمكن أن يصير هو رأس الزاوية؟ الإجابة: «من قبل الرب كان هذا». وحقاً إن من يتتبع الأسلوب

الذي تم به رفع الحجر المرفوض ليصير رأس الزاوية لا يسعه إلا أن يضيف مع المرنم قائلاً «وهو عجيب في أعيننا».

لقد كان هناك، وقت مجيء الرب إلى الأرض، ثلاثة أنظمة هي: النظام الديني (اليهودي)، والنظام الثقافي (اليوناني)، والنظام العسكري والسياسي (الروماني). وكان كل نظام لا يمانع بأن يكون المسيح جزءاً من نظامه، بل كان يفتخر بأن يكون هو حجراً ضمن بنائهم، إذ أن المسيح، بصفة عامة، له تقديره البارز سواء في حياته الكاملة، أو في كلماته السامية، أو في قدرته الفائقة. غير أن المسيح ما جاء ليكون جزءاً من بنيان ثبت فشله ورفضه الله. لقد حكم على هذه الأنظمة كلها، من أجل ذلك رفض من الكل. وكان جواب الرب على رفضهم لهذا الحجر أن أقامه من الأموات، ليجعله رأس الزاوية في بنيان جديد تماماً.

تتكرر الإشارة إلى صيرورة المسيح رأس الزاوية سبع مرات في الوحي المقدس (مت ٢١: ٤٢؛ مر ١٢: ١٠؛ لو ٢٠: ١٧؛ أع ٤: ١١؛ أف ٢: ٢٠؛ إبط ٧: ٢؛ بالإضافة إلى مز ١١٨: ٢٢).

قصة الحجر في الكتاب المقدس

توجد في العهد القديم سبعة فصول تحدثنا عن المسيح باعتباره الحجر نذكرها بترتيب ورودها في الوحي:

- ١- «من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل» (تك ٤٩: ٢٤).
- وعبارة "صخر" ترد في الأصل العبري: حجر.
- ٢- «الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية» (مز ١١٨: ٢٢). ولقد اقتبس الرسول بطرس هذه الآية في حديثه مع رؤساء الأمة لكي يحرك قلوبهم وضمائرهم، وأكد أن ليس بأحد غير المسيح الخلاص (أع ٤: ١١، ١٢).
- ٣- «ويكون مقدساً، وحجر صدمة، وصخرة عثرة لبني إسرائيل» (إش ٨: ١٤).
- المسيح بحسب هذه الآية هو الحجر المرفوض من هذا الشعب، وهو أيضاً حجر الصدمة وصخرة العثرة بالنسبة لهم، ولكن اسمع ماذا يقول الكتاب: «ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة، وصخرة عثرة، وكل من يؤمن به لا يخزي» (رو ٩: ٣٣). وعندما ذكر الرب يسوع مثل الكرامين لرؤساء الكهنة والكتبة قال لهم: «كل من يسقط على ذلك

الحجر يتروضض، ومن سقط هو عليه يسحقه» (لو ٢٠: ١٧، ١٨).

٤- «هأنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً، أساساً مؤسساً. مَنْ آمَنَ لا يهرب» (إش ٢٨: ١٦). المسيح - بحسب هذه الآية - هو حجر الامتحان، ويتحدد مصير كل البشر على أساس موقفهم من هذا الحجر الكريم، كقول سمعان البار للمطوبة مريم: «إن هذا قد وُضِعَ لسقوط وقيام كثيرين» (لو ٢: ٣٤).

٥- «لأنك رأيت أنه قد قُطِعَ الحجر من جبل بلا يدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب» (د ٢١: ٤٥). التمثال الذي شاهده نبوخذنصر في حلمه يصور أربع ممالك أممية متتالية في حكمها التاريخي: وهي المملكة البابلية (الذهب)، ثم المملكة الفارسية (الفضة)، ثم المملكة اليونانية (النحاس)، ثم الإمبراطورية الرومانية التي تلت حكم اليونانيين (د ٢١: ٣١-٤٥). وبعد إحياء الإمبراطورية الرومانية في المستقبل القريب، سيأتي الحجر العظيم، ربنا يسوع، ليسحق تلك الممالك ويقم المملكة التي لن تنقرض أبداً (ع ٤٤).

وواضح أن هذه الممالك لم تستطع أن تجلب المجد لله ولا السعادة للإنسان. لقد أعطى الله فرصة لكل الأنظمة كي تدخل البركة والسعادة في الأرض إن استطاعت، فلم ينجح أحد. لم تنجح الشيوعية، ولم تجلب للإنسان سوى الذل والمهانة. كما لم تنجح الاشتراكية، ولا الرأسمالية. كما لم تنجح أية فلسفة أو ديانة في أن تشبع الفراغ الروحي والنفسي في الإنسان، وأخيراً جرب الإنسان عبادة الشيطان نفسه!

لكن واحداً من الشيوخ قال ليوحنا: «لا تبك». هوذا قد غلب الأسد الذي من سبط يهوذا». إنه هو بعينه الذي يقال عنه هنا: «حجر قُطِعَ بغير يدين» أي ليس من صنع البشر، بل إنه إلهي، فضرب التمثال وذراه، وصار الحجر جبلاً كبيراً ملاً كل الأرض، صورة لمملكة ستغطي كل العالم. وسيأتي اليوم قريباً عندما «تشرق شمس البر والشفاء في أجنتها» (ملا ٢: ٢).

٦- «فهوذا الحجر الذي وضعته قدام يهوشع. على حجر واحد سبع أعين» (زك ٣: ٩). إنه ليس حجراً طبيعياً، ولا هو حجر كريم، لكنه كائن له سبع أعين، بمعنى أن له كمال التمييز وكمال الفطنة.

٧- «فيُخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة، كرامة له» (زك ٤: ٧). وهناك قصة في التقليد اليهودي تقول إنه أثناء بناء هيكل زربابل كانت الحجارة - كما هو معتاد -

تُجهز في المحجر، وتأتي بترتيب لتوضع في مكانها. وبينما العمال يقومون بالبناء صادفهم حجراً لم يعرفوا موضعاً له، فتركوه جانباً، وبعدما انتهوا من العمل بقي الحجر الأهم، لم يتم تركيبه بعد. إنه حجر الزاوية. وعبثاً فتشوا عنه فلم يجدوه، فأرسلوا يستعجلونه من المحجر، فجاءهم الجواب: لقد سبق أن أرسلناه إليكم من فترة كبيرة. وهنا تذكر أحدهم أنه كان هناك حجر وأُحترق وأُهمِل ووضِع جانباً، ففتشوا عليه، فوجدوه تحت الأتربة. وبينما هم يخرجونه من بين كوم الأتربة، هتفوا فرحاً وسروراً به.

إن صحت هذه القصة التاريخية فهي ليست أكثر من صورة مصغرة لليوم القريب الآتي، عندما يُكرّم الرب الذي سبق أن جاء واحترق وأهمِل. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب بنتهج ونفرح فيه.

ومن هذه الفصول السبعة يمكننا تتبع قصة الحجر في كلا العهدين القديم والجديد، بل وقصة المسيح من مجيئه الأول، مجيء الاتضاع، إلى مجيئه الثاني بالمجد والقوة بالصورة التالية:

المسيح هو الحجر المتضع الذي اختُبرَ من أرباب السهام الذين صوّبوا نحوه، كما حدث قبلاً مع يوسف (قارن تك ٤٩)، فأتضح كم هو جدير بالثقة. لكنه مع ذلك، وا أسفاه، رُفِضَ من البنائين (مز ١١٨: ٢؛ أع ٤: ١١)، وذلك لأنهم عثروا به (إش ٨: ١٤؛ مع رومية ٩: ٣٣). وتم قطعه والتخلص منه في الجلجثة. لكنه بعد الموت، صار بالقيامة من الأموات، رأس الزاوية للبنيان الإلهي الذي

المسيح الحجر في

مواقف ثلاثة

١- في الماضي: هو الحجر في علاقته باليهود وهم عثروا به إذ جاءهم متضعاً (إش ٨: ١٤؛ ١ بط ٢: ٨).

٢- في المستقبل: هو الحجر في علاقته بأمم العالم، وهو سيسحقهم إذ سيهوي عليهم من عليائه، من ثم يؤسس ملكوته العالمي، ملكوت القوة والمجد (٢١د: ٣٤).

٣- في الحاضر: هو الحجر في علاقته بالكنيسة. وهو رأس الزاوية للبنيان الشامخ الذي في فكر الله منذ الأزل. وطوبى لكل من يتكل عليه (١ بط ٢: ٦؛ إش ٢٨: ١٦).

كان في مقاصد الله ومشوراته الأزلية، أعني الكنيسة. فلقد أصدد المسيح تبارك اسمه فوق جميع السماوات، ليكون رأساً فوق كل شيء للكنيسة. وطوبى لمن اتكل عليه في زمان رفض الناس له (إش ٢٨: ١٦ مع ١ بطرس ٢: ٦، ٧). لكنه من هذا العلو الشاهق

سينزل كالصاعقة ليحطم كل الأعداء (دا ٤٥:٢ مع متى ٢١:٤٤)، وهو عندما يظهر من السماء ليسحق الأعداء سيعرفه شعبه الأرضي أنه هو الكلبي المعرفة (زك ٣:٩)، وسيرحبون به هاتفين كرامة كرامة له (زك ٤:٧).

الآية المساوية الثانية: «مبارك الآتي باسم الرب» (٢٦ع).

لقد اقتبسَ هذا الجزء في العهد الجديد ست مرات (مت ٢١:٩؛ ٢٣:٣٩؛ مر ١١:٩، ١٠؛ لو ١٣:٣٥؛ ١٩:٣٨؛ يو ١٢:١٣)، ليكون مع آية المزمور المقتبسة، سباعية مباركة في الوحي المقدس. مما يدل على أهميته. وواضح أن الإتمام النهائي لهذه النبوة ينتظر المستقبل (مت ٢٣:٣٩). فقديماً هتف الجمع للمسيح «مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا (أي خلّصنا)» وهي نفس الآية الواردة هنا في ع ٢٥، ولكن سرعان ما تحول هذا الهتاف إلى أبشع صرخة سُمِعَت منذ بدء الخليقة «اصلبه، اصلبه... دمه علينا وعلى أولادنا» (مت ٢٧:٢٥؛ يو ١٩:٦). لكنهم عند مجيء المسيح ثانية، سيقولها الشعب المنتدب مرحبين بملكهم عند دخوله الانتصاري العتيد، إلى أورشليم.

ونلاحظ أن عبارة «مبارك الآتي باسم الرب» في هذا المزمور ترد بعد عبارة «الحجر الذي رفضه البناؤون»، فلم تكن صرخة الأولاد عند دخول المسيح إلى أورشليم هي تتميم هذه النبوة النهائي، وهذا واضح من كلام المسيح في متى ٢٣:٣٩، فمع أنهم كانوا قد هتفوا له «مبارك الآتي باسم الرب» فيما سبق، إلا أنه قال لهم إن بيتهم سيترك لهم خراباً، وهم لن يروه حتى يقولوا «مبارك الآتي باسم الرب».

والمسيح في مجيئه الأول كان هو "الآتي"، كما نفهم من رد المسيح على تلميذي المعمدان عندما سأله «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (مت ١١:٣)، لكن هناك مجيئاً آخر للمسيح ننتظره نحن، كما ستنظره البقية في نهاية سني الضيقة، وعن هذا يقول كاتب العبرانيين: «لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطئ» (عب ١٠:٣٧). بل إن آخر أقوال المسيح في الكتاب المقدس هي: «أنا آتي سريعاً» (رؤ ٢٢:٢٠).

الملحق

**فكرة عامة عن
بعض المزامير**

مزمور ١٨

الملك المحارب المنتصر

مزمور طويل لداود، والكثير من آياته لا تنطبق على حياة داود، لكننا لا نعتبر هذا تجاوزاً لفظياً اقتضته الكتابة الشعرية، بل إذ أن المزمور جزء من الكلمة النبوية، فإن ما لا يجد انطباقه المباشر على داود، يجد تطبيقه الكامل والنهائي على ابن داود، ربنا يسوع المسيح.

الآية المساوية في هذا المزمور هي الآية ٤٩، حيث اقتبسها الرسول بولس في رومية ٩:١٥ متحدثاً عن المسيح في ملكه السعيد. وقد تكون أيضاً الآية الثانية «**به أحنمي**»، حيث اقتُبست من الترجمة السبعينية في عبرانيين ٢، وطُبقت على المسيح: «أنا أكون متوكلاً عليه» (عب ٢:١٣).

لكن المزمور كله مساوي* . ومع أنه تاريخياً يحكي لنا قصة انتقال داود من قبضة الموت إلى العرش، وذلك بقوة الله، إلا أن داود في هذا مجرد رمز لمن هو أعظم منه، ومن هو موضوع الكتاب المقدس كله.

ينقسم المزمور إلى أفكار رئيسية ثلاثة:

- | | | |
|--------|--|--------|
| ١٨-١٤ | إنقاذ داود بين فكي الموت | الضيق. |
| ٢٧-١٩٤ | المجد الذي أعطاه إياه الله | الرحب. |
| ٥٠-٢٨٤ | خضوع كل الشعوب له، وارتفاعه فوق الجميع | المجد. |

* يمكن تطبيق هذا المزمور نبوياً على البقية الثقية في الضيقة العظيمة (ع ٣-٦)، ونزول الرب ليقضي على أعدائهم ويخلصهم (ع ٧-١٥)، حيث أن المياه الكثيرة (ع ١٦، ١٥) هي شعوب وأمم (رؤ ١٧: ١٥)، والرحب (ع ١٩) تشير إلى عودتهم إلى ديارهم. وهم سيُرجعون الفضل في عودتهم، إلى الرب (ع ٣٤-٢٤) ارجع إلى مزمور ١٠٨: ٧-١٣؛ إشعيا ١١: ٤؛ ميخا ٤: ١٣؛ ٥: ٥-٨؛ إرميا ٢٠: ٢٣-٢٤. ويختم المزمور ببركاتهم كأمة في الملك الألفي.

وغني عن البيان أنه بالنسبة لداود كانت نصرته على أعداء أرضيين، كما كانت نصرته قبل موته، وأما المسيح فكانت نصرته على قوي الجحيم بقيامته من الأموات.

وفي التطبيق على المسيح يمكن تقسيم المزمور كالاتي:

القسم الأول	(١٤-١٨)	موت المسيح وقيامته	الماضي
القسم الثاني	(١٩-٢٧)	صعود المسيح وجلوسه	الحاضر
القسم الثالث	(٢٨-٥٠)	ظهور المسيح وملكه	المستقبل

لقد حدث في تاريخ الشعب في الماضي، معركة بين الله وفرعون، اضطرب فيها فرعون أن يطلق شعب الله من أرض مصر مرغماً، كما تمت بعد ذلك إبادته، هكذا أيضاً كانت هناك معركة أعظم عند انقضاء الدهور بين الله والشيطان، تُذكر في لغة تصويرية في مزمور ١٨ (انظر ع ١٥)، انتصر فيها الله. وكما خرج الشعب من أرض مصر بالبر (ذبح خروف الفصح)، هكذا خرج المسيح أيضاً من بين فكي الموت بالبر.

والتعبير عن قوة الله، في العهد القديم، كان يستمد من حادثة إخراج الشعب من أرض مصر مقياساً لها، أما المقياس لهذه القوة في العهد الجديد فهو قيامة المسيح من الأموات (قض ٦: ١٣؛ أف ١: ١٩).

ونحن لا نقرأ في أي مكان آخر في الوحي، وصفاً معبراً يحكي لنا المعركة التي تمت في العالم غير المنظور، وقت قيامة المسيح، مثلما نجد في هذا المزمور (لا سيما ع ٧-١٩). فإن كنا نرى الحرس الروماني يحرسون الحجر المختوم على القبر، لمنع قيامة المسيح، فليس بغريب أن نتوقع تجمهر ربوات من ملائكة الشيطان في العالم غير المنظور، في محاولة منهم لمنع قيامة المسيح. فالشيطان ما كان يجهل أن نصرته الظاهرية على المسيح في الصليب ستقلب إلى هزيمة نكراء له، لو قام المسيح (مت ٢٧: ٦٢-٦٦). لكن المسيح كما نعلم قام، فظهر عمل شدة قوة الله الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات (أف ١: ١٩، ٢٠- انظر أيضاً ٢كو ١٣: ٤).

* * * *

وعندما يقول داود في العدد الخامس: «**حبال الهاوية حاققت بي، أشراك الموت انتشبت بي**». فإن كلمة "حبال" هنا لها معنى مزدوج. فبالعبرية (وهي قريبة الشبة بالعربية) فإن الحبل (بتسكين الباء) يعني ما يربط ويقيّد الحرية، ونفس الكلمة بفتح الباء تعني حبل المرأة بمولود، وبالتالي تمثل أوجاع المخاض. وبينما ترجمتنا العربية أخذت بالمعنى الأول، فإن الترجمة السبعينية أخذت بالمعنى الثاني، وهو ما اقتبسه الرسول بطرس في أعمال ٢: ٢٤ عندما قال: «الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت»،

ثم يعود إلى المعنى الأول فيستطرد قائلاً: «إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه».

في (٦ع) يشير المرنم إلى صلاته للرب في ضيقته، وهي بلا شك تشير إلى صلاة المسيح لأبيه في أيام جسده، ولا سيما في البستان، عندما «قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه» (عب ٥:٧). وهو ما نجده في الأعداد التالية مباشرة (٧ع) فصاعداً) التي تمثل الاستجابة القوية، إذ أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب (ارجع إلى أفسس ١:١٩).

نعم لقد سمع من هيكله صوته، وصراخه قدامه دخل أذنيه، وكانت بداية استجابة الله العجيبة لابنه هي تلك الأعاجيب التي حدثت في الجلجلة (مت ٢٧: ٥١-٥٤)، «فارتجت الأرض، وارتعشت أسس الجبال، ارتعدت وارتجت لأنه غضب» (٧ع). من ثم «أرسل من العلى فأخذني، نشلني من مياه كثيرة» (١٦ع)، صورة للقيامة.

في الأعداد من ١٩-٢٧، يصف لنا المرنم النجاة العجيبة. فهو إن كان قد حدثنا في ٦ع عن الضيق، فإنه في ١٩ع يشير إلى الرب الذي انتقل إليه، وهي بلا شك صورة تصويرية لا لقيامته المسيح فحسب، بل أيضاً لصعوده إلى السماء، وجلسه عن يمين الله في السماويات. وكان ذلك مكافأة له على بره وطاعته (٢٠ع، ٢٤ قارن مع في ٢: ٨-١٠؛ ابط ١: ٢١). ونحن لا يلزمنا أن نقول إن الذي رُفِعَ حقاً بسبب بره ليس هو داود، بل ربنا يسوع المسيح. نعم لقد أخذ رفعة، ومجداً، وحياة بلا نهاية.

والأعداد ٢٨-٤٢ تصف لنا نصرات المسيح الحاسمة، والأعداء جميعاً يسقطون تحت رجليه (٣٨ع) قارن مزمور ١١٠: ١)، وهو ما سوف يحدث عند ظهور المسيح بالمجد والقوة، فيسحق الأعداء، بل بلغة دانيال النبي يسحق تمثال أزمنة الأمم، ويجعله كالعصافاة التي تنزيرها الريح (٤٢ع) ارجع إلى دا ٢: ٣٥).

ثم الأعداد ٤٣-٥٠ تحدثنا عن الملك الألفي، عندما يقول: «تجعلني رأساً للأمم»، وهي تذكرنا بقول الرسول بولس: «إياه جعل رأساً فوق كل شيء». نعم إن الله جعل المسيح رأساً للكنيسة، لكن دعنا لا ننسى أنه رأس فوق كل شيء (أف ١: ٢٢، ٢٣).

ويستطرد المرنم قائلاً: «شعب لم أعرفه يتعبد لي» (٤٣ع)، وهي إشارة إلى إسرائيل الراجع، الذي كان قبل ذلك في وضع "لوعمي"، لا علاقة له بالله، ولا علاقة لله معه. وهو وضع إسرائيل على مدى الألفي عام الماضية، لكنه سيرجع إلى الرب في آخر الأيام (هو ٣: ٥).

* كلمة عبرية تعني ليسوا شعبي، تصف حالتهم أثناء رفض الله لهم (هو ١: ٩).

ثم يتحدث أيضاً عن الذين يتملقون الملك (ارجع إلى مزمور ٦٦:٣) فيقول «الغرباء يتذللون لي، بنو الغرباء يبيلون ويزحفون من حصونهم» (ع ٤٥، ٤٤).

والآية ٤٩ كما ذكرنا يقتبسها الرسول بولس في رومية ٩:١٥ «وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب: من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك»، مطبقاً إياها على الملك الألفي.

ويختتم المزمور بالإشارة إلى ملك بالمفرد. «ملك»، و«مسيحه»، و«نسله» (ع ٥٠) قارن غلاطية ٣:١٦). وحتى لو طبق كل ملوك يهوذا هذه الآية على أنفسهم، لكنها تاريخياً لا تنطبق إلا على داود، ونبويّاً على ابن داود.

مزمور ٢١

الملك المجيد المنتقم

الطابع المسياوي في هذا المزمور واضح، لا سيما في الأعداد ٣-٦ التي لم تنطبق قط على أحد، لا على سليمان ولا غيره، بل هي تنتظر الإتمام الكامل على ابن داود الحقيقي ربنا يسوع المسيح. ونحن في هذا المزمور لا نقرأ عن حياة المسيح العطرة، كما في مزمور ١٦، ولا نصرته في معركة الجلجثة والصليب كما في مزمور ١٨ بل نجد ما تلا ذلك من قيامته الظاهرة وصعوده المجيد وظهوره بالقوة.

هذا المزمور إذاً يشير إلى قيامة المسيح من بين الأموات، وصعوده إلى السماء بالمجد، ثم ظهوره العتيد للعالم بالقوة لإبادة كل أعدائه. كما يتضمن الشكر لله على الانتصار الذي طُلب في المزمور السابق (قارن ع ٢ مع مزمور ٢٠: ٤).

ينقسم المزمور إلى قسمين:

- ١) قوة الملك وجلاله وخلصه (٧-١٤).
- ٢) انتصاراته على أعدائه (٨٤-١٣).

يبدأ المزمور بالقول: «يا رب بقوتك يفرح الملك، وبخلصك كيف لا يبتسم جداً» (١٤). ويمكننا في هذه الآية أن نجد تلميحاً إلى عمل شدة قوة الرب إذ أقام المسيح من الأموات (أف ٢٠: ١). فقوة الرب في هذا العدد، من المنظور المسياوي، هي قوة القيامة (رو ١: ٤). وبالتالي يمكن القول إن الخلاص هنا هو الخلاص الذي طلبه المسيح بصراخ شديد ودموع، أعني الخلاص من بين فكي الموت (عب ٥: ٧). والمسيح ليس فقط خلص من الموت بالقيامة، بل أيضاً

بالقيامة من الأموات صار رئيس خلاص لنا (عب ٢: ١٠).

«شهوة قلبه أعطيته» (٢ع): لأنها كانت كلها بحسب أفكار الله الصالحة وطبقاً لمقاصده (قارن عب ١٢: ٢؛ يو ١٧: ١). وقد نجد جانباً من تلك الشهوة في حصوله على الكنيسة العزيزة على قلبه (قارن مع متى ١٣: ٤٥).

«ولم تلمس شفتيه لم تمنعه» (٢ع): فلقد عبّر عن شهوة قلبه بصلوات، استجابها له الله. ارجع إلى مزمو ١٠٢: ٢٤؛ عبرانيين ٥: ٧.

«لأنك تتقدمه ببركات خير» (٣ع): فذاك الذي في يوم الاتضاع صار لعنة لأجلنا، يقول عنه الرسول بولس إنه «الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد» (رو ٩: ٥). لقد مجد الله في موته، ولذلك فلقد سر الرب بأن يكرمه.

«وضعت على رأسه تاجاً من إبريز» (٣ع): نحن أحياناً نرمم: «وتوجوه وحده». لكننا من هذا المزمور نتعلم أن الآب هو الذي يتوجه، وقد توجه فعلاً. والتاج الإبريز (الذهب النقي) هو جواب الله عن إكليل الشوك الذي كُلب به في يوم اتضاعه. وقريباً، في يوم قوته ومجده، سيظهر «وعلى رأسه تيجان كثيرة» (قارن مع رؤ ١٩: ١٢).

«حياة سأل فأعطيته، طول الأيام إلى الدهر والأبد» (٤ع): مع أن أطول معمر وهو متوشلح عاش ٩٦٩ سنة، ومات، لكن المسيح المقام من الأموات ستطول أيامه أكثر جداً (مز ٩١: ١٦؛ إش ٥٣: ١١). ستكون حياته إلى دهر الدهور (مزمو ١٠٢: ٢٤)؛ وبلا نهاية (عب ٧: ١٦؛ رؤ ١: ١٨).

«عظيم مجده بخلاصك» (٥ع): فلقد قصد الله أن يكون المسيح متقدماً في كل شيء (كو ١: ١٨).

«جلالاً وبهاء تضع عليه» (٥ع): وهو جواب الله عن اقتسام ثيابه وهو ما زال حياً، وتقرس الأشرار الوقح فيه وهو معلق عارياً فوق الصليب (قارن مع مز ٨: ٥؛ عب ٢: ٩).

«لأنك جعلته بركات إلى الأبد» (٦ع). فهو المستقبل لبركات الله، كما أنه الموصّل لها أيضاً. ومع أنه وحده يستحق الكرامة، لكنه بسرور وهب تلك البركات لكل أحبائه. وهذا في مفارقة صارخة مع لعنات الشر التي ستصيب أعدائه، كما يذكر النصف الثاني من المزمور.

«تفرحه ابتهاجاً أمامك» (٦ع): قارن مع مزمو ١١: ١٦

«لأن الملك يتوكل على الرب» (٧ع): من جهة رد اعتباره (ابط ٢٣: ٢). ولذلك أتت عليه كل البركات في الأعداد السابقة. كما أن الآية تمهيد مناسب للقسم الثاني (قارن مز ١١٠: ١).

«وبنعمة العلي لا ينزعزم» (٧ع): قارن مع مزمور ٨:١٦

* * * *

القسم الثاني لا يتكلم فيه المرنم عن الملك، بل إلى الملك. ويشير إلى ظهور المسيح بالقوة، للقضاء على جميع الأعداء وكل المبغضين (٨ع)، وذلك بعد انتهاء زمان النعمة الحالي، في ذلك الوقت الذي يقول عنه المرنم هنا «زمان حضورك» (٩ع). فليس فقط إن الدينونة ستصيب أعداء الملك، بل إنه هو نفسه سيجري تلك الدينونة عليهم (رؤ ١٩: ١١)، وذلك عندما يظهر من السماء في نار لهيب، معطياً نعمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح (٢ تس ١: ٧، ٨؛ قارن ملا ٤: ١). ولذلك يقول هنا: «الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلمهم النار» (٩ع).

وسوف يبيد الرب ذكرهم من الأرض (١٠ع). فصحيح إن القضاء على العمل الرديء لا يجرى في الأرض سريعاً (جا ٨: ١١)، لكنه لا بد أن يجرى في النهاية على أي حال.

وربما يشير (١١ع) «لأنهم نصبوا عليك شراً، تفكروا بمكيدة، لم يستطيعوها»، إلى تجمع ملوك الأرض الأشرار تحت قيادة الوحش ليعملوا حرباً مع المسيح عند ظهوره، لكنه سيبيدهم جميعاً بنفخة فمه، وسيبطلهم بظهور مجيئه (٢ تس ٢: ٨)، إذ سيقبض على الوحش والنبي الكذاب ويطرهما حيين في بحيرة النار، وأما جيوشهما فسيفقتلون بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه، أي بمجرد كلمة تخرج منه (رؤ ١٩: ١٩-٢١).

لذلك يقول في (١٢ع): «لأنك جعلتهم يتولون»، وبالعبري «جعلتهم كتفاً»، بمعنى يديرون ظهورهم ويُدبرون، صورة لهزيمتهم. فلن يقدر إنسان على الأرض - كائنات من كان - أن يهزم الشر، إلا المسيح عند ظهوره وملكوته، وذلك على أساس ما عمله في مجيئه الأول، في الصليب.

ثم يختم المزمور بوصف لمُلك المسيح: «ارتفع يا رب بقوتك، نرنم وننغم بجبروتك» (١٣ع). وإذ ينسب القوة في هذه الآية إلى الرب كما نسبها في الآية الأولى إلى الملك، نفهم أن المسيح الملك هو بعينه الرب يهوه. قارن مع دانيال ٧: ١٣، ١٤.

* * * *

هذا القسم الثاني يشبه كثيراً ما يختم به العهد القديم، حيث يتحدث عن يوم الرب الذي فيه سوف يُحرق الأشرار ولا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً (أي لا سلفاً ولا خلفاً)، وأما لمتقي اسم الرب فستشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها. وشمس البر (المسيح في ملكه)، مشبه بالجبار (مز ١٩: ٥)، فلا غرابة أن يختم المزمور بالحديث عن جبروت الرب.

مزمور ٣١

المتكل على الرب في الحياة والموت

لقد استمد هذا المزمور شهرة من أن المسيح اقتبس آخر عبارته السبع وهو علي الصليب منه (ع٥). وهذا المزمور - بصفة عامة - هو لسان حال رجل الإيمان، فهو يبدأ بعبارة «**عليك يا رب توكلت**»، ثم يكررها مرة ثانية في ع٦؛ ومرة ثالثة في ع١٤. ولهذا فليس مستغرباً أن تنطبق العديد من عبارات هذا المزمور، خير الانطباق، على رئيس الإيمان ومكملة، ربنا يسوع المسيح (عب١٢:٢). لكن ينبغي ملاحظة أنه لا يمكن تطبيق كل المزمور على المسيح. وبينما هناك العديد من الآيات لا يمكن أن تنطبق عليه، فإن هناك آيات أخرى لا تجد تطبيقها الكامل إلا على شخصه الكريم. ولاحظ كيف يستخدم المرنم أسماء وألقاب عديدة عن الرب تدل على مدى احتياجه إليه وثقته فيه؛ فيدعو: صخرة، ومعقل، وحصن، وصخرة حصن، وبيت ملجأ (ع٢-٤). ثم كيف يتحدث عن حماية الرب له إذ يستتره بستر وجهه، ويخفيه في مظلة (ع٢١). ومن هذا يتضح لنا ما قلناه إن هذا المزمور هو لغة رجل الإيمان وهو يجتاز في ظروف الحياة المتنوعة والصعبة، وبالأولى جداً هو لغة المسيح المتكل الأعظم على الرب إلهه في الحياة والموت.

ويمكن تقسيم هذا المزمور إلى خمسة أقسام كالآتي:

- ١) صلاة لأجل الخلاص (ع١-٥)
- ٢) بهجة الخلاص وفرحة القيامة (ع٥ب-٨)
- ٣) شدة الذل (ع٩-١٣)
- ٤) طلب الخلاص والإنصاف (ع١٤-١٨).
- ٥) تسبيح للرب وشهادة لوجوده (ع١٩-٢٤)

القسم الأول: (١٤-٥ أ)

يقول المرنم في أول المزمور: «**بعدلك نجني**» (١٤). وأي شخص غير المسيح يمكن أن يطلب من الرب أن ينجيه بعده؟ نحن، في ظروفنا الصعبة، نلتمس المراحم من قبل الله لينقذنا. وأما بالنسبة للمسيح، فقد كان من المحتم، ليكون الله باراً، أن ينقذه بأن يقيمه من بين الأموات. هذا من جانب، لكن من الجانب الآخر فإننا اليوم، وعلى أساس الذي دفع أجرة خطايانا على الصليب، نتمتع بالخلاص الأبدي بالبر. لقد ظهرت - نتيجة موت المسيح الكفاري - تلك الحقيقة الرائعة أن الله «بار ومخلص» (إش ٤٥: ٢١)، وفي هذا يقول الرسول بولس «ليكون (الله) باراً، ويبرر من هو من الإيمان ببسوع» (رو ٣: ٢٦).

وفي ٢٤ نستمع إلى صوت المرنم يطلب من الرب أن ينقذه سريعاً. ونحن نعلم أن المسيح قد واجه وهو على الصليب أكبر شدة، أعني بها الموت. وهو توكّل فيها على الله. ويستطيع المؤمن المتكل على الرب، والذي تعود دائماً أن يقول للرب: «**كن لي صخرة حصن، بيت ملجأ لتخليصي**» (٢٤)، أن يفعل مثل المسيح، عندما استودع روحه في يدي الآب (٥٤ - ٥٥ - قارن مع أعمال ٧: ٥٩).

(٥٤) «**في يديك أستودع روحي**» هذه الآية كما ذكر لنا لوقا البشير (لو ٢٣: ٤٦) قالها المسيح كآخر عباراته السبع من فوق الصليب. وهي تدل على أن المسيح لم يمّت مرغماً، بل مات بإرادته، إذ أسلم روحه في يدي أبيه.

القسم الثاني: (٥٤ ب-٨)

ينتقل المرنم في منتصف الآية ٥ من الموت إلى القيامة. لقد اتكل على الرب (٦٤)، والرب نظر إلى مثلته وعرف في الشدائد نفسه (٧٤)، من ثم جاء التسييح نتيجة لذلك. وعبرة: «**أقمت في الرب رجلي**» (٨٤) تشير إلى قيامة المسيح من الأموات.

القسم الثالث: (٩٤-١٣)

تصور لنا هذه الآيات رحلة المسيح الشاقة والمضنية في حياته فوق الأرض قبل أن يمضي إلى الصليب.

والآيتان ١٠، ٩ هما لغة المسيح في آلامه وأحزانه. وعبرة «**شقاوتي**» (١٠٤)، تشير إلى معاناة المسيح في أرض الشقاء.

ثم يذكر المسيح كيف - بصدد موته فوق الصليب - ترك من الكل، وكان عندهم عاراً، وحُسب مثل الميت، ومثل الإناء المكسور الذي لا يرجى منه نفعاً (١٢، ١١٤).

القسم الرابع: (١٤٤-١٨).

ومع أن المسيح من فوق الصليب طلب الغفران لقاتليه وصالبيه، إن هم تابوا طبعاً، لكن القضاء المروّع سيكون نصيبهم بعد انتهاء يوم النعمة، كما هو مذكور في ع ١٧، ١٨. وهو في هذا، وباعتباره المتكل الأعظم على الله، كان يُسلم لمن يقضي بعدل (١بط ٢: ٢٣).

القسم الخامس: (١٩٤-٢٤).

يقول داود: «أنا قلت في حيرتي إنني قد انقطعت من قدام عينيك» (٢٢ع). وهي لغة تتناسب مع داود، ولا يمكن أن تنطبق على ربنا يسوع المسيح (قارن مزمو ١٦: ٨). وأما بقية الآية فنجد فيها إشارة إلى قيامة المسيح من بين الأموات «ولكنك سمعت صوت نضري إذ صرخت إليك». وعلى أساس قيامة المسيح سننتشع البقية النقية في المستقبل. لأنهم سيتمتعون بمراحم داود الصادقة على حساب المقام من الأموات (قارن مع أع ١٣: ٣٤). كما أن هذا الاختبار المجيد يقود الأتقياء في كل العصور لمزيد من المحبة لله والإيمان به (٢٣ع).

* * * *

لنعد إلى ع ٥ الذي اقتبس فيه المسيح من فوق الصليب.

هناك اختلافان بين ما ورد في المزمور واقتباس المسيح الوارد في لوقا ٢٣: ٤٦. فالمسيح أولاً صدر صلاته بعبارة «يا أبنا»، تلك العبارة التي لم ينطق بها أي واحد من قديسي العهد القديم، وليس من المستحب أن يقولها مؤمنو العهد الجديد. صحيح نحن لنا الآن روح التّبني، لكننا نصرخ يا أبانا (صيغة الجمع). وأما المسيح فهو الابن الفريد والوحيد، كما أنه بين الإخوة الكثيرين هو البكر. ولما خاطب المجدلية قال لها: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم» (يو ١٧: ٢٠). والأمر الثاني أن المسيح في اقتباسه لم يضيف عبارة «فديتني يا رب إله الحق»، ذلك لأن المسيح على الصليب لم يُفد، بل كان هو الفادي.

* * * *

إذاً فالعبارة كما وردت في مزمور ٣١: ٥ قالها داود عندما تعرض للخطر وفداه الرب منه. أي أن داود لم يقل هذه العبارة عند موته، بل قالها في وقت الخطر. وحسن لنا نحن أيضاً أن نردد هذه العبارة دائماً، وأن نستودع أرواحنا بين يدي الله في كل حين.

مزمور ٣٥

المتألم الصابر

يرتبط هذا المزمور بالمزمور السابق ٣٤ في أكثر من وجه، ففي كليهما نلمس حراسة ملاك الرب للأتقياء (٦٠:٣٥؛ ٧:٣٤)؛ وأيضاً في حفظ عظامهم، الأمر الذي تم في المسيح فوق الصليب، فلم تُكسر ساقاه كما حدث مع اللصين (يو ١٩:٣٣-٣٦؛ مز ٢٠:٣٤، ١٠:٣٥).

يمكننا أن نرى في بعض فقرات المزمور اختبار داود وهو يواجه الظلم والرفض من أمته، رغم خدمته لهم (قارن ١ صم ٢٣:٢٤)، وهو في هذا طبعاً رمز ضئيل لربنا يسوع المسيح الذي «ظلم أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه» (إش ٥٣:٧؛ أع ٨:٣٢؛ ١ بط ٢:١٩-٢١).

ويمكننا تقسيم هذا المزمور إلى ثلاثة أقسام يبدأ كل قسم منها بالشكوى، من ثم يرفع المرنم صلاته إلى الله، ويختمها بكلمات الحمد.

١) صرخة المذلة (١٠-١٤ع).

٢) موقفان متباينان - المسيح والأمة (١٨-١١ع).

٣) صلاة للتبرئة والنصرة (٢٨-١٩ع).

القسم الأول: ١٠-١٤ع

يبدأ المرنم المزمور بالقول: «**خاصم يا رب مخاصمي، قاتل مقاتلي.. انفض إلى معونتي**». إنه يطلب التدخل لإنصافه. ويمكننا أن نرى هنا المسيح، في مواجهة الظلم الذي عومل به، يُسلم لمن يقضي بعدل (١ بط ٢:٢٣).

(٤٤-٨): يمكن القول إن تلك العبارات ليست لغة داود الشخصية مع شاول، فلقد تصرف معه عكس المذكور هنا، بل إنها عبارات نبوية، وستتم، في ظهور الرب بالمجد والقوة، بالنسبة للذين أبغضوا الرب واضطهدوا أتقياءه. (انظر ٢ تس ١: ٦-١٠؛ قارن دانيال ٣: ٣٥). ويمكننا أن نرى في ع ٤ بالمقارنة مع مزمور ٥: ٣٤ مبانة بين من لا يخجل، ومن سيخزي ويخجل. هذه المبانة لا يشترط أن تكون واضحة في يوم البشر الذي نعيشه الآن، لكنها ستكون واضحة تماماً في يوم الرب. قارن مع دانيال ١٢: ٢.

(٧٤): «**بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم، بلا سبب حفروا لأنفسهم**». انظر التعليق على ع ١٩

القسم الثاني: من ١١٤-١٨

في هذا القسم نجد الآلام التي يتحملها الأبرار والأتقياء من أشرار الأرض. وكلمات هذا القسم تصور لنا بدقة مشاعر الرب يسوع المسيح أثناء محاكمته الدينية أمام رؤساء الكهنة، أو محاكمته المدنية أمام بيلاطس.

(١١٤): «**شهود زور يقومون، وعما لم أعلم يسألونني**». وهل ننسى ما حدث للمسيح، حيث يخبرنا الوحي أنهم كانوا يطلبون عليه شهادة زور. فهم لم يُدعوا في شهادة زور، ولا أُجبروا عليها، بل طلبوها (مت ٢٦: ٥٩). ثم استجوبوا الرب عن أمور هو بعيد عنها كل البعد، وبـريء منها كل البراءة.

(١٣٥-١٠٥): يذكر المرنم المبانة الكبيرة في مشاعره الصادقة من نحو أولئك الأرياء، ومشاعرهم هم نحوه. ونحن نتساءل: من كانت عواطفه صادقة من نحوهم مثل الرب يسوع؟ أما هم فلم يشتموا في أحد مثلاً فعلوا معه.

«**وصلاتي إلى حضني ترجع**» (ع ١٣). فهم في شرهم لم يستفيدوا من صلاته لهم، فرجعت صلاته إليه دون استفادتهم (قارن متى ١٠: ١٣).

وعبارة «**كأنه قريب**» (ع ١٤) تذكرنا بمثل السامري الصالح الذي صار قريباً للذي وقع بين اللصوص (لو ١٠: ٣٠-٣٧)، وهو يقيناً ما لا ينطبق على أحد كما انطبق على ربنا يسوع المسيح.

(ع ١٥): عبارة «**في ظلمي**»، تعني: في عرجي، والمقصود بليتي. وعبارة «**فرحوا واجتمعوا**» تذكرنا بما حدث عندما ذهب إليهم يهوذا الإسخريوطي، وتكلم معهم كيف يسلمه إليهم، حيث يقول لوقا البشير إنهم فرحوا (لو ٢٢: ٥). هذا هو فرح الفاجر حقاً (أي ٢٠: ٥). وأما تجمعهم وتكتلهم فيذكرنا بما ورد في لوقا ٢٣: ١. والقول: «**اجتمعوا علي شاتمين، ولم أعلم**» يذكرنا بالأحداث

الأيمة التي سجلها لنا لوقا البشير في أصحاح ٢٣: ٦٣-٦٥.

وعبارة «مزقوا»: تشير على الأرجح إلى الجلادات القاسية التي مزقت جلد الرب يسوع وظهره. ونلاحظ صيغة الجمع هنا، فلم يكن الجلادون اثنين فقط، بل كثيرين (قارن مز ١٢٩: ٣).

(١٨٤) يختتم هذا القسم الثاني بعبارة مجيدة: «أحمدك في الجماعة الكثيرة، وفي شعب كثير أسبحك». وهي تذكرنا بلغة المسيح بعد قيامته من الأموات، كما شرحنا باستفاضة في مزمور ٢٢.

القسم الثالث: من ١٩٤-٢٨

(١٩٤): يقرر المرنم هنا أنه هدف كراهية وعداوة من كثيرين بلا سبب (انظر مزمور ٦٩: ٤)، الأمر الذي أكده المسيح عن نفسه في يوحنا ١٥: ٢٥، وذكرنا عند تعليقنا على هذا المزمور (٦٩) إننا عرضه - نظراً لاتباعنا له - أن نقابل من العالم بذات العداوة (١٣: ٣).

«قد رأيته يا رب» (٢٢٤). هذه لغة المسيح في مقابلة مع لغة الأشرار في العدد السابق «قالوا له قد رأته أعيننا».

(٢١٤-٢٥): تصور لنا الكراهية العنيفة التي واجه بها البشر ابن الله الكريم لما أتى إليهم بالمحبة من عند أبيه لكي يخلصهم.

«لا يقولوا في قلوبهم: هم شهوتنا» (٢٥٤): أي قد حصلنا على شهوتنا. كلا لم يحصلوا على شهوتهم بأن يموت ويبيد اسمه (مز ٤١: ٥)، بل قد أقامه الله وأعطاه مجداً (١بط ٢١: ٢١) كما أعطاه اسماً فوق كل اسم (في ٩: ٢).

الملك الكامل الأبدي

رغم أننا لا نجد في العهد الجديد أية اقتباسات من هذا المزمور، إلا أن هناك شبه إجماع من المفسرين اليهود والمسيحيين على السواء، على أن هذا المزمور يشير إلى المسيح وإلى زمان ملكه. وبعض المفسرين يعتبرونه واحداً من أوضح المزامير الثيوقراطية* والمسيحية.

وهناك ارتباط واضح بين هذا المزمور والمزمور الذي سبقه. ففي مزمور ٧١ نقرأ عن «ضيقة يعقوب» وخلص البقية النقية منها. من ثم يحدثنا مزمور ٧٢ عن الملك الألفي «أوقات الفرج»، و«أزمنة رد كل شيء»، لتكون خاتمة مناسبة لكتاب المزامير الثاني (من مزمور ٤٢-٧٢).

عنوان هذا المزمور وخاتمته مثلت مشكلة عند البعض، فعنوانه «مزمور لسليمان» وخاتمته «تمت صلوات داود بن يسي». فاقترح البعض لحل تلك المشكلة أن يكون كاتب المزمور هو داود، كما نفهم من آخر آية، وكتبه عن سليمان. لكننا نحن لا نرى أية مشكلة على الإطلاق، ولذلك فنحن مع الحل البسيط وهو أن كاتب هذا المزمور هو سليمان، وأنه كتبه بروح النبوة عن سليمان[†] الحقيقي عندما يملك. وعندئذ، أي عندما يملك المسيح ملك البر والسلام، فإن صلوات داود بن يسي، وكل إسرائيلي تقي، ستجد إتمامها.

فلا بد أن يملك المسيح كما قرر الرب قراراً لا رجعة فيه بحسب مزمور ٨، ٧: ٢، وكما أكد ذلك جبرائيل الملاك في بشارته للعدراء مريم بأن الرب الإله سيعطيه عرش داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية (لو ١: ٣٢).

* كلمة يونانية تعني حكم الله.

† اسم سليمان يعني رجل السلام. وهذا هو فعلاً جو الفصل. وإن كان داود يرمز إلى المسيح في حروبه وانتصاراته، فإن سليمان يرمز إليه في ملكه ومجده.

هل المشكلة أن المسيح في مجيئه الأول قُطِعَ وليس له المُلك (دا ٢٦:٩)؟ وأنه اعتلى صليباً لا عرشاً؟ كلا، فلقد كان هذا بحسب مشورة الله المحتومة وعلمه السابق (أع ٢٣:٢). لكن القصة لم تنته، فالأنبياء تكلموا عن الآلام التي للمسيح وعن الأمجاد التي بعدها (١بط ١:١١). سيأتي المسيح ثانية، وفي مجيئه الثاني بالقوة والمجد الكثير، سيأتي باعتباره ملك الملوك ورب الأرباب. فهو سافر إلى كورة بعيدة (السما) ليأخذ لنفسه ملكاً ويرجع (لو ١٩:١٢).

يمكن تقسيم هذا المزمور إلى ثلاثة أقسام كالآتي:

(١) طابع مُلك المسيح (١٤-٤).

(٢) امتداد ملك المسيح (١١-٥٤).

(٣) بركات ملك المسيح (١٢٤-١٩).

كما يمكن القول إن الآية الأولى في المزمور تمثل صلاة لله في البداية، والآيتان الأخيرتان يمثلان تسبحة حمد لله في النهاية.

* * *

عندما يطلب المرنم من الله في (١٤) أن يعطي أحكامه للملك وبره لابن الملك، فليس هذا معناه - كما قد يتبادر إلى ذهن لأول وهلة - أنه يطلب لأجل الملك ولأجل ولي العهد، بل إنه يطلب لأجل الملك الذي هو في نفس الوقت ابن الملك^{*}، وكلاهما تعبير عن المسيح. فالمسيح هو الملك (مت ٢:٢)، كما أنه أيضاً ابن الملك (مت ٢٢:٢).

والمسيح في ملكه (كما نفهم من ٣٠٢) سيملك باعتباره ملكي صادق الحقيقي، أي مُلك البر أولاً، ثم بعد ذلك مُلك السلام (انظر عبرانيين ١:٧-٣)، وهو ما كان مُلك سليمان في الماضي مجرد صورة باهتة له، من جهة البر والسلام، على حد سواء (إر ١٥:٣٣).

وعندما يتحدث في ع ٣ عن الجبال والأكام التي تحمل للشعب السلام والبر، فهي لغة تصويرية معروفة في الكتاب المقدس الذي يتحدث عن الحكومات باعتبارها الجبال والأكام. فالجبال باعتبارها طبوغرافياً أعلى من الأرض المحيطة بها، تمثل الحكومات، التي ستحكم في ذلك العهد الجديد بالبر والسلام.

(٦٤) يصور المرنم أوقات الفرج وعتق الخليقة، إذ يقول: «ينزل مثل المطر على الجراز (أي المراعي المحصودة)، ومثل الغيوث الذارقة (أي المنهمرة) على الأرض». وهناك تشبيه نظير هذا

* تماماً كما قيل عن الملكة في مزمور ٤٥ إنها ابنة الملك (٩٤، ١٣).

في ٢ صموئيل ٢٣: ١-٧، وهو أيضاً يتحدث عن الملك الأكفي. تلك كانت كلمات داود الأخيرة، وأما هذا المزمور ففيه تمت صلوات داود بن يسي.

(٧ع) يصور لنا امتداد ملكوت المسيح عبر الزمان «إلى أن يضمحل القمر» (قارن مع ٥ع). وهو عين ما نجده في العديد من الفصول سواء في العهد القديم أو الجديد (راجع مز ١١٠: ٤، حز ٣٧: ٢٥، يو ١٢: ٣٤)

أما (٨ع) فيصور امتداد ملكوته من حيث المكان: «من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أنصاف الأرض». ثم الأعداد ٩-١١ تصور امتداد سلطانه من جهة الرعايا: فالكل بدون استثناء سيخضعون له، والأعداء سيتملقونه (٩ع ارجع إلى مز ٦٦: ١-٤)، وكل الملوك سيتبعون له. ويذكر حال رعاياه في الآيات ١٢-١٤ فالذين كانوا مساكين الأرض ومذلولين (انظر ٢ع، ٤، ١٢، ١٣) سوف يملكون معه.

والآية (١٥) تتحدث عن المسيح، إذ يقول: «ويعيش». نعم سحيا سنين بلا نهاية. وهذا القول ليس مثل العبارة التي نقولها الآن "حيا الملك"، أو العبارة التي كانوا يقولونها قديماً، تحية للملوك: «عش إلى الأبد»، دون أن تضمن لهم العمر ولو ليوم واحد (قارن دانيال ٥: ١٠، ٣٠). كلا، فالمسيح حقاً سيعيش، ويعيش إلى الأبد (رؤيا ١: ٨ مع مزمور ١٠٢: ٢٧؛ ٤: ٢١). وكما أن كهنوته الآن لن يستلمه أحد آخر منه، كذلك ملكه أيضاً في ذلك اليوم.

لكن ليس «يعيش» فحسب، بل أيضاً «ويعطيه»، أو يُعطى من ذهب شبا. فغنى العالم كله سيأتي إليه، فيتحقق قول الوحي الكريم: «الكل به وله قد خلق» (كو ١: ١٦).

ثم يقول: «ويعطي لأجله دائماً، اليوم كله يباركه» (١٥ع) بمعنى أن الكل يدعون باسمه، والجميع يباركونه.

وإن كان (١٥ع) يتحدث عن المجد، «الذهب»، فإن (١٦ع) يتحدث عن الشبع «البر» أي الحنطة. فسيمع الخير في تلك الأيام السعيدة، والكل سيكون لنفع الإنسان وخيره، سواء ما هو مكنوز في باطن الأرض (الذهب)، أو ما تجود به فوق سطحها (الحنطة).

كما يتحدث (١٦ع) عن البركة التي تعم كل الأرض: سواء قمم الجبال العالية، أو المدن جميعها. وفي آخر المزمور (١٧ع-١٩) يتحدث عن دوام اسمه، وبهجة كل سكان الأرض في ملكه. فمنه ستساب البركة للجميع.

إذا ففي ذلك الزمن السعيد الكل سيباركونه (١٥٤، ١٧)، وهو سيبارك الكل (١٧٤)!

* * *

لا عجب إذا أن يختم المزمور، بل يختم الكتاب الثاني من سفر المزامير ببركة الرب واسمه (١٨٤، ١٩)، فلقد أتى أخيراً مشتهى كل الأمم (حج ٢: ٧). وبذلك تكون قد تمت صلوات داود بن يسي.

مزمور ٨٠

رجل يمين الله

ختم مزمور ٧٩ بوصف الشعب بأنهم رعية الرب، ويفتح مزمور ٨٠ بالراعي نفسه. والراعي هو نفسه الملك، فهكذا كان يسمى في العهد القديم (قارن مز ٧٨: ٧٠-٧٢؛ مت ٢: ٦).

وتتكرر الصرخة في هذا المزمور «أرجعنا... فنخلص» ثلاث مرات، واللقب الإلهي فيها يزداد مع كل مرة: فأولاً يقول: «يا الله أرجعنا» (ع ٣)، ثم يقول: «يا إله الجنود أرجعنا» (ع ٧)؛ وأخيراً يقول: «يا رب إله الجنود أرجعنا» (ع ١٩).

وطلبة الرجوع تدل على أنهم يُروّن هنا باعتبارهم خرافاً مشتتة. لكن راعيهم العظيم هو وحده الذي يرد النفس من أجل اسمه (مز ٢٣: ٣).

والمرنم بعد أن طلب مرتين من الرب أن يُرجع الشعب، فإنه قبل أن يطلب ذلك للمرة الثالثة فإنه طلب من الرب أن يرجع هو نفسه إليهم، مما يدل على أنه تركهم. وعندما يرجع الرب بالرحمة إلى الشعب، فإنهم سيجعون هم إليه بالتوبة (زك ١٢: ١٠)، وستكون توبة بلا رجوع، إذ سيقطع معهم العهد الجديد الأبدى.

وهذا التكرار الثلاثي لكلمة (ارجعنا) يقسم المزمور إلى أقسام ثلاثة:

١ ع ٣-١: أصغ وأشرق.

٢ ع ٤-٧: إلى متى؟

٣ ع ٨-١٨: لماذا؟

والقسم الثالث ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام:

(ع ١١-٨) ماضي الشعب.

(ع ١٢-١٣) حاضر الشعب.

(ع ١٤-١٩) مستقبل الشعب.

(ع ١٤، ٢): لا يذكر المرنم هنا إلا أبناء راحيل الزوجة المحبوبة، وكأنه يذكر الرب بمحبته هو لتلك الأمة. كما نلاحظ أن أسماء الأسباط المذكورة في (ع ٢) هي تلك الأسباط التي كانت تلي التابوت مباشرة في ارتحالها (عد ١٧: ٢-٢٤؛ ١٠: ٢٢-٢٤).

«يا رب إله الجنود: إلى متى تدخن على صلاة شعبك؟» (ع ٤). فالنور الذي في ع ١ تحول بالأسف إلى دخان في هذا العدد.

(ع ٥): يتساءل المرنم عن سبب الدموع التي تميز كل تاريخهم. ومعرفة سبب ذلك ليس بالأمر العسير، فهم ضلوا عن راعيهم، ثم لما أتى لكي يفتقدهم، لكي يطلب ويخلص ما قد هلك، فإنهم لم يعرفوا زمان افتقادهم (لو ١٩: ١٠، ٤٤)؟

والإجابة على هذا السؤال المذكور هنا نجدها واضحة في إشعياء ١: ٥-٧. لكن السؤال المحير فعلاً هو ما سألته الرب هناك: «لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً، صنع عنباً رديئاً؟».

(ع ٨): يذكر المرنم بأن الرب هو الكرام الذي نقل كرمته. فلولا لما أمكن خروج الشعب من أرض مصر (خر ١٣: ١٤؛ ١٣: ١٤)، ولا دخولهم إلى أرض كنعان (عد ١٣).

(ع ١٣): «الغزير من الوعر... وحش البرية»: تاريخياً هما الأشوري والبابلي، ونبوياً هما الوحش والنبوي الكذاب (رؤ ١٣).

(ع ١٤، ١٥): إسرائيل كانت كرمة (إش ٥: ٨-١)، وكذلك ابن (خر ٤: ٢٢، ٢٣)؛ لكنها كانت كرمة غير مثمرة، وابن غير مسر (ملا ١: ٦). ولقد جاء المسيح له المجد وشغل هذين المكانين: فأصبح هو الكرمة الحقيقية، وكذلك هو الابن، رجل اليمين، وابن آدم الذي وجد الآب سروره فيه.

وبمقارنة ع ١٤ مع ٨ نقول إن الرب ليس هو الشخص الذي يبدأ عملاً ثم سرعان ما يمل منه ويتركه، بل كما قال الرسول بولس - وذلك لبهجة قلوبنا واطمئناننا - إن «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (في ١: ٦).

(ع ١٧-١٩) يختم المزمور بالإشارة إلى الرب يسوع المسيح. وهكذا دائماً عندما يفشل الإنسان وتخبب مصادره، فإن للرب رجل يمينه، الذي «مسرة الرب بيده تتج» (إش ٥٣: ١٠).

ويمكننا تتبع سبعة ألقاب للمسيح في هذا المزمور الجميل:

الراعي (ع ١): وهو يعتبر واحداً من أقدم الألقاب عن المسيح (انظر تك ٤٨: ١٥؛ ٤٩: ٢٤).

الكرمة: وهو ابن كان في (ع ٨، ١٤) يشير إلى أمة إسرائيل، فواضح أن المسيح هو الكرمة الحقيقية (يو ١٥: ١).

الفرس (ع ١٥): ولقد سمي المسيح بأنه الغصن (وهي نفس كلمة الغرس) في النبوءات سبع مرات (إش ٤: ٢؛ ١١: ١؛ ٥٣: ٢؛ إر ٢٣: ٥؛ ٣٣: ١٥؛ زك ٣: ٨؛ ٦: ١٢).

الابن (ع ١٥): انظر التعليق على مزمور ٧: ٢، والملاحظات الإضافية على ذلك المزمور.

المختار: قارن مع بطرس ٢: ٤، ٦.

رجل اليمين (ع ١٧): انظر مزمور ١١٠: ١.

ابن آدم (ع ١٧): وهو بعينه لقب ابن الإنسان - انظر الملاحظات الإضافية على المزمور ٨.

رجل الأحزان يواجه هول الموت

هو واحد من أكثر المزامير كآبة، ويمتلئ بالأحزان، وآخر كلمة فيه هي "الظلمة". وشعاع النور الوحيد في كل المزمور هو الكلمة الأولى: «يا إله خلاصي». ومع أننا أحياناً نمرف في ظروف صعبة ومحرنة، تتشابه مع اختبار المرنم هنا، لكن لا شك أن الشخص الذي انطبقت عليه كلمات هذا المزمور تماماً، لا سيما بعض المقاطع مثل ع ٦-٨؛ ع ١٦-١٨ هو الرب يسوع المسيح وهو يجتاز أحزان جثسماني والجلجلة.

أحد مقاطع عنوان هذا المزمور هو «على العود للغناء». وبالعبري "على ماهالات لينوت": تترجمها الترجمة اليسوعية المنقحة: "للمرض، للحرز". ويترجمها غيرهم: "مرض للإذلال"، والترجمة التفسيرية تقول: "على الناي الحزين للغناء الخافت". ومن هذا العنوان يمكننا أن نستنتج ما سنقابله من المحتوى في هذا المزمور.

يمكن تقسيم المزمور إلى أقسام ثلاثة:

- (١) ع ١-٧ رعب الموت وهوله
- (٢) ع ٨-١٢ الوحشة الكئيبة والحبس الانفرادي
- (٣) ع ١٣-١٨ توسل حار مع صرخات الفرع، ولا جواب.

آلام كاتب المزمور هي آلام شخص منبوذ من أصحابه، مطرود منهم، وصار لهم عاراً (ع ٨، ١٨). وهذا جانب من آلام المسيح عندما ترك من الجميع: سواء في البستان أدبياً وروحياً، أو في الجلجلة حرفياً. ومع أن المزمور ممتلئ بالأسئلة: هل؟ ولماذا؟ (ع ١٠-١٢، ١٤)، لكن المرنم لا يلوم الله كما فعل أيوب في بلواه، بل هو يعلم يقيناً أن يد الرب هي التي عليه.

أما الصور التي يصف بها المرنم حاله فهي عديدة ومفزة حقاً. فهي ترينا شخصاً مريضاً يحتضر، وما هي إلا لحظات قصيرة وتشد الملاء على وجهه. أو هي صورة لجندي ينازع الموت وسط مئات من القتلى في الميدان، ويرى نفسه وهو ينقل مع الموتى إلى مدفنة جماعية.

والمزمور في مجمله يتحدث عن آثار ونتائج الخطية المريرة: النفس شبتت من المصائب؛ الحياة دنت إلى الهاوية (٣ع)؛ ضاعت القوة (٤ع)؛ وصلت النفس إلى الموت، لا الحرفي فقط، بل الروحي أيضاً، أي الترك من الله (٥ع). وهو يجتاز الظلمة (٦ع)؛ ويحس بوطأة وقوع الغضب الإلهي عليه (٧ع).

يرى بعضهم أن العديد من فقرات هذا المزمور يصور لنا الآلام الجسدية والنفسية التي يعاني منها الشخص الأبرص، وهو خارج المحلة بعيداً عن مقدس الشركة مع الله، وبعيداً عن محلة شعبه. ويمكننا بالتالي أن نرى فيها المسيح كذبيحة الخطية، يتألم خارج الباب.

في يوم الكفارة العظيم كان رئيس الكهنة يأخذ من الشعب تيسين ليكفر بهما عن الشعب، وكان يلقي قرعة على هذين التيسين: واحد منهما للرب والآخر لعزازيل. كان يذبح تيس الرب ويدخل بدمه إلى قدس الأقداس، وأما تيس عزازيل (وهي كلمة تعني الانطلاق) فكان يضع يده عليه، ويقر فوقه بكل خطايا بني إسرائيل، ثم يذهب به إلى بركة موحشة مخيفة، حيث لا زرع ولا ماء، ويتركة هناك ليموت فيها مخفياً عن الأنظار. وهذا التيس هو رمز للمسيح كمن وضع الله عليه إثم جميعنا، وهو حمل خطية كثيرين (إش ٥٣: ٦، ١٢). ويمكننا في هذا المزمور أن نتابع المسيح، مرموزاً إليه بتيس عزازيل في يوم الكفارة العظيم، وهو يردد بعضاً من عبارات هذا المزمور: «**بين الأموات فراشي، مثل القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد وهم من يدك انقطعوا. وضعتني في الجب الأسفل، في ظلمات في أعماق.. هل تعرف في الظلمة عجائبك وبرك في أرض النسيان؟**» (٥ع-١٢).

قال أحدهم: لا يوجد سوى مزمور واحد يصف حالة كهذه، مما يدل على أنه اختبار فريد. ونحن نعلم أن المسيح في كل حياته تألم من البشر لأجل بره، فهو يقدر أن يقول «**أنا مسكين ومسلم الروم منذ صباي**» (١٥ع). ولهذا النوع من الآلام، آلامه كالشهيد، نحن مدعوون أن نشارك المسيح. وأما آلامه الكفارية وهو فوق الصليب، يتألم - كنائب عن الخطاة - من يد العدل الإلهي، وهي الموضوع الرئيسي لهذا المزمور، فقد كان اختباراً فريداً حدث له مرة واحدة في الجلجلة. وغني عن البيان أن هذا الجانب من آلام المسيح لا يمكننا نحن أن نسبر غوره، كما أننا لسنا مدعوين إلى اختباره.

ونتعلم من هذا المزمور ومن فصول أخرى كيف كان قديسو العهد القديم يفرعون من رعب الموت وأهواله، لكن هذا الأمر تغير معنا نحن الآن في العهد الجديد، وينبغي أن نشكر الله جداً عليه. وسر فزعهم هو جهلهم من جهة الموت وما وراءه. فلم يكن قد جاء المسيح بعد، الذي أبطل الموت، وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل. وهم تحدثوا عن الموت بعبارات ملؤها الخوف والرعب (ع ٦؛ ع ١٠-١٢ قارن مع عب ٢: ١٤). وما رعبهم هذا من المجهول إلا صورة مصغرة لرعب المسيح وفزعه من الذي كان يعلمه جيداً، فهو كان سيذوق الموت بنعمة الله لأجل كل واحد. واستطاع بما تحمله فوق الصليب أن يكسر شوكة الموت للقديسين، فينهى مرارة رعب الموت، لنتمتع بالحياة في ملئها وكامل بهجتها (مز ١١: ١١).

* * *

المباينة بين هذا المزمور والمزمور السابق واضحة، فبينما يختم المزمور السابق بأن كل السكان في مدينة الله هم مغنون كعازفين (مز ٨٧: ٧)، فإننا هنا نرى شخصاً وحيداً حزيناً ومتألماً. والمعنى الروحي واضح، فالمسيح قبل بمفرده أن يدخل إلى أعماق الحزن، لكي يملأ قلوب الملايين من المفديين بالأفراح الأبدية والترنيمات الراقية غير المتوقفة.

البكر الأعلى من ملوك الأرض

يقع هذا المزمور في ختام الكتاب الثالث من سفر المزامير، وهو مبني على العهد الداودي^{*} كما هو مسجل في ٢ صموئيل ٧: ٨-١٧، وستترنم به البقية في المستقبل. لكنه مختلف عن المزمور السابق له (مز ٨٨) الذي فيه نجد مشغولية البقية بفشلها وكسرها للناموس، لكنها هنا تتحول إلى مراحم الرب وأمانته. ولذا فإنهم سيترنمون بابتهاج، لأن رحمة الرب وأمانته معهم قد حفظتاهم. فالعهد الأول لا يجلب إلا اللعنة، وأما العهد الجديد فإنه يتضمن لهم خيرات عديدة (عب ١٠: ١).

كاتب المزمور هو إيثان الإزراحي. واسم إيثان معناه "دائم" أو "متين"، ويتمشى مع جو الفصل الذي يتحدث عن العهد المتقن في كل شيء والمحفوظ (٢ صم ٢٣: ٥). ولهذا فلا غرابة أن تتكرر في هذا المزمور عبارة إلى الدهر، أو إلى الأبد ٧ مرات (انظر ١ ع ٢، ٤، ٢٨، ٢٩، ٣٦، ٣٧). كما يشير المرنم إلى مراحم الرب سبع مرات (١ ع ٢، ١٤، ٢٤، ٢٨، ٣٣، ٤٩)؛ وكذلك إلى أمانة الرب سبع مرات[†] (١ ع ٢، ٥، ٨، ١٤، ٢٤، ٣٣). ونحن المؤمنين نعرف كيف أن الله رحيم في أعماله، أمين في كلامه. والرحمة والأمانة هما موضوعان محبوبان يستحقان الترنيمة المستمر. وهما مرتبطان بالماضي (الرحمة)، وبالمستقبل (الأمانة). وشكراً لله، فتلك الأمانة في العهود، والرحمة في المعاملات هما أبعد من متناول يد الإنسان المدمرة لكل شيء.

ينقسم هذا المزمور إلى مقدمة وثلاثة أقسام رئيسية:

المقدمة	(١ ع-٤)
القسم الأول	(٥ ع-١٨) صفات الله.

^{*} هناك عهدان قطعهما الرب على نفسه قبل مجيء المسيح بالجسد، هما العهد الإبراهيمي، والعهد الداودي. الأول يختص بالأرض، والثاني (العهد الداودي) يختص بالعرش.

[†] كلمة "الأمانة" تترجم في ترجمتنا العربية في بعض الأحيان "الحق".

القسم الثاني (٣٧-١٩٤) العهد الداودي.
القسم الثالث (٥١-٣٨٤) الواقع الأليم.

القسم الأول يتضمن رجاء للأتقياء، وفي القسم الثاني نجد وعداً للشعب، وفي الثالث نواجه أحجية تبحث عن حل.

المقدمة: ع ٤-١٤

نحن نعرف أن داود في ٢ صموئيل ٧ أراد أن يبني بيتاً للرب، لكن الرب قال له إنه هو الذي سيبني له بيتاً. هذه هي خلفية قطع الرب للعهد الداودي. فيا للرحمة! ثم إن هذا المزمور يحدثنا عن أنه رغم كل الفشل الذي ظهر من نسل داود، لا بد في النهاية أن يتم الله وعده (قارن رو ٤: ٣، ٤). وهذا هو ظرف إتمام العهد الداودي. فيا للأمانة!

القسم الأول: ع ١٨-٥٤

يتحدث المرنم في هذا القسم عن قوة الله التي ظهرت قديماً عندما عبر الشعب البحر الأحمر، تلك القوة التي ظهرت في تعامل الله مع قوى الطبيعة (البحر نفسه - ع ٩)، أو البشر (الأمّة "رهب" أي مصر - ع ١٠).

القسم الثاني: ع ٣٧-١٩٤

يشير المرنم هنا إلى العهد الذي سبق أن ذكره المرنم باختصار في (ع ٣). وفي البداية يشير داود في (١٩٤) إلى كلام الله مع ناثان في رؤيا الليل (٢ صم ٧: ٤-١٧). لكن مما لا شك فيه أن التطبيق الكامل لهذه الآيات، هو على المسيح؛ فهو النقي والقوي، الممسوح والمرفّع.

(ع ٢٦، ٢٧) هي واحدة من المرات القلائل التي فيها دعي الله في العهد القديم باسم الآب. لكن أول عبارة للمسيح مسجلة له في البشائر الأربع عن الله، هي "أبي" «ألم تعلموا أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي» (لو ٢: ٤٩). وأيضاً أول عبارة من عباراته السبع من فوق الصليب، وكذلك آخر عبارة هناك، بدأهما المسيح بالقول: «يا أبتاه» (لو ٢٣: ٣٤، ٤٦). ثم إن أول كلام للمسيح بعد قيامته من الأموات، يتضمن الإشارة الواردة هنا: «هو يدعوني أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي» (ع ٢٦). فلقد قال للمجدلية: «أبي وأبيكم... وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧).

(ع ٢٧) نقرأ هنا عن البكر، الذي هو المسيح (كو ١: ١٥). والمقصود بكلمة "البكر" ليس الأول زمنياً، كما يدّعي شهود يهوه في ضلالهم، بل الأول رتبة ومقاماً. فلقد حُسب يوسف بكرًا ليعقوب (أخ ١: ٢٠)، رغم أنه ليس الابن الأول بل كان ترتيبه بين الذكور الحادي عشر. كما اعتبر الله

أن إسرائيل هو ابنه البكر (خر ٢٢:٤)، رغم أن شعب إسرائيل ليس هو أول الشعوب التي خلقها الله. إذاً فتعبير البكر في الكتاب المقدس لا يعني الأول زمنياً بل الأول مقاماً. وهذا واضح من قول الرب هنا: «**بكرًا أعلى من ملوك الأرض**». أو بلغة سفر الرؤيا «رئيس ملوك الأرض» (رؤ ١:٥)، وأيضاً «ملك الملوك، ورب الأرباب» (رؤ ١٩:١٦؛ ١٤:١٧).

ولماذا اعتبر المسيح، عند دخوله إلى دائرة الخليقة، أنه البكر؟ الإجابة نجدها في كولوسي ١:١٦ حيث يقول الرسول «فإنه فيه خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً، أم سيادات، أم رياسات، أم سلاطين. الكل به وله قد خلق».

ولقد دعي الرب يسوع أنه "البكر" خمس مرات في العهد الجديد:

كولوسي ١:١٥ «الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة».

كولوسي ١:١٨ «وهو رأس الجسد، الكنيسة، الذي هو البداية بكر من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء».

ومثلها رؤيا ٥:١ «يسوع المسيح، الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض».

ثم رومية ٨:٢٩ «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهيين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين».

وأخيراً عبرانيين ٦:١ «وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله» فهو في علاقته بالخليقة «بكر كل خليقة»، وفي دائرة القيامة هو «البكر من الأموات»، وفي علاقته بالمفديين هو «بكر بين إخوة كثيرين». ثم في دخوله إلى العالم مرة ثانية ليبدأ الملك الألفي هو «البكر».

(ع ٣٠-٣٣) الخطية توجب التأديب، لكنها لا تنقض عهد الرب. وحتى لو استلزم الأمر تأديبهم بالعصا، فإنه لن ينزع رحمته عنهم. والكلام هنا طبعاً ينطبق، لا على المسيح، بل على نسل داود من الملوك المتعاقبين.

ويؤكد الله أنه لا يكذب (ع ٣٣)، وأنه لا يغير ما خرج من شفتيه (ع ٣٤)، وبإله من ضمان! الله المنزه عن الكذب (تي ١:٢)، والذي لا يمكن أن يكذب (عب ٦:١٨)، ها هو يؤكد هنا وعده من جهة ملك «ابن داود» (ع ٣٦).

ونلاحظ أنه عندما تحدث الرب في العهد الداودي عن سليمان، فإنه أضاف شرطين، لكن النص الأصلي في العهد مع داود هو خالٍ من الشروط. ومن اللافت للنظر أن المسيح لم يأت من نسل

* عندما نضيف إلى هذه المرات الخمس، مرتان أنه بكر مريم (مت ٢٥:١؛ لو ٢:٧)، نحصل على سباعية أن المسيح هو "البكر".

سليمان، بل من نسل ناثان بن داود الذي هو جد العذراء مريم*. مع سليمان العهد مشروط، لكن ليس كذلك مع داود. والله كان يعرف فشل نسل داود الأشرار، وسبق وعمل حساباً لكل شيء. ولذلك فإنه في نهاية هذا الجزء (٣٧، ٣٦ع) يشير إلى نسل بالمفرد (هو المسيح قارن غلا ١٦: ٣). وكأنه يقول للبشر: إن استطعتم أن تطفنوا الشمس، أو أن تخرجوا القمر عن مداره حول الأرض ومكانه في السماء، فذلك أيسر من أن تمنعوا ابن داود من الجلوس على عرش أبيه داود ليملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية. (ارجع إلى صم ٢: ٢٣؛ أع ١٣: ٣٤؛ لو ١: ٣٢، ٣٣).

القسم الثالث ٣٨ع-٥١

لقد تصور الشعب في السبي البابلي، أن كل أمل لهم قد ضاع، نظراً لشهرهم، وأن الله رفض شعبه. وتكرر ذلك الواقع الأليم بصورة أكبر بعد شتاتهم على يد تيطس الروماني في سنة ٧٠ م. فلقد رفضوا المسيح، ووقعت عليهم عصا التأديب، وبدأ وكأن العهد تزعرع أو ضاع. فهل بقي لهم أمل؟ بهذه النغمة الحزينة يستطرد المرنم[†] قائلاً: «**لكنك رفضت وردلت. غضبت على مسيحك**». وعبارة «لكنك» في بداية هذه الفقرة هي في مبالغة مع ما تبدأ به الفقرة السابقة: «**حينئذ كلمت بروياً تقيك**» (١٩ع). (٤٠ع) يتحدث عن خراب أورشليم (ارجع إلى مراثي ٨: ٢؛ ثم ع ٤١، قارن مراثي ١٠: ١، ١٢). (٤٥ع) «**قصرت أيام شبابه، غطيته بالخزي**» تشير على الأرجح إلى سبي يهوياكين وهو ابن ١٨ سنة، بعد أن جلس على العرش ثلاثة أشهر فقط، بعدها تغطى بالخزي، أي لبس ثياب السجن لمدة ٣٧ سنة (٢٧: ٢٥-٢٩).

(٤٦ع): يتساءل المرنم: «**هتئ متى يا رب؟**». فهو بالإيمان يعلم أن هذا ليس هو آخر المطاف، والتأديب ليس هو إلى ما لا نهاية.

(٥٠ع): هذا الاعتراف هنا في آخر المزمور ليس هو من كل الشعب، بل من البقية النقية فقط.

ستستجاب طلبه هذه البقية النقية عندما يظهر المسيح «البكر» (٥١ع).

من ثم يختم الكتاب الثالث من سفر المزامير كالعادة بتسبحة حمد، ثم «**آمين قآمين**» (٥٢ع).

* سلسلة نسب المسيح في متى ١ تخص يوسف، الأب الشرعي لا الفعلي للمسيح، وهي سلسلة النسب عن طريق سليمان. وأما سلسلة النسب الواردة في لوقا ٣ فهي تخص المطوبة مريم التي منها جاء المسيح بحسب الجسد، وهذه السلسلة، عن طريق ناثان بن داود، وليس عن طريق سليمان، الطريق الرسمي عن طريق سليمان انتهى بالضياح (إر ٢٢: ٣٠)، لكن يظل العهد الداودي باقياً عن طريق المسيح. [†] يقيناً إيثان لم يعيش حتى السبي البابلي المشار إليه في آخر المزمور (٣٨-٥١). لكن ليست هذه مشكلة مستعصية؛ فإما أن يكون إيثان نبياً، بالإضافة إلى كونه شاعراً وحكيماً، فكتب ما كتب قبل حدوثه، أو أن آخر أضاف إلى المزمور هذه الأقوال التي في نهايته. الحل الأول ليس مستبعداً، والثاني ليس مفروضاً.

مزمور ٩٧

الملك المہوب

هذا المزمور، مثل المزمور الذي يسبقه والمزمور الذي يليه (مزمور ٩٦، ومزمور ٩٨) موضوعه ملك المسيح، بعد ظهوره للعالم بالمجد والقوة، مع هذا الفارق أنه بينما مزمورا ٩٦، ٩٨ يحدثاننا عن السعادة الغامرة التي ستعم الأرض، فإن المرنم في هذا المزمور (مز ٩٧) يذكر وجه العملة الآخر، أو الجانب المظلم من الصورة، أعني القضاء على المتمردين والأعداء.

وينقسم المزمور إلى ثلاثة أقسام كالآتي:

- ١) الرب الملك المہوب ٥-١٤
- ٢) تفوق الملك وسموه ٩-٦٤
- ٣) حاضر الصديقين ومستقبلهم ١٢-١٠٤

(١٤): يبدأ المزمور بهذا الإعلان العظيم: «**الرب قد ملك**». سوف تعلن السماء هذا الخبر في موعده المحدد، وستعلنه بفرح عظيم (رو ١٩: ٦، ٧؛ ١١: ١٥-١٧)، وعندئذ ستتم باقي الآية «**فلتبتهم الأرض، ولتفرم الجوائر الكثيرة**». ونحن نعرف أن الأرض اليوم تعاني، بل كل الخليقة تنن وتتمخض معاً إلى الآن (رو ٨: ٢٢)، لكن لا بد أن يملأ المسيح عن قريب العرش الشاغر: ليس عرش السماء (فالعرش في السماء لم يكن شاغراً في يوم من الأيام، ولا يمكن أن يكون)، بل العرش على الأرض. وعندئذ ستتم ترنيمتنا الجميلة

صوتُ يوبيل اسمعوا	إنه صوتُ السرورِ
كرعود الجو أو	لجج فوق الصخورِ

هَلْ لِيَا رَبُّنَا
لِيَرَنَّ الصَّوْتُ فِي

بِأَقْطَارِ سَيِّدِ
كُلِّ أَقْطَارِ الْوُجُودِ

(٢٤): السحاب صورة لمجد الله المنظور، أو الشكينة. وهو يشير إلى ظهور الرب (ارجع إلى رؤيا ١: ٧). والظلام (أو الضباب) صورة لأعماله القضائية.

(٣ع): النار التي تحرق أعداء المسيح في مجيئه الثاني، تذكرنا بقول الرسول بولس: «عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار لهيب، معطياً نعمة للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح» (٢ تس ١: ٧، ٨). وحرقت أعدائه عند الظهور تبيين خطأ نظرية الملك الأفقي قبل المجيء، إذ يتصور بعضهم أن العالم آخذ الآن في التحسن تدريجياً، حتى يأتي اليوم الذي يصبح كله مسيحياً، ويعد ذلك يأتي المسيح على عالم متجدد. كلا، فالوحي يعطين صراحة أنه لن يؤمن كل العالم بالمسيح في فترة النعمة الحاضرة، بل إنها ستنتهي بعكس ذلك تماماً، إذ يتكثل العالم كله ضد شخصه الكريم، ليقوموا بحرب ضده (رؤ ١٧: ١٤؛ ١٩: ١٩).

(٥٤): عندما يظهر المسيح، سوف تذوب الجبال (رمز الشموخ والعظمة). نعم ستذوب الجبال «مثل الشمع، قدام الرب، قدام سيد الأرض كلها».

ونلاحظ أنه في هذه الآية قد عاد مرة أخرى لقب الرب باعتباره «سيد الأرض كلها»، وهو اللقب الذي اخفى طوال فترة أزمنة الأمم وسيادتهم على الأرض (ارجع إلى: يش ١٣: ١١؛ ١١: ٢؛ نح ١: ٥؛ ٢: ٤؛ ٢: ١٣؛ زك ٤: ١٤؛ ٥: ٦؛ ...).

وإذا كانت الجبال الراسخة سوف تذوب قدام الرب، فماذا سيفعل البشر المساكين في ذلك اليوم العصيب؟ (ارجع الى اش ١٢: ٢-١٧؛ مز ٩٧: ٩).

(٦٤): نقرأ في مزمور ١٩ أن السماوات تخبر بمجد الله كالخالق. لكن كيف تخبر السماوات هنا بعدله أو ببره؟ الإجابة: إن المسيح في مجيئه ثانية لن يأتي بمفرده، بل جميع القديسين معه. هؤلاء القديسون، الذين كانوا يوماً خطاة مساكين، سوف يكونون استعلاناً لبر الله (٢كو٥: ٢١)، ويعلمون نتائج العمل العظيم الذي تم على الصليب.

(٧٤) «يخزي كل عابدي تمثال منحوت، المفتخرين بالأصنام».

المسيحية لم تبطل الوثنية حتى الآن رغم مرور ألفي عام من الكرازة بالإنجيل، وهي لن تبطلها. فخطئة الرب في التدبير الحاضر، الذي تميزه نعمة الله وأناته، هي أن يأخذ من الأمم شعباً على اسمه (أع ١٤: ١٥). لكن مجيء المسيح ثانية بالقوة والمجد هو الذي سيبطل الوثنية تماماً (ارجع إلى: اش ٢: ١٨، ٢٠؛ زك ١٣: ٢).

ثم يستطرد المرنم فيقول: «**اسجدوا له يا جميع الآلهة**». وليس المقصود هنا الآلهة الكاذبة، كما حدث قديماً عندما سقط داجون أمام تابوت العهد، بل الأرجح أنها تشير إلى الآلهة الموكلية على أمور هذا العالم* (مز ٨٢؛ دا ١٠). ولقد اقتبست هذه الآية في عبرانيين ١ عن دخول "البكر" إلى العالم مرة ثانية. لقد دخل المسيح مرة إلى العالم دخول الاتضاع، لكي يتم مشيئة الله (عب ١٠: ٥)، لكنه سيدخله مرة ثانية بالمجد، وستسجد له كل الركب.

ولقد اقتبس كاتب العبرانيين من الترجمة السبعينية، وفيها ترد ترجمة هذه الآية بأن كل الملائكة سيسجدون له (عب ١: ٦). ونحن نعرف أن في مجيء المسيح الثاني، ليس فقط الملائكة سيسجدون، بل أيضاً كل الكائنات العاقلة، كقول الرسول بولس: «ستجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب» (في ٢: ١٠، ١١). لكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين، أشار بصفة خاصة إلى الملائكة لأنه كان يتحدث في الأصحاح الأول من الرسالة عن تفوق المسيح على الملائكة.

(١١ع): يقول المرنم: إن النور زرع للصديق. وهذا التعبير يمكننا أن نفسره بطريقتين:

أولاً: يشير المرنم في هذه الآية إلى ذلك الوقت السعيد، يوم يملك الحبيب. في ذلك الوقت يقال إن النور قد زرع للصديق. وكما يطلع النبات وينمو باستمرار، ولا يستطيع أحد أن يوقف نموه، هكذا سيكون النور عندما يطلع. وسبيل الصديقين سيكون كنور مشرق، يتزايد وينير إلى النهار الكامل (أم ٤: ١٨). وكما يلقي المزارع بالحَب على الأرض، هكذا سنلقي الشمس بأشعتها على الصديقين، وستزرع الأفراح في قلوب المستقيمين.

ثانياً: أو قد نفهمه بأن الأبرار اليوم يعانون في هذا العالم الكئيب الرهيب. لكن دعهم يعرفون ما هو لتعزيتهم: أن النور قد زرع لهم. وطالما أنه قد زرع، فلا بد أن يعقب الزرع حصاد. وحتى إن بدا النور مثل بذور الشتاء التي تبقى مدفونة في الأرض طويلاً، لكن الذين يزرعون بالدموع لا بد وأن يحصدوا بالابتهاج (مز ١٢٦: ٥، ٦). وهو ما سيحدث في ذلك العصر السعيد، عندما «يفيح النهار وتنهزم الظلال».

(١٢ع): عندما يقول «**افرحوا أيها الصديقون بالرب**» فهذا نحن أمام حقيقة مقررة، لا أمنية مرتجاة. سوف يفرح الصديقون بالرب في ذلك اليوم لأن الرب تمجد (ارجع إلى مز ١١٨: ٢٤).

* انظر كتاب الشيطان للمؤلف، الفصل العاشر.

مزمور ١٠١

الملك الكامل

عنوان هذا المزمور هو «لداود»، لكنه بكل يقين ليس عن داود، وذلك بشهادته هو شخصياً (٢صم ٢٣: ١-٧). بل إن موضوعه هو الملك الكامل، ابن داود، الملك الذي تنتظره كل الخليقة، والذي هو موضوع الكتاب المقدس كله.

لقد ولد المسيح باعتباره ملك اليهود (مت ٢: ٢)، وقال الملاك عنه إنه سيجلس على عرش داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد (لو ١: ٣٢، ٣٣)، وواضح إنه حتى الآن لم يجلس بعد على عرش داود، لكن لا بد أن يتحقق ذلك في وقته.

في المزمور السابق (مز ١٠٠) نقدر أن نستمع إلى لغة البقية النقية فرحين بملكهم، لكن هنا في هذا المزمور نستمع إلى صوت الملك نفسه متكلماً عن المبادئ الأدبية التي ستميز ملكه.

المسيح هو وحده "الملك الكامل"، وهو سيملك على كل الأرض. ومبادئ ملكوته هي: الحكمة، والكمال، والعدل، والانفصال عن الشر. ونظراً لأننا الآن في ملك المسيح الروحي، فحسناً لو عرفنا تلك المبادئ، وسرنا بموجبها.

ويمكن تقسيم هذا المزمور إلى قسمين:

(١) ع ١-٥ الملك وصفاته

(٢) ع ٦-٨ المملكة ومبادئها

يبدأ هذا المزمور بالقول: «رحمة وحكماً أغني» (ع ١). وهذه أولى مبادئ ملكوت الله. وفي الواقع إننا دائماً نلمس هذه الثنائية تسير معاً في كل معاملات الله مع البشر، بداية من السقوط في الجنة: فقد عمل الرب أقمصة الجلد لآدم وامرأته، وأتى على مسامعهما بالنبوة عن المسيح، وهذه

هي الرحمة، لكنه أيضاً أصدر الحكم على الرجل والمرأة بالطرده من الجنة، وبالتعب في حياتهما على الأرض الملعونة، وهذا هو الحكم. وهكذا حدث أيضاً مع نوح لما أفسد كل إنسان طريقه أمام الله. وهو عين ما حدث لما أدخل الله شعبه إلى أرض كنعان. في كل هذه المناسبات كانت هناك أواني رحمة وأواني غضب، وظهرت الرحمة والحكم في آن. لكن تجمع هذين المبدأين سيكون أوضح ما يمكن في الملك الألفي، إذ يُظهر الملك الرحمة للأتقياء، والحكم على الأعداء.

في (٢٤) يقول: «**هنا تأتي إليّ**». هنا نقرأ عن الحنين إلى ذلك الوقت السعيد الذي تنتظره الخليقة، فكم بالحري الأتقياء! (راجع تعليقنا على ختام زمور ٧٢).

ثم نقرأ في الأعداد التالية على طابع الملك: البر والقداية. وهناك مظاهر سلبية وأخرى إيجابية في مملكة المسيح. فسلبياً هو لا يتعامل مع الأشرار «**الشرير لا أعرفه.. منتقم القلب لا احتمله، لا يسكن وسط بيتي عامل غش، المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عيني**» (٤٤، ٥، ٧)، وأيضاً هناك القضاء على الأشرار «**الذي يغتاب صاحبه سراً هذا أقطعه.. باكراً**» (أي صباحاً فصباح) «**أبىد جميع أشرار الأرض، لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم**» (٥٤، ٨). وإيجابياً هناك الرضى المستقر على الأمناء «**عيناى على أمناء الأرض لكي أجلسهم معي. السالك طريقاً كاملاً هو يخدمني**» (٦٤). وهذه المبادئ هي يقيناً عكس المبادئ التي سار عليها البشر بصفة عامة على مدى تاريخهم الطويل المظلم، وسيظهر بأبشع صوره في ذلك النجس الشرير الذي سيأتي في زمان إثم النهاية، وأعني به النبي الكذاب (حز ٢١: ٢٥).

ونحن يمكننا نتبع خضوع المسيح "الملك" للرب، في كل الأدوار كما يلي.

«هو رفض أن يتسلم الملك من الشيطان (مت ٤: ٩، ١٠؛ لو ٤: ٦-٨)، ورفضه من البشر (يو ٦: ١٥)، لكنه سيسأله من الآب عندما يأتي الأوان (مز ٨: ٢).»
«وهو الآن جالس على عرش الآب منتظراً ذلك التوقيت الذي جعله الآب في سلطانه (مز ١١٠: ١؛ أع ١: ٧).

«وعندما يستلم ملكه فإنه سوف يخضع لله، مطبقاً المبادئ الإلهية بأروع صورة، كما نراها هنا، وكذلك في أجزاء أخرى من الوحي (إش ١١: ١-٥؛ انظر تعليقنا على زمور ٧٢).»
«وعندما تتعبد له جميع القبائل والشعوب والأمم والألسنة، سيكون ذلك «لمجد الله الآب» (دا ٧: ١٤؛ في ٢: ٩-١١).

«وفي النهاية، بعد أن يخضع جميع الأعداء، ويتم مسرة الرب، فإنه سوف يسلم الملك لله الآب، وهو نفسه (كالإنسان) سوف يخضع لله (كو ١٥: ٢٨).

مزمور ١٠٩

المسيح المرفوض ونتيجة ذلك

يتحدث هذا المزمور عن المسيح المرفوض من أمته، والدينونة التابعة. مع التركيز على الإشارة إلى دينونة "ابن الهلاك": الأول أو الثاني، أعني سواء ابن الهلاك التاريخي، الذي هو يهوذا الإسخريوطي (يو ١٧: ١٢)، أو النبوي الذي هو النبي الكذاب (٢ تس ٢: ٣).

ينقسم هذا المزمور إلى ثلاثة أقسام كالآتي:

- (١) ع ١٠-٥ المسيح المرفوض والمفتري عليه.
- (٢) ع ٦-٢٠ الرافضون ومصيرهم التعيس.
- (٣) ع ٢١-٣١ أحزان المسيح والتماسه.

القسم الأول:

بينما يبدأ المزمور بالحديث عن الشرير بالمفرد، وهو الشيطان، فإنه من ع ٢-٥ يتحدث عن الأشرار (بالجمع)، وهم أولئك الذين قادهم الشيطان لفعل إرادته (لو ٢٢: ٥٣).

وما أجمل أن يفتح المزمور بالقول: «**يا إله تسبيحي**». فالمقاومات التي لقيها المسيح وشروور البشر التي لا تحصى لم تمنع المسيح من أن يسبح إلهه. ولعل هذا واضح من الليلة التي فيها أسلم المسيح، وهي ليلة رهيبة جداً، لكننا نقرأ عن المسيح وتلاميذه أنهم «سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦: ٣٠). ثم في ع ٤ ترد العبارة المباركة التي لا تجد انطباقها الكامل إلا على شخص واحد فريد، إذ يقول المسيح «**أما أنا فطلة**». والمسيح في هذا وذاك قدوة لجميع شعبه عند اجتيازهم في المصاعب والمفشلات، ألا يكفوا عن الصلاة أو عن التسبيح.

(٥٤) «**وضعوا عليّ شراً بدلاً خير، وبغضاً بدلاً حبي**». اختبر يوسف ابن يعقوب ذلك من أخوته (تك ٣٧)، كما اختبر إرميا ذلك من شعبه (إر ٢٠: ١٨). وأما المقام في ذلك فهو بكل يقين ربنا يسوع المسيح الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس... قتلوه معلقين إياه على خشبة» (أع ١٠: ٣٨، ٣٩).

القسم الثاني:

من (٦٤) يتحدث عن الدينونة، وهي فردية وقوية بلا رحمة. ولو أنه في ع ٢٠ يعمم الكلام إذ يقول: «**هذه أجرة مبغضٍ من عند الرب وأجرة المتكلمين شراً على نفسي**». (انظر الملاحظات الإضافية على زمور ٦٩ بعنوان: مزامير الانتقام).

ونحن نعلم أن المسيح في آلامه من البشر لم ينفرد بهذا النوع من الآلام، ولذلك فإنه يمكننا أن نستمتع في هذا المزمور إلى آلام كل الشهداء بدءاً من هابيل الصديق، والذين كان على رأسهم جميعاً الرب يسوع المسيح. لذلك فإنه لا يتحتم حصر كل ما جاء في هذا المزمور على الرب. وإن كان بطرس في أعمال ١: ٢٠ اقتبس (٨٤) وطبقه على يهوذا، لكن هنا أيضاً لا يتحتم حصر مجال الكلام كله عليه، فلا دليل مؤكد لدينا على أن يهوذا كان متزوجاً أو عنده أولاد (٩٤). ولهذا فيمكننا تمديد المعنى إلى الأمة غير الراحمة، التي يعتبر يهوذا تمثيلاً لها، عندما قام بتسليم رئيس الحياة إلى أيديهم، وهم بدورهم سلموه إلى بيلاطس. وفي هذا قال الرب لبيلاطس: «الذي أسلمني إليك له خطية أعظم» (يو ١٩: ١١)، وقال الرسول بطرس لهم: «يسوع الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه» (أع ٣: ١٣).

«**فأقم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه**» (٦٤). وبينما يقف شيطان عن يمين يهوذا، وهذا هو طلب المسيح، فإن المسيح نفسه بحسب زكريا ٣ ينتهر الشيطان الذي يشتكي على المختارين. وبينما يطلب هنا الخراب والدمار له ولعائلته، فإنه هناك يطلب الكرامة والمجد للمختارين، حيث تنزع عنهم ثيابهم القذرة، ويزيل إثم تلك الأرض في يوم واحد.

«**من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليجيته**» (١٦٤). إن رفض يسوع المتضع هي سبب الدينونة الرهيبة على يهوذا كشخص، وعلى الأمة بأسرها؛ بينما الإيمان بالمسيح هو سبب كل بركة لأي إنسان: لنا الآن، وللأمة في المستقبل (إش ٥٣).

«**ولبس اللعنة مثل ثوبه، فدخلت كمياه في حشاه، وكزيت في عظامه**» (١٨٤) هنا نجد اللعنة تحيط به كثوبه، وتتخلله في حشاه وعظامه. وقد نرى في المياه التي دخلت إلى حشاه تلميحاً إلى ما كان يحدث في شريعة الغيرة الواردة في سفر العدد ٢٢: ٥، عندما كانت تخون المرأة

رجلها، وهي صورة لخيانة بني إسرائيل للرب (انظر على سبيل المثال: نبوة هوشع).

القسم الثالث:

في القسم الأخير يطلب المرنم الإنصاف من الله. وإن كان اليهود قد سلموا يسوع بمقتضى مشورة الله المحتومة، إلا أنهم بأيدي أئمة صلبوه. ولذلك فإن المسيح يطلب الخلاص من الله والانتقام من الأعداء. وفي عبرانيين ٧:٥ يشير الوحي إلى الخلاص الذي تم، وفي ١ بطرس ٢:٢٣ يشير إلى انتظاره القضاء بالعدل.

«ليعلموا أن هذه يدك. أنت يا رب فعلت هذا» (ع ٢٧). هنا يريد المسيح أن يعلم الأشرار أن نصرته ورد اعتباره لم يكن صدفة بل إنها يد الرب. وهو ما يقرره مزمور مسياوي آخر هو مز ١١٨:٢٢، ٢٣ «الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا».

«لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه» (ع ٣١). هذا في مبالغة مع (ع ٦)، فبينما يقف الشيطان عن يمين الشرير ليقاومه، فإن الله يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه. كما أنه في مبالغة مع الآية التالية في مزمور ١١٠: ١ حيث نجد لا الرب عن يمين المسيح لتخليصه، بل المسيح عن يمين الرب في مكان الرفعة والسمو.

مزمور ١٣٢

الملك على صهيون

أحد مجموعة المزامير المعنونة: «ترنيمة المصاعد»، وهو أطول مزامير تلك المجموعة. والمزمور مسياوي نبوي. وفيه يرد اسم داود ٤ مرات (١٤، ١٠، ١١، ١٧)، والتابوت لم يذكر في سفر المزامير كله، إلا هنا (٨٤).

يعتقد البعض أن سليمان هو الذي كتب هذا المزمور متذكراً ما قام به داود أبوه لإعداد مسكن الرب. لكن المزمور يتحدث يقيناً عن من هو أعظم من داود ومن هو أعظم من سليمان: إنه يتحدث عن ابن داود الحقيقي الذي سيملك على صهيون، بل ورب داود أيضاً.

وهذا المزمور يذكرنا بكل من مزمور ٢٤ الذي يحدثنا عن قداسة ملك المجد، ومزمور ٦٨ الذي يحدثنا عن الفرح نتيجة تحرك الله نحو مدينته التي أحبها «صهيون».

وبينما يتحدث هذا المزمور عن المسيح باعتباره الملك، فإن المزمور التالي (١٣٣) يتحدث عنه باعتباره الكاهن.

ينقسم المزمور إلى قسمين، يتجاوبان مع بعضهما.

القسم الأول: من ع ١٠-١١ وهو يتناول الزرع بالدموع،

والقسم الثاني: من ع ١١-١٨ ويتناول الحصاد بالابتهاج (قارن مز ١٢٦: ٦، ٥).

ولهذا فنحن نقرأ في القسم الأول عن النذل والاجتهاد والقداسة، بينما نقرأ في القسم الثاني عن الفرح والراحة والبركة.

(٥١٤):

ارجع إلى ٢ صموئيل ١:٧، ٢ ما كان أشد تعب داود! وما أعظم الكلفة التي تكلفها ليكون للرب بيت على الأرض! لقد كان شغف داود بالبيت عظيماً، فهو يفكر بالليل والنهار، لكن اهتمام المسيح هو أعظم بكل يقين. فلقد كانت للمسيح غيره أشد نحو بيت الله (مز ٦٩: ٩؛ يو ١٧: ٢)، ولا يوجد بين كل الخلائق من يستطيع أن يخبر عن ذل المسيح وآلامه لإتمام مشيئة الله، ولإنجاح مسرة الرب بيده.

ولكن كما كان ذل داود عظيماً، كذلك كان فرحه عظيماً يوم إرجاع التابوت، يوم أن رقص بكل قوته أمام الرب (٢ صم ٦: ٥، ١٤). وهو في هذا وذاك صورة لابن داود الذي بكى على مدينة أورشليم يوم رفضته، وسيفرح بهم يوم انتدابهم (مز ١١٠: ٣).

ومسكن الله (٥ع) سيتم بصورة جزئية في الملك الألفي، لكن الصورة الكاملة تنتظر الأبدية حيث يُسمع الصوت: «هوذا مسكن الله مع الناس» (رؤ ٢١: ٣).

(١٠٦٤):

عبارات ٦ع تدل على أن التابوت كان قد نُسي تماماً من الشعب: «هوذا قد سمعنا به في أفراته، وجدناه في حقول الوعر». وعن هذا قال داود: «لأننا لم نسأل به في أيام شاول» (١أخ ١٣: ٣).

وكلمة "يعر" في العبرية تعني "وعر" في العربية. وجمع كلمة "يعر" في العبرية هو "يعلريم"، وهي بعينها المترجمة هنا حقول الوعر. ونحن نعرف أن التابوت ظل سنوات في قرية يعلريم (١صم ٧: ٢٠)، أو في «حقول الوعر» (٦ع).

و«أفراته» المذكورة في (٦ع)، هي على الأرجح بيت لحم (تك ٣٥: ١٩؛ مي ٥: ٢). وهذا يعني أن داود سمع عن خبر التابوت وهو ما زال غلاماً صغيراً في مدينته: بيت لحم، ربما من أبيه، أو من أحد شيوخ المدينة (٤١: ٢، ١١؛ ١صم ١٦: ٤)، وحن بقلبه أن يرجع التابوت إلى مقره الذي يليق به.

(١٠٨٤):

الأقوال المذكورة هنا، وردت في صلاة سليمان عند تدشين الهيكل (٢أخ ٦: ٤١، ٤٢)، وفيها يحدثنا (٨ع) عن عودة التابوت إلى مقره، حيث يقول المرنم: «قم يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزك». ونحن نعرف من أماكن أخرى أن التابوت لن يكون في الهيكل الألفي (ارجع إلى إر ١٦: ٣). فنحن هنا في المزمور نجد مجرد الرمز، أما في الملك الألفي، فستكون الحقيقة

المجيدة: سيكون هناك ربنا يسوع المسيح، من كان التابوت رمزاً له.

(١٨-١١٤):

إن كانت الآيات الأولى من المزمور مشغولة ببناء داود للبيت، فإن الآيات الأخيرة مشغولة بتثبيت ابن داود على العرش. لقد كان داود يريد أن يبني بيتاً للرب، لكن الرب أعلن له أنه هو الذي سيبنى البيت له (٢صم ٧). وهذه هي خلفية العهد الداودي كما ذكرنا ونحن نتحدث عن مزمور ٨٩.

والآيات (١٢، ١١٤) مع الأقوال المشابهة في العديد من الفصول (انظر ٢صم ٧: ١١-١٦)، أعطت أفكاراً عن الرجاء المسايوي، أو ما أسماه الشراح بالعهد الداودي. وليس الملاك جبرائيل فقط يوم بشر العنراء بميلاد المسيح (لو ١: ٣٢، ٣٣)، بل أيضاً بطرس يوم الخمسين أدى الشهادة ذاتها (قارن ١١ع مع ٢ع: ٣٠).

ونلاحظ أن الآيات (١٢-١٠ع) تختص بالملك "ابن داود"، ثم الآيات (١٤، ١٣ع) تختص بعاصمة الملك. وهذا وذلك في تمام الاتفاق مع ما ورد في مزمور ٦: ٢ «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي».

وكما ذكرنا، فإن الأعداد من ١-١٠ تتجاوب مع الأعداد من ١١-١٨

فأولاً: «لقد حلف (داود) للرب» (٢ع)، و«أقسم الرب لداود بالحق» (١١ع).

ثم إن ١٤، ١٣ع هما استجابة لطلب ٨ع، الذي يقول فيه: «قم يا رب إلى راحتيك أنت وتابوت عزك»، فأنت الإجابة: «لأن الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكناً له، هذه هي راحتي إلى الأبد. وهنا أسكن لأنني اشتيتها».

كما أن (١٢ع) هو استجابة لطلب (٩ع)، فهو طلب أن يلبس كهنتها البر، فيجيب الرب: «كهنتمها ألبس خلاصاً»، وطلب أن أتقياءها يهتفون، فجاءت الاستجابة أكثر من الطلب «أتقياءوها يهتفون هتافاً».

ثم إن (١٧ع، ١٨) هما استجابة مباركة لصلاة (١٠ع)، فهو طلب من الرب ألا يرد وجهه مسيحه، فجاءت الاستجابة: «هناك أبيت قرناً لداود، وتبت سراجاً لمسيحي، أعداءه ألبس خزياء، وعليه (أي على المسيح الملك) بيزهر إكليله». في القرن نجد فكرة القوة، وفي السراج فكرة الشهادة، والإكليل يشير إلى الكرامة. نعم كانت استجابة الرب هي: قوة وشهادة وكرامة!

والأرجح أن زكريا أبا يوحنا المعمدان، كان في فكره تلك النبوة وهو ممثلي من الروح القدس عندما قال: «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه، كما تكلم بغم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر» (لوقا: ٦٨-٧٠).

إنه مزمور مبارك يبدأ بذل داود، باعتباره رمزاً لابن داود، لكنه يختتم بمجده وكرامته، بنصرته وبهائه.

نظرة بانورامية عن

شخص المسيح في سفر المزامير

لاموت المسيح

ص ٢٠، ٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٣

أزلية المسيح

ص ١٦٠، ٢٣٤

البنوة الأزلية ص ١٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨

التجسد

ص ٢٥، ٣٧، ٤٤، ١١٩

نسل المرأة ص ١١٤، ١٧٣

سلسلة النسب ص ٣١١

تنازل المسيح وتضحيته ص ٨١، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٣٣

اللاهوت والناسوت ص ١٦٠، ١٦١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٢، ٢٥٣

الميلاد

ص ٢٤، ٢٧، ٧٨

في بيت لحم ص ٣٠، ٦١

الطفولة

ص ٦١، ٨٢، ٨٣، ٣٠٩

التجاؤه إلى مصر ص ٦١، ٨٣

المعمودية

ص ٢٣، ٦٠

مسحة المسيح ص ٢٣

التجربة والصوم

ص ٢٤، ٤٠، ١١٦، ١٩٤، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٤

خدمة الملائكة للمسيح

ص ٢٢٣، ٢٢٤

حياة المسيح

اكتفاء المسيح وغيبته ص ٥١، ٥٢، ٢٢٢

انفصال المسيح وقداسته ص ١٤، ١٥، ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٩، ٢٠٨

تقوى المسيح وكماله ص ٥٤، ٩٦، ١٠١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ٣٠٩

ثقة المسيح واطمئنانه ص ٥٤، ٦١، ٨٣، ٢١٢

حياة الصلاة والاتكال ص ٤٩، ٥١، ٥٣، ٦٩، ١٩٥، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣١٧

رجل الشركة والقُدوة ص ١٥، ٤٨، ٤٩، ٦٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢١، ٢٤٥

رقعة المسيح ووداعته ص ٦٩

سلطان المسيح ص ٤٢

طاعة المسيح وحفظه للمكتوب ص ٥٣، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ٢٠٨

خضوع المسيح واتضاعه ص ٨١، ١٩٣، ٢٢٢، ٢٥٢

فرح المسيح وإيمانه ص ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٩٢

نعمة المسيح ص ٦٠، ١٠٩

ليالي المسيح ص ٥٣

مسكنة المسيح وأحزانه

ص ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٤٦، ١٩٥، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦،

٢٦٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٢٠

خدمة المسيح

غيرة المسيح وكرازته ص ١١٤، ٢٠٦، ٣٢١

دخوله إلى اورشليم

ص ٢٩، ٣٧، ١٠٠، ٢٧١

رفض المسيح ومحاولات قتله

ص ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٧، ٣١٨، ٣١٩

العلية والتسيبحة

ص ٦١، ٢٦١، ٢٧١، ٣١٧

البستان

ص ٤٠، ١٩١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨٧، ٣٠٥
 خيانة يهوذا ص ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ٢٤١، ٣١٧
 القبض على يسوع ص ٢٧٢

المحاكمة

هياج الأشرار ص ٢١، ٢٢
 تسليمه للأمم ص ١٨١
 ظلم المسيح وصمته ص ٢٧٢، ٢٩٦، ٣١٨
 الجلد ص ٢٩٧

الصلب

عملية الصلب ص ٦٨، ٨٤، ٨٥
 اقتسام ثيابه ص ٦٨، ٨٦
 طاعة المسيح ص ١٠٣
 أحزان المسيح وآلامه ص ٣٩، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ٨٣، ١١٨، ١٧٩، ١٩١، ١٩٤، ٢٩٥، ٣١٨
 الضعف ص ٧٠، ٨٤
 أناس ونظرات ص ٦٨، ٧٢، ٨٢، ٨٤، ٨٦، ١٢٦، ١٣٤، ١٩٦، ٢٧٣
 الترك من الجميع ص ٦٨، ١٩٧، ٢٩٣، ٣٠٥
 السحق من الشيطان ص ٧٢، ٨٦، ٢٧٤
 الترك من الله ص ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨٩، ٣٠٦
 ظلمة الجلجثة ص ٧٢، ١١٢، ٢٨٧، ٣٠٥، ٣٠٦
 عطش المسيح ص ٢٠٧، ٢٠٨
 آلام الكفارة ص ٦٧، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٨٦، ١٩٢، ٣٠٦
 صرخة المسيح ص ٧٢، ٨٩
 عبارات المسيح السبع ص ٨٩، ٩٠، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٩
 نصرة المسيح على الشيطان ص ٣٠، ٣٤، ٣٨، ١٠٢، ١٧٦
 نتائج الصليب ص ٧٢، ٧٤، ٨٧، ١١٠، ١١٢، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٤، ٣٠٧، ٣١٩

الموت

ص ١٢٩، ١٨٤، ١٩١، ٢٨٦
 في نصف أيامه ص ٢٣٤، ٢٣٥
 الفصح ص ١٢٨

المحرقة ص ١٠٣، ١٢١، ١٢٢

ذبيحة السلامة ص ١١٧، ١٢١، ١٢٢

ذبيحة الخطية ص ٧٠، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ٣٠٦

ذبيحة الإثم ص ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٨٧

حفظ عظامه وطعنه الحربة ص ٢٧٤، ٢٩٥

الدفن

ص ٦٠، ٦١، ١٨٣، ١٨٥

قبر يوسف الرامي ص ٦٣، ٦٦

القيامة

ص ٢٥، ٤٩، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٤، ٨٧، ١٣٨، ١٧٣، ١٨١، ١٩٦، ٢١٣،

٢٢٢، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣١٠

الصلاة لأجل ص ١١١، ١٩١، ١٩٥

في اليوم الثالث ص ٦٢

يوم الباكورة ص ١٣٨

نتائج ص ٧٣، ٧٤، ٨٧، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٨، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٠٧

ظهورات المسيح

تلميذا عماوس ص ٦٤، ١١٦، ٢٧٤

التمجيد والصعود

ص ٦٢، ٧٢، ١٧٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٣، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٩

جلوسه عن يمين الله في السماء

ص ٣٦، ٤٠، ٤١، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٨، ١٨٢، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٨٧

حياته إلى أبد الآبدين

ص ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٧٥، ٢٩٠

حضوره وعطاياه لقديسيه

ص ٦٨، ٦٩، ٧٦، ٩٠، ٩١، ١٨٢

كهنوت المسيح

ص ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠

ظهوره بالمجد (مجيء المسيح الثاني)

ص ٤٤، ٧٠، ٩٣، ١٠٢، ١٣٠، ١٥٩، ٢١٠، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٦، ٣١٣

نقمة المسيح ودينوته

ص ٣٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٩١، ٣١٣

ملكه

ص ١٥، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٣١، ٣٤، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٧٦، ٩٧، ٩٨، ١٥١، ١٧٧، ٢٠٤، ٢٤٧،

٢٥٠، ٢٦١، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢٢

خضوع الكل له ص ٣٨، ٤٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٣١٤

طابع الملك ص ٣٨، ٩٩، ١٥٠، ١٦٠، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦،

٣٢١

عمومية الملك ص ٣٨، ٣٠٠، ٣١٣، ٣١٥

الملك الكاهن ص ٩٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٣٢٠

من السماء ص ٢٣

أزمنة رد كل شيء ص ٣٨

ألقاب المسيح ووظائفه وصفاته

ابن إبراهيم ص ٤٥

ابن الإنسان ص ٣٢، ٤٤، ٤٥، ٣٠٤

ابن الله ص ٤٥

ابن داود ص ٤٥، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣

البكر ص ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٤

المسيح الحافظ ص ٩٣، ١٠١

المسيح الخالق ص ٢٣، ٩٤، ١٠١، ٢٣٠، ٣١٠

المسيح الديان ص ١٧

المسيح الراعي ص ٧٠، ٧١، ٣٠٢، ٣٠٤

المسيح الزارع ص ٧٢

المسيح العريس ص ١٣٨

المسيح القادي ص ٢١

المسيح الكاهن ص ٢٣، ٢٦، ١٥٨، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧

المسيح ملك المجد ص ٩٣، ٩٤، ١٠٢، ١٤٠، ١٥٨

المسيح النبي ص ٢٣، ١٥٨

المسيح والكنيسة ص ٤٠

بقلم المؤلف

- طبعة ثالثة
- تأملات في الموعظة على الجبل
 - وحي الكتاب المقدس
 - الشيطان
 - معجزات المسيح
 - مواسم الرب
- طبعة ثالثة
- مختصر شرح سفر الرؤيا
 - الصليب وكلمات المصلوب.
 - الاختيار في ضوء كلمة الله
 - المعمودية المسيحية
- طبعة خامسة
- ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي
 - المسيح الطبيب العظيم
 - المسيح المنقذ العظيم
 - المسيح الرفيق العظيم
 - شهود يهوه
 - المسيح المتألم
 - أجراس النعمة
 - رحلة الكنيسة
 - الصلاة النموذجية
 - الكفارة في المفهوم المسيحي
 - ميلاد المسيح؛ الأحداث والدروس
 - عودة الهارب
 - في مجمع الناصرة

سفر المزامير

هو قلب الكتاب المقدس، وفيه تشعر بنبض الحياة
الروحية.. على أن ما يعطي لهذا السفر أهمية أكبر
أننا فيه نلتقي بالمسيح..

والمسيح في آلامه وأمجاده هو موضوع الكتاب المقدس.
والشهادة له هي روح النبوة، ولذلك فإن:

أسفار موسى الخمسة مليئة بالرموز عن المسيح
والأسفار التاريخية تقود ركب البشرية وصولاً إليه
والأسفار النبوية تذكّر بالنبوات العديدة عنه
والأنجيل تحدثنا صراحة عن الأمور المختصة به
والرسل و**سفر الرؤيا** تحدثنا عن أمجاده الحالية والآتية

لكن بين كل هذه الأسفار لا نجد سفرًا آخر، يحدثنا عن
مشاعر المسيح الداخلية في كل اختبارات المتنوعة
عبر كل الطريق الممتدة من المجد إلى المجد، مروراً
بالمهد والحد، نظير **سفر المزامير**

والمزامير المسيحية

هي تلك المزامير التي كيفما كان الغرض من كتابتها
وكيفما كانت ظروف كتابتها فإن إتمامها النهائي
لا يكون إلا في المسيح.

وفي هذا الكتاب شرح الكاتب ٢٥ مزموراً

منها ١٤ مزموراً مسيحيًا، تناولها بالشرح
والتأمل الدقيق.

بالإضافة إلى ١١ مزموراً تتضمن نبوات صريحة
أو إشارة جميلة عن المسيح، ألقى عليها نظرة
عامة لكن كافية.